FIFA WORLD CUP
RUSSIA 2018

جوناثان ويلسون

الهرم المقلوب

تاريخ تكتيكات كرة القدم

ترجمة:
أحمد لطفي علي

جوناثان ويلسون

الهرم المقلوب

تاريخ تكتيكات كرة القدم

ترجمة: أحمد لطفي علي

مراجعة: د.أحمد خريس

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة»

GV938 .W5612 2011
Wilson, Jonathan
[Inverting the Pyramid]
الهرم المقلوب : تاريخ تكتيكات كرة القدم / تأليف جوناثان ويلسون؛ ترجمة أحمد لطفي علي ؛ مراجعة أحمد خريس.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، مشروع «كلمة»، 2011.
ص 512 : 14×21 سم
ترجمة كتاب : Inverting the Pyramid: A History of Football Tactics
تدمك: 978-9948-01-992-3
1 - كرة القدم – تاريخ.
أ-علي، أحمد لطفي. ب-خريس، أحمد.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:
Jonathan Wilson
Inverting the Pyramid: A History of Football Tactics
Copyright © Jonathan Wilson 2008
First published by Orion Ltd., London

www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

إن هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة» غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر وجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة عن الهيئة.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لـ مشروع «كلمة»
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

الهرم المقلوب

تاريخ تكتيكات كرة القدم

صدر هذا الكتاب أول مرة سنة 2008

(بريطانيا العظمى - دار أوريون)

△▽△▽△▽△▽△▽

فصول الكتاب

تمهيد 7

الفصل الأول: بين النشأة والهرم 17

الفصل الثاني: عن رقصتي الفالس والتانجو 39

الفصل الثالث: الظهير الثالث 65

الفصل الرابع: الفاشية دمرت المقاهي 85

الفصل الخامس: فوضى منظمة 113

الفصل السادس: صِلات بالمجر 129

الفصل السابع: استغلال المهرجان 149

الفصل الثامن: واقعية الإنجليز(1) 189

الفصل التاسع: ميلاد جديد 231

الفصل العاشر: طريقة كاتيناتشو 253

الفصل الحادي عشر: بَعْدَ الملائكة 289

الفصل الثاني عشر: الكرة الشاملة 321

الفصل الثالث عشر: العلم والإخلاص 345

الفصل الرابع عشر: خذني إلى القمر! 371

الفصل الخامس عشر: واقعية الإنجليز(2) 403

الفصل السادس عشر: مدرب وليس حصاناً 441

الفصل السابع عشر: العالم يتغير 465

خاتمة 507

△▽△▽△▽△▽△▽

تمهيد

المكان: طاولة بار حافلةٌ بصنوف المقبلات في منطقة بايرو ألتو بمدينة لشبونة الأسبانية، في المساء الذي شهد فوز إنجلترا على سويسرا 3–0 في كأس الأمم الأوروبية عام 2004. وفي حين كان نبيذ الريوخا يُدار، تنافست مجموعة من الصحفيين من جنسيات عدة في النقاش حول حق سفين جوران إريكسون Sven-Göran Eriksson في استخدام تشكيلة 4–4–2 التقليدية. قال أحدهم: كان على إريكسون أن يعود إلى تشكيلة «ماسة خط الوسط» Midfield Diamond، وتساءل: هل كان ضغط اللاعبين السبب الذي ألجأه بصورة غير متوقعة إلى اللعب بأربعة في خط الوسط على خط واحد (فلقد عقدت مجموعة من اللاعبين اجتماعاً في ساعة متأخرة من الليل)؟

قال زميل إنجليزي كان حاضراً: «وهل ثمة فارق؟ نحن نتحدث عن مجموعة اللاعبين نفسها. التشكيل لا يهم ولا يستحق أن تكتب عنه».

أثارت هذه العبارة غيمة من السُّخْط. فرفعت إصبعي وأنا غارق في الشراب، وضربته به طالباً منه أن يعود إلى بيته، لأني أعتقد أن السماح لأمثاله بمشاهدة كرة القدم خطأ في حد ذاته؛ دع عنك أن يتحدث عن اللعبة. لكن سيدة أرجنتينية سحبت يدي بحكمة وقالت: «التشكيل أهم عنصر. وهو الأجدر بالكتابة والتعليق».

وعندها اتضح العيب الأساسي في طريقة كرة القدم الإنجليزية. فـ «كرة القدم». لا تتعلق باللاعبين وحدهم، وإنما تتأثر بالشكل والمساحات، والانتشار الذكي للاعبين وتحركاتهم في إطار الانتشار العام لأفراد الفريق. (وهنا أوضح أن «التكتيكات». هي مزيج من التشكيل والأسلوب: فكل تنويعة لطريقة 4–4–2

تختلف عن الأخرى، مثلما يختلف اللاعب ستيف ستون عن رونالدينهو). ربما كانت السيدة الأرجنتينية تبالغ، فالقلب والروح والجهد والرغبة والقوة والسرعة والعاطفة والمهارة كلها عناصر تشارك في صياغة اللعبة. لكن هناك أيضاً البعد النظري. وقد أثبت الإنجليز بشكل عام- لا في الكرة وحدها، وإنما في تخصصات أخرى- أنهم لا يحبون التعامل مع أي شيء مجرد.

وهذا الإخفاق عينه هو ما يحبطني. إنني لا أقول هنا إن كرة القدم الإنجليزية فاشلة. وما لم نكن نعقد مقارنات مع حقبة ما بين الحربين، فلا أعتقد أن الكرة الإنجليزية فاشلة. نالت السخرية من سفين جوران إريكسون في نهاية المطاف، بيد أن آلف رامسي Alf Ramsey هو وحده من استطاع في السابق قيادة إنجلترا إلى الدور ربع النهائي في ثلاث بطولات دولية متعاقبة. وسواء كان إخفاق ستيف مكلارين Steve McClaren في تجاوز دور المجموعات مع فريق إنجلترا في بطولة الأمم الأوروبية عام 2008 (التي كانت أشد وطأة مما تصوره المصابون برهاب الأجانب) عابراً أو بداية لانزلاق طويل- فإنه سؤال لن يجيب عنه سوى التاريخ. غير أنَّ من الانحراف عن الصواب أن نبدأ في ترتيب الصحوة بينما كان باستطاعة إنجلترا التأهل لو استغل ستيفن جيرارد الفرصة التي سنحت لفريقه بعد أربع دقائق من بداية الشوط الثاني في موسكو.

انظر إلى الأوروجواي أو النمسا: هذا هو الانهيار. انظر إلى أسكتلندا التي لاتزال تبارز الكبار وتلعب متجاوزة وزنها الحقيقي رغم القيود التي تفرضها عليها قلة عدد سكانها (خمسة ملايين نسمة فقط). وانظر إلى المجر، الفريق الذي دق المسمار الأخير في نعش الأحلام الإنجليزية عندما تفوق على الأخير في نوفمبر 1953. وعندما مات فيرينك بوشكاش Ferenc Puskas؛ أعظم لاعبي الفريق المجري، الذي حقق مجداً نادر الحدوث في نوفمبر 2006، استسلمت المجر للتقهقر والتراجع إلى الآن، حتى باتت تناضل من أجل البقاء في قائمة

أفضل 100 منتخب في العالم في تصنيف الفيفا . هذا هو الانحدار.

وبالنسبة إلى كرة القدم الإنجليزية، فقد كانت الهزيمة من المجر على ملعب ويمبلي 6–3 هي الحد الفاصل؛ إنها الخسارة الأولى لإنجلترا على أرضها أمام منافس من القارة الأوروبية. كما أن الفكرة التي أهدت التفوق إلى المجر ضربت الفكرة القائلة بأن إنجلترا لاتزال تحكم العالم— في مقتل. وكتب برايان جلانفيل في كتابه «الخصم في الكرة». (Soccer Nemesis) عن ردة فعله تجاه الهزيمة: «قصة كرة القدم الإنجليزية هي قصة تفوُّق عريض– أضاعه الغباء وقصر النظر وفرط الانكفاء على الذات. إنها قصة إهدار مخجل للمواهب، والرضا الزائد عن النفس وخداعها إلى حد متناه»، وقد صدق فيما قال.

وبعد ثلاثة عشر عاماً، توجت إنجلترا بلقب بطل العالم. وربما تبدد هذا التفوق العريض، لكن الواضح أن إنجلترا كانت لاتزال بين النخبة. ولست على يقين إن كان نصف القرن الماضي قد شهد تغييراً كبيراً في هذا الإطار أم لا . نعم، ربما لدينا ميل إلى الاسترسال قبل البطولات الكبرى، ما يجعل الخروج من ربع النهائي أكثر إيلاماً مما يجب. لكن– على أي حال– تبقى إنجلترا واحدة من ثمانية أو عشرة فرق تمتلك دائماً فرصة واقعية للفوز بكأس العالم أو بطولة الأمم الأوروبية (وهناك أبطال استثنائيون أيضاً مثل الدانمارك واليونان). ويبقى السؤال: لماذا لا تُنْتهز تلك الفرصة؟ ربما تحتاج إنجلترا هيكلية أكثر تماسكاً في بناء الشباب، وزيادة التركيز على التكنيك والانضباط التكتيكي، ووضع قيود على عدد اللاعبين الأجانب في الدوري الممتاز، وانتزاع اللاعبين من أوهام الرضا عن الذات. وهناك مائة علاج ووصفة أخرى من شأنها تحسين فرص إنجلترا في الفوز. لكن النجاح يظل فريسة غير واضحة المعالم. والتوفيق وحسن الحظ أيضا يحتفظان بمكانتهما في هذه اللعبة، كما أن أحداً لا يستطيع الجزم بأنه سيفوز في هذه المباراة أو تلك، فماذا عن الفوز بست أو سبع مباريات

متتالية في بطولة دولية واحدة!

تطورت النظرية التي قالت إن الفوز بكأس العالم 1966 كان أسوأ ما حدث لكرة القدم الإنجليزية في تاريخها. ويقول روب شتين Rob Steen في كتابه The Mavericks وديفيد داونينج David Downing في كتبه عن منافسات إنجلترا مع الأرجنتين وألمانيا، إن هذا الفوز أعاد إنجلترا إلى الوراء، لأنه رسَّخ في أعماق الوعي الكروي الإنجليزي فكرة مفادها أن وظيفية فريق «آلف رامسي». كانت السبيل الوحيد إلى الفوز. أنا لا أختلف مع أي من الكاتبين- على الرغم من أن هذه السمة كانت موجودة قبل أن يأتي «آلف رامسي». لكن يبدو لي أن المشكلة الحقيقية لم تكن في طريقة لعب إنجلترا تحت قيادة رامسي، فالمشكلة أن طريقة لعب رامسي رسخت في عقول أجيال من الجماهير والمدربين في إنجلترا أنها الطريقة «الصحيحة» للعب. والطريقة التي كانت صحيحة في ظرف معين- ونفذها مجموعة من اللاعبين في إحدى مراحل تطور اللعبة- لن تصبح بالضرورة الأسلوب الفعال على الدوام. فلو حاولت إنجلترا في بطولة 1966 اللعب مثل البرازيليين، لخرجت مثل البرازيل من مرحلة المجموعات أمام منافسين أكثر شراسة بدنياً. وربما لاقت إنجلترا مصيراً أسوأ من البرازيل أيضاً، لأن لاعبيها كانوا أقل مهارة فنية من البرازيل. وإذا كان هناك شيء واحد يميز المدربين الذين حققوا نجاحاً على فترات طويلة- مثل السير أليكس فيرجسون Sir Alex Ferguson وفاليري لوبانوفسكي Valeriy Lobanovskyi وبيل شانكلي Bill Shankly وبوريس أركادييف Boris Arkadiev- فهو قدرتهم على التطور دائماً. لأن أساليب لعبهم تنوعت بشكل كبير. لكن ما يجمع هؤلاء المدربين جميعاً هو وضوح الرؤية، فقد عرفوا وأدركوا متى يتخلون عن طريقة لعب أثبتت نجاحها، ويتجرءون على تطبيق طريقة جديدة.

ما أريد توضيحه هو قناعتي بعدم وجود طريقة «صحيحة» للعب. من

الناحية العاطفية والجمالية، فإني أفضل أسلوب التمرير الذي يعتمده الأرسنال تحت قيادة أرسين فينجر Arsene Wenger أكثر من براجماتية تشيلسي بقيادة جوزيه مورينيو Jose Mourinho. لكن هذا تفضيل شخصي، ولا يعني أن هذه الطريقة صحيحة والأخرى خاطئة. أنا أدرك جيداً أن المواءمات (الحلول الوسط) يجب أن تكون بين النظرية والممارسة. فعلى المستوى النظري، أستطيع القول إنني أميل إلى أسلوب فريق دينامو كييف بقيادة لوبانوفسكي أو فريق إيه سي ميلان تحت قيادة فابيو كابيلو. لكن على أرض الملعب، عندما سنحت لي الفرصة في الجامعة على مدار سنتين للتأثير في أسلوب لعب فريقي، فإننا لعبنا كرة قدم تميزت بوظيفية راقية جداً. وباعتراف الجميع، لم يكن أداؤنا متميزاً جداً، لكننا حصلنا على أفضل المتاح من اللاعبين. لكني أظن أننا كنا قادرين على لعب الكرة بصورة أكثر جمالية وإمتاعاً من ذلك. وفي غمرة احتفالاتنا بالفوز باللقب كل عام، لا أظن أن الناس كانوا مستائين منا.

المسألة ليست بهذه البساطة وبالتالي لا نستطيع القول إن الطريقة «الصحيحة» في اللعب هي التي تؤمن لأصحابها الفوز أكثر من غيرهم. فإن أخذنا بالمبدأ المتشدد الخاص بجرادجرايندز Gradgrinds سنعتبر حصد النقاط والألقاب مقياس النجاح. لكن يجب أن يكون هناك مجال للفنيات أيضاً. هذا الخلاف بين الجماليات والتجرد—أو بين ما يصفه البرازيليون بـ «كرة قدم الفنية». futebol d'arte و«كرة القدم الموجهة نحو النتائج». futebol de resultados– هو أحد الثوابت، لأنه خلاف جوهري لا في الرياضة فحسب، وإنما في الحياة برمتها: هل تفوز فقط؟ أم تؤدي المباراة بصورة جيدة أيضاً؟ لكن من الصعب التفكير في أي قرارات تخرج عن إطار التفاوض والتلاقح بين هذين التوجهين المتطرفين– أي بين الواقعية والمثالية.

الصعوبة إذا تتمثل في عزل عناصر الجودة العالية. فالمجد لا يُقاس بالمُطْلقات،

وعناصر بناء المجد تتغير بالظروف ومرور الزمن. فصبر الجماهير البريطانية ينفد سريعاً، لكن في مباراة كابيلو الأولى مع ريال مدريد، مثلاً، ما لبثت الجماهير أن أطلقت صيحات الاستهجان عندما كان فرناندو هييرو يمرر كراته الطويلة بدقة إلى روبرتو كارلوس ليجري الأخير وراءها. وبالمعنى الحديث، من المحير أن نعرف أن قدامى لاعبي كرة القدم الهواة نظروا إلى التمرير على أنه عمل غير رجولي. وربما في يوم ما- كما هي الحال اليوم في بعض الثقافات- سيصبح نفور الإنجليز من «التظاهر». Diving (مصطلح كروي يشير إلى إيقاع اللاعب نفسه على الأرض والتظاهر بأن الخصم ارتكب مخالفة ضده) تصرفاً ساذجاً.

ورغم ذلك فإن القول إن كرة القدم أكثر من مجرد فوز سيكون مضحكاً، ومن المضحك أيضاً أن ننكر أهمية الفوز. وقد يكون فينجر خيالياً بشكل مبالغ فيه أحياناً. لكنه- كما أظهرت تكتيكاته السلبية في نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي 2005- اعترف أنه يحتاج إلى الفوز في أحيان أخرى. كما أن إدانة رامسي، عندما حقق الانتصار الدولي الوحيد لإنجلترا، هو ترف لا يحتمله المشجعون الإنجليز؛ واتهامه بتخريب كرة القدم الإنجليزية بدلاً من الاحتفاء به على براعته التكتيكية يبدو سلوكاً غريباً.

أنا لا أقول إن علينا أن نقلل من أهمية البطولات الدولية، لكن من الخطر- بأي حال- المغالاة في قراءة أداء الفرق في البطولات الدولية الكبرى. ومن النادر أن تجد فريقاً واحداً بارزاً في العالم، والأندر أن يفوز بكأس العالم. خذ البرازيل مثلاً، ففي سنة 2002، محت كل منافسيها، وذاك مثال فريد تقريباً، فحتى ذلك الحين، ولاسيما بالنظر إلى مشوار التصفيات التي خاضوها بكسل شديد، أبدت البرازيل تفوقاً بسبب إخفاق الفرق الأخرى، وذلك حين وهنت بقية الفرق المنافسة بسبب تراكم الإصابات والإرهاق وغياب الانضباط والاستسلام للحرارة. وفرنسا- التي ربما كانت أفضل فريق في عام 1998- لم

تُظهر تفوقها إلا في المباراة النهائية. وبعدها بعامين، كانت فرنسا– إلى حد كبير– أفضل فريق في نهائيات كأس الأمم الأوروبية 2000، لكنها كانت على بُعد دقيقة واحدة من خسارة المباراة النهائية أمام إيطاليا.

وقد خسر فريقان من أعظم فرق كرة القدم في التاريخ، وهما المجر (سنة 1954) وهولندا (1974) في المباراة النهائية أمام ألمانيا الغربية—لا أدرى إن كان ذلك صدفة أم لا. والفريق الثالث هو البرازيل (سنة 1982) الذي لم يصل حتى إلى الدور النهائي. وباستثناء كأس العالم 1966، كان أفضل أداء لإنجلترا في كأس العالم 1990، وهي البطولة التي عشقتها دموع جازا Gazza [1] والهزيمة بركلات الترجيح– وهي الكلمة التي أصبح تكرارها مملاً. لكن الفريق الإنجليزي حمل صدى الإخفاق المأساوي آنذاك– إذ ساعد في إحداث الطفرة التي حدثت في تسعينيات القرن العشرين. بيد أن إعداد إنجلترا لتلك البطولة كان مروعاً: ذلك أنها تضعضعت خلال التصفيات: فكان المدير الفني بوبي روبسون مثار سخرية الصحافة يومياً تقريباً، وتم طرد وسائل الإعلام من معسكر التدريب بعد الكشف عن علاقة بين عدد من اللاعبين وأحد مندوبي العلاقات العامة المحليين. وتطور الأمر تحت سحابة من الشغب. وفي المباراتين اللتين خاضتهما إنجلترا أمام أيرلندا ومصر، أدى المنتخب الإنجليزي مباراتين كئيبتين، وكان محظوظاً أمام بلجيكا والكاميرون. أما أمام هولندا وألمانيا الغربية– وهما المباراتان اللتان لم تفز فيهما إنجلترا، فإنها لعبت بشكل جيد. والفريق الوحيد الذي حققت عليه إنجلترا تفوقاً طوال المباراة هو الفريق المصري (كأس العالم

(1) جازا هو اسم اشتهر به لاعب الوسط الإنجليزي الشهير بول جاسكوين. ودموع جازا تشير إلى بكائه في مباراة قبل النهائي التي جمعت إنجلترا وألمانيا في كأس العالم 1990. وكان جازا قد حصل على بطاقة صفراء أمام ألمانيا، فانتابه البكاء لأنه علم أنه لن يشارك في النهائي إن تجاوز فريقه عقبة ألمانيا (لأنه كان يحمل إنذاراً من مباراة سابقة). لكن ضربات الترجيح التي انتهت بها المباراة حرمت جازا وفريقه من حلم النهائي. (المترجم)

1990)، وهو ما أدى إلى ثورة كروية بين جموع الطبقة الوسطى.

وعلى مدار موسم الدوري، شارك الحظ والقوة الدافعة والإصابات وأخطاء اللاعبين وأخطاء الحكام أنفسهم- على نحو ما- في ما آلت إليه حال الفريق البريطاني. ومن المزعج أن نعلم أن إنجلترا لم تحرز أي لقب خلال أربعين عاماً. وهناك قائمة طويلة من المديرين الفنيين واللاعبين والمسؤولين والمنافسين يتحملون جميعاً قدراً من المسؤولية عن هذا. لكن لا تعني هذه الحقيقة بالضرورة سقوطاً مأساوياً، فربما يكون هناك خلل جوهري في طريقة لعب إنجلترا عمّقه وعي ذاتي معارض للتغيير لدى البريطانيين، لكن من الصعب أن تبدأ عملية إصلاح جذري وفرعي للعبة الإنجليزية استناداً إلى نتائج الفريق في البطولات الكبرى وحدها.

تعمل العولمة على طمس الهوية المميزة لطرائق اللعب الخاصة بكل دولة، لكن هناك تقاليد خلدها المدربون والنقاد واللاعبون والمشجعون، تضمن تمايز الأساليب الوطنية وبقاءها. ويتضح من هذا الكتاب أن كل دولة استطاعت تحديد مواطن قوتها الكروية، لكن لم تستطع دولة واحدة أن تثق بهذه القدرات على نحو مطلق، فـ «كرة القدم» البرازيلية الثرية بالارتجال والذوق الفني تبدو مشتاقة إلى التنظيم الدفاعي الذي يميز الإيطاليين، والكرة الإيطالية التي تتسم بالذكاء التكتيكي والتجرد مفتونة بالشجاعة البدنية للإنجليز وتخشاهم في الوقت ذاته. والكرة الإنجليزية الزاخرة بالمثابرة والطاقة، تميل إلى تقليد التكنيك البرازيلي.

وتاريخ التكتيكات هو- فيما يبدو- تاريخ لقوتين متصلتين هما: الجماليات مقابل النتائج من جهة، والفنيات مقابل اللياقة البدنية من جهة أخرى. وهناك تشويش في هذا الشأن، فالذين نشؤوا في ثقافة فنية يميلون إلى اعتبار القوة البدنية وسيلة لتحقيق النتائج، في حين يرى الذين نشؤوا في ثقافة اللياقة

البدنية أن برجماتية التكنيك (والأداء المهاري والجمالي الذي يحب المشجعون مشاهدته) لاتزال تحتل مكانة مميزة في عين المشاهد. وربما أعجب المشجعون البريطانيون (على الرغم من أن معظمهم لا يبدو عليهم ذلك) بالمبارزة الدماغية التي حدثت في نهائي دوري أبطال أوروبا 2003 بين إيه سي ميلان واليوفنتوس، لكن ما يريدونه فعلاً هو رؤية الإثارة والتشويق العنيف في الدوري الإنجليزي الممتاز، وليس هذا عدلاً. فالدوري الإنجليزي الممتاز أصبح الآن أكثر مهارة منه قبل عشر سنوات، لكنه لايزال الأسرع والأقل ميلاً إلى الاستحواذ على الكرة من أي دوري كبير آخر. وإذا حكمنا على قوة الدوري من خلال حقوق البث التلفزيوني، سنجد أن هذه البطولة وقعت عقد بث لمدة ثلاث سنوات مقابل 650 مليون جنيه إسترليني سنة 2007.

وشهد منتصف خمسينيات القرن الماضي نشر سلسلة من الكتب حاولت التعايش مع وضع إنجلترا المتدهور. وكان كتاب جلانفيل على الأرجح الأكثر غضباً، بيد أن الكتاب الأكثر كشفاً كان «ثورة كرة القدم». Soccer Revolution لمؤلفه «فيلي ميسل». Willy Meisl؛ الشقيق الأصغر للمدرب النمساوي الكبير هوجو ميسل. ولإعجابه الشديد بالثقافة الإنجليزية، مثله كمثل أي مهاجر إلى إنجلترا، بدا كتابه وكأنه مرثية أكثر من أي شيء آخر. وبالنسبة إلى الكتابين، فقد بدا إلقاء اللوم على الثقافة المحافظة العنيدة في الطريقة الإنجليزية– منطقياً. ويمكن النظر إلى هذا اللوم باعتباره جزءاً من هجوم ثقافي أوسع نطاقاً على مؤسسة أشرفت على نهاية الإمبراطورية وظلت تبحث عن دور مناسب. وأدى عدم رغبة إنجلترا في معرفة غيرها وبناء فهم خاطئ عنه إلى خسارة التفوق في كرة القدم. صحيح أن عدداً من البلاد الأخرى كان له الغلبة في مرحلة ما، لأن التلاميذ، كما يرى جلانفيل، يتغلبون في كثير من الأحيان على الأساتذة، لكن الأساتذة– بسبب الصلف والانعزالية– شاركوا في إسقاط أنفسهم.

غير أن سقوط إنجلترا من قاعدتها السامقة لم يعد خبراً. و يحاول هذا الكتاب الذي بين أيدينا التصدي لشرح كيفية وصول إنجلترا إلى ما هي عليه الآن، عبر تتبع التطور التكتيكي للعبة. والكتاب ينتمي إلى عائلة الكتابين: «Soccer Nemesis». («الخصم في الكرة») و«Soccer Revolution». (ثورة كرة القدم)، نفسها، لكنه يحدد من حاضر مختلف تماما إخفاق إنجلترا في الصعود، بدلاً من استخدام منظور «السقوط»—وبذلك يصبح هذا الكتاب عملاً تأريخياً أكثر من كونه كتاباً يراد به إثارة الجدل.

ملاحظة اصطلاحية

في بريطانيا، يستخدم مصطلح «قلب الدفاع». centre-half للإشارة إلى لاعبي الوسط المدافعين central defender. وهناك أسباب تاريخية لهذه التسمية يتم الإتيان عليها في مطلع الفصل الرابع. ولمزيد من الإيضاح، استخدمنا مصطلح «قلب الدفاع». تحديداً لوصف لاعب الوسط في تشكيلة 2–3–5. وآمل أن تكون بقية المصطلحات المستخدمة لتحديد المراكز واضحة في سياقها.

الفصل الأول

△▽△▽△▽△▽△▽

بين النشأة والهرم

في البداية مورست كرة القدم في جو من الفوضى، ولم يكن للعبة شكل محدد حتى جاء العصر الفيكتوري فتم تقنينها، وبعده أتى المُنَظرون فتفرغوا لتحليل اللعبة ووضع قواعد لها. ولم تكن التكتيكات- حتى أواخر عشرينيات القرن العشرين- تشبه الشكل الحديث الذي أُقر فيما بعد. وحتى مطلع سبعينيات القرن الماضي، كان هناك إجماع على أن ترتيب اللاعبين في الملعب أحدث فرقاً كبيراً في طريقة اللعب. لكن كرة القدم بشكل عام لم تعرف شيئاً من التعقيد في ممارستها المبكرة.

وربما أشارت حضارات عدة إلى ألعاب تضمنت ركل الكرة بالقدم. لكن كرة القدم الحديثة- رغم ما تدعيه روما واليونان ومصر وجزر الكاريبي والمكسيك والصين واليابان أنها موطنها الأصلي- تضرب بجذورها في «لعبة الغوغاء» Mob Game، التي انتشرت في بريطانيا العصور الوسطى. ولقد تباينت قواعد اللعبة من مكان إلى آخر، وكانت تتضمن فريقين يحاول كلٌ منهما دفع جسم شبه كروي تجاه هدف ما في الطرف الآخر من الملعب المتفق عليه. وكانت اللعبة عنيفة جامحة فوضوية، وتم حظرها أكثر من مرة. وفي أوائل القرن التاسع عشر، عندما قررت المدارس العامة- تأثرا بالداعين إلى إقامة ديانة مسيحية فتيَّة- أن الرياضة يمكن تسخيرها لتهذيب أخلاق التلاميذ، ظهر ما يشبه كرة القدم الحالية، وقبل أن تكون هناك تكتيكات، ظهرت مجموعة مترابطة من القواعد.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وعندما بدأت إرهاصات التشكيلات

التكتيكية في الظهور، لم تكن هذه التشكيلات تحظى بكثير من التفكير. وفي الأيام الأولى من نشوء كرة القدم، لم يكن هناك تصور لفكرة التكتيكات المجردة والرسوم التخطيطية الحالية المزودة بالأسهم والمشيرات. لكن تطوير اللعبة أصبح عملية تعليمية، كونها تكشف الاتجاه العقلي الذي تسير خلاله اللعبة. وتعتبر كرة القدم غالباً أسلوباً غير رسمي للتواصل، نتجت عنه المفاهيم البريطانية التي شكلت كيفية ممارسة اللعبة (وكذلك ظل التصور البريطاني لقواعد اللعبة قائماً دون منافس حتى بعد أربعين عاماً من وضع القواعد أول مرة).

وكان الازدهار الذي عرفته اللعبة في أوائل العصر الفيكتوري– كما أوضح ديفيد وينر David Winner في كتابه «تلك الأقدام» Those Feet، الذي أسس فكرة قد تبدو غريبة اليوم– مردّه إلى أن الإمبراطورية كانت في انحدار، وكان اللوم في هذا الانحدار يُنحى على الفساد الأخلاقي، فظهرت قناعة بأن تعزيز الرياضات الجماعية ضرورة، ذلك أنها تعوق الإيمان بالأنا Solipsism، فالإيمان بالأنا ساعد في انتشار رذيلة الاستمناء؛ الهادمة الكبرى للإنسان. وقد أصر القس إدوارد ثرينج Edward Thring؛ ناظر مدرسة يوبنجهام Upingham، في إحدى عظاته أن عادة الاستمناء ستدفن أصحابها في «القبور المهينة قبل الأوان». وكان يُنظر إلى كرة القدم أنها الترياق المثالي لأنها– وفق ما قاله طومسون في كتابه The Boys' Champion Story Paper سنة 1901: «ليس ثمة رياضة رجولية أكثر منها، إنها بريطانية بمعنى الكلمة. وتتطلب الشجاعة ورباطة الجأش وقوة التحمل». وتقف أسباب سياسية واقتصادية وجيهة وراء هذه المصادفة، وثمة أيضاً رمزية جلية وراء الحقيقة التي تقول إن كرة القدم تم تسخيرها في البداية لدعم أركان الإمبراطورية البريطانية، لكن انحدار الأخيرة تواكب أيضاً مع تآكل السيادة الكروية للفرق التابعة لها.

ارتفعت شعبية كرة القدم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لكن القواعد اختلفت من مدرسة إلى أخرى في تلك الأيام الأولى اختلافاً ملموساً. ففي مقاطعتي شلتنهام ورجبي مثلاً بملاعبهما الواسعة المفتوحة، انحازت اللعبة قليلاً عن لعبة الرعاع. فقد يسقط اللاعب على الأرض، أو يقوم عدد كبير من رفاقه بإسقاطه والوقوع فوقه ثم يخرج من الوحل سالماً. وفي أديرة تشارترهاوس ووستمنستر اشتد عنف اللعبة، فكانت تؤدي إلى كسور في العظام. ومن هنا نشأت المراوغة في اللعب وبدأ حظر- أو تقييد- مسك الكرة باليد. لكن اللعبة ظلت مختلفة جذرياً عن كرة القدم الحديثة. ولم يُسْمع وقتها عن التشكيلات، وكان زمن المباراة وعدد لاعبي كل فريق غير محددين. وكان التلاميذ المفوضون أو الأكبر سناً هم من يركض والكرة بين أقدامهم، أما زملاؤهم في الفريق فكانوا يصطفون وراءهم «للمساندة». في حال ارتدَّت الكرة بعد أن يقطعها الفريق المقابل. أما لاعبو الطرف الآخر أو التلاميذ المساعدون (الأصغر سناً) فيحاولون وقف تقدم الخصم.

وكان التفاعل بين المهاجمين- إذا حدث أصلاً- بدائياً، ومن هنا ظهرت بعض الأساسيات التي شكلت مسار كرة القدم الإنجليزية في وقت مبكر. فكانت المباراة تدور بالكامل حول المراوغة بالكرة، أما التمرير والتعاون والدفاع فكانت تعد أمورا أقل شأناً، وبدا التصادم بالكتف وإيقاع الخصم أرضاً مفضلاً، ويقول بعضهم: إنها كانت أحد مظاهر حياة الإنجليز في الحياة العامة.

ففي المدارس العامة، كان التفكير يُقابل بشيء من الامتعاض وربما الاستهانة (وفي أواخر عام 1946 كتب الكاتب المجري الساخر جورج مايكس George Mikes يقول إنه شعر بالفخر عندما وصل بريطانيا أول مرة، بيد أن امرأة وصفته هناك بأنه «ذكي»، وقد أدرك فيما بعد الشحنة التي يحملها المصطلح

وظلال معناه، وأنه يشير إلى عدم جدارة الشخص بالثقة).

وقد أحبط وجود مجموعات مختلفة من القواعد جهودَ إطلاق كرة القدم في الجامعات حتى جاء إتش سي ملدن H.C. Malden من مدينة جودالمنج البريطانية سنة 1848، وعقد اجتماعاً بجامعة كامبريدج مع ممثلي مقاطعات هارو وإيتون وينشستر ورجبي وشروزبري (واللافت أنه دعا اثنين من تلاميذ المدارس غير العامة) وأعملوا النظر فيما يمكن اعتباره أول مجموعة موحدة من قوانين كرة القدم في التاريخ. وكتب ملدن: «تم طبع قواعد جديدة أعطيناها اسم قواعد كامبريدج. ووزعت نسخ منها وألصقت في منطقة باركرز بيس [وهي مساحة من الأراضي العشبية المفتوحة وسط المدينة] وكانت النتيجة مُرضية للغاية. وكان هناك ولاء للحفاظ على هذه القواعد، وأنا لم أسمع قط عن أي رجل في المدارس العامة رفض لعب الكرة لأنه لم يحب تلك القواعد الجديدة».

ولم تمر سوى أربع عشرة سنة بعد ذلك حتى خطت النسخة الجنوبية من اللعبة خطوة أخرى نحو الاتساق والتماثل، وأصدر جيه سي ثرينج J.C. Thring– الشقيق الأصغر لإدوارد مدير مدرسة أبنجهام Uppingham– مجموعة من القواعد الموحدة في جامعة كامبريدج، بعد أن أحبطت محاولة سابقة له في وضع قواعد للعبة، غير أنه نجح هذه المرة في إصدار مجموعة من عشرة قوانين بعنوان «اللعبة الأبسط». The Simplest Game.

وفي أكتوبر التالي، نُشرت مجموعة أخرى مختلفة باسم «قواعد جامعة كامبردج لكرة القدم»، وبعد شهر تم تأسيس اتحاد كرة القدم، الذي شرع على الفور في تحديد مجموعة نهائية من قوانين اللعبة، وأراد الاتحاد الجمع بين أفضل عناصر اللعبة وهي المراوغة وإمساك الكرة باليد.

وأخفقت المحاولة، وكان النقاش طويلاً وغاضباً، وبعد الاجتماع الخامس

في فندق فريماسون تافرين الكائن في حي لنكولن اللندني (في الساعة 7 مساء يوم 8 ديسمبر 1863)، أصبح حمل الكرة باليد محظوراً، وسلك كل من كرة القدم والرجبي طريقين مختلفين، ومن الغريب أن النزاع لم يكن على استخدام اليد، ولكن على الرفس، أي ما إذا كان ضرب أفراد الفريق المنافس بالقدم في سيقانهم مسموحاً. وقال المهاجم إف دبليو كامبل F.W. Campbell من فريق بلاكهيث Blackheath عن تأييده لذلك أشد التأييد قائلا: «إذا خلت اللعبة من ذلك [الرفس] فستخلو أيضاً من شجاعتها وجسارتها، وسأكون ملزماً أن أجلب عدداً كبيراً من اللاعبين الفرنسيين الذين سيوسعونك ضرباً على مدار أسبوع من التدريبات».

ويبدو أنه كان يشعر بوجوب أن تنطوي الرياضة على الألم والوحشية وبالتالي الرجولة، ودون ذلك- أي المهارة- فإن أي أجنبي عجوز يستطيع تحقيق الفوز، ربما تكون هذه نكتة، لكن كلماته تلك كانت فعلاً جزءاً من نقاش جاد يعكس الروح العامة آنذاك، حتى لو لم يقدم بلاكهيث استقالته في نهاية المطاف من الاتحاد عندما تم حظر الرفس في الساق.

وانتشرت المراوغة في اللعبة إلى حد كبير بسبب «القانون السادس». وهو القانون السابق على قانون التسلل: «عندما يقوم اللاعب بركل الكرة، يصبح أي لاعب من الجانب نفسه وهو أقرب إلى خط مرمى الخصم خارجَ اللعبة ولا يمكنه لمس الكرة بنفسه، ولا يستطيع بأي شكل من الأشكال منعَ أي لاعب آخر من الحصول على الكرة، حتى يدخل هو نفسه في حيز اللعب مرة أخرى». وبعبارة أخرى، كان لا بد للتمريرات أن تمر إما جانبياً أو إلى الوراء. وكان الإنجليز على قناعة بأن أي حركة غير الهجوم المباشر باتجاه المرمى هي حركة مريبة وغير رجولية، وغير ذات جدوى.

وكانت المراوغة آنذاك مختلفة إلى حد ما عن المعروف عنها في كرة القدم

الحديثة. ففي كتابه عن تاريخ كأس الاتحاد الإنجليزي، اقتبس جيفري جرين Geoffrey Green؛ مراسل كرة القدم بمجلة «التايم» قول كاتب لم يذكر اسمه في سبعينيات القرن التاسع عشر، فكتب يقول: «اللاعب الممتاز الحقيقي لا يغفل عن مراقبة الكرة. وفي الوقت نفسه يركز انتباهه على تلمس الثغرات في صفوف الخصم، أو أية نقطة من نقاط الضعف في الدفاع. هذا يمنحه فرصة مواتية للوصول إلى الهدف المطلوب. أما رؤية بعض اللاعبين يجرون بالكرة ويوجهونها في دائرة من أقدام لاعبي الخصم يدورون وينحرفون بها حسبما يتطلب الموقف، فهو مشهد لا يمكن نسيانه. ذلك أن مهارة المراوغة تتطلب أكثر من مجرد الهجوم جرياً إلى الأمام بلا خوف وبتهور تجاه قلعة الخصم. وذلك يتطلب عيناً سريعة اللمح لاكتشاف نقطة ضعف، وعقلاً يحسب ويحدد فرص اختراق ناجحة».

هذا الوصف السابق لكرة القدم الأولية يبدو– من حيث الشكل– كأحد الأنماط البدائية للعبة الرجبي الحالية، باستثناء إمساك الكرة باليد. وبالمثل كانت التكتيكات بدائية (إن وجدت أصلاً) حتى بعد أن ثبت عدد اللاعبين على أحد عشر، فكان الفريقان يركضان ببساطة خلف الكرة، ولم يُعترف بحارس المرمى حتى سبعينيات القرن التاسع عشر عندما أصبح مركزه مقبولاً عالمياً. ومنذ سنة 1909، بدأ حارس المرمى في ارتداء قميص ملون مميز عن بقية لاعبي فريقه. وفي عام 1912، أصبح لا يستطيع إمساك الكرةِ بيديه سوى داخل المربع الخاص به. وحدث تغيير للقاعدة المطبقة لمنع «لي ريتشموند روس». Leigh Richmond Roose حارس مرمى سندرلاند من عادة حمل الكرة حتى خط المنتصف. وإن صح إطلاق كلمة «تشكيل» على فرق الكرة آنذاك، يمكن القول إن لاعبين أو ثلاثة على الأكثر يقفون في خط الدفاع ثم تسعة أو ثمانية في الهجوم.

وعندما تم تغيير القانون السادس عام 1866 في أعقاب اتفاقية إيتون Eton

والسماح للمهاجم بالتمرير شريطة أن يكون هناك ما لا يقل عن ثلاثة من دفاع الفريق المنافس بين اللاعب وحارس مرمى الخصم عند لعب الكرة (أي بزيادة لاعب واحد على قانون التسلل الحديث) يبدو أن القانون أحدث فرقا قليلاً لدى أولئك الذين نشؤوا على لعبة المراوغة.

وفي نهاية سبعينيات القرن التاسع عشر، كتب تشارلز ألكوك Charles W. Alcock، الذي كان لاعباً رئيسياً في وقت مبكر ومديراً فنياً فيما بعد، يبشر بـ «المبدأ الكبير والأساس». ألا وهو «المساند» backing up. والمقصود بمبدأ «المساند». بطبيعة الحال، هو متابعة لاعب زميله عن كثب لمساعدته إن لزم الأمر، أو أخذ الكرة منه في حال تعرضه لهجوم أو منعه من مواصلة ركضه إلى الأمام. وبعبارة أخرى، فبعد مرور عقد على تأسيس اتحاد كرة القدم، شعر أحد الآباء المؤسسين للعبة بضرورة تعليم الآخرين أنه إن توجه أحد اللاعبين نحو المرمى فيجب الذهاب لمساندته، على الرغم من أن الحصول على الكرة طوعاً من هذا اللاعب المهاجم كان بعيد المنال آنذاك.

كانت هذه الحال في الجنوب على الأقل. أما في الشمال، فكانوا يحرزون تقدماً في تطوير اللعبة بشكل مختلف، ولاسيما في جنوب يوركشاير، حيث اجتمعت مجموعة من معلمي أولد هاورفيان Old Harrovian في كلية شيفيلد مع مجموعة من الألعاب الشعبية التقليدية من هولمفيرث وبينستون، وتم إنشاء نادي شيفيلد يوم 24 أكتوبر 1857 في البداية كوسيلة لتحسين اللياقة البدنية للاعبي الكريكت في أثناء فصل الشتاء. وفي يوم الملاكمة من تلك السنة أُجرِيَتِ المباراة الأولى في العالم بين ناديين، وقد تغلب نادي شيفيلد على نادي «هالام إف س». 2/صفر. ثم نمت هذه الرياضة بسرعة، وفي غضون خمس سنوات، أصبح من الممكن رؤية حشود من المشجعين بالمئات. ولقد تأسس خمسة عشر نادياً في المنطقة، وطور نادي شيفيلد مجموعة من القواعد الخاصة

به لممارسة اللعبة، وتم نشر هذه القواعد سنة 1862– ولم يرد ذكر التسلل فيها وظهر تأثير فِرَق مثل هارو ورجبي ووينشستر.

ورغم ذلك، بدا ثمة بعض التنظيم. فقد كتب وليام تشسترمان– سكرتير نادي شيفيلد– في يوم 30 نوفمبر 1863 إلى اتحاد كرة القدم حديث التأسيس آنذاك، يقول: «ليس لدينا قاعدة مطبوعة على الإطلاق كالقاعدة رقم 6 لديكم. لكني كتبت قاعدة في الكتاب، ونحن نلعب دائماً على أساسها».

كان هذا مايزال غير واضح، وقد قبل نادي شيفيلد رسمياً بالتسلل في سنة 1865 كجزء من مساومات على القواعد قبل مباراته أمام فريق نوتس كاونتي. وكان المطلوب ترك لاعب واحد فقط في الدفاع إلى جانب المرمى أمام المهاجم إذا لُعِبَت الكرة له حتى يكون في الوضع الصحيح لتسديدها. والواضح أن هذا جعل التمرير الآن أكثر فاعلية على الرغم من أن هذا الأمر كان محل جدل، وقد أثار استغلال الفرص في هذه التشكيلة الكثير من التساؤلات.

أخفق الاتحاد الإنجليزي في الاستجابة لمبادرات شيفيلد، واستمر قانونان أساسيان لسنوات عدة. وكانت هناك تنويعات مختلفة على القانونين في نوتنجهام وغيرها من المدن الإنجليزية. وقد التقيا للمرة الأولى سنة 1866 في مباراة بين لندن وشيفيلد في حديقة باترسي يوم 31 مارس 1866، وفاز فريق لندن 2/صفر. وقالت تقارير وقتها إن لاعبي لندن كانوا الأكثر مهارة، لكن الاضطراب بدا عليهم بسبب لياقة شيفيلد البدنية العالية.

وبعد الكثير من الأخذ والرد في القوانين التي يجب اللعب بها، أحضر ألكوك فريق لندن إلى شيفيلد في ديسمبر 1871 حيث لعب الفريقان وفقاً لقواعد شيفيلد، وفاز المضيف 1/3، وكان فوزه راجعاً –عموماً– إلى امتلاك تشكيل منظم. فإذا أضيف ذلك إلى قانون الفريق المضيف الأكثر حرية فيما يتصل بقاعدة التسلل، قد يوحي ذلك بأن المباراة كانت منافسة في التمريرات.

ويبدو أن شيفيلد تفوق على لندن في المراوغة. ووفقا للكاتب بيرسي إم يونج Percy M. Young في كتابه «كرة القدم في شيفيلد». Football in Sheffield، وجد لاعبو شيفيلد «مهارة ألكوك في المراوغة خارج نطاق خبرتهم تماماً، وكان ألكوك على وعي بفضائل التمرير في وضع جيد (اعتمد اللاعبون المحليون طريقة أبسط وأكثر مباشرة بتجاهل زملائهم والتوجه نحو المرمى بمجرد أن تسنح الفرصة). وكان الجمع الدقيق بينه وبين تشنيري موحياً لألفين من الجماهير الذين غمرتهم السعادة». وستجرى هناك كذلك ثمانية عشر لقاء قبل أن ينضم شيفيلد إلى اتحاد كرة القدم سنة 1878.

وربما افتقد شيفيلد ثقافة التمرير، لكن لا يبدو أنهم كانوا يمررون الكرة طولياً ليحرروا خطوطهم، ففي كتاب «لعبة العالم». The World Game لاحظ جيفري جرين أنه عندما وصل لاعبو شيفيلد إلى لندن للعب مباراة استعراضية عام 1875، بدؤوا في «نطح الكرة برؤوسهم». وقد اعتبره الجمهور «مثاراً للتسلية لا الإعجاب». وفي مباراة المراوغة الخالصة ليست هناك حاجة لجعل الكرة تغادر الملعب، فضلاً عن رفعها على القدم، وإن ارتفعت في الهواء فيجب التعامل معها بالرأس.

ويشير التقرير السنوي لاتحاد كرة القدم الأسكتلندي حول مباراة أجريت عام 1877 بين جلاسجو وشيفيلد، إلى أن «المباراة كانت منافسة رائعة جداً، وكان النصر فيها حليف الجانب الأفضل. لا أحد ينكر ذلك، لكنها كانت لعبة جميلة حافلة بالعروض الرائعة المليئة بالمراوغة، وهي التي ميزت الفريق الأسكتلندي كثيراً قبل كل شيء آخر. قليلون هم من سيعترفون بذلك.. ولا يمكن إخفاء الحقيقة.. إن التكتيكات التي اتبعها فريق شيفيلد يوم السبت كانت مسؤولة جزئياً عن هذا بقدر ما نفذوا في لعبهم مجموعة من القواعد تختلف عما يطبقه الاتحادان الإنجليزي والأسكتلندي. وبالنسبة إليهم، فإن

قاعدة «التسلل». الخاصة بنا أضحت عديمة الجدوى، وبهذه الطريقة أطلقوا من جانبهم العنان للركلات الطويلة إلى حد كبير يوم السبت، ولتطبيق أسلوب اللعب نفسه قاد العمل المشترك لرجال جلاسجو الفريق إلى النصر في كثير من الملاعب التي خاضوا عليها مباريات أصعب.

يمكن إرجاع انتشار التمرير وحده- أي «اللعب المشترك»- إلى مباراة واحدة، هي أول مباراة دولية جرت بين إنجلترا وأسكتلندا في متنزه هامبدن بارك بجلاسجو سنة 1872. يومها ضمت تشكيلة إنجلترا حارس مرمى وظهيراً three-quarter back وظهيراً مساعداً half-back، وراكلاً fly-kick وأربعة لاعبين في مركز الوسط واثنين على الجانب الأيسر ولاعباً على الجانب الأيمن. وهي تشكيلة تشبه طريقة 1-2-7 في التنظيم الحديث.

ويقول ألكوك: «تشكيل الفريق كقاعدة تدعم سبعة مهاجمين، وأربعة لاعبين فقط يشكلون ثلاثة خطوط للدفاع والخط الأخير حارس المرمى، وأمامه ظهير مدافع full-back واحد- أمامه مهاجمان- لمواجهة اندفاع مهاجمي الخصم».

وقد مثّلَ أسكتلندا نادي كوينز بارك Queen's Park، الذي ظل يسيطر على اللعبة في أسكتلندا حتى تأسيس اتحاد كرة القدم الأسكتلندي سنة 1873. وكانت اللعبة في أسكتلندا أقرب ما تكون إلى فريق «إم سي سي» MCC في لعبة الكريكيت أو فريق رويال Royal أو أينشنت Ancient في الجولف. وبدا لاعبو هذا النادي أرشق مقارنة بلاعبي إنجلترا، ومما يدل على الاهتمام باللياقة البدنية في كرة القدم مبكراً، أن معظم النقاد توقع أن تفوق الوزن يعطي إنجلترا فوزاً مريحاً، لكن ما حدث كان خلافاً لذلك. ومن المحتمل- كما يؤكد ريتشارد ماكبريرتي Richard McBrearty الخبير بمتحف كرة القدم الأسكتلندي- أن كوينز بارك قرر اللجوء إلى تمرير الكرة حول الفريق الإنجليزي بدلَ الدخول

أول مباراة دولية: أسكتلندا وإنجلترا 0 – 0 أقيمت يوم 30 نوفمبر 1872، باتريك.

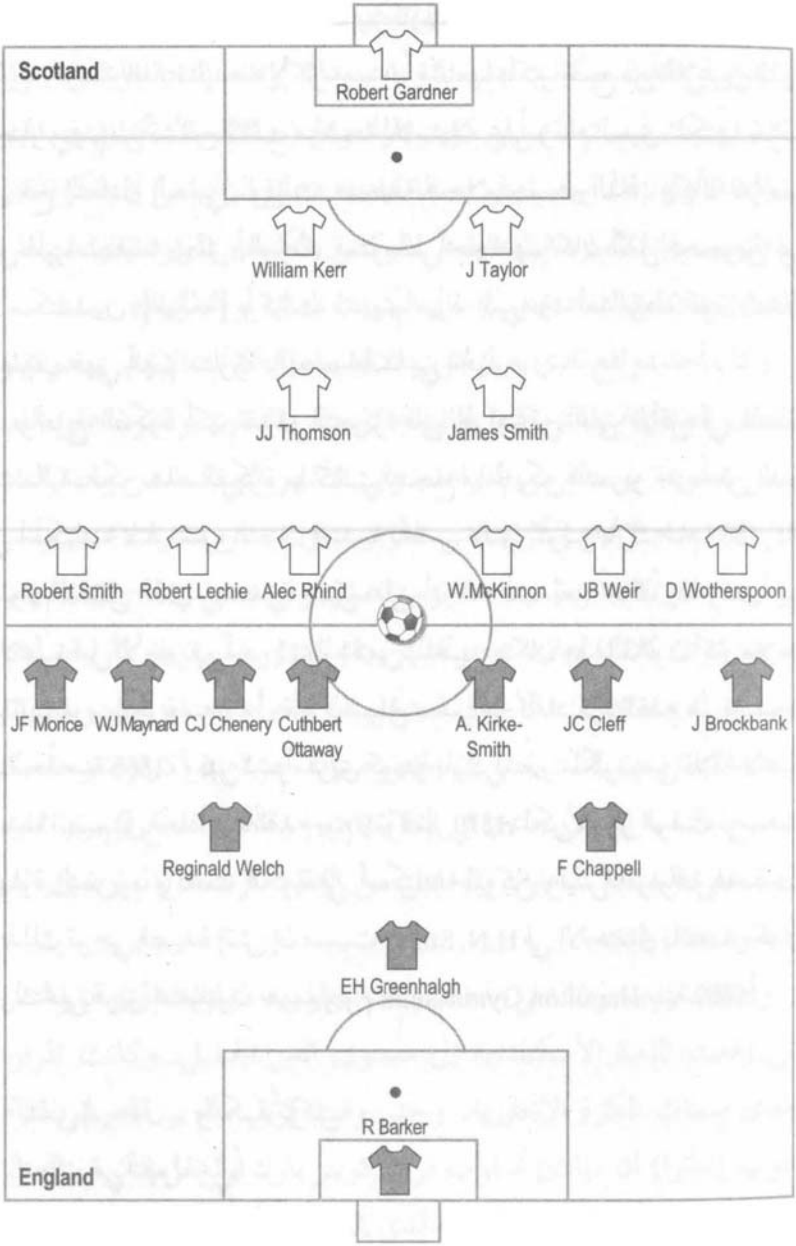

في منافسة مباشرة رجلاً لرجل مع الإنجليز، حتى لا يكون للفريق الأخير ميزة التفوق البدني. ولقد لعب نادي كوينز بارك بتشكيلة 2–2–6، وانطلت عليهم الحيلة. فإنجلترا– بتقاليدها الأكثر رسوخاً وتمتعها بأكبر جمع من اللاعبين الذين تختار منهم من تشاء– كانت مرشحة للاستيلاء على زمام السبق. لكنها جُرَّت إلى فخ التعادل السلبي. وقالت صحيفة «جلاسجو هيرالد»: «كان للإنجليز كل الميزات فيما يتعلق بالوزن، فمتوسط أحجامهم كان أثقل بحجرين عن الأسكتلنديين [مبالغة] وكانت لديهم ميزة السرعة، أما نقطة قوة النادي المضيف فهي أنهم امتازوا باللعب الجماعي الجيد».

ونجاح الفكرة أكد تفوق التمرير على المراوغة– على الأقل في المنطقة الشمالية. لكن هذه الفكرة ما كانت لتنجح ما لم يكن التمرير جزءاً من اللعبة في أسكتلندا منذ نشوء اللعبة. فعندما تأسس نادي كوينز بارك عام 1867 كان قانون التسلل الذي اعتمدوه ينصّ على أن اللاعب يُعد مخالفاً إذا وقف قبل اللاعب قبل الأخير في آخر 15 ياردة من الملعب. وكان هذا القانون أكثر ملاءمة لقانون تمرير الكرة منه لأول قانون تسلل صدر عن اتحاد كرة القدم هو ونسخته المنقحة سنة 1866، وقبل نشوء فريق كوينز بارك المتغير المكون من ثلاثة لاعبين عندما انضم إلى اتحاد كرة القدم يوم 9 نوفمبر 1870، لكن بمرور الوقت ترسخت مهارة التمرير. وكانت الكرة في أسكتلندا للركل وليس المراوغة فحسب. وبذلك توحي قصيدة إتش إن سميث H.N. Smith في الاحتفال بانتصار كوينز بارك على فريق هاميلتون جيمنيزيوم Hamilton Gymnasium سنة 1869:

يُنتقى الرجال.. والكرة تُركل
لتحلق في الهواء عالياً
وفوق رؤوس الجميع تتسارع...

وبالمثل، كان انتشار المراوغة التي لاحظها روبرت سميث بعد أن لعب المباراة الأولى من أربع مباريات نظمها ألكوك بين إنجلترا وفريق من الأسكتلنديين المقيمين في لندن. وكانت هذه المباريات بداية إرهاصات اللقاءات الدولية، وكان روبرت سميث لاعباً في كوينز بارك والجناح الأيمن لأسكتلندا في المباراة الدولية الأولى. قال سميث في رسالة لناديه: «على الرغم من أن الكرة كانت في الملعب، فإن الممارسة الفعلية هي الركض بالكرة أو المراوغة بها عن طريق القدمين بدلاً من التمادي في إرسال الكرات العالية أو الطويلة».

وكان أحد دوافع نادي بارك كوينز للانضمام إلى الاتحاد الإنجليزي هو محاولة تخفيف الصعوبات التي كان يعانيها «لإيجاد منافسين يوافقون على اللعب ضمن مجموعة موحدة من القواعد. وفي الأشهر التي سبقت موافقة النادي على الانضمام لاتحاد الكرة، لعب الفريق مباريات من عشرة لاعبين وأحياناً من أربعة عشر لاعباً وخمسة عشر وستة عشر. وفي عامي 1871–1872 لم يلعب الفريق سوى ثلاث مباريات. وكتب ريتشارد روبنسون في تأريخه لنادي كوينز بارك عام 1920: «الأخرق لم يتخل عن دأبه أبداً». فعزلتهم ومبارياتهم المنتظمة فيما بينهم كانت تعني أن الخصوصيات أصبحت أكثر وضوحاً- كما ستصبح بالنسبة إلى الأرجنتين في الثلاثينيات- وهكذا أصبح التمرير ممارسة فاعلة على الساحة المحلية، وتخلص من العقبة المزعجة (المعارضين الذين ناهضوه بتفان شديد).

وأضاف روبنسون: «في هذه المباريات، تطورت مهارات المراوغة والتمرير التي رفعت اللعبة الأسكتلندية إلى مستوى الفن الجميل. وكانت المراوغة إحدى سمات الكرة الإنجليزية. وحتى وقت قريب، لم ير الجنوبيون (أهل جنوب إنجلترا) أن مبادئ أسلوب فريق كوينز بارك في نقل الكرة والمساندة القوية هي التي أخرجت أفضل ما لدى الفريق من مواهب ومميزات. وكان

الجمع (بين الأسلوبين) هو السمة الرئيسة لأسلوب لعب كوينز بارك. وأثارت هذه المبادئ الجوهرية السيد ألكوك وشكلت واحدة من حولياته المبكرة عن كرة القدم الفكرةَ الأساسية للثناء على لاعبي أسكتلندا، مصاحبة بأطروحات جدية داعية إلى اعتماد اللاعبين الإنجليز للأساليب التي وصلت باللعبة إلى هذه الكفاءة العالية في شمال نهر تويد[1]».

ولم يكن ألكوك قريباً من الاقتناع، وعلى الرغم من أنه أعلن افتتانه بـ «بطريقة الجمع بين الأسلوبين- المراوغة والتمرير». وكذلك البراعة التي أبداها إزاء شيفيلد، فقد أعرب عن شكوكه في تقريره سنة 1879 حول قدرة «نظام التمرير على تحقيق الجدوى». والواضح أنه شعر أن التمرير كان جيداً جداً كخيار لا كبديل للمراوغة.

مع ذلك انتشر التمرير بسرعة ولاسيما في أسكتلندا، حيث مارس فريق كوينز بارك تأثيراً شاملاً، مما أدى إلى النهج الشديد الرومانسية «المنسوج على منوال ثابت»، والمتميز بسلاسل التمريرات القصيرة المتعرجة بين الخطوط الأمامية ومنتصف الملعب. ونظم كوينز بارك الجانب الأسكتلندي في اللقاءين الدوليين الأولين، وحتى بعد تأسيس اتحاد كرة القدم الأسكتلندي فقد ظل صوتاً قوياً في صياغة اللعبة.

وتصرف كوينز بارك بوصفه أحد المبشرين بالمستقبل، فجاب البلاد مشاركاً في مباريات استعراضية. وتوضح سجلات مباراته ضد فريق فال Vale- الذي أصبح واحداً من أقوى الفرق في بدايات كرة القدم الأسكتلندية- ما جرى في أثناء توقف المباراة على فترات منتظمة، تم فيها وصف قواعد اللعب وأساليبه، في حين أن المباراة التي أجريت في إدنبره سنة 1873، هي التي عرّفت

(1) نهر تويد Tweed River ينبع من مرتفعات أسكتلندا الجنوبية ويصل طوله إلى 154 كيلومتراً تقريباً. (المترجم)

العاصمة على ضربة البداية. وما يدل على أثر تلك المباريات أن الحدود ظلت معقلاً للعبة الرجبي، حيث ألغيت مباراة تبشيرية للعبة كان مقرراً أن يلعبها كوينز بارك هناك، بسبب التزامات كأس الاتحاد الإنجليزي. وكما يقول ماك بريرتي McBrearty: التركيبة السكانية في أسكتلندا، حيث تعيش الغالبية العظمى من السكان في الحزام الأوسط بين التجمعات الحضرية في جلاسجو وإدنبره، مهدت لترسيخ أسلوب موحد للعبة، على خلاف الحال في إنجلترا، حيث كان لكل منطقة تصورها الخاص عن كيفية ممارسة اللعبة.

وأثارت تكتيكات كوينز بارك في المباراة الدولية الأولى في إنجلترا العجب. لكن الفضل في انتشار التمرير في الجنوب يعود إلى حد كبير إلى رجلين هما هنري ريني–تيليور Henry Renny-Tailyour وجون بلاكبيرن John Blackburn، اللذين لعبا لأسكتلندا حين فازت على إنجلترا في المباراة الدولية الثانية. وكلاهما كان ملازماً في الجيش، وكلاهما لعب كرة القدم لنادي المهندسين الملكي، وقد حملا الأسلوب الأسكتلندي معهما إلى كينت. فقد كتب دبليو إي كليج– لاعب شيفيلد السابق في صحيفة «شيفيلد إندبندن». سنة 1930: «كان نادي المهندسين الملكي أول فريق كرة قدم يُدخل أسلوب «الجمع». [المراوغة والتمرير] في اللعب. ففي السابق فزنا في المباريات التي لعبها شيفيلد معهم، لكننا دهشنا أنهم بين موسم وآخر وضعوا «التكتيكات العسكرية على ملعب كرة القدم»، فتعرض شيفيلد لهزيمة منكرة بسبب قواعد اللعب الجديدة».

وغرس القس سبنسر ووكر Reverend Spencer Walker نهج التمرير في المدارس، لما عاد رئيساً لمدرسة لانسينج Lancing College التي درس فيها مسبقاً، وبدأ في تحويل الفريق من مجموعات غير متماسكة إلى كيانات منظمة. وكتب ووكر يقول: «أول شيء وقعت عليه هو تكدس كل المهاجمين حول

المهاجم الأمامي، فكانوا يتجمعون حوله أينما ذهب. فابتكرتُ القاعدة الأولى: تحديد أماكن ثابتة لجميع المهاجمين، وتمرير الكرة من واحد إلى آخر. وليتكم شاهدتم وجوه خصومنا الأوائل».

ورغم شكوك ألكوك اتضح تدريجياً أن التمرير هو مستقبل اللعبة. ولوحظ أن فريق أولد كارتوزيانس Old Carthusians الذي تغلب على أولد إيتونيانس Old Etonians 3/صفر في نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي سنة 1881 جمع بين المراوغة والتمرير، وبخاصة بين اللاعبين برنسيب وباري. وفي السنة التالية، أحرز أولد إتونيانس هدفاً أزاح به بلاكبيرن روفرز (وهو أول فريق من الشمال يبلغ النهائي)- بحسب ما كتب جرين في تاريخه لكأس الاتحاد الإنجليزي- من «مراوغة طويلة وتمريرة عرضية» من اللاعب دون Dunn استقرت في مرمى الحارس دبليو إتش أندرسون، على الرغم من أن لاعبي إيتونيانس اعتمدوا أساساً على المراوغة.

وجاء الازدهار النهائي للمراوغة سنة 1883، وتم اعتماد الكثير من الإدخالات من خارج لندن لأول مرة في الكأس. وذهبت الكأس للمرة الأولى إلى الشمال حين فاز فريق بلاكبيرن أوليمبيك على أولد إيتونيانس في المباراة النهائية. وانتهى بذلك عصر الهواة على الأقل على مستوى العقلية، وهو ما تم الاعتراف به بعد عامين حين اعتمد اتحاد كرة القدم «احتراف اللاعبين».

وكان لجميع أفراد فريق أوليمبيك وظائف بدوام كامل، مما تسبب في شيء من النشاط عندما أخذهم لاعب الفريق ومديره الفعلي جاك هانتر Jack Hunter إلى بلاكبول لإقامة معسكر تدريبي قبل المباراة النهائية. والواضح أن هذا لم يكن التفوق السهل الذي نشدوه. ففي وقت مبكر من المباراة، قلصت الإصابة عدد فريق إيتونيانس إلى عشرة لاعبين، وثارت شكوك حول قدرتهم على التعامل مع تكتيك أوليمبيك غير المألوف في عمل تمريرات كاسحة طويلة

من الجناح إلى الجناح، ثم كان هدف الفوز- الذي سُجِّلَ في الوقت الإضافي- سمة المباراة ككل: كرة عرضية من تومي دويهرست (وكان يعمل نسّاجاً) من جهة اليمين وجدت في طريقها جيمي كوستلي (كان يعمل غزّالاً) الذي تقدم في المساحة التي على يساره وكان يتمتع برباطة جأش مكنته من التسجيل في رولنسون- حارس مرمى إيتونيانس.

وفي أسكتلندا أصبح تفوق التمرير أخباراً قديمة، كتب سيلاس مارنر Silas Marner، الكاتب بصحيفة «سكوتش أمباير» Scottish Umpire في أغسطس 1884، يقول: «انظر إلى أي ناد أتى إلى الواجهة، وستجد تقدمه قد بدأ من الساعة التي تخلى فيها عن الخشونة والاضطراب وأفسح المجال للتمريرات السريعة المتقنة، والعناية بالخصم بدل الرغبة المنحطة المنحصرة في ضربه ضربات غير متوقَّعة»، لكن لم يقتنع أحد بذلك. وبعد شهرين، حين خسر فريق جيمستاون أثليتكس 4/1 من فريق فال في كأس أسكتلندا، انتقدهم أوليمبيان في مقاله بصحيفة أمباير انتقاداً لاذعاً بسبب طريقة الجمع [بين الأسلوبين] في اللعب، وقال: «فرِّق تسد كانت المقولة المفضلة لمكيافيلي العظيم عندما علَّم الأمراء كيفية الحكم. ماذا أقول عن محاولة جيمستاون التحقق من صدق هذه المقولة. مقدماتهم كانت صحيحة، لكنهم أخطؤوا الإجابة بعد النتيجة التي انتهوا إليها. لقد ارتكبوا خطأً فادحاً عندما قسموا أنفسهم بدلاً من تقسيم خصومهم، فنالوا العقوبة. وأي عقوبة! لا تخبروا بها أحداً في جات. لا تذيعوا الخبر في عسقلان Askelon. فالاستراتيجية لا تحل أبداً محل أحد عشر زوجاً من الأرجل الرشيقة».

نعم يمكنها ذلك، واستطاعت بالفعل إلى حد بث الذعر في قلوب التقليديين في إنجلترا وأسكتلندا. وكانت تعني واحداً من رأسي الحربة centre-forward- الذي يميل إلى تكرار دور كل منهما في لعبة التمرير- ثم ينسلّ راجعاً مرة

مباراة ريكسهام ودرولدز 1 – 0 نهائي كأس ويلز، أكتون، 30 مارس 1878.

أخرى إلى موقف أكثر عمقاً، ليصبح في نهاية المطاف خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر مركز قلب الدفاع centre-half في طريقة 2–3–5: الهرم.

ويسود اعتقاد واسع– عبّر عنه المدرب المجري أرباد كسنادي Arpad Csanadi في دليله التدريبي لكرة القدم المؤثر– أن أول من لعب بخطة 2–3–5 كان جامعة كامبريدج سنة 1883. لكن هناك أدلة تشير إلى أن هذه الطريقة تم استخدامها قبل ذلك بست سنوات. وكان فريق نوتنجهام فوريست Nottingham Forest من الدعاة المتحمسين لهذه الطريقة في أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر، وكانت تجاربها مستوحاة من القائد سام ويدوصون Sam Widdowson الذي اخترع واقي الساقين أيضاً.

وكان فريق ريكسهام Wrexham يلعب بلاعب قلب دفاع عندما واجه فريق درويدس Druids في نهائي كأس ويلز سنة 1878. ويبدو أن قائد الفريق والظهير تشارلز مورلس Charles Murless قرر سحب «إي إيه كروس». .EA. Cross من الخط الأمامي بسبب شعوره بأن لاعب قلب الهجوم– الذي بقي جون برايس John Price– كاف لتغطية أي نقص ناتج عن خط الهجوم. وثبتت صحة ما فعل، حين استطاع جيمس ديفيز لعب مباراة صعبة وأحرز هدف المباراة الوحيد قبل صافرة النهاية بدقيقتين.

وكان الانتشار التدريجي لطريقة 2–3–5 يعني أن مركز قلب الدفاع أصبح نقطة ارتكاز الفريق، وهو لاعب بعيد عن المسّاك Stopper العنيد الذي سيصير إليه، كان هذا اللاعب متعدد المهارات ويتمتع بكثير من القدرات الهجومية والدفاعية، وكان قائداً ومحرضاً.. هدافاً ومدمراً. وباختصار وصفه كاتب كرة القدم النمساوي الكبير ويلي مايسل Willy Meisl بأنه «الرجل الأكثر أهمية على بساط الملعب».

وما يثير الاهتمام والفضول أن صحيفة «شيفيلد إندبندن». في تقريرها عن

أول مباراة تُلعب تحت الأضواء الكاشفة- وكانت استعراضاً بين «الشياطين الحمر». Reds و«البلو». ولُعبت في أكتوبر 1878- أدرجت قائمة كل فريق أربعة لاعبين في مركز الظهير، ولاعباً واحداً في منتصف الميدان وخمسة مهاجمين. ورغم ذلك فليس هناك أدلة أخرى من أي جانب عن اللعب بأكثر من مدافعيْن اثنين لمدة ثلاثة عقود. ومن المحتمل أن ما قيل هو وصف لطريقة 2–3–5، حيث لم يدرج مركز الجناحين- وفي هذه التشكيلة تصبح وظيفة الجناح انتزاع الكرة من مهاجمي الخصم- على أنهما مهاجمان بل كظهيريْن.

وبدا شعور متنام بالغضب بسبب فكرة الدفاع عن طريق مقال في مجلة «أثليتيك جورنال». Athletic Journal الأسكتلندية في نوفمبر عام 1882، حيث أدان الكاتب عادة «نوادي بلد معين». في الاحتفاظ برجلين إلى الخلف وعلى بُعد 20 ياردة من مرماهم، وهناك فقط يشير الكاتب بشكل لاذع بقوله: «من أجل إبقاء من يثرثر مع حارس المرمى». وبالمثل، أعرب نادي لوجار بوزويل ثيستل Lugar Boswell Thistle وهو ناد من أيرشاير، عن أسفه بسبب قيامه بالهجوم بتسعة لاعبين فحسب. ورغم ذلك كان الرجعيون يخوضون معركة خاسرة، فقد كانت طريقة 2–3–5 هي الطريقة التي اتبعها دمبرتن Dumbarton وفاز فيها على فال Vale من ليفين في نهائي كأس أسكتلندا عام 1883.

وكان نجاح بريستون نورث إيند في ثمانينيات القرن التاسع عشر هو ما أكد تفوق طريقة 2–3–5. ففي البداية، كان نادياً للكريكيت والرجبي ثم لعب مباراة «لمرة واحدة وفقاً لقواعد الاتحاد أمام فريق إيجلي Eagley سنة 1878. ولم تسجل أي مراكز في هذه المباراة. لكن في نوفمبر من العام التالي، لعب ضد فريق هاليويل Halliwell بطريقة 2–2–6 الكلاسيكية— أي بظهيرَين مدافعين full-backs وظهيرَيْ وسط half-backs وجناحيْ يمين وجناحيْ يسار ورأسيْ حربة. وانضم بريستون لرابطة لانكشاير لكرة القدم في موسم 1880–1881، وعلى

الرغم من أنه كافح في البداية، فإن وصول مجموعة من اللاعبين الأسكتلنديين- وكلهم محترفون إلا واحداً- أحدث تغييراً في النادي. وقبل نهاية عام 1883 أظهرت أوراق الفريق للمرة الأولى أن لاعبي فريق بريستون كانوا يصطفون بطريقة 2-3-5، هذه الفكرة كانت غير واضحة، لكن من المعروف أن جيمس جليدهل James Gledhill وهو طبيب ومدرس من جلاسجو أعطى سلسلة من المحاضرات «عرض فيها على السبورة ما يمكن القيام به من قبل فريق من الخبراء المختارين». وذلك وفقاً لما ذكره ديفيد هانت في تأريخه للنادي، وبسبب هذا النظام استطاع بريستون الفوز بأول لقبين لدوري كرة القدم، كان الأول منهما في موسم 1887-88، دون أن يخسر مباراة.

ولعبت إنجلترا بطريقة 2-3-5 للمرة الأولى ضد أسكتلندا سنة 1884، وبحلول أكتوبر من ذاك العام أصبحت هذه الطريقة شائعة بما يكفي، حتى إنه عندما ذهب فريق نوتس كاونتي إلى الشمال للعب مباراة ودية ضد رينفروشير Renfrewshire أوردت صحيفة «إمباير». أن الفريق لعب بطريقة 2-3-5 دون تعليق، وفي البداية استخدم الفريق الوطني الأسكتلندي طريقة الهرم عام 1887، مما أثار الكثير من السخط على تقليدهم لما كان يوصف به في البداية بالتكتيك الإنجليزي، وأظهرت نبرة المقال الذي كتبه جيمس كيلي من سيلتك ونشر في صحيفة «سكوتش ريفر». عام 1889 أنه أصبح من الواضح أن الجدل حول هذه النقطة انتهى بحلول النهاية. ويقول: «هناك الكثير من الناس يعتقدون أنه عندما اعتمدت أسكتلندا «مركز قلب الدفاع» centre half-back. فإنها ضحت بكثير من قوتها في اللعبة. نحن لا نؤيد تماماً هذا الرأي. وإذا كان اللاعبون الذين يشغلون هذا المركز في نوادينا رجالاً من أمثال السيد كيلي، فلن نختلف في هذا الشأن، ولن يكون لدينا سبب للأسف على متابعتنا إنجلترا في هذا المسألة».

وسيظل هذا الهرم هو الطريقة الطبيعية للعب في العالم حتى تغيير قانون التسلل عام 1925، الذي أدى إلى تطوير طريقة «دبليو إ». (4–5–1) في إنجلترا، وكما كانت المراوغة في اللعب والهجوم الكاسح ذات مرة هي الطريقة «المثل». والوحيدة للعب، كذلك أضحت طريقة 2–3–5 هي المحك.

الفصل الثاني

△▽△▽△▽△▽△▽

عن رقصتي الفالس والتانجو

لم تكن بريطانيا وحدها التي تعد كرة القدم لعبة لا تقاوم، وإنما كل مكان تقريباً ذهب إليه الإنجليز بحثاً عن التجارة وتركوا فيه هذه اللعبة، ولم يقتصر هذا على أجزاء محدودة من الإمبراطورية، فثمة مال متحصل من تصدير النحاس من شيلي، والسماد من بيرو، والصوف والجلود من الأرجنتين وأوروجواي، والبن من البرازيل وكولومبيا، إضافة إلى الأنشطة المصرفية في كل مكان.

وبحلول ثمانينيات القرن التاسع عشر، كان 20٪ من الاستثمارات الخارجية البريطانية في أمريكا الجنوبية، وفي سنة 1890، كان ثمة 45 ألف بريطاني يعيشون في منطقة بيونس أيرس جنباً إلى جنب مع تجمعات أخرى صغيرة– وإن كانت مؤثرة في ساو باولو، وريو دي جانيرو، ومونتيفيديو، وليما، وسانتياجو. وجميعهم كانوا يديرون أعمالهم هناك، وأنشؤوا الصحف والمستشفيات والمدارس والنوادي الرياضية، واستغلوا الموارد الطبيعية في أميركا الجنوبية، وفي المقابل، قدموا كرة القدم.

وفي أوروبا، جرت قصة مشابهة؛ فكان هناك المجتمع البريطاني– سواء تركز على الدبلوماسية أو الأعمال المصرفية أو التجارة أو الهندسة– واستتبعت كرة القدم تلك الأعمال. وكان أول ناد تم إنشاؤه في بودابست هو يوجبست Ujpest، وتأسس في صالة للألعاب الرياضية سنة 1885، وسرعان ما تبعه ناديا إم تي كيه MTK وفرنسفاروش Ferencvaros.

وكانت فيينا مركزاً للوجود البريطاني في أوروبا الوسطى، وسرعان ما انتشرت فيها كرة القدم، بعد أن كان يلعبها في البداية موظفو السفارة

والمصارف والشركات التجارية والهندسية المختلفة. وجرت المباراة الأولى في النمسا يوم 15 نوفمبر 1894 بين نادي فيينا للكريكيت وبستانيين عاملين في ممتلكات البارون روتشيلد. لكن الفائدة المحلية كانت كبيرة، لدرجة أنه في سنة 1911 تحول نادي الكريكيت إلى نادي فاينر أماتور Wiener Amateure.

وفي التشيك، نافست كرةُ القدم لعبةَ سوكول Sokol؛ النسخة المحلية للعبة تورنن Turnen. وعلى الرغم من أن الجمباز كان اللعبة القومية الشعبية في ألمانيا، فإن تزايد أعداد المثقفين الشبان في براغ وانتقالهم إلى لندن وفيينا ساعد في تجذر اللعبة في ألمانيا بسرعة مدهشة. ومع افتتاح نادي دير تشالنج كب Der Challenge Cup سنة 1897– الذي فتح أبوابه لجميع أفراد إمبراطورية هابسبورغ– اكتسبت كرة القدم المزيد من الاهتمام.

وسارع الدانمركيون أصحاب التوجه الإنجليزي، وكذا الهولنديون والسويديون، إلى اعتماد اللعبة، وبرهن الدانمركيون باقتدار على كفاءتهم حين حصلوا على الميدالية الفضية في أولمبياد 1908، ورغم ذلك، لم يكن هناك أي معنى لمحاولة فعل أي شيء يخالف البريطانيين، سواء من الناحية التكتيكية أو أي ناحية أخرى، ومن ينظر إلى الصور الفوتوغرافية التي التقطت للأندية الرياضية الهولندية في أواخر القرن التاسع عشر يجد مزيجاً من الإنجليزي الفيكتوري، ذي الشوارب المتدلية واللامبالاة المتعمدة.

وقد نقل مارتن فان بوتينبرج وبيفرلي جاكسون في صحيفة «جلوبال جيمز» Global Games عن أحد المشاركين قوله: الغرض من الرياضة هو اللعب «على الملاعب الإنجليزية بكل عادات الإنجليز واستراتيجياتهم. .وسط المناظر الطبيعية الهولندية الخلابة». وهذا هو عين التقليد، ولم يكن الإبداع قد عرف اللعبة بعدُ.

لكن كرة القدم بدأت في التطور في أوروبا الوسطى وأميركا الجنوبية عندما

بدأت النظرة إلى البريطانيين تزداد ريبة وتشككاً. وتم الاحتفاظ بتشكيلة 2–3–5، لكن هذه التشكيلة هي مجرد جانب من اللعبة والأسلوب جانب آخر. فبريطانيا داومت على الخشونة واحترام البنية البدنية. وعلى الرغم من أن بريطانيا بدأت تعترف بالتمرير وانتشرت فيها طريقة 2–3–5، فقد طورت بقية البلاد تنويعات أكثر دهاء على جوهر اللعبة.

فالسرعة التي كان يلعب بها أبناء الطبقة العاملة في المدن جعلت كرة القدم في أوروبا الوسطى في وضع متراجع، رغم الجولات التي قامت بها فرق أمثال جامعة أكسفورد، وساوثمبتون، وكورينثيانز، وإيفرتون، وتوتنهام. كما أن وصول مدربين متنوعين ضمن استمرار النفوذ البريطاني، لكن هؤلاء الذين مارسوا اللعبة لم تُرَسَّخ في أذهانهم معتقداتُ المدارس العامة الإنجليزية. ولم تكن لديهم مفاهيم مسبقة عن الطريقة «الصحيح». لفعل هذه الأشياء، وكانوا محظوظين أيضاً لأن الأسكتلنديين هم الذين قدموا الانطباع الأكبر، وضمنوا أن يظل التركيز في المباراة على التمرير السريع والقصير.

وفي براغ مثلاً قام لاعب يسار الوسط السابق في فريق سيلتك جون مادن John Madden– «فنان الكرة في أيامه بكل الحيل التي كان يجيده». وفقاً لجيم كريج في كتابه «الأسد ينظر إلى الوراء» A Lion Looks Back– بتدريب فريق سلافيا Slavia بين 1905 و1938، في حين درب مواطنه جون ديك John Dick– الذي لعب في نادي أردريونيانز وأرسنال– فريق سبارطة لفترتين بين عامي 1919 و1933، وفي الوقت نفسه بُذلتْ جهود واعية في النمسا لتقليد أسلوب فريق رينجرز الذي قام بجولة في عام 1905.

ورغم ذلك كان أعظم معلم للطريقة الأسكتلندية في اللعب إنجليزياً من أصل أيرلندي، وهو جيمي هوجان Jimmy Hogan. ولد ونشأ في بيرنلي في أسرة كاثوليك متشددة، وفي سن المراهقة فكر في أن يكون قسيساً، لكنه تحول إلى

كرة القدم واستمر بها إلى أن أصبح المدرب الأكثر تأثيراً في التاريخ حتى عصره. وقال جوستاف سيبيس، مدرب فريق المجر العظيم في أوائل خمسينيات القرن الماضي: «لعبنا كرة القدم كما علّمنا إياها جيمي هوجان، وعندما نتحدث عن تاريخنا في الكرة يجب أن يُكتب اسمه بأحرف من ذهب».

انضم هوجان إلى جانب نيلسون لاعب لانكشاير وهو ابن السادسة عشرة من عمره، متحدياً رغبة والده له في أن يصبح محاسباً، متطوراً إلى ما وصفه بأنه «لاعب يمين الوسط المفيد والمواظب»، وذهب إلى مدينة روتشديل البريطانية ثم بيرنلي، وحسب الروايات التي حكت عنه، كان شخصية صعبة، تساوم مراراً من أجل تحسين الأجور، وتظهر تفانياً غريباً في تحسين الذات، ولقد لقّبه زملاؤه بـ «القس» اعترافاً بمزاجه البيوريتاني (التطهري) المتزمت.

وعند نقطة معينة، ابتكر والد هوجان دراجة بدائية لممارسة التمرينات الرياضية عليها- وهي أساسا دراجة مُركبة على خشبة متهالكة- وتمكن أن يقطع 30 ميلاً عليها في اليوم. لكنه أدرك أن الدراجة فضلاً عن إكسابها السرعة، كانت تشد عضلات ساقه.

إن مثالية التفوق السهل الذي لا يُبذل فيه جهد كبير ربما كانت من شأن الهواة في البدايات الأولى، لكن هذه المهارة أضيفت فيما بعد إلى الاحترافية في اللعب. فالتدريب الرخو كان يثير الامتعاض في بداية الأمر، وكانت توقعات القائمين على اللعبة من اللاعبين أن يبذلوا جهداً في الجري، وربما أن يجربوا سرعاتهم القصوى، أما التدريب بالكرة فكان يُعد غير ضروري، أو حتى ضاراً. جدول التدريب لفريق توتنهام عام 1904 مثلاً يُظهر فقط حصتين في الأسبوع بالكرة، وربما كانوا أكثر استنارة من كثيرين غيرهم، وكانت هناك كناية ضعيفة تحولت إلى مبدأ تقول: أعط اللاعب كرة طوال الأسبوع، ولن يشتاق للعب يوم السبت (نهاية الأسبوع).

وبعد مباراة واحدة، راوغ فيها وتخطى عدداً من التحديات، وهيأ لنفسه الفرصة الوحيدة لركل الكرة بقوة ليخيب أمله فتمر من فوق العارضة، سأل هوجان مدربه سبن ويتاكر Spen Whittaker: ما الخطأ؟ هل هناك خطأ في قدمه؟ أ لم يكن متوازناً؟ فرد ويتاكر بالرفض، وطلب منه تكرار المحاولات. وقال له إن هو سجل هدفاً واحداً من عشر محاولات فهي نسبة معقولة. فلو أن لاعباً آخر كان مكانه فربما تجاهل المسألة برمتها، لكن الباحثين عن الكمال من أمثال هوجان لا يملون التفكير في الارتقاء بأدائهم. وكانت قناعة هوجان أن هذه الأمور ليست مسألة حظ، وإنما تقوم على تقنية ما، وكان يقول: «منذ ذلك اليوم بدأتُ أسبر أغوار الأمور بنفسي، وطلبت المشورة من بعض اللاعبين المميزين. ومن خلال الخوض في هذه المسائل أصبحت مدرباً لاحقاً، وأصبحت الأمور أكثر وضوحاً بالنسبة إلي، وبدأت في تدريب نفسي على أنني محترف شاب».

لكن هوجان شعر بالإحباط من طريقة بيرنلي البدائية في التدريب، ونشب بينه وبين الفريق خلاف مالي قاده– وهو في الثالثة والعشرين من عمره– إلى مغادرة لانكشاير للمرة الأولى. وحينها أقنعه المدير الفني لفولهام هاري برادشو Harry Bradshaw– الذي تعرف عليه لدى بيرنلي– ولم يكن لبرادشو أي تاريخ في اللعبة، وكان رجل أعمال ومديراً لا مدربا، وكانت أفكاره واضحة عن كيفية ممارسة اللعبة. ولم يعد برادشو متحمسا لركل الكرة والجري وراءها، وعيَّن مجموعة من المدربين الأسكتلنديين تربوا في مدرسة التمريرات القصيرة، ليضمن بذلك تمثيلاً أسكتلنديا كبيراً في صفوف اللاعبين، ثم تركهم يتولون شأنها. وحققت سياسته نجاحاً لا يمكن إنكاره. وساعد هوجان فولهام في إحراز بطولة دوري الجنوب عامي 1906 و1907، وبعد أن انضم إلى الدرجة الثانية من دوري كرة القدم موسم 1907–1908 وصل إلى الدور نصف النهائي

من كأس الاتحاد الإنجليزي، ليخسر أمام نيوكاسل يونايتد في مباراته الأخيرة مع النادي.

وظل يناضل بعض الوقت بسبب إصابة في الركبة وبرادشو- رجل الأعمال الثابت في مكانه- قرر أن الاحتفاظ به خطر لا مبرر له. فانضم هوجان لفترة وجيزة إلى فريق سويندون تاون Swindon Town، قبل أن يقنعه ممثلون من فريق بولتون واندررز Bolton Wanderers عقب خروجه من الكنيسة بعد صلاة المساء في يوم أحد بالعودة إلى الشمال الغربي.

وكانت مهنته هناك مخيبة للآمال، وانتهت بالهبوط. لكن رحلة الاستعداد للموسم الجديد في هولندا جعلت هوجان يدرك إمكانات أوروبا ورغبة لاعبيها في التعلم. وقد يكون رفض الإنجليز التدريب على كرة القدم راجعاً لاعتبارهم أنه غير ضروري، لكن الهولنديين كانوا يلتمسون هذا التدريب، فبعد فوزه 10-0 على دوردريخت Dordrecht، تعهد هوجان أنه في يوم من الأيام «سيعود ليعلم هؤلاء الزملاء كيف يلعبون بشكل مناسب». كما أنه أصبح من خاصة أصدقاء جيمس هوكروفت James Howcroft، وهو مهندس من ريدكار الذي كان أحد رواد التحكيم.

تولى هوكروفت بانتظام مسؤولية المباريات خارج البلاد، ونتيجة لذلك، تعرف على مديرين أجانب عدة، وذات ليلة ذكر هوكروفت لهوجان أنه سمع أن دوردريخت كان يبحث عن مدرب جديد ويأمل في تعيين شخص خبير باللعبة البريطانية. والمصادفة كانت رائعة، وفرصة لا ينبغي تفويتها، فتقدم هوجان للوظيفة، ولما بلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً- أي بعد عام من العهد الذي قطعه على نفسه- عاد إلى هولندا وفاء بالعهد ووافق على عقد عمل مدته عامان. وكان لاعبو هوجان هواة، وكثير منهم طلاباً. وكان هوجان يشعر بأن المحترفين البريطانيين ينبغي أن يتدربوا، فحسّن لياقتهم البدنية، وكان

يظن أن المفتاح يكمن في تطوير مهارتهم في السيطرة على الكرة. وقال إنه يريد لفريقه تكرار «اللعبة الأسكتلندية القديمة»، واللعب بطريقة «ذكية بناءة وتقدمية بأسلوب السجادة».

حرص لاعبوه كل الحرص على التعلم، لأن العديد منهم جاء من الجامعات، وأعطى هوجان دروساً وأوضح بالطباشير على السبورة كيفية لعب كرة القدم بالطريقة المثالية، وبدأت التكتيكات وتحديد المراكز تصبح مفهومة وواضحة لا بطريقة مخصوصة بظروف ما على أرض الملعب، وإنما عن طريق الرسوم البيانية في الفصل الدراسي.

وكان هوجان ناجحاً وله شعبية كافية حتى طُلِبَ إليه تولي مسؤولية المنتخب الهولندي في مباراة ضد ألمانيا- فاز فيها المنتخب الهولندي 2-1 وهو مايزال في الثلاثين من عمره، لكنه كان يشعر أن لديه المزيد من العطاء كلاعب، وعندما انتهى عقده مع دوردريخت عاد إلى بولتون- الذي احتفظ بسجله- فلعب موسماً واحداً هناك، وساعدهم على النهوض. بيد أنه أدرك أن مستقبله في التدريب، فبدأ يبحث عن عمل مرة أخرى في صيف 1912، وأثبت هوكروفت أنه فعّال مما جعله على اتصال برائد كرة القدم النمساوي العظيم هوجو ميسل.

ولد ميسل في مدينة مالشو Maleschau سنة 1881 لعائلة يهودية من الطبقة المتوسطة، وانتقل إلى فيينا في سن مبكرة، فأعجب بكرة القدم، وكان نجاحه محدوداً في نادي الكريكيت. ولقد أراد والده له أن يتجه إلى العمل التجاري، فوجد له عملاً في تريستا، حيث أجاد اللغة الإيطالية وبدأ في التقاط لغات أخرى. وبالعودة إلى النمسا لأداء الخدمة العسكرية، استجاب لطلب والده أنه ينبغي الحصول على عمل في أحد البنوك، لكنه بدأ العمل من أجل اتحاد كرة القدم النمساوية. وفي البداية كانت مهمته الأساسية البحث عن تمويل، لكن

ميسل– مثل هوجان الذكي– كانت لديه أفكار راسخة عن كيفية لعب الكرة، وبدا عازماً على تشكيل مستقبل كرة القدم النمساوية. وبدأ دوره يتسع ببطء حتى إنه تخلى تماماً عن مجال البنوك، وغدا الرئيس الفعلي للاتحاد النمساوي.

وفي سنة 1912، تعادلت النمسا والمجر 1/1 في مباراة أدارها الحكم هوكروفت، وكان ميسل محبطاً من النتيجة، وسأل هوكروفت: هل كان فريقه يسير بشكل خاطئ؟ فأجاب الحكم بأنه يعتقد أنهم بحاجة إلى مدرب مناسب؛ شخص يمكن أن يطور تكنيكهم الفردي. بعبارة أخرى، شخص مثل صديقه القديم جيمي هوجان. فقام ميسل على الفور بالتعاقد معه لمدة ستة أسابيع كي يعمل جزئياً مع كبار الأندية النمساوية، ولإعداد منتخب النمسا الوطني قبل دورة الألعاب الأولمبية في ستوكهولم.

ولم تسر الحصة التدريبية الأولى لهوجان على ما يرام، لأن اللاعبين النمساويين وجدوا صعوبة في فهمه، ورأوا أنه يركز كثيراً على الأساسيات. ورغم ذلك شعر ميسل بالإعجاب، وتحدث هو وهوجان طويلاً عن كرة القدم. ومن الناحية التكتيكية، لم يرَ أي منهما بأساً في طريقة 2–3–5 التي شكلت أساس اللعبة لأكثر من ثلاثين عاماً– لكنهما ظنا أن الحركة ضرورية. لأن العديد من الفرق تبنت أسلوب لعب صارم وأصبح من الممكن التوقع بأسلوب لعبها بسهولة. وكلاهما ظن أن من الضروري جعْل الكرة تقوم بهذا العمل، لأن التمريرات السريعة أفضل من المراوغة، ولأن الأسلوب الفردي حاسم لا لمجرد احتوائه على الجري الفردي المتعرج، الذي أصبح أحد سمات اللعبة في أمريكا الجنوبية، وإنما لأنه يرى ضرورة في المراقبة الفورية للتمريرات والتخلص السريع من الكرة. وكان هوجان حريصاً أن يعلي من قيمة التمريرات الطويلة لزعزعة دفاعات الخصم، شريطة أن تكون موجهة بشكل جيد، وليست مجرد ركلة بلا هدف. وكان ميسل رومانسياً، وامتاز عن هوجان بروعة أفكاره البرجماتية.

ولم يكن داعية لمبدأ التمرير في اللعب عبر أي فكرة وهمية تتحدث عما هو صواب؟ وكان يعتقد أن أفضل وسيلة لكسب المباريات هو الاستحواذ على الكرة.

ولقد سحقت النمسا ألمانيا 1/5 في ستوكهولم، لكن تراجعت النتيجة إلى 3/4 في هولندا في الدور ربع النهائي، ومع ذلك كان ميسل راضياً، وعندما طلب الاتحاد الألماني لكرة القدم منه أن يعطي هوجان إشارة، عرض عليه وظيفة، وجعله مسؤولاً عن التحضير لدورة الألعاب الأولمبية في النمسا سنة 1916. قال هوجان: «مغادرة مدينة لانكشاير الصناعية القاتمة المظلمة إلى فيينا البهيجة كان خطوة إلى الجنة». وعمل مع الفريق الأوليمبي مرتين في الأسبوع، وقضى ما تبقى من الوقت في تدريب أكبر ناديين في المدينة، حتى وجد نفسه مطلوباً كثيراً مما اضطره إلى بدء حصصه التدريبية مع نادي فاينر في الساعة 5,30 صباحاً.

أحبت النمسا هوجان فأحبها. وقال ذات مرة: كرة القدم مثل رقصة الفالس «خفيفة وسهلة»، وميسل كان متفائلاً بنجاح عام 1916، لكن الحرب دمرت الحلم، وبدأ إدراك احتمال نشوب الصراع. اقترب هوجان من القنصل البريطاني وتساءل: هل من المستحسن العودة بسرعة مع أسرته إلى بريطانيا؟ فقيل له: ليس هناك خطر وشيك. ولم تمر سوى ثمان وأربعين ساعة حتى أعلنت الحرب، وبعدها بيوم ألقي القبض على هوجان كمواطن أجنبي.

وتمكن القنصل الأميركي من استرجاع زوجة هوجان وأطفاله إلى بريطانيا في مارس 1915، وأطلق سراح هوجان في اليوم الذي كان مقرراً فيه إرساله إلى معسكر الاعتقال في ألمانيا بعد الإخوة بليث Blythe Brothers، حيث كانوا يملكون متجراً في فيينا، فاتفقوا أن يكونوا بمثابة الضامن له، وعمل لديهم مدة تقترب من ثمانية عشر شهراً. وتعلّم أطفالهم لعب التنس. وفي أثناء وجوده

بعيداً على مسافة 130 ميلاً جهة الشرق، كانت التحركات تجري على قدم وساق لإعادته إلى كرة القدم. فالبارون ديرستاي– نائب نادي بودابست إم تي كيه، المتعلم في جامعة كامبريدج، سمع بعصبية هوجان، وبعد شد خيوط الدبلوماسية المختلفة، تم تأمين وظيفة له لتدريب فريقه، شريطة أن يوافق على تقديم تقارير منتظمة للشرطة المحلية.

تقبل هوجان الأمر بسهولة. وبعد أن أصبحت أكثرية الفريق الأول بعيداً عن الواجهة، كانت مهمته الأولى تجميع الفريق، فتوجه إلى الشباب والتقط اثنين من أكثر لاعبي النادي شعبية جيورجي أورث وجوزيف براون، بعد أن اكتشفهما في مباراة غير رسمية، حيث كان يتجول في حديقة أنجلو بارك. ويقول هوجان: «انقضضت عليهما وقلت: إنهما لي، لي أنا بالذات. وتمتع الفتيان بالذكاء وكلاهما درس في مدرسة ثانوية في بودابست. وكنت أصطحبهما كل يوم بعد المدرسة إلى الملعب، وأوجههما في فن اللعبة». وحرص الصبيان على التعلم، فكانا نموذجيْن لنوعية اللاعب الذي تنتجه أوروبا الوسطى، واللاعب الذي يحب هوجان العمل معه. وهو ما جعله يشعر بذلك في البداية عندما كان في فيينا وبودابست. ويقول هوجان: «الميزة العظيمة التي تمتاز بها الكرة الأوروبية على كرة القدم الإنجليزية هو أن الأولاد يتدربون على فن اللعبة في سن مبكرة جداً».

جلبت أساليب فريق إم تي كيه نجاحاً مذهلاً، وحصد اللقب في موسم 1916–1917، وهي البطولة الرسمية الأولى بعد توقف قصير بسبب الحرب. ثم استمر في حصدها لمدة تسع سنوات. ولما انتهت الحرب أعطى فريق مجمع من بودابست إشارة إلى تنامي قوة اللعبة في أوروبا عدا بريطانيا، حيث سحق بولتون 1/4. وقاد هوجان اثنين فقط من انتصارات إم تي كيه، وعندما انتهت الحرب غادر إلى بريطانيا. ويقول هوجان: «الوقت الذي قضيته في المجر كان

سعيداً مثلما كانت إقامتي في النمسا. ذلك لأن بودابست مدينة جميلة في رأيي، وهي الأكثر جمالاً في أوروبا»، لكنه لم يرَ زوجته ولا ابنه مدة أربع سنوات تقريباً.

وخلَفَ هوجان واحدٌ من كبار لاعبيه، وهو دوري كورشنر Dori Kurschner، الذي سيصبح بعد عشرين عاماً عاملاً حاسماً في تطوير اللعبة في البرازيل. وعاد هوجان إلى لانكشاير ووجد عملا في ليفربول، حيث عمل مشرفاً في ووكرز توباكو Walker's Tobacco. وظل في ضائقة مالية إلى أن نصحه أحدهم بأن يطلب مساعدة من اتحاد كرة القدم، الذي أنشأ صندوقاً لدعم المحترفين الذين مروا بضائقة مالية خلال سنوات الحرب، وكانت نقطة تحول في حياته المهنية.

يعتقد هوجان أنه كان مديناً بـ200 جنيه إسترليني، واقترض 5 جنيهات أخرى لتغطية نفقات سفره إلى لندن. ورغم ذلك، عامله أمين اتحاد كرة القدم فريدريك وول Frederick Wall بازدراء حين قال: الصندوق لأولئك الذين قاتلوا. فأشار هوجان إلى أنه تم اعتقاله أربع سنوات ولم تكن له أي فرصة لتسجيل اسمه. فرد عليه وول بأن أعطاه ثلاثة أزواج من الجوارب ذات اللون الأصفر الكاكي، قائلاً له باحتقار: «الصبية في المقدمة كانوا سعداء جداً بها». فاشتاط هوجان غضباً، ولم يغفرها لاتحاد كرة القدم. وخسرت كرة القدم موهبته، لكن أفكاره استقبلت استقبالاً جيداً في إنجلترا المحافظة.

وفي فيينا أبقى ميسل على قالب هوجان، على الرغم من أن إيمانه وضع موضع الاختبار بهزيمة النمسا 0/5 أمام جنوب ألمانيا بعد فترة قصيرة من نهاية الحرب، فعلى ملعب متجمد مليء بالحفر في نورمبرج، أثبتت طريقتهم في التمريرات القصيرة أنها غير عملية، مما جعل ميسل المكتئب يمضي رحلة العودة في نقاش مع لاعبيه عما إذا كان ينبغي عليهم التخلي عن طريقتهم لصالح

طريقة أكثر مباشرة تهتم بالبنية البدنية. قطعاً لا، هكذا جاء ردهم. وهكذا حفرت هذه المبادئ في حجر، فشب عليها ما كان يُعرف بـ «فريق العج». (فريق النمسا) في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين—والذي يأتي في طليعة الفرق الوطنية العظيمة.

كتب بريان جلانفيل يقول: «بقيادة ميسل أصبحت كرة القدم معرضاً، أو نوعاً من الباليه التنافسي، ولم يعد تسجيل الأهداف إلا ذريعة لنسج مئة نمط من الأنماط المعقدة».

وبقي الهرم شكلاً أساسياً، لكن أسلوب اللعبة باعتباره امتداداً متجذراً لأسلوب التمرير الأسكتلندي كان مختلفاً جداً عن ذلك الموجود في إنجلترا والذي أصبح معترفاً به كنموذج منفصل: «مدرسة الدانوب». وتفوق التكنيك على البنية البدنية، وتم تسخيره لخدمة هيكل الفريق. ففي أمريكا الجنوبية كانت اللعبة تتباعد بشكل حاد عن النموذج الأصلي لها. وفي الأوروجواي، وكذلك الأرجنتين، ساد الاحتفاء بالفردية والتعبير عن الذات.

وصلت قوانين اتحاد كرة القدم للعبة إلى الأرجنتين في عام 1867، حيث نُشرتْ في صحيفة «ذا استناندرد». The Standard الصادرة باللغة الإنجليزية، وفي وقت لاحق من ذلك العام، تم تأسيس نادي بيونس أيرس لكرة القدم كامتداد لنادي الكريكيت، لكن البذور سقطت على أرض حجرية، فبعد ست سنوات تحول النادي إلى لعبة الرجبي، وفقط في ثمانينيات القرن التاسع عشر بدأت كرة القدم فعلياً، وذلك بفضل ألكسندر واتسون هاتون؛ خريج جامعة أدنبره الذي جاء إلى الأرجنتين للتدريس في مدرسة سانت أندرو الأسكتلندية، واستقال عندما رفضت المدرسة توسيع ملاعبها، فأنشأ المدرسة الثانوية الإنجليزية عام 1884، حيث عيَّن فيها مدرساً متخصصاً في تعليم كرة القدم، وعندما تم إصلاح دوري كرة القدم الأرجنتيني عام 1893، كان هاتون

شخصية محورية، واحتل ألومني- وهو فريق يتألف من قدامى فتيان المدرسة الثانوية الإنجليزية- مكانه في دوري الدرجة الأولى، وظل مهيمناً عليه في أوائل القرن العشرين، في حين أن فريق المدرسة نفسه احتل أسفل هرم الدوري، وكانوا بعيدين كل البعد عن المدرسة الوحيدة التي أخذت كرة القدم على محمل الجد، ففازت بالألقاب السبعة الأولى فرقٌ مبنية على أساس مدرسة لوماس دي زامورا الداخلية المرموقة.

وتشابهت القصة مع فريق ريفر بليت River Plate في الأوروجواي، حيث أسس المحترفون من الشباب البريطاني أندية للكريكيت والتجديف، وهي التي طورت أقساماً لكرة القدم، ثم دفعت المدارس البريطانية اللعبة قُدماً، وكان وليام ليزلي بول William Leslie Poole- وهو مدرس في المدرسة الثانوية الإنجليزية في مونتيفيديو- معادلاً لهوتون، فلقد أسس نادي ألبيون للكريكيت Albion Cricket Club في مايو 1891، ثم ما لبث قسم كرة القدم في النادي أن لعب ضد فرق من بيونس أيرس. وفي هذه الأيام الأولى- كما توضح نظرة سريعة على أوراق الفريق- كان اللاعبون بريطانيين أو أنجلو-أرجنتينيين، وكذلك كانت القيم والمبادئ.

في تأريخه لكرة قدم الهواة في الأرجنتين، يتكلم خورخي أيوانزوك عن الهدف وهو أن «تلعب بشكل جيد دون عواطف» وكذلك تناول أهمية «اللعب النظيف». في مباراة ضد إستوديانتيس، رفض فريق ألومني حتى احتساب ركلة جزاء، لأنهم كانوا يعتقدون أنها احتسبت بشكل غير صحيح، وكان كل شيء لا بد أن يسير «بالطريقة الصواب»، وهو الاعتقاد الذي امتد إلى التكتيكات، فطريقة 2-3-5 كانت عالمية، ويتضح من تغطية صحيفة بيونس أيرس هيرالد المكثفة لفوز ساوثمبتون 3/0 على ألومني عام 1904- وهي أول مباراة لعبت على الأراضي الأرجنتينية من قبل فريق بريطاني- كيف سادت قيم

المدارس العامة، فكان تفوق بريطانيا– كما ادعت الافتتاحية– نتيجة «الحب المتأصل لكل شيء متعلق بالرجولة».

ورغم ذلك تراجعت الهيمنة البريطانية تدريجياً، واعتمد اتحاد كرة القدم الأرجنتيني الإسبانية لغة رسمية له عام 1903، وكذلك فعل اتحاد كرة القدم في الأوروجواي بعد ذلك بعامين، وانتهى فريق ألومني في 1911، وفي السنة التالية اتخذ اتحاد كرة القدم الأرجنتيني التسمية الإسبانية Asociacion del Football Argentina تسمية رسمية له، على الرغم من أن الأمر استغرق حتى 1934 لتتحول كلمة football بصيغتها الإنجليزية إلى futbol الصيغة الأسبانية الحالية! ولم تُصَب الأوروجواي والأرجنتين بالعدوى البريطانية التي تدعو إلى بناء الديانة المسيحية على الجسم البشري الفتيّ، ولم يكن للبلدين إيمان بالقوة البدنية كميزة في حد ذاتها، ولا ارتياب في البراعة والمكر كذلك الذي عرفه الإنجليز. وربما كان الشكل واحداً، بينما اختلف الأسلوب قدر الإمكان. وكان عالم الأنثروبولوجيا إدواردو أرشتي يصر على القول: لّما بدأ تأثير المهاجرين الإسبان والإيطاليين يظهر، تم رفض القوة والانضباط لصالح المهارة واللذة، وهو الاتجاه الذي ساد عبر مجموعة من التخصصات.

وكتب الشاعر والصحافي الأوروجوياني إدواردو جاليانو يقول: «كرقصة التانجو ازدهرت كرة القدم في الأحياء الفقيرة».

فالظروف المختلفة تتطلب أسلوباً مختلفاً. ومثلما اختلفت اللعبة في الأديرة عنها في ملاعب المدارس الإنجليزية العامة، فإن المناطق الأشد فقراً ضيقة المساحات في بيونس أيرس ومونتيفيديو تطلبت مهارات أخرى. وهكذا وُلِدَ أسلوب جديد هو «طريقة لعب الكرة النابعة من الداخل»، أو كما قال جاليانو: «مثل الطريقة النابعة من الداخل في الرقص الذي اختُرِعَ في أندية الميلونجا Milonga، فالراقصون يرسمون رسماً مزركشاً على واحدة من

بلاطات الأرضية. ولاعبو كرة القدم يتكرون لغتهم الخاصة في هذه المساحة الصغيرة، حيث اختاروا الاحتفاظ بالكرة والاستحواذ عليها بدلاً من ركلها، كما لو كانت أقدامهم أيادي تجدل الجلد، وعلى أقدام الموهوبين الكريول [الأفارقة من أصول أوروبية] الأوائل، ولدت اللمسة وعُزِفت الكرة كما لو كانت جيتاراً أو آلة تعزف الموسيقى.

في تحديد أولويات الفضائل المختلفة، ما كان للأسلوبين أن يتعايشا معاً على نحو مريح. وعندما اجتمع القديم والجديد دب الصراع. واتضح هذا في وقت مبكر من سنة 1905، عندما أدت البنية البدنية لفريق نوتنجهام فوريست ضد فريق من أحد عشر لاعباً من الأرجنتينيين الإنجليز- إلى استياء كبير في المباراة السادسة من جولتهم. وشعرت صحيفة «هيرالد»- الموالية دائماً لبريطانيا- أن عليها توبيخ الذين تجرؤوا على انتقاد طريقة فورست فقالت: «لعبة تهدف بالأساس إلى تحسين قدرات التحمل وتختبر قوة الشبان في مقتبل العمر ليست لعبة يمكن ممارستها في شرفات استقبال الضيوف». وأصبحت الصرامة والشدة من سمات الجولات اللاحقة، وكان سببها خلافاً جوهرياً على الجزء من الكتف المسموح به في اللعبة.

وكانت جولة سويندون تاون Swindon Town عام 1912 واحدة من الجولات القلائل التي يمكن الحكم عليها بالنجاح، ومنها أدرك أن البريطانيين يمكن أن يتعلموا شيئاً. فوافق صموئيل ألين، مدير سويندون، قائلاً: إن كرة القدم بين فرق الهواة لم تصل أبداً أعلى من هذا المستوى. لكنه أعرب عن قلقه من أن «يعتبر اللاعبون المحليون هذه المآثر الفردية كل شيء. لكن فرصة إظهار عمل ذكي لا تُفوت دائماً». وحتى التقليديون من الأرجنتين شككوا في تحويل اللعبة إلى أسلوب خاص بالكريول، أو الكريلة Creolisation. واحتج جورج براون- وهو لاعب ألومني السابق من أصل بريطاني- في وقت مبكر من

عشرينيات القرن العشرين قائلا: الأسلوب الجديد لكرة القدم تم إضعافه بفرط التمريرات القريبة من المرمى. كرة القدم لعبة أكثر من رائعة، فنياتها هي الأعلى والأرقى. ويبدو أنها أكثر ذكاء مما سواها. لكنها فقدت حماسها البدائي». وأصبح النقد مألوفاً بشكل متزايد ومتنام حتى حسمت المجرُ النقاشَ في ويمبلي سنة 1953، وعاشت بريطانيا تحت وهمٍ يقول إن بقية العالم يعاني من نقص اللعب المباشر أمام المرمى.

لا يمكن لأحد شاهد الأوروجواي في دورة الألعاب الأولمبية عام 1924 أن يضل الطريق، فقد كانت الأرجنتين أقرب إلى البقاء في المنزل، ولكن الأوروجواي ذهبت إلى باريس وكتبت واحدة من أعظم قصص كرة القدم المبكرة. فجاليانو لديه ميل رومانسي مفرط، لكن غبطته الواضحة بحصول بلاده على الميدالية الذهبية من الصعب أن تُحسد، كان هذا- أولاً وقبل كل شيء- فريقاً من العمال، يضم- من بين ما يضمه من المهن الأخرى- عتّالاً للحوم وقطّاعاً للرخام وبقالاً وبائعين للمثلجات، وقد سافروا جميعاً إلى أوروبا في ذلك المكان من السفينة الأرخص ثمناً، ولعبوا حتى يدفعوا ثمن الرحلة، وفازوا في تسع مباريات ودية في إسبانيا قبل أن يصلوا إلى فرنسا. وكانت الأوروجواي أول فريق من أمريكا اللاتينية يقوم بجولة حول أوروبا. لكن الفريق استرعى القليل من الاهتمام على الأقل في بداية الأمر، وشاهده زهاء 2000 متفرج وهو ينزع أحشاء منتخب يوغوسلافيا ويدحره 0/7 في أول مباراة لهم في الأولمبياد.

«أسسنا مدرسة كرة القدم الأوروجوايانية»، هكذا قال أوندينو فييرا الذي سيستمر في إدارة المنتخب الوطني والذي له جملة هامشية أقل سخونة من تلك التي قال فيها جاليانو: «دون مدربين، ودون إعداد بدني، ودون طب رياضي، ودون متخصصين، نحن وحدنا فقط في ملاعب الأوروجواي، نطارد الجلد

من الصباح إلى ما بعد الظهيرة ثم بعد ذلك إلى الليالي المقمرة، لعبنا عشرين عاماً لنصبح لاعبين، ويصبح ما ينبغي للاعبين كي يكونوا أساتذة كرة القدم بلا منازع، نستحوذ على الكرة ولا نتركها لأي سبب من الأسباب، كانت كرة قدم برية، هذه هي لعبتنا، كان أسلوبنا في لعب كرة القدم أسلوباً محلياً تجريبياً، تعلمناه بطريقة ذاتية، ولم تكن كرة القدم حتى الآن قد نصت عليها قوانين إدارة كرة القدم في العالم القديم، وليس بعيداً، أن تلك كانت كرة القدم الخاصة بنا، وتلك هي الطريقة التي شكلنا بها مدرسة لعبنا للكرة، وتلك كانت هي الطريقة التي تشكلت بها مدرسة اللعب لقارة العالم الجديد بأكملها».

وفي باريس، ما لبثت الكلمة أن ذاعت، وكتب جاليانو يقول: «مباراة بعد مباراة، تتزاحم الحشود لمشاهدة هؤلاء الرجال ينزلقون كما السناجب، يلعبون الشطرنج بالكرة، وكان المنتخب الإنجليزي قد أتقن التمريرة الطويلة والكرة العالية، ولكن هؤلاء الأطفال المحرومين من أميركا البعيدة لم يسيروا على خطى والدهم، فاختاروا أن يخترعوا لعبة التمريرات القصيرة المباشرة في القدم، مع تغييرات كالبرق في الإيقاع وسرعة عالية في المراوغة».

هل اندمج الشطرنج والكرة معا؟ نادراً ما اعترف تشارلز ألكوك بهذا، على الرغم من أن المفترض أن يكون قد أعرب عن تقديره لقدرتهم على تسجيل الأهداف عن طريق لاعب قلب الهجوم بيدرو بيترون، حتى لو رفض تسديد الكرة برأسه خوفاً من بعثرة شعره المتألق المثقل بزيت الشعر. فالمتفرجون امتلؤوا بهجة، وحافظت الأوروجواي على شكلها خلال المنافسة، وسجلت سبعة عشر هدفاً، ومنيت بهدفين في أربع مباريات قبل هزيمة سويسرا 0/3 في المباراة النهائية. وجاء رد فعل الكاتب والروائي الفرنسي هنري دي مونترلانت نموذجياً، حين قال: «إنها وحي! نحن لدينا كرة قدم حقيقية مقارنة بتلك التي عرفناها من قبل. والآن نحن ندرك أن ما كنا نلعبه ليس إلا هواية طلابية».

وكتب جابرييل هانو– محرر صحيفة «ليكيب» الفرنسية– استجابة بها شحنة عاطفية أقل، فقال: «الأوروجواي أظهرت مهارة فنية رائعة في استقبال الكرة والسيطرة عليها واستخدامها. خلقوا كرة قدم جميلة وأنيقة، ومتنوعة وسريعة وقوية وفعالة. ورفض هانو الاعتقاد القائل بأن كرة القدم البريطانية لاتزال صاحبة السبق: «هذا الاعتقاد يشبه مقارنة الخيول العربية الأصيلة بخيول المزارع».

وعاد فريق الأوروجواي إلى بلاده وتحداه فوراً فريق الأرجنتين الذي أصر على أن إجمالي نتائج مبارياته مع الأوروجواي هو 2/3 لصالحه لأنه حقق الفوز الثاني في مباراة الذهاب 1/2 في بيونس أيرس، على الرغم من أن المباراة ألغيت بسبب شغب الجماهير. وهذا أظهر فريق الأرجنتين أنه سيكون بطل الألعاب الأولمبية الحقيقي إن تمكن من الحضور. وهذا القول مستحيل. لكن فريق بوكا جونيورز من بيونس أيرس أراد أن يثبت ذلك فقام بجولة في أوروبا في عام 1925 خسر فيها ثلاث مباريات فقط من أصل تسع عشرة خاضها.

وسافر منتخب الأرجنتين إلى أمستردام للمشاركة في دورة الألعاب الأولمبية بعد أربع سنوات، وكان من الملائم أن تقابل الأوروجواي في المباراة النهائية لتخسرها 1/2 بعد إعادتها، وبعد ذلك بعامين، التقى الفريقان مجدداً في نهائي كأس العالم الأول، وكان الظفر من نصيب الأوروجواي وفازت 2/4. وحسبما يتبين من التقارير الحديثة، كانت ميزة منتخب الأوروجواي– فيما يبدو ورغم كل فنياته ودعاوى تطبيق العفوية المطلقة– قدرته على الحفاظ على الشكل الدفاعي. بينما أدت فردية الأرجنتين إلى الارتباك أحياناً.

ووفقا للصحفي الإيطالي جياني بريرا في كتابه «التاريخ النقدي لكرة القدم الإيطالية». Storia critica del calcio Italiano، كان نهائي كأس العالم 1930 دليلاً على أن «الأرجنتين تلعب بكثير من الأناقة والخيال. لكن التفوق التقني

لا يعوض التخلي عن التكتيك، فبين الفريقين الوطنيين القادمين من منطقة نهر ريفر بليت، الأوروجواي كانت هي النمل، والأرجنتين حشرة زيز الحصاد (cicadas) [وهي حشرة ذات جسم ثقيل بالنسبة إلى حجمها]». كان هذا أمراً جوهرياً، ويمكن القول إن تاريخ التكتيكات كله يصف النضال لتحقيق التوازن الأمثل بين الصلابة الدفاعية والتدفق الهجومي.

هكذا نمت نظرية «لا جرّا تشاروا» la garra Charrúa. وكلمة Charrúa تعني «ذا صلة بهنود الأوروجواي الأصليين وgarra معناها الحرفي «مخلب» والمعنى الأكثر اصطلاحاً «شجاع». أو «الروح القتالية». والمفترض أن هذه العبارة هي ما منح أمة عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة الفوزَ بكأس العالم مرتين، وأعطى شرعية ضعيفة للوحشية التي استخدمتها الفرق اللاحقة في الأوروجواي.

وقد تكون النظرية رومانسية. لكن، إلى جانب عدم انخراط هنود التشاروا Charrúa في كرة القدم، فإن ما كان واضحاً للجميع من خارج بريطانيا أن أرقى مدرسة في كرة القدم كانت تعيش عند مصب نهر ريفر بلايت (على حدود الأرجنتين والأوروجواي)- حيث توجد طريقة لعب متقدمة بعيداً عن تشكيلة 2-3-5 التي يمكن للخصم قراءتها بسهولة، والتي كانت تمارس في بريطانيا.

وحسب مقال منشور في صحيفة «إل جراف». El Grafi الأرجنتينية عام 1928: «كان التأثير الأنجلو-ساكسوني يختفي، لتحل محله روح أقل من جانب رباطة الجأش، وأكبر من جانب الروح اللاتينية التي لا تهدأ». وأضاف المقال: «وسرعان ما بدؤوا في تعديل عِلم اللعبة وتشكيل طريقة لعب خاصة بهم، إنها تختلف عن الطريقة البريطانية في أنها أقل في أحادية اللون، وأقل انضباطاً ومنهجية؛ لأنها لا تضحي بالفردية على حساب شرف القيم الجماعية،

واستعانت طريقة ريفر بلايت لكرة القدم بالمراوغة كثيراً والتمست سخاء الجهد الشخصي، وكانت أكثر مرونة وجاذبية».

وتمت مكافأة الخيال بسخاء إلى حد أن بعض اللاعبين أصبحوا يحظون بتكريم بالفاتحين المبتكرين لمجرد أنهم اخترعوا مهارات أو حيل معينة. فأشيد باللاعب خوان إيفاريستو Juan Evaristo مخترع ضربة الكعب الخلفية volleyed backheel؛ وبابلو بارتولوتشي Pablo Bartolucci مخترع ضربة الرأس الطائر Diving Header واللاعب بدرو كالومينو صاحب الضربة المزدوجة الخلفية bicycle-kick، على الرغم من أن اللاعب الأخير مثير للجدل. وبعضهم يقول إن الضربة المزدوجة الخلفية اخترعت في بيرو أواخر القرن التاسع عشر، ومعظمهم يرجعها إلى رامون أونزاجا Ramon Unzaga، وهو من مواطني بلباو الذين هاجروا إلى تشيلي واستخدمها أول مرة سنة 1914. ومن هنا جاء استخدام مصطلح «chilen». في أنحاء أميركا الجنوبية الناطقة بالإسبانية، إلا إذا كان يشير إلى ديفيد أريلانو David Arellano اللاعب التشيلي الذي أشاع هذا التكنيك في جولة له في إسبانيا سنة 1920، وبعضهم الآخر يشير إلى شايعوا ليونيداس Leonidas، المهاجم البرازيلي في الثلاثينيات الذي نسبها إلى بترونيلهو دي بريتو Petronilho de Brito. والغريب كذلك أن الرئيس السابق لفريق أستون فيلا– دوج إيليس ادعى أيضا أنه اخترع الضربة المزدوجة الخلفية، على الرغم من أنه لم يلعب كرة القدم قط في أي مستوى من مستوياتها، ولم يولد حتى بعد عشر سنوات من تسجيل أونزاجا أول هدف له من هذه الرفسة الخلفية. وفي الواقع فالذي اخترع هذه الضربة أقلُ أهمية في هذا السياق مما تظهره هذه الدعاوى من القيمة التي أطلقت الخيال حول مصب نهر ريفر بلايت في عشرينيات القرن الماضي. والشيء الزائف لكرة القدم البريطانية هو أن الوطن الأم للعبة لم يكن مؤيداً للابتكار على اعتبار أنه مجرد تصورات

مباراة أوروجواي والأرجنتين 4 – 2 نهائي كأس العالم، مونتفيديو، 30 يوليو 1930.

بأن إيليس هو الرجل الأول الذي نفذ الضربة المزدوجة الخلفية على الأراضي البريطانية.

وطورت كرة القدم الأرجنتينية مؤسستها الأسطورية الخاصة، معتمدة إلى حد كبير على الزيارة التي قام بها فريق فرنسفاروش المجري في عام 1922، والمفترض أنها أحدثت ثورة في طريقة تفكيرهم في اللعبة بعد أن تعرف اللاعبون المحليون على أسلوب مدرسة الدانوب. ولأن عملية الكريلة كانت تحدث لمدة عقد من الزمان على الأقل، فمن المحتمل أن الجولة أكدت التغييرات التي تمت على قدم وساق. ففي المراحل المبكرة لمدرستي الدانوب ونهر «ريفر بليت»، كانت طريقة لعبهما متشابهة، وحدثت تحولات متزامنة بعيداً عن البنية البدنية التي اعتمدها الأسلوب البريطاني، وأصبح هناك تركيز أكبر على التكنيك الفردي.

وصاحبَت التجريبَ الفني رغبةٌ في العبث– ولو بلطف– بالتكتيكات. قال فرانسيسكو فاراللو، لاعب يمين وسط المنتخب الأرجنتيني في أول نهائي كأس العالم: «فرق أميركا الجنوبية تعامل الكرة بشكل أفضل وأكثر تكتيكية في المراقبة. في هذه الحقبة كان لدينا خمسة مهاجمين وكان اللاعبان رقم 8 و10 يتراجعان إلى الخلف، ويقوم الجناحان بإرسال التمريرات». وكان يُنظر إلى لاعبي قلب الهجوم على أنهم مفتاح الإبداع، فطورت اللعبة أسلوباً شهيراً في المراوغة. وفي الأرجنتين والأوروجواي، كان اللاعب يتخطى المنافس لتسجيل هدف ثم يمحو خطاه في التراب عندما يعود إلى نصف ملعبه حتى لا يقلده أحد.

والواضح أن الكرة الأرجنتينية أصبحت أسطورية، لكنها تدل على نظام القيم السائد في الكرة الأرجنتينية التي جنحت إلى الانطوائية، وتقوضت بعد هجرة لاعبيها قُبيل كأس العالم 1934. فضم فريق إيطاليا الذي أحرز اللقب

أربعة لاعبين أرجنتينيين- وإن كانوا قد تلقوا هزيمة في الجولة الأولى من السويد ثم رفضوا إرسال فريق إلى فرنسا عام 1938 بعد رفض طلبهم استضافة البطولة. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية، وقاد خوان بيرون البلادَ إلى العزلة، لم تظهر الأرجنتين مرة أخرى على الساحة العالمية حتى 1950. في هذه الأثناء كانت تتمتع بعصر ذهبي، وبدأ دوري المحترفين في عام 1931، وأنشئت الملاعب الكبيرة التي جلبت حشوداً كبيرة. ونشرت وغذت التغطية الصحفية والإذاعية اهتماما باللعبة بطول البلاد وعرضها. وأصبحت كرة القدم مركزية في الحياة الأرجنتينية لدرجة أنه عندما تعاون خورخي لويس بورخيس Jorge Luis Borges- الذي كان من كارهي اللعبة- وأدولفو بيوي كاسارس Adolfo Bioy Casares- عاشقها- في تأليف قصة قصيرة بعنوان Esse est percipi [«كي تكون لا بد أن تُدْرَك»] اختارا كرة القدم لشرح فكرتهم القائلة بأن تصورات الواقع يمكن التلاعب بها؛ لأنها تتخيل خيبة أمل المشجع حينما يعلم من خلال محادثة مع رئيس أحد الأندية أن كرة القدم هي تمثيلية نتائجها مفروضة سلفاً، واللاعبون هم الممثلون.

وتطور الأسلوب الذي كان قد بدأ في الظهور في العشرينيات إلى شيء مذهل حقاً، إنه زا نوسترا Za nuestra- «أسلوبن» أو «أسلوبنا في اللعب»- الذي كان متجذراً في كريولا فيفزا criolla viveza أو «الماكر المحل» The Native Cunning. ويبدو أن هذا المصطلح نفسه أصبح شعبياً في أعقاب فوز الأرجنتين 1/3 على فريق من أحد عشر لاعبا من إنجلترا في عام 1953، وكان يُنظر إلى «زا نوستر». أو «أسلوبن». أنه يمكنه هزيمة طريقة الأجانب أو «جرينجوس». gringos [الأجانب في أميركا اللاتينية لاسيما الناطقون بالإنجليزية] (على الرغم من أن المباراة من الناحية الفنية كانت لعبة تمثيلية، وليست مباراة دولية كاملة). ما كانت تصفه هو الفلسفة المبكرة لكرة القدم

الأرجنتينية، التي تأسست على فرحة المهاجمة.

وبين سبتمبر 1936 وأبريل 1938، لم تنتهِ مباراة واحدة بالتعادل السلبي في البطولة الأرجنتينية، ومع ذلك كانت الأهداف جزءاً من القصة. وفي حكاية طريفة– كثيراً ما يتم الاستشهاد بها من رواية «عن الأبطال والقبور» (On Heroes and Tombs) (مفقودة بشكل مزعج في الترجمة الإنجليزية)– يناقش إرنستو ساباتو روح «لا نوستر». حيث تحكي شخصية جوليان داركانجلو Julien d'Arcangelo للبطل مارتن عن الحادث الذي جمع اثنين من مهاجمي إنديبنديتي من العشرينيات، وهما ألبرتو لالين ومانويل سوان (وقد لُقِّبَ الاثنان بلقبي لاتشنشا «la Chanch». وإل نجرو «el Negro»)، حيث كان يُنظر إليهما أنهما يجسدان مدرستين مختلفتين من الفكر في الكيفية التي ينبغي أن تُلعب بها كرة القدم. يقول داركانجلو لمارتن: «لكي أظهر لك ما كانت عليه هاتان الطريقتان، سأطلعك على حكاية توضيحية. ذات يوم بعد الظهر، في الشوط الثاني، كان لاتشنشا يقول لـ لالين: مررها لي يا رجل، وأستطيع أن أمضي وأسجل هدفاً». يبدأ الشوط الثاني، ويمرر لالين الكرة، وبالتأكيد يحصل عليها إل نجرو ويسير بها ويحرز هدفاً، ويعود سوان باسطاً ذراعيه، راكضاً نحو لالين وهو يهتف: «انظر يا لالين، انظر». وأجاب لالين: «نعم، ولكني لا أمزح». تلك هي– إذا أردت– مشكلة كرة القدم الأرجنتينية برمتها».

ثم جاءت الحيل والترفيه لتنافس الفوز في الأهمية. من نصف قرن مضى، طرحت بريطانيا هذه الحجة: لكي تستمر في اللعب «بشكل صحي». عليك الاستمرار في المراوغة (ولو بطريقة أقل ظهوراً وثقة)، أو اعتماد الأسلوب الذي فاز بالمباريات، في شرنقتها التي استمرت عشرين عاماً، وفي ثقافة مهووسة بالحيوية والتألق ومع عدد قليل من المباريات ضد الغرباء، ربما هذا ما جلب الهزيمة وأعاد التفكير التكتيكي، فازدهر الأسلوب المليء بالحيوية، قد

لا يكون ذلك لصالح كرة القدم الأرجنتينية على المدى الطويل، لكنها كانت ممتعة عندما استمرت.

الفصل الثالث

△▽△▽△▽△▽△▽

الظهير الثالث

جزء من سحر كرة القدم الدائم أنها لعبة جماعية، وأدنى تغيير في جزء واحد من أرض الملعب قد يؤدي إلى تأثيرات جذرية وغير متوقعة في مكان آخر. وعندما استطاعت الجمعيات الوطنية إقناع الهيئة الدولية بإطلاق قانون التسلل سنة 1925، كان عليها أن تجيب عن تساؤل مهم يتعلق بتراجع عدد الأهداف الذي سينتج عن إلغاء تقييد اللعب بالتسلل. وكان نوتس كاونتي Notts County قد بدأ هذا الاتجاه، لكن العديد من الأندية بعد ذلك، وعلى الأخص نيوكاسل يونايتد مع ظهيريه فرانك هدزبيث Frank Hudspeth وبيل مكراكين Bill McCracken، أصبح بارعاً جداً في إعداد مصيدة التسلل، التي بسببها تنحصر المباريات في مساحة ضيقة على جانبي خط المنتصف. وعندما تعادل نيوكاسل سلبياً في بيري في فبراير 1925، كان ذلك القشة التي قصمت ظهر البعير. وكانت هذه المباراة السادسة لنيوكاسل وانتهت بالتعادل السلبي في موسم عُرف بتدني متوسط الأهداف بشكل كبير وصل إلى 2,58 هدفاً في المباراة الواحدة، وأصبحت كرة القدم مملة، وتراجع الحضور الجماهيري. ولم يكتف اتحاد كرة القدم الإنجليزي بالاعتراف بضرورة اتخاذ إجراء ما وإنما أعد العدة لإقرار أمر جديد.

فقد ظل قانون التسلل دون تغيير منذ عام 1866، وكان هذا القانون يتطلب ما يلي، فحتى يكون المهاجم خارج منطقة التسلل، لا بد من وجود ثلاثة لاعبين في مواجهة اللاعب (عادة حارس مرمى واثنين من المدافعين) ليكونوا بينه وبين هدف خصمه، وتوصل اتحاد كرة القدم الإنجليزي إلى حلين محتملين– إما

وجود لاعبيْن فقط أمام لاعب الهجوم، أو وضع خط في كل نصف من الملعب يبعد 40 ياردة من المرمى ولا يكون لاعب الهجوم متسللاً إذا كان خلف هذا الخط- وأعد لاختبارهما في سلسلة من المباريات الودية، بشوط يتم لعبه بأحد البديلين والشوط الآخر بالبديل الآخر.

قرر اتحاد كرة القدم الإنجليزي في اجتماع عُقِد في لندن في يونيو أنهم يفضلون الاختيار الذي يتطلب وجود اثنين فقط من المدافعين أمام المهاجم ليكون غير متسلل، وتبنى كذلك اتحاد كرة القدم الأسكتلندي بعد ذلك بفترة قصيرة هذا التعديل، ولقد كانوا هم الذين طرحوا تغيير القاعدة إلى الهيئة الدولية، وتم تنفيذ التغيير الجديد في بداية موسم 1925–1926. لقد كان الفريق الذي يريد أن يلعب على مصيدة التسلل في السابق قادراً على الاحتفاظ بلاعب واحد في خط الظهر كتغطية لزميله الذي يتقدم إلى الأمام في محاولة للإيقاع بلاعب خط الهجوم في مصيدة التسلل؛ أما التشريع الجديد فيعني أن الحكم المخطئ يضع الفريق في مخاطرة ترك لاعب خط الهجوم في موقف واحد ضد واحد مع حارس المرمى.

وكان ظاهر هذا التعديل، نجاحاً فورياً، بعد أن ارتفع متوسط عدد الأهداف لكل مباراة ليصل إلى 3,69 أهداف في الموسم التالي، لكنه جلب تغييرات كبيرة في طريقة لعب المباراة، أدت مباشرة إلى تطوير هربرت تشابمان Herbert Chapman لطريقة «الظهير الثالث». أو خطة «دبليو إم»، وكانت تلك الخطة- التي تم تبنيها على نطاق واسع- هي التي أدت إلى تراجع كرة القدم الإنجليزية وزيادة سلبيتها.

وبرهن على ذلك بقوة فيلي ميسيل Willy Meisl؛ الشقيق الأصغر لهوجو Hugo، في كتاب «ثورة كرة القدم»، الذي كتب كرد مروع إثر هزيمة إنجلترا 6–3 على أرضها أمام المجر عام 1953. وينبغي القول إن ميسيل كان محباً مخلصاً

لإنجلترا حتى قبل تحاشيه ازدياد معدل معاداة السامية في النمسا ليستقر أخيراً في لندن، وكان كتابه يُقرأ على أنه رثاء على ماض كان بالياً وربما كان مثالياً، لقد أصبح شخصية بارزة لها احترامها في الصحافة الرياضية، يكتب بصورة أساسية عن كرة القدم الإنجليزية للمطبوعات الأجنبية، ولكن كتاب «ثورة كرة القدم»،مع كل بلاغته الرائعة، على الأقل في النظرة الحديثة، يعد عملاً غير مألوف، فبالنسبة إليه، كان التغيير في قاعدة التسلل إيذاناً كروياً للسقوط، تلك اللحظة التي كانت الغلبة فيها للنزعة التجارية على حساب غياب البراءة، وربما كان الأمر كذلك، لكنها كانت نهاية في غاية الرقة لما غدا اليوم وتداً عملاقاً.

ووفق ما رآه، ولأنه لا يقل رومانسية عن شقيقه، فإن المديرين ضيقي الأفق لا ينظرون إلى أبعد من ميزانياتهم، ملقين باللائمة على القوانين التي جرّت إخفاقات كرة القدم، دون أي اعتبار أنهم قد يكونون «مذنبين لاتباع نهج خاطئ في اللعبة»، ومن ثم ساروا قدماً في طريقهم بسياسة «ربما تظهر للشخص العادي أنها تنقيح طفيف في قوانين اللعب». لكنها «تحولت لتصبح شرخاً أحدثته طلقة مدوية تسبب عنه انهيار جليدي».

وهنا عرف الانقسام طريقه مرة أخرى ليشق الصف بين هؤلاء الذين يبحثون عن الفوز، وهؤلاء الذين يأملون في اللعب بصورة جيدة. وفي هذه الأيام، تبدو المناقشات روتينية في الغالب، لكنها كانت في عشرينيات القرن الماضي مفعمة بالحياة بما يكفي، حيث إن فكرة الدوري في حد ذاتها- «الكابو». الذي أفزع برايان جلانفيل- أخذت تثير التساؤلات. فمتوسط معيار اللعب سيزداد بشكل ملحوظ إن لم تكن النتيجة هي دائماً النهاية المهمة لجميع المباريات»- جاء هذا الاعتراف على لسان تشابمان الذي قال أيضاً إن «الخوف من الهزيمة وخسارة النقاط يقضي على ثقة اللاعبين...وما يمكن استنتاجه أنه حين تكون الظروف مواتية، تزداد قدرة المحترفين بصورة لا يمكن تصديقها، وإذا أردنا

حالاً أفضل لكرة القدم، فيجب إيجاد بعض الطرق لتقليل أهمية الفوز وقيمة النقاط...»

ورغم ذلك، لم يعد الفوز والهزيمة مسألة متعلقة بالأخلاق كبقية الأمور. والذين يتفقون– من صميم قلوبهم– مع مقولة داني بلانكفلاور Danny Blanchflower إن «المغالطة الكبرى في كرة القدم أن نقول إنها لعبة تسعى إلى الفوز. هي في الحقيقة لعبة تسعى إلى المجد.. تسعى لإنجاز العمل بشكل جميل ورائع»– لم يقرروها على طريقة حساب الفوز في رياضة التزلج على الجليد التي تعتمد على منح درجة من عشر نقاط للاعب. والحقيقة بسيطة ومؤسفة في الوقت ذاته: هؤلاء الذين يتطلعون إلى الفوز في المباريات يلعبون بسلبية. وبعد الإنجازات المجيدة التي حققها الأرجنتينيون والنزعة الجمالية لدى النمساويين، لا بد أنه قد خطر لهم أن يسألوا: ألم تأت الفاشية إلى هناك أولا. فالعصور الذهبية دائماً ما تشير إلى حقب في الماضي. والسذاجة لا تدوم إلى الأبد.

لقد كان أكثر التأثيرات العاجلة وضوحاً للتغيير في قانون التسلل، أنه لما أصبح المهاجمون لديهم مساحات أرحب، أصبحت اللعبة أكثر امتداداً، وبدأ التمرير القصير يفسح الطريق للكرات الطولية. وتكيفت بعض الفرق أكثر من الأخرى مع ذلك. واتسمت بداية موسم 1925–1926 بنتائج عجيبة. فالأرسنال بدا غير قادر على الاستقرار على خطة مناسبة. وبعد فوزه على ليدز يونايتد 4–1 يوم 26 سبتمبر، هُزم هزيمة نكراء 7–0 أمام نيوكاسل يونايتد في 3 أكتوبر.

وغضب تشارلي بوشان، المهاجم الأيمن؛ أحد أكبر نجوم الفريق، وقال لتشابمان إنه سيتقاعد ويريد الإقامة في الشمال الشرقي، حيث تمتع هناك بنجاح ملحوظ مع سندرلاند. وأضاف أن الأرسنال فريق بلا خطة، وليست لديه أي فرصة للفوز بشيء. ولا بد أن تشابمان رأى آنذاك أن مشروع حياته بدأ في

الانهيار، وكلمات بوشان كان لها أثر اللدغة، لأن تشابمان كان رجل تخطيط قبل أي شيء.

وُلد تشابمان في كيفيتون بارك، البلدة الصغيرة الواقعة بين شيفيلد ووركسوب، ولولا كرة القدم لاقتفى أثر والده في التعدين. ولعب أولاً لصالح ستالي بريدج، ثم مع نادي روشدايل، ثم جريمسبي وسويندون وشيبي يونايتد وركسوب ونورثامبتون تاون ونوتس كاونتي وأخيراً مع توتنهام. وكان لاعباً رحالة، لكنه برع بصورة كافية للخروج من المآزق. وإذا كان هذا الجزء من حياته جديراً بالملاحظة على الإطلاق، فإنه يرجع إلى الحذاء الجلدي الأصفر الشاحب الذي ارتداه ظناً منه أنه ييسر على زملائه التعرف عليه– في إشارة مبكرة للابتكار الذي سيخدمه جيداً كمدير.

ولم يبدأ تشابمان عمله التدريبي بإثارة ضجة، لقد كان متمدداً في الحمام بعد لعب مباراة ودية للفريق الاحتياطي لتوتنهام في ربيع 1907 عندما ذكر زميله والتر بول Walter Bull أن نادي نورثامبتون اتصل به طالباً تعيينه مديراً للفريق. لكنه أراد مواصلة العمل كلاعب. ورأى أن ذلك سيكون أمراً حسناً بالنسبة إليه، ولقد رشحه بول لهذه الوظيفة، وبعد أن أخفق نورثامبتون في استقطاب لاعب ظهير الوسط السابق في نادي ستوك ومانشستر سيتي، منحه «سام أشور». هذه الوظيفة.

وكأحد المشجعين للمباراة الأسكتلندية الماضية، أراد تشابمان لفريقه أن يعيد العمل بفكرة «البراعة والمكر»، التي رآها جزءاً لا يتجزأ من مفهوم كرة القدم. وبعد بداية مبكرة مبشرة، ضعف نورثامبتون، وأدت هزيمته على أرضه على يد فريق نوريتش في نوفمبر إلى تراجعه للمركز الخامس بالدوري الجنوبي. وكانت هذه بمثابة الأزمة الأولى لتشابمان، فاستجاب هو الآخر لفكرته العظيمة الأولى، واعترف بأن «أي فريق يمكنه الهجوم لفترة طويلة جداً». وبدأ

بتشجيع فريقه للانسحاب إلى الوراء، ولم يكن هدفه اختبار مهاجمي الخصم بقدر سحب مدافعيهم وفتح مساحات في الهجوم. وفي عيد الميلاد سنة 1908، أصبح فريق نورثامبتون في صدارة الدوري الجنوبي؛ وفاز باللقب بعد أن كسر الرقم القياسي لتسجيل الأهداف برصيد 90 هدفاً.

وانتقل تشابمان إلى ليدز سيتي سنة 1912، في الموسمين اللذين سبقا الحرب العالمية الأولى، وصعد به من المركز الثاني في ذيل القائمة إلى المركز الرابع، ونفذ واحدة من أبرز ابتكاراته، مؤسساً مناقشات الفريق بعد مشاهدة اللاعبين يتناقشون بحماس حول لعبة الكوتشينة. إلا أن الحرب أوقفت تقدمهم، وكانت الاتهامات أيضاً بأن النادي دفع مبالغ غير قانونية للاعبين مثلت ضرراً مماثلاً لتشابمان والنادي. ورفض تسليم الدفاتر الخاصة بالنادي، مما أدى إلى طرد ليدز سيتي من البطولة، وتم منع تشابمان من ممارسة أنشطة كرة القدم مدى الحياة في أكتوبر 1919.

ورغم ذلك، فبعد عامين، وبينما كان يعمل لدى شركة أوليمبيا أويل للنفط، قام نادي هدرسفيلد تاون بالاتصال بتشابمان لتعيينه مساعداً لمدير الفريق أمبروز لانجلي، الذي لعب إلى جانب شقيقه الراحل هاري قبل الحرب. وكان تشابمان ضحية دسيسة، وناشد اتحاد كرة القدم موضحاً أنه كان بعيداً عن النادي يعمل في مصنع الأسلحة «بارن بو». Barnbow عندما دفعت الرشاوى المزعومة.

وتعامل اتحاد الكرة الإنجليزي برفق ورحمة معه، وتقلد تشابمان المنصب. وعندما قرر لانجلي بعد شهر العمل في حانة، وجد تشابمان نفسه في منصب المدير. وقال تشابمان للإدارة إن لديها مجموعة من الشباب الموهوب، لكنهم بحاجة إلى «مدير يقودهم». وكان كليم ستيفنسون من أستون فيلا، على حد اعتقاده، هو ذلك الرجل. وكان ستيفنسون قد بلغ من العمر 33 عاماً، وكان معتقداً بشكل كبير باعتقاد تشابمان بقيمة الهجوم المضاد، وقد وضع وسيلة

لكسر مصيدة التسلل من خلال الارتداد إلى نصف الملعب الخاص به قبل الانطلاق إلى الأمام. لقد تحسن الأداء وزاد عدد المشاهدين بشكل سريع، بينما كان تشابمان الذي كان دائماً ما ينظر إلى الصورة الأكبر، قد أعاد تجديد الملعب وجدد مقاعد الصحافة في ليدز رود. وفي عام 1922، ورغم اشتعال النار في الاحتفالات التي تلت الفوز في الدور قبل النهائي على نوتس كاونتي، فاز هيدرسفيلد بكأس الاتحاد الإنجليزي، بعد أن أحرز بيلي سميث **Billy Smith** ضربة جزاء في الدقيقة الأخيرة في النهائي في ستامفورد بريدج ليودع نادي بريستون نورث إند البطولة.

ورغم ذلك، لم يتملك السلطات العجب، فكانت المباراة ضعيفة الأداء، ممتلئة بالأخطاء التي سببت الإصابات، مما حدا باتحاد كرة القدم أن ينقل «أسفه العميق» إزاء التصرفات التي شهدتها المباراة، ويعرب عن أمله في «ألا يكون هناك وجود لهذه السلوكيات في أي نهائي في المستقبل». وتساءل هيدرسفيلد ماذا كان يعني هذا، فأجابه اتحاد الكرة أن النادي عليه الاعتراف بالبذاءة عندما رأى ذلك. ودفع عدم تقديم الإيضاحات الكثيرين إلى الظن بأن تشابمان تم انتقاده بسبب وضعه لاعب الوسط توم ويلسون إلى الخلف أكثر من اللازم، وهكذا تصرف وكأنه «مفسد كبي» حسب وصف صحيفة «هودزفيلد إجزامينز» **Huddersfield Examiner**.

ويستحيل إثبات ما إذا كان اتحاد كرة القدم لديه شيء محدد في هذا الإطار. لكن بات واضحا أن هناك «طريقة صحيحة للعب» حاد عنها تشابمان. وانتشار ويلسون أوحى بأن مركز لاعب الوسط المساك كان في طريقه للظهور، وربما كان موجوداً دون تغيير قانون مصيدة التسلل.

وكانت هناك أحداث منفصلة أخرى للعديد من الأندية للعب بلاعب خط وسط له مهام دفاعية محددة. وتعرّض نادي كوينز بارك مثلاً لخطر الهزيمة أمام

نادي رينجرز عند تعادلهم في كأس جلاسجو الخيري سنة 1918. فأعاد بوب جيليسبي إلى المنطقة الخلفية، وهو دور لاعب الارتكاز المدافع- ولكن ما كان فريدا بشأن نادي هيدرسفيلد الذي يديره تشابمان لم يكن الرغبة في وضع لاعب وسط ارتكاز بقدر تطويره لأسلوب مختلف، وكان ذلك استناداً إلى عدم ثقة مديرهم في اللعب على الأجنحة، وهي الطريقة التي كانت تقدرها بريطانيا. ورأى شابمان أن التمرير الطولي كان «أكثر فتكاً، إذ كان أقل إثارة من السياسة عديمة القيمة للجري بطول الخطوط والتمركز فقط أمام المرمى، حيث كانت الاحتمالات تمثل تسعة إلى واحد بالنسبة للمدافعين». وكما أشارت صحيفة «إجزامينز» Examiner سنة 1924 بعد أن حسم لقب البطولة، «بات التمرير المنخفض واللعب بطول الميدان لفريق ليدز رود مشهوراً».

أما الأمر الأكثر أهمية، فليس أن تشابمان كان لديه تصور واضح حول الطريقة التي ينبغي اللعب بها، ولكن أنه كان في منصب يتيح له إمكانية تنفيذ تلك الرؤية. لقد كان- على الأقل في بريطانيا- أول مدير عصري؛ أول رجل يكون له سيطرة كاملة على إدارة النادي، من التوقيعات إلى الاختيار إلى التكتيكات إلى الترتيب بشأن تسجيلات الحاكي للعب من خلال نظام السماعات العامة للحفاظ على مستوى استمتاع الجمهور قبل المباراة والشوط الثاني. ومع هيدرسفيلد نحو طريقهم للدفاع عن لقبهم في عام 1925، تساءلت مجلة «سبورتنج كرونيكل» Sporting Chronicle: «هل تدرك الأندية تماماً هذه الأيام أهمية الرجل الذي تم وضعه في موضع السلطة؟ فهم على استعداد لدفع أي مبلغ حتى لو وصل إلى 4000 و5000 جنيه إسترليني مقابل خدمات اللاعب الواحد. فهل يعطون أهمية مماثلة لمدرب الفريق الذي يكون مسؤولاً عن اللاعب...؟ إن الرجل الذي يقف خلف الكواليس يكتشف اللاعبين، ويدرب المواهب، ويستخرج أفضل إمكانيات اللاعبين من خلال أوامره هو

الرجل الأكثر أهمية في المباراة من وجهة نظر النادي».

وفي العام التالي، حصل هيدرسفيلد على هاتريك لإحرازه ألقاب بطولة الدوري لثلاث مرات، ولكن حينئذ ذهب تشابمان، فقد جذبه الجنوب عن طريق ما رآه أنه القدرات الكبيرة للأرسنال. ويجب القول إن هذه القدرات لم تكن واضحة. فقد كان الأرسنال يكافح من أجل البقاء، ووفقاً لما رآه السير هنري نوريس، فإنه يعمل تحت إمرة رئيس مستبد وذاتي. أما ليسلي نايتون Leslie Knighton، الذي خلف تشابمان، فقد حُرم من إنفاق أكثر من 1000 جنيه إسترليني على اللاعب الواحد في عصر كانت أجور اللاعبين تصل إلى 3000 جنيه إسترليني بشكل معتاد، كما كان هناك أيضاً حظر على جلب لاعبين تقل مقاييسهم عن 5<8». وعندما قاوم نايتون القيود الكبيرة من أجل توقيع اللاعب «هوف موفا». الذي لا تتعدى مقاييسه 5<» من نادي وركينجتون في عام 1923، كان نوريس قد نقله إلى نادي لوتون تاون قبل أن يتمكن من لعب مباراة واحدة في الدوري. وتم طرد نايتون في نهاية موسم 1924–1925، بعد أن صرح نوريس بأن نتائج الفريق هزيلة، رغم ادعاء نايتون أن السبب كان مرجعه إلى أن النادي أراد تجنب دفع مكافأة له، كان يستحقها من أرباح المباراة.

ثم تولى تشابمان– الذي حذر من أنه سيستغرق خمس سنوات على الأقل للفوز بأي شيء– هذه الوظيفة، بشرط عدم وجود هذه القيود أمامه، الأمر الذي وافق عليه نوريس على مضض. وكان أول توقيعاته على شارلي بوشان. وقدره فريق سندرلاند بمبلغ 4000 جنيه إسترليني، وصمم مديره، بوب كيل Bob Kyle، أنه يساوي هذه القيمة، حيث إن المهاجم يضمن إحراز 20 هدفاً في الموسم. ورد نوريس، إذا كان واثقاً إلى هذه الدرجة، فعندها ينبغي تقديم المبلغ وفقا لتسجيل بوشان للأهداف: 2000 جنيه إسترليني كدفعة أولية، بالإضافة إلى 100 جنيه إسترليني عن كل هدف يتم إحرازه في الموسم الأول. ووافق كيل

على ذلك، وسجل بوشان 21 هدفاً، ووافق سندرلاند على مبلغ 4100 جنيه إسترليني.

ثم حدث شيء غير محتمل في سبتمبر بعد الهزيمة من نيوكاسل. كان بوشان شخصية صعبة المراس، وخرج في أول يوم له في الأرسنال بسبب اعتقاده أن الطاقم غير مناسب، ورفض التدريب بالطاقم الآخر لأنه وجد قطعة من الفازلين المتحجر في جوربه الذي قيل له إنه «مغسول». وربما يرى بعض المديرين أن هذا اعتراض مفتعل أو أنه تأنق في غير محله، لكن تشابمان رآه دليلاً على ارتقاء معايير المدرب. وكان معجباً أيضاً باستقلالية بوشان في التفكير بشأن اللعبة، وهو الشيء الذي لم يكن شائعاً في أذهان لاعبي هذا العصر. وقال جون لويس، الحكم السابق، في عام 1914: «محترفونا لا يظهرون أي اهتمام بتعلم أشياء عن نظريات الرياضة... وفي معظم الفرق لا يوجد دليل على وجود تكتيكات أو مناورات معدة سلفاً»، ورغم كل جهود تشابمان لتشجيع النقاش، لم يتغير الكثير.

وأوضح بوشان منذ بداية الموسم أن التغيير في قاعدة التسلل يعني أنه على لاعب الارتكاز في خط الوسط أن يلعب دوراً أكثر دفاعية، وبات ملحوظا أنه في هزيمة الأرسنال في سانت جيمس، ظل لاعب الوسط تشارلي سبينسر Charlie Spencer لفريق نيوكاسل متأخراً جداً. لقد قدم القليل في الهجوم، ولكنه صد المرة تلو الأخرى هجمات الأرسنال تقريباً قبل بدايتها، سامحاً بذلك لفريق نيوكاسل بالسيطرة على الملعب والاستحواذ على الكرة. وكان تشابمان، على الأقل، مقتنعاً، ولكن اللغز يكمن في معرفة السبب في عدم فعله ذلك في وقت سابق، مع الوضع في الاعتبار ميله الطبيعي نحو الهجمة المضادة، فلم يكن الرجل ممن ترعبه السلطة، ولكن ربما كانت كلمات اتحاد كرة القدم بعد نهائي كأس عام 1922، إضافة إلى الاعتراف بما فعلوه إزاءه في رفع الحظر الذي

كان مضروباً عليه مدى الحياة، لها تأثير عليه.

ولم يكن الأرسنال بالتأكيد النادي الأول الذي يستنتج في النهاية أن لاعب الارتكاز في خط الوسط عليه أن يصبح ظهيراً ثالثاً، ولكن حيثما كانوا يغطون مساحة جديدة يعترفون بالتأثير غير المباشر الذي سيكون في الجانب الآخر من الملعب. لقد أثبت بوشان، واتفق معه تشابمان، أن سحب لاعب الوسط قد ترك جانباً من الملعب به عدد أقل من اللاعبين في وسط الملعب، ومن ثم اقترح أنه ينبغي عليه الرجوع للخلف من مركز مهاجم الوسط الأيمن، الذي نتجت عنه خطة لعب 3–3–4 المفككة وغير المتوازنة.

وقد قيم تشابمان، رغم ذلك، قدرات بوشان على تسديد الأهداف على أنها عالية جداً ولا يستطيع التضحية بها، وأُعطي دور مهاجم القلب المنسحب إلى أندي نيل Andy Neil. ومع الأخذ في الاعتبار أن نيل كان لاعب فريق ثالث، وكان قدومه يمثل مفاجأة، ولكنه أثبت أنه اختيار جيد وموافقة مؤكدة لقدرة تشابمان على التصور والتقسيم، وعلى التعرف على المهارات المحددة المطلوبة ومكان توظيفها. وقد تذكر توم وايتيكر، الذي أصبح الرجل الثاني الموثوق به لتشابمان، كلمات رئيسه واصفاً نيل بأنه «في بطء الجناز». لكنه كان مصراً أن ذلك لم يكن مهماً بسبب «قدرته على السيطرة على الكرة، فهو يحتفظ بالكرة، وفي الوقت ذاته يعمل عقله».

ومع مطالبة جاك بتلر التحقق من مواهبه الإبداعية كلاعب خط وسط متأخر، كان للنظام الجديد تأثير فوري. وبعد يومين على الهزيمة النكراء من فريق نيوكاسل، استطاع الأرسنال، مع عودة الحماس لبوشان من خلال تغيير الشكل، هزيمة ويستهام 4–1 في أبتون بارك. وأنهى الموسم في المركز الثاني خلف فريق هيدرسفيلد، وهو أفضل مركز وصل إليه أحد نوادي لندن. وفي الموسم التالي، بدأ النادي بداية هزيلة، من جهة لأن النجاح كان سبباً في فرط

الثقة بالنفس، ومن جهة أخرى بسبب نجاح الفرق المقابلة في استغلال تدني النزعة الدفاعية الطبيعية لدى بتلر. ونادى بعضهم بالعودة إلى خطة اللعب التقليدية 2–3–5، لكن تشابمان أصر أن المشكلة هي أن الثورة لم تتحقق بشكل كاف: المطلوب في مركز لاعب وسط الارتكاز هو لاعب وسط حقيقي. وقد عثر عليه، فكان هيربي روبرتس Herbie Roberts، جناح الوسط ذا القامة الطويلة والشعر البني اللون، وقد وقّع للنادي من فريق أوزواستري تاون مقابل 200 إسترليني.

ووفقاً لويتاكر، «نبعت براعة روبرتس من حقيقة أنه كان فطناً وذكياً، والأكثر أهمية، أنه فعل ما كان يملى عليه»، قد يكون لديه بعد واحد فقط، لكنه بعد مهم. يكتب ويتاكر: كانت وظيفته اعتراض جميع الكرات خلف منطقة الوسط، ثم السيطرة عليها أو تمريرها تمريراً قصيراً إلى أحد أعضاء فريقه، ولذا فأنت ترى كيف أن عدم قدرته على تسديد الكرة بقوة أو بعيداً كان بمثابة التمويه. وكان برنارد جوي Bernard Joy، وهو آخر الهواة الذين لعبوا لصالح إنجلترا وقد عمل صحفياً لاحقاً، وانضم إلى صفوف الأرسنال في عام 1935 كنائب لروبرتس. كما كتب جوي في صحيفة «فوروارد أرسنال». Forward Arsenal «لقد كان نموذجاً للاعبين المستقيمين»، قد يكون أقل في المهارات الفنية من بتلر، لكنه كان مناسباً بدنياً وذهنياً للعب في المكان الذي يتحتم عليه اللعب فيه، لقد كان سعيداً بالبقاء كمدافع، مستخدماً طوله لإبعاد الكرة برأسه، الذي تميز بشعره الأحمر، وكان عنده من التحمل ما يمكّنه من مقاومة الضغط المكثف والهتاف الصاخب. وهذه النظرة الواثقة جعلته ركيزة الدفاع الأولى في صفوف الأرسنال وشكل أسلوباً جديداً تم تبنيه في كل أنحاء العالم. ومثل هذا، من جهة، مشكلة، فقد أصبح الأرسنال ناجحاً بشكل كبير، وتم تقليد أسلوبهم في اللعب من جانب فرق أخرى دون وجود اللاعبين أو

الوسائل الضرورية لاستخدامها كأي شيء آخر سوى النظام السلبي.

خسر الأرسنال نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي على يد كارديف عام 1927، وتلا ذلك مغادرة نوريس عام 1929 بعد استعلام اتحاد كرة القدم حول المخالفات المالية التي حدثت بفعل النجاح الواقع. تقاعد بوشان في عام 1928 وكان بديله، الأسكتلندي الضئيل أليكس جيمس Alex James، وقد وقع مع بريستون مقابل 9000 جنيه إسترليني، الذي أحيا من جديد نظام تشابمان. ويحذر تاريخ النادي الرسمي من أنه لا ينبغي لأحد كائناً من كان أن يقلل من قدر إسهامات جيمس في نجاح فريق الأرسنال في الثلاثينيات، فلقد كان بساطة الرجل الأساسي، «إذ اتسم باقتصاد في الحركة، وكان بارعاً في إيجاد المساحات لاستلام الكرة- ويفضل اللعب السريع من الخلف- وكانت لديه الرؤية والتقنية بعد ذلك لتوزيع الكرة بسرعة إلى المهاجمين، وأطلق عليه جوي أنه «أكثر اللاعبين ذكاء من بين كل من لعبت معهم...وفي الميدان كانت لديه موهبة التفكير في حركتين أو ثلاث مسبقاً، لقد حول كثير من المباريات عن طريق التمركز بشكل يتسم بالدهاء قرب منطقة الجزاء الخاصة به والاستخدام المفاجئ للتمرير الطولي في «نقطة ضعف الخصم».

اجتمعت الانتصارات والحداثة معاً، حيث بدا، كلاهما عنصر إلهام للآخر، ومنع الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم، المتحفظ بشكل غريزي، التحركات الساعية إلى وضع أرقام القمصان ولعب المباريات على الأضواء الكاشفة، إلا أنه تم تنفيذ ابتكارات أخرى على أرض الواقع، فقد استبدلت الجوارب السوداء لفريق الأرسنال بأخرى ملونة باللون الأزرق والأبيض وركبت ساعة في هايبري، كما أعيدت تسمية محطة جيل سباي رود تيوب باسم محطة الأرسنال، وأضيفت أكمام بيضاء إلى القمصان الحمراء اعتقاداً بأن اللون الأبيض يمكن ملاحظته بسهولة في الرؤية المحيطية أكثر من أي لون آخر

بل وربما أكثر صدقاً في التعبير، بعد التدريب في أيام الجمعة، يجمع تشابمان لاعبيه حول لوحة تخطيط مغناطيسية لمناقشة المباراة التالية وتصنيف أي قضايا مثلّت تهديداً في المواجهة السابقة. وفي هدرسفيلد شجع اللاعبين على تحمل مسؤولية تمركزهم في ميدان اللعب؛ وفي الأرسنال، وضع هذه المناقشات كجزء من الخطة الروتينية الأسبوعية. وقد أوضح مقال في صحيفة «الديلي ميل» أن تشابمان «بكسره التقاليد القديمة، كان المدير الأول الذي رتب بصورة منهجية الفوز بالمباريات».

ونجحت هذه الطريقة. وفاز الأرسنال بالدوري في عامي 1931 و1933، ولحقت به الهزيمة في نهائي كأس 1932 فقط، بواسطة هدف أثار جدلاً كبيراً حوله. وكتب جلانفايل Glanville عنهم أن «آلتهم وصلت إلى الدقة والإحكام». ففي تحولهم السريع من الدفاع إلى الهجوم، وهو التوظيف السهل لطريقتهم في اللعب، كان هناك إحساس بالحفاظ على الطراز الفني للبيئة المحيطة بهايبري. كما يعد قياسهم على «الآلة» كلمة صادقة التعبير، ونتذكرها بأنها ترجع إلى المهندس المعماري لوكوربوزييه واصفاً بها أحد المنازل على أنه «آلة للعيش داخلها»؛ كانت هذه كرة القدم المعاصرة. وقد وصف ويليام كارلوس ويليام William Carlos William، بمثل ذلك، في عبارة قد تكون أصبحت تقريباً شعاراً لرؤيته عن التحديث، القصيدة الشعرية على أنها «آلة صنعتها الكلمات»... لا يمكن أن يكون بها جزء مكرر، كما الحال مع أي آلة أخرى. وكان الأرسنال مع تشابمان في أكثر عهوده انتعاشاً، و«أجمل ما قيل عن طريقتهم، أنها طريقة القرن العشرين، فهي طريقة مختصرة ومثيرة ومذهلة واقتصادية ومدمرة».

ربما لم يكن ذلك مدهشاً. فقد كان تشابمان، بعد كل هذا، جزءاً من موجة المستفيدين الأولى من قانون فورستر للتعليم عام 1870، الذي جعل دخول

فريق الأرسنال ضد فريق هدرسفيلد تاون 2–0، نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم – أستاد ويمبلي– لندن 26 أبريل 1930.

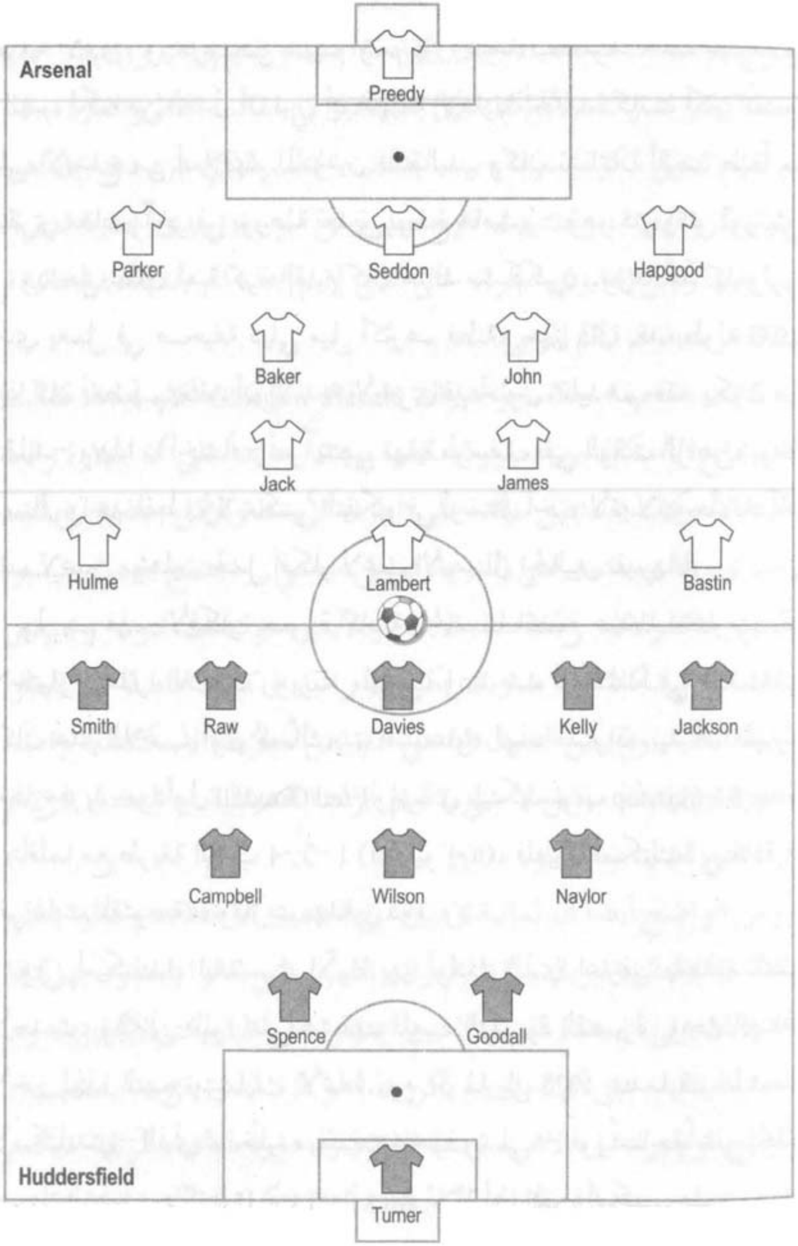

المدارس إلزامياً على البالغين من سن الثانية عشرة، وسمح لأعداد غير مسبوقة من رجال الطبقة العاملة بملء المناصب الإدارية التي كانت متوافرة بعد الحرب العالمية الأولى. وربما لم يكن لديهم أوامر إزرا باوند ليجعلوها حلقة جديدة في آذانهم، لكنه من العدل أن نبين أن الطبقة الإدارية الجديدة كانت أكثر انفتاحاً على الإبداع من أسلافهم الملتزمين بالتقاليد. وكان تشابمان أقرب طبعاً من عبقري معاصر آخر في بورصة تعدين نوتنج هامشير- وهو دي إتش لورنس.

وداخل نطاق لعبة كرة القدم كان هناك مشككون، وربما عُدّ كاروثررز الذي يعمل في صحيفة ديلي ميل أكثرهم فطنة، حين قال بعد بطولة 1933: «إذا كان بعضهم يعتقد أن الأندية الأخرى قد تحاول تقليدهم. فقد يكون هذا التقليد- وهذا ما أخشاه- أمراً ينتهي نهاية مؤسفة. ففي الوقت الراهن، يوجد أرسنال واحد فقط، ولا يمكنني التفكير في أرسنال آخر؛ لأنه لا يوجد ناد آخر يضم لاعبين مؤهلين لحمل أفكار لاعبي الأرسنال الحاليين نفسها».

ولم يتم فهم الأفكار بصورة كاملة، حسبما اتضح عندما اختارت لجنة الاختيار بإنجلترا اللاعب روبرتس ليلعب ودياً ضد أسكتلندا في سنة 1931. وكان هذا اللاعب أول مساك يتم استدعاؤه لهذه المباراة، بيد أن ظهيري الدفاع فريد جودأول Fred Goodall وإيرناي بلينكينسوب Ernie Blenkinsop لم يتأقلما مع طريقة اللعب 4-5-1 («دبليو إم»)، فلعبت أسكتلندا بسعادة في الفراغات المفتوحة»، وفازت بهدفين دون رد.

وفي أسكتلندا، انقسمت الآراء بين أولئك الذي اعترفوا بفعالية النظام الأحدث، والذين ظلوا على عشقهم للعب التمريرة القصيرة. وجاء الهتاف الأخير لهذا النهج متشابك الأنماط يوم 31 مارس 1928 عندما فاز المنتخب الأسكتلندي- الذي تم تخليده بلقب «سحرة ويمبلي»- فوزاً ساحقاً على إنجلترا وسجل أليكس جاكسون Alex Jackson ثلاثة أهداف وأليكس جيمس Alex

James هدفين، في مباراة الخمسة أهداف مقابل هدف. وفي تقريره لصحيفة Evening News. وصف ساندي أدامسون الهدف الأول لجاكسون بأنه «تقدم متموج يجب أن تأخذه الأجيال القادمة كتقدم تقليدي»، وواصل حديثه واصفاً كيفية اشتراك «الأسكتلنديين المبتهجين في مقالب القط والفأر... فمن قدم لقدم تنتقل الكرة بسرعة، بينما يصاب الخصم الذي شرد ذهنه بالذهول والارتباك والهزيمة، وتضمنت فترة قصيرة من الموجة إحدى عشرة تمريرة لم يلمس فيها رجل إنجليزي الكرة، حتى أنهى [تيم] هذه الموجة بقذيفة عالية في السماء مرت فوق قائم المرمى...»

وكانت صحيفة جلاسجو هيرالد Glasgow Herald أكثر تحفظاً فقالت: «كان نجاح الأسكتلنديين بصورة أساسية برهاناً جديداً على أن المهارة والعلم والحيلة الأسكتلندية ستظل سائدة على الطرق الأبسط والأقل جاذبية من النمط الإنجليزي، الذي يعتمد على السرعة كعامل أساسي. واجتمع جيمي جيبسون وجيمي ماكمولان، الجناحان الأيمن والأيسر، وكذلك دون وجيمس، المهاجمان، ليشكلا قوة ضاربة. لكن هذه المباراة كانت فاصلة في البطولة الدولية المحلية. ولم يكن التفوق البدهي المفترض للطريقة الأسكتلندية واضحاً في الهزيمة (بهدف مقابل لا شيء) أمام أيرلندا الشمالية أو التعادل 2–2 في المباراة التي لعبتها ضد ويلز.

ومن الواضح أيضاً أن ثمانية لاعبين من اللاعبين الأحد عشر كانوا يلعبون في الأندية الإنجليزية: وبالنسبة إلى قدرات التمرير التي كانوا يتمتعون بها كافة، ساعد ذلك على أن يضم الفريق لاعبين اعتادوا على المباريات الإنجليزية، ومن الناحية الجمالية، على أي حال، لم يكن هذا هو الرد الذي يقترحه بعضهم.

ومُنح توم برادشو، لاعب وسط الارتكاز، دوراً دفاعياً، لمراقبة ديكسي دين، وربما لم يستخدم فريقه طريقة 4–5–1 أو التشكيلة التقليدية 2–3–5.

وكانت طريقة 4—5—1 («دبليو إم») في مباريات النادي حافلة بالثغرات. ويسترجع لاعب رينجر السابق جورج براون مباراة خيرية أقيمت بين فريق رينجر سيلتك 11 وهارتس هيبس 11 عام 1930: «حيث كان دافي مايكل جون لاعب الارتكاز الأيمن، وكنت لاعب الارتكاز الأيسر، وكان لاعب سيلتك جيمي ماك ستي لاعب ارتكاز بخط الوسط» وقد قال: «لم تسر الأمور على ما يرام بالنسبة لنا في الشوط الأول، ومع حلول فترة الاستراحة كنا متأخرين بهدف. وخلال الاستراحة، قال مايكل جون إلى ماك ستي: «تأتي المتاعب كافة من الوسط، وذلك بسبب أنك بعيد جداً عن ميدان اللعب. نحن نلعب مع جيمي سيمبسون في الدفاع وهذا يترك لاعبي الدفاع أحراراً»، وافق ماك ستي على تجربة ذلك، وفي النهاية خرجنا فائزين مرتاحين. ومنذ ذلك الحين لعب بطريقة اللعب نفسها مع سيلتك. ومثل جاك بتلر لاعب الأرسنال، رغم ذلك، لم يكن ماك ستي مدافعاً طبيعياً، وقد انتهى لعبه على مدار تسعة مواسم دون إحراز لقب، عندما وقَّع للفريق لاعب الوسط المساك ويلاي ليون من نادي كوينز بارك.

ومثل ذلك، من ناحية، المشكلة: فلقد كان من الأسهل أن تكون لاعب وسط دفاعي جيداً على أن تكون لاعب وسط هجومياً. كما أن الجزء الإبداعي في معادلة تشابمان كان أصعب من أن يتم الوفاء به.

فقد كان لاعبو الهجوم للداخل الذين يمتلكون قدرات أليكس جيمس نادري الوجود، وقد انتشرت طريقة المسَّاكين الباردة التي استخدمها هيربي روبرتس. وقال جيمي هوجان: «حاول بعض الأندية الأخرى تقليد تشابمان»، لكن لم يكن لديها الرجال القادرون على ذلك، وكانت النتيجة، في رأيي، دمار كرة القدم البريطانية، مع التركيز على الدفاع والارتداد الكبير للخلف، الذي وضع نهاية للعب كرة القدم البناءة. ومن خلال هذا النوع من اللعب يفقد

لاعبونا لمسة الكرة والشعور بها.

وقد تعود بذور هذا الانحطاط إلى التغيير في قانون التسلل، لكنها تربت عبر استجابة تشابمان لها. وكان الأثر الذي جلبه لعب المدافع الثالث، كما قال جلانفايل، هو «تعزيز الضعف الذي شجّع على الكسل الذهني من جانب المدربين واللاعبين. فأن تعمل على جمع الكرات الطويلة في الاتجاه العام للمهاجم أسهل من تحمل صعوبات الإبداع. وقد ظل تشابمان، رغم ذلك، غير آسف. وقد صرح هوجو ميسل قائلاً: «أصبح النظام الخاص بنا، الذي تقوم الأندية الأخرى في الغالب بتقليده، مؤخراً، موضوعاً للنقد والنقاش». وأضاف قائلاً: «توجد كرة واحدة فقط في الملعب ورجل واحد يمكنه لعبها في ذلك الوقت، بينما يصبح الـ21 لاعبا الآخرون متفرجين، ومن ثم يكون هناك لاعب واحد يتعامل فقط مع السرعة والحدس والقدرة ومع نهج اللاعب المستحوذ على الكرة، وبالنسبة إلى بقية اللاعبين، دع الناس يفكرون فيما يحبون بخصوص نظامنا، الذي أوضح أنه الأسلوب الوحيد الذي تكيف على النحو الأفضل مع الكفاءات الفردية للاعبينا، والذي قادنا من نصر إلى آخر... فلماذا نغير أسلوباً يحقق الفوز؟»

لم يتوجب على تشابمان نفسه أبداً أن يتعامل مع التحول من جيل من اللاعبين إلى آخر ولم يفعل ذلك. ففي 1 يناير عام 1934، أصيب بنزلة برد خلال مباراة في بيري، لكنه قرر الذهاب على أي حال في اليوم التالي لرؤية الخصوم التاليين للأرسنال، وهم شيفيلد وينزداي. ثم عاد إلى لندن مصاباً بارتفاع في درجة حرارته، لكنه تجاهل نصيحة أطباء النادي وذهب ليشاهد مباراة الاحتياطي في جلدفورد، وأصيب بالإرهاق الذي أرداه في السرير خلال عودته، ولكن عندئذ تم تشخيص حالته بأنه التهاب في الرئة ومات مبكراً في السادس من يناير، بعد أسبوعين من احتفاله بعيد ميلاده السادس والخمسين.

واصل الأرسنال فوزه باللقب، وحقق الفوز الثالث على التوالي في العام التالي، وبعد أشهر قليلة من موته، تم نشر مجموعة من كتاباته، وفيها، عبر بشكل مثير عن أسفه لمرور عصر أقل تنافسية، حين قال: «لم يعد من الضروري لأي فريق أن يلعب بصورة جيدة، بل عليه أن يحرز الأهداف والنقاط، ولا يهم كيف تأتى ذلك، فقياس مهارات اللاعبين، في الحقيقة، يتم الحكم عليه من خلال مكانهم في جدول الدوري».

ويبدو هذا، في الوقت الراهن، أي شيء سوى أنه أمر بديهي؛ ويعد ذلك قياساً لكيفية بقاء ميول الهواة منتشرة تجاه اللعبة، فحتى تشابمان يبدو أنه شعر بأن من الضروري الاعتذار عن الفوز، وقد استطرد حديثه قائلاً: «منذ 30 عاماً مضت، خرج الرجال بالرخصة الكاملة لعرض فنونهم ومهاراتهم، أما اليوم فعليهم أن يساهموا في أحد الأنظمة، وهكذا، وفي النهاية، ومع التصميم على الفوز، تعترف كرة القدم بقيمة خطط اللعب والحاجة إلى الفردية لتسخيرها في نطاق إطار عمل أي فريق».

الفصل الرابع

△▽△▽△▽△▽△▽

الفاشية دمرت المقاهي

يعد هربرت شابمان رجلاً أحدث تغيراً واحداً لمواجهة مشكلة محددة. ولقد حذت كرة القدم الإنجليزية حذوه لأنها شعرت بجدوى أسلوبه، غير أن ظهور لعبة الظهير الثالث لم تنبئ عن ظهور جيل من اللاعبين الإنجليز البارعين تكتيكياً. وكما كتب فيلي ميسيل «للأسف ظلت كرة القدم محصورة في القالب الجامد نفسه ولم يظهر لاعب محترف يكسر ذلك القالب ويعيد تشكيله في قالب جديد. وكان من الأفضل في هذه الحالة محاولة التظاهر بأن التغيير التكتيكي لم يحدث، وأن الهرم المقدس لكرة القدم لم يمس. وعندما جعل اتحاد كرة القدم وضع الأرقام على قمصان اللاعبين أمراً إجبارياً عام 1939، تجاهل التطورات اللاحقة واشترط أن يرتدى الظهير الأيمن رقم 2، والظهير الأيسر رقم 3، والمدافع الأيمن رقم 4، ولاعب الوسط رقم 5، والمدافع الأيسر رقم 6، والجناح الأيمن رقم 7، بينما يرتدي المهاجم من ناحية اليمين رقم 8، ومهاجم خط الوسط رقم 9، والمهاجم من ناحية اليسار رقم 10، والجناح الأيسر رقم 11، وكأن أسلوب اللعب بطريقة 2–3–5 لم يزل هو السائد عالمياً، أو كان على الأقل أساس التشكيلات الأخرى التي كانت مجرد تعديلات لا تتسم بالبراعة. وهذا يعني أن الفرق التي تلعب بطريقة W.M كانت تصطف تبعاً لطريقة الترميز الحديثة كالتالي: 2–5–3–4–6–8–10–7–9–11 ولهذا السبب يحدث اللبس حين الإشارة إلى لاعب «خط الوسط» كمرادف لمركز «الظهير الأوسط» في بريطانيا.

تشكيلة 2 - 3 - 5

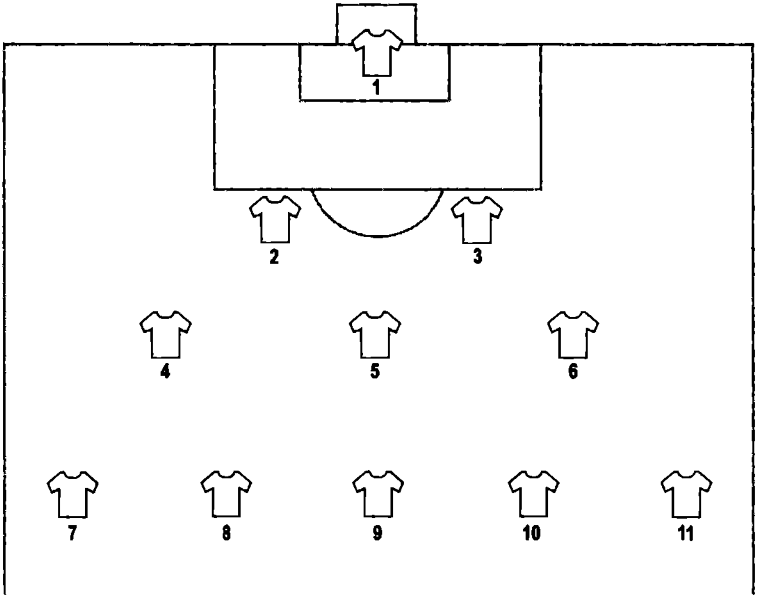

طريقة دبليو إم - إنجلترا.

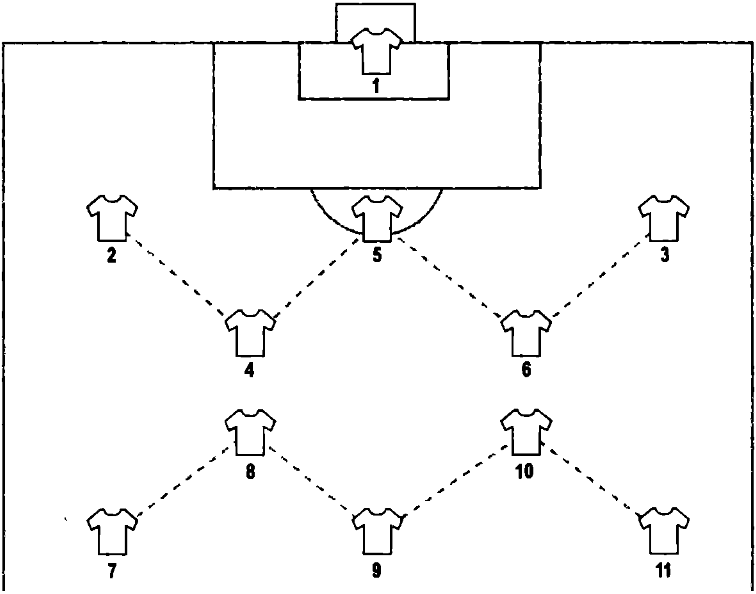

وبالمثل، تجاهلت الصحف تلك الحقيقة، واستمرت في نشر تشكيلات فرق كرة القدم وكأنها جميعاً تتبع طريقة اللعب 2–3–5 حتى ستينيات القرن العشرين. وحتى عندما تبارى تشيلسي مع بودابست فورو– لوبوجو عام 1954 وكان قد تنبه إلى الفروق التكتيكية التي تسببت في هزيمة إنجلترا 6–3 أمام المجر في ويمبلي قبل عام، فقد حاول محاكاة تشكيل فريق المجر بشكل صحيح، إلا أنه ظل واهماً أن تشكيل «دبليو إم» الخاص به يتبع أسلوب 2–3–5. وقد غلب الأسلوب المحافظ والمقاوم للتغيير على طريقة اللعب الإنجليزية، حتى إن بيتر دوهرتي مدير فريق دونكاستر روفرز Doncaster Rovers، حقق عدة انتصارات في الخمسينيات بحيلة لجأ إليها من حين إلى آخر عن طريق تبديل اللاعبين لقمصانهم لإرباك الخصم المعتاد على التعرف على خصمه عبر الأرقام المكتوبة على ظهور اللاعبين.

وحتى يدرك الناس أهمية اللعب التكتيكي، كانت اللعبة بحاجة إلى طبقة اجتماعية تتميز بقدرتها الفطرية على التنظير والتفكيك؛ طبقة تكون قادرة على التخطيط النظري بقدر التطبيق على أرض الملعب، وألا تعاني– كسائر البريطانيين– من فقدان الثقة في التفكير العقلاني، وهذا ما حدث وسط أوروبا في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فما أبداه الناس في أوروغواي والأرجنتين برهن عليه قسم كبير من الطبقة البرجوازية في النمسا والمجر ولاسيما من اليهود. كما ظهرت الطريقة الحديثة في فهم لعبة كرة القدم ومناقشتها في مقاهي فيينا.

وازدهرت كرة القدم في النمسا في العشرينيات، وذلك مع تأسيس دوري المحترفين من مستويين عام 1948. في نوفمبر من ذلك العام طرحت صحيفة نيوس فاينر جورنال Neues Wiener Journal السؤال التالي: أين يمكن أن تشاهد ما لا يقل عن 40–50 ألف متفرج مجتمعين يوم الأحد من كل أسبوع

في جميع الملاعب سواء تحت المطر أو في أشعة الشمس الساطعة؟ أين ستجد غالبية السكان تهتم بنتائج المباريات بحيث تسمع في المساء كل شخص تقريباً يتحدث عن نتائج المباريات وفرص ناديه في المباريات القادمة؟ الإجابة بسيطة: لن تجد ذلك في أي مكان في أوروبا، إلا في بريطانيا.

وبينما كانت شؤون المباريات تناقش في داخل حانات بريطانيا، نوقشت على المقاهي في النمسا. وبدأت ممارسة كرة القدم في بريطانيا كهواية في المدارس الحكومية، ولكن بحلول عام 1930، أصبحت الرياضة المفضلة لمن ينتمون إلى الطبقة العاملة؛ أما في وسط أوروبا فقد اتبعت منحنى أكثر تعقيداً، بدأ لدى الطبقات المتوسطة العليا من الأنجلوفيل Anglophile ثم سريعاً ما تبنته الطبقات العاملة، وعلى الرغم من أن أغلبية اللاعبين ظلوا من الطبقة العاملة فإن المثقفين كانوا هم أصحاب السيطرة.

بدت كرة القدم وسط أوروبا من الظواهر الحضرية إلى حد كبير، حيث تركزت حول فيينا وبودابست وبراغ. وأصبحت ثقافة المقاهي آنذاك في قمة ازدهارها في تلك المدن، وظلت كذلك حتى نهاية إمبراطورية هابسبورج حين أصبحت بمثابة صالونات عامة يختلط فيه الرجال بالنساء من جميع طبقات المجتمع، وذاع صيتها ولاسيما بما اتسمت به من نواح فنية بوهيمية. وكان الناس يقرأون الصحف، ويتسلمون البريد والملابس المغسولة ويستمتعون بلعب الورق والشطرنج. أما المرشحون السياسيون فاستغلوا المقاهي في عقد اجتماعاتهم وإجراء المناقشات، بينما قام المثقفون وأعوانهم بمناقشة شواغلهم اليومية فيها– سواء في الفن أو الأدب أو المسرح، ثم كرة القدم– في عشرينيات القرن الماضي.

كان لكل ناد المقهى الخاص به، الذي يجتمع فيه اللاعبون والمشجعون والمدراء والكتاب، فمثلاً يلتقي مشجعو نادي فيينا النمساوي في مقهى

بارسيفال، بينما يجتمع مشجعو نادي رابيد في مقهى هولب Holub. غير أن المقر الرئيس لعالم كرة القدم خلال فترة ما بين الحربين كان مقهى «رنج». وكان ذلك المقهى مقر مشجعي الكروكيت من الإنجلوفيل Anglophile، وبحلول عام 1930 أصبح مركزاً لجمهور أعرض من محبي كرة القدم. وتبعاً لما كتب في صحيفة «فيلت أم مونتاج». Welt am Montag بعد الحرب، أصبح ذلك المقهى «برلماناً ثورياً لمحبي كرة القدم والمتعصبين لها؛ لم يسد الاهتمام بشأن نادٍ معين لأن مشجعي جميع نوادي فيينا كانوا حاضرين».

ويتضح أثر كرة القدم على الثقافة العامة من خلال سيرة جوزيف يوريديل Josef Uridil؛ مهاجم منطقة الوسط في فريق رابيد. جاء جوزيف من ضواحي فيينا من أحياء الطبقة العاملة، ليجسد بأدائه العنيف جذور فريقه البروليتارية. وكان أول بطل كرة قدم يتحدث عنه رواد المقهى. وفي عام 1922 أصبح موضوعاً لأغنية كتبها فنان الملهى الشهير هيرمان ليوبولدي Hermann leopoldi ونجحت الأغنية فزادت شهرته بين غير المهتمين بكرة القدم أيضاً. وبدأ جوزيف الظهور في إعلانات لمجموعة متنوعة من المنتجات تنوعت بين الصابون وعصير الفواكه. وبحلول فبراير 1924، ظهر جوزيف كمنظم حفلات في إحدى قاعات الموسيقى وفي الوقت نفسه ظهر في فيلم مثل فيه شخصيته الحقيقية وعرضته دور السينما.

ومن هذه البيئة انطلق «فريق العجِ» الذي لعب له هوجو مايسل. صعد هذا الفريق في أواخر العشرينيات. وعلى الرغم من البداية الضعيفة، أخفقت النمسا في النسخة الافتتاحية من كأس دكتور جيرو Dr.Gero بفارق ضئيل. هذه الكأس كانت بطولة دوري استمرت ثلاثين شهراً، شاركت فيها تشيكوسلوفاكيا والمجر وإيطاليا وسويسرا. وبعد أن خسر «فريق العج» ثلاث مباريات من الأربع مباريات الافتتاحية التي لعبها، حقق فوزاً ساحقاً على المجر

5-1 وإيطاليا التي حصلت على البطولة في النهاية 3- صفر، ليصل إلى المركز الثاني بفارق نقطة واحدة. بيد أن مشجعي الفريق في مقهى رنج كانوا غير راضين على اختيار ماتياس سندلار Mathias Sindelar، وهو مهاجم موهوب ويتميز بالعقلانية إلى حد كبير، جاء من فريق فيينا النمساوي وهو نادٍ يرتبط بقوة بالبرجوازية اليهودية.

كان طرازاً جديداً من لاعبي هجوم الوسط، نحيفَ القامة بحيث لقب بـ «الرجل الورق». Der Papierene. وكان لديه شيء من العبقرية، مما دفع الكتاب إلى مقارنة موهبته بإبداع الكتابة لديهم: فلديه حس جيد بالتوقيت والتصوير الدرامي ويتميز أيضاً بالعفوية والبراعة المتقنة. كتب فرايدريش توربرج Friedrich Torberg- أحد رواد كتاب المقهى- في مجموعته الصادرة عام 1978 عن سندلار: «كان يتمتع بثروة لا تصدق من التنوع والأفكار بحيث لا يستطيع المرء التنبؤ بطريقة لعبه. ولم يكن يلعب بنظام معين أو أسلوب محدد. كل ما كان يملكه... هو العبقرية».

ورغم ذلك، شعر هوجو مايسل بالشك، فهو الذي أشرك اللاعب سندلار في أولى مبارياته الدولية وعمره ثلاث وعشرون سنة في 1926، لكنه ظل محافظاً ومقاوماً للتغيير رغم كونه في طليعة أصحاب الفكر الجديد لكرة القدم. أي شيء فعله من الناحية التكتيكية يرجع إلى نوستالجيا وحنين نحو طريقة السياح المغامرين رينجرز «Ranger». عام 1905: فقد أصر على نمط التمرير، متجاهلاً ظهور الظهير الثالث، وتمسك بنظرية أن مهاجم الوسط يجب أن يكون رمزاً حقيقياً مثل يوريدل.

وينتمي كل من يوريدل وسندلار إلى عائلات المهاجرين بمورافيا، ونشأ كلاهما بالضواحي حتى أصبحا من المشاهير) جسد سندلار كذلك شخصيته في فيلم وأضاف إلى دخله من لعب كرة القدم دخلاً من الإعلان عن ساعات

اليد ومنتجات الألبان)، ومع ذلك فإن الأشياء المشتركة بينهما كانت قليلة. فكما أوضح توربرج Torberg: «يمكن مقارنتهما فقط فيما يتعلق بشعبيتهما؛ أما فيما يتعلق بالتكنيك، والابتكار، والمهارة، أو ما يمكن اختصاره في الثقافة، فقد كان الاختلاف بينهما شديداً».

وأخيراً في سنة 1931، استسلم مايسل للضغط وضم سندلار لاعباً أساسياً في الفريق. وكانت النتائج مذهلة، ففي 16 مايو عام 1931، سحقت النمسا أسكوتلاندا بخمسة أهداف مقابل لا شيء. وبعد مرور عامين ونصف على هزيمة إنجلترا 5– 1 أمام ويمبلي ويزاردز، منيت أسكتلندا بهزيمة ساحقة في مباراة فاقت حماساً كل ما قبلها. فقد لعب الفريق الأسكتلندي حقاً دون لاعبي أندية رينجرز أو سيلتك، كما لعب في المباراة سبعة لاعبين شاركوا في البطولة للمرة الأولى، كذلك خرج اللاعب دانيال ليدل من بدايات المباراة بداعي الإصابة، في حين كانت مشاركة كولن مكناب شكلية وغير مؤثرة، ولاسيما بعد تعرضه لضربة على الرأس قرب نهاية الشوط الأول، بيد أن صحيفة الديلي ريكورد علقت بحماس على المباراة بأنه أداء فائق. وأشارت أنه «لا مكان للأعذار». وما حال دون المزيد من الإهانة والإذلال كان الأداء البطولي لحارس المرمى جون جاكسون.

ونظراً لهزيمة إنجلترا على يد فرنسا 5–2 في باريس قبل يومين، بدا ذلك الأسبوع كما لو كان نقطة تحول، حيث لم يعد بالإمكان من تلك اللحظة انكار حماس العالم لمتابعة كرة القدم البريطانية (ولم يمنع هذا محاولات الصحف البريطانية ومسؤولي كرة القدم). عبرت صحيفة «أربيتير زيتونج» Arbeiter Zeitung عن تلك الحالة بشكل رائع، إذ كتبت: «إذا كانت متابعة سقوط الفريق الأسكتلندي وما يمثله لنا من مثل أعلى، أمراً حزيناً، فقد أسعدتنا بالأمس مشاهدة الانتصار النابع من المهارة الحقيقية. شاهدنا أحد عشر لاعب كرة قدم

محترفاً، وبالطبع هناك جوانب أكثر أهمية في الحياة، إلا أن ذلك كان بمثابة تقدير للحس الجمالي، والخيال، والعاطفة التي تشتهر بها فيينا».

أما بالنسبة إلى فريق المعجزات، فكانت تلك مجرد بداية. لعب الفريق وفقاً للطريقة التقليدية 2–3–5 حيث كان جوزيف سميستيك Josef Smistick مهاجم خط الوسط، بيد أن مهاجم الوسط لعب بطريقة غير تقليدية ساعدت على انسيابية الأداء، حتى أطلق على أسلوب اللعب ذلك «الدوامة الدانوبية» Danubian whirl. كما لعبت النمسا إحدى عشرة مباراة، فازت في تسع وتعادلت في اثنتين، وأحرزت أربعة وأربعين هدفاً وفازت في الدور الثاني من كأس «دكتور جيرو» Dr. Gero وملأ الحماس جميع المقاهي: وساد الأسلوب الخاص بها، ويرجع الفضل في ذلك إلى سندلار، فقد رأى الناس من وجهة نظرهم الرومانسية، أن المقاهي تجعل من ذلك اللعب حقيقة ملموسة. كتب الناقد المسرحي ألفريد بولجار ناعياً في صحيفة باريسر تاجس تسايتنج Pariser tageszeitung، مقالاً تميز بجمع الخطوط العريضة معاً، وذكر فيه: «كان يلعب كرة القدم كما يلعب المحنك الشطرنج: كان يتميز بالتصور العقلي الواسع، والحذر في حساب تحركاته، وتوقع تحركات منافسه، وكان دائماً يختار أفضل الاحتمالات».

وسبق أن استخدم هذا التشبيه، الخاص بلعب الشطرنج، كل من جاليانو لوصف لاعبي أوروغواي أواخر العشرينيات ولاحقاً أناتولي زيلينتسوف Anatoly Zelentov لوصف لاعب فاليرى لوبانوفكسي دينامو كييف. كان تأثير هوجان وولعه بالسيطرة الفورية على الكرة واضحاً، فلقد أضاف بولجار: كان صائداً للكرة منقطع النظير، وكان محنكاً في الهجوم المضاد المفاجئ، لم تنفد جعبته من الخدع التكتيكية، التي تتبعها خطوة هجومية مهدت لها خدعته، فيخدع خصومه بمكره ومهارته.

واللافت للنظر أنه سبق عالم أحياء مدرسة النشوء والارتقاء، ستيفن جاي جولد Stephen Jay Gould في فكرة «عالمية التفوق». كتب جولد: «لا أستطيع إنكار الفروق في الشكل والجوهر بين الأداء الرياضي والأداء الأكاديمي التقليدي. لكننا نخطئ بالتأكيد حين نعد الرياضة مجالاً حدسياً فظاً... فالرياضيون العظماء لا يحققون النجاح بفضل مواهبهم الجسدية فقط...إن إحدى الخصائص المحيرة لأداء الرياضيين، التي لا يمكن إنكارها، تكمن في استحالة تنظيم مهارات محورية محددة من خلال المشاورات العقلية العلنية: فالتصرف المطلوب لا يسمح بالوقت الكافي لمعالجة سلسلة من القرارات الواعية». ويقول بولغار عن سندلار «إن لديه عقلاً في (ساقيه)، إذ تحدث لهما أشياء استثنائية وغير متوقعة في أثناء الجري. فتسديد سندلار للكرة لتصيب الشبكة كان أشبه باللكمة، وتلك النهاية أتاحت فهم حبكة القصة كاملة وتقديرها».

وفي ديسمبر 1932، جاء الاختبار الأعظم لفريق المعجزات: مواجهة إنجلترا. لم يكن الفريق الإنجليزي الخصم الأقوى في العالم، غير أنه كسب احترام العالم لما له من تأثيرعلى تطور لعبة كرة القدم، كما أنه لم يهزم قط على أرضه أمام أي من الفرق الأجنبية. أظهرت إسبانيا ضعف إنجلترا حين فازت عليها في مدريد عام 1929، ولكن كان الثأر بعد عامين حين هزمت إسبانيا 7–1 في هايبري. شعر الكثيرون في النمسا بالتفاؤل وغذى شعورهم هذا انتصار النمسا على أسكتلندا، إلا أن مايسل الذي يميل دائما للتشاؤم، أعرب عن قلقه ولجأ إلى صديقه ومعلمه القديم جيمي هوجان.

وبعد التحرر من وهم إنجلترا، انتقل هوجان إلى سويسرا عام 1921، وقضى هناك ثلاثة أعوام مع فريق «يانج بوي». في برن ثم في لوزان، قبل عودته الى بودابست مع فريق «إم تي كي» البلغاري. ثم انتقل إلى ألمانيا، وعمل كمستشار

لاتحاد كرة القدم، ومدرب لـفريق «دريدن أس سي» Doresden SC، وكان أحد تلامذته اللاعب هيلميت شون، الذي كان مساعداً لـ «سيب هيربرجر» Sepp Herberger عندما فازت ألمانيا الغربية بكأس العالم 1945، وقادهم للنصر بنفسه عام 1974، وبشكل عام أحدث تحولاً في النمط التقني لكرة القدم لفت أنظار أوروبا لكرة القدم الإنجليزية.

في بداية الأمر استقبل هوجان بشيء من الريبة والشك وشكا العديد من المدربين المحليين من عدم إجادته اللغة الألمانية. وطلب اتحاد الكرة الألماني من هوجان أن يثبت إجادته بإلقاء محاضرة باللغة الألمانية دون مترجم. بدأت المحاضرة بشكل سيئ حين قدم هوجان نفسه– دون قصد– «كأستاذ لغات وليس معلماً لكرة القدم» وازداد الأمر سوءاً. وفي محاولة منه لتأكيد أهمية العقل في كرة القدم، أذهل مستمعيه حين قال «إنها ليست مجرد لعبة للجسم وإنما للجنة أيضاً». وحين قوبل بالضحك والسخرية، طلب هوجان استراحة عشر دقائق وترك المنصة. ثم عاد هوجان إلى المسرح مرتدياً زي فريق بولتون واندردز. وقام بخلع حذائه وجواربه، قائلاً للجمهور: «ثلاثة أرباع اللاعبين الألمان لا يستطيعون ركل الكرة بشكل صحيح»، وسدد ركلة بقدمه اليمني وهو حافي القدمين أصابت لوحاً خشبياً على بعد خمس عشرة ياردة. وعندما ارتدت الكرة إليه مرة أخرى أوضح قيمة ساقه الأخرى وركل الكرة مرة ثانية ولكن بقدمه اليسرى، فانقسم اللوح الخشبي هذه المرة إلى نصفين. وبعد أن أثبت هوجان وجهة نظره، ألقى مجموعة من المحاضرات في شهر واحد أمام خمسة آلاف لاعب كرة قدم في منطقة دريسدن. وعندما توفي هوجان سنة 1974، أرسل هانز سكرتير الاتحاد الفيدرالي الألماني لكرة القدم آنذاك خطاباً إلى فرانك نجل هوجان، ذكر فيه أن هوجان هو مؤسس «كرة القدم الحديثة» في ألمانيا.

شعر هوجان بعدم الارتياح إزاء الموقف السياسي مما دفعه إلى ترك ألمانيا إلى باريس، وأخفى مدخراته في ملابسه لتجنب القيود المفروضة على تصدير العملة ولكنه كافح للحفاظ على الانضباط وسط فريقه المرصع بالنجوم الكروية، وعاد مجدداً إلى لوزان. وهناك لم يكن على وفاق مع رئيس مجلس الإدارة الذي رأى ضرورة تغريم اللاعب إذا أضاع فرصة للتهديف. لذلك عندما دعاه مايسل، كان يتوق إلى قبول التحدي.

والحق يقال، فقد كانت النمسا في حاجة إلى هوجان، أو أي دعم خارجي يؤكد مواهب لاعبيها. وقبل أسبوعين من إقامة المباراة في لندن، كان سندلار يمر بوعكة صحية، حالت دون أدائه المعتاد، جاهدت النمسا لتحقق الفوز على فينا 2–1، فكانت حرباً للأعصاب، بالإضافة إلى بعض المخاوف حيال اللياقة البدنية لأدولف فوجال وفردريك جشفيدل Freidrich Gschweidl. ومع ذلك، كانت جماهير النمسا متشوقة. تجمهرت الحشود في هيلدينبلاتز Heldenplatz للاستماع إلى التعليق على المباراة الذي يبث عبر ثلاثة مكبرات صوت، في حين أجلت اللجنة المالية البرلمانية جلستها للاستماع إلى المباراة.

لم تكن بداية فريق المعجزات قوية. وخلال ست وعشرين دقيقة أحرزت إنجلترا هدفين، سددهما مهاجم نادي بلاكبوول جيمي هامبسون. وأخرجت النمسا ظهيراً في الدقيقة السادسة من الشوط الثاني، ووضعت سندلار وأنتون شال معاً للضغط على كارل زيشيك. سدد والتر ناوش هدفاً رغم الضغط، ولكن عندما تجمع لاعبو إنجلترا سدد إيريك هوتون Eric Houghton ضربة حرة غير مباشرة هربت من شال، مارة برودي هايدن حتى استقرت في شباك النمسا. وبسيطرة بارعة، أحرز سندلار هدفاً بهدوء» لتصبح نتيجة المباراة 3–2، ولكن بمجرد إحراز الهدف بذل سام كروكس Sam Crooks مجهوداً وضع المباراة تحت سيطرة إنجلترا. بعد أن أربك الفريق النمساوي إنجلترا بعادة

إسقاط الكرة إلى الوراء في وقت عدم استحواذ إنجلترا على الكرة، استمرت النمسا في سيطرتها عن طريق الحركات التمريرية المتشابكة. غير أن عدم تعودهم على الضغط المتواصل كلفهم الكثير. وجاءت رمية زيشيك الركنية في الدقائق الخمس الأخيرة، ولكن بعد فوات الأوان. خسرت النمسا أمام إنجلترا 4- 3 إلا أن أداءهم لفت الأنظار لهم رغم الخسارة. كتبت صحيفة الديلي ميل عن أداء الفريق النمساوي أنه «اختراع»، ومنحته صحيفة التايمز «فوزاً معنوياً»، وسطرت عنه ملاحم في «مهارات التمرير».

وبعد عامين، لعب فريق النمسا الوطني أمام الأرسنال الإنجليزي في هايبري، على الرغم من تقديمهم على أنهم فريق فيينا السادس، بيد أن المباريات بين النوادي والفرق الوطنية كانت تحت إشراف الفيفا في ذلك الوقت. خسرت النمسا 4–2 مما دفع رولاند آلن إلى أن يكتب في صحيفة إيفننج ستاندرد: «يبدو أمراً جيداً: حين يتعلم النمساويون استغلال ذكائهم في شيء له قيمة، عندما يتمكنون من الفوز بالمباريات بجدارة مثلما روضوا كرة القدم، سوف يجبرون الجميع على متابعتهم والتعلم منهم». على الرغم من أن ذلك كتب على الحائط، لم يهتم أحد بقراءتها في إنجلترا.

واعتبرت المباراتان تأكيداً على النظرية الشائعة أن الفرق الأوروبية تفتقر إلى الهدافين بين خط الهجوم الثلاثي. تنطبق هذه النظرية على فريق النمسا إلى حد كبير، لكن المسألة الأهم تم التغاضي عنها: مسألة الاحتفاظ بالكرة، وهو الأمر الذي أخفق مايسل ومثاليته في التعامل معه. وقال مايسل: «بالنسبة إلينا نحن اللاعبين في وسط أوروبا، فيبدو الأسلوب الهجومي البريطاني مفتقراً إلى الجماليات. هذا الأسلوب يعتمد على إسناد دور التهديف إلى مهاجمي الوسط والجناحين (الونجين)، بينما تكون مهمة الدفاع الربط بين المهاجمين والمدافعين، فلاعب الدفاع يكون ظهيراً أكثر منه مدافعاً... بالنسبة إلينا في

أوروبا، يعد مهاجم الوسط اللاعب الرئيسي، نظراً لتفوقه الفني وذكائه التكتيكي، أما في إنجلترا فيقتصر دوره على استغلال أخطاء دفاع الخصم».

بيد أنه أثنى على سرعة أداء الفريق البريطاني، قائلاً إنه أصاب لاعبيه بالـ «حيرة والارتباك»: «على الرغم من أن تمريراتهم العالية والسريعة تفتقر إلى الدقة، إلا أن لاعبي إنجلترا يعوضون هذا بقدراتهم النادرة وهجماتهم السريعة». ووضعت الخطوط المألوفة للمعركة، الفريق الإنجليزي: يتميز لاعبوه بالقوة، والسرعة، والعنف. أما الفريق الوطني: فيتميز بالمهارة والصبر، في حين يفتقر إلى الحماس.

وأخيراً حققت النمسا في فيينا، في مايو 1936، الفوز الذي طالما انتظره مايسل على إنجلترا. حين قدم مايسل فريقه إلى هوجان ساورت الشكوك الرجل الإنجليزي حيال قوة احتمال مهاجمي الوسط، وكان رد مايسل أنه يتوقع أن تبدأ المباراة بسيطرة حاسمة خلال العشرين دقيقة الأولى لتكون بقية المباراة من مهمة الدفاع. وكان مايسل محقاً، فقد سحب سندلار جون باركر John Barker لاعب الوسط من مكانه أكثر من مرة- بنفس الأسلوب الذي اتبعه هاري جونستون في مباراته أمام الفريق المجري ناندو هيدجوكوتي قبل سبعة عشر عاماً- وسرعان ما سدد هدفين في الشباك الإنجليزية. سحب جورج كامسيل أحد الظهيرين في وقت مبكر من الشوط الثاني، ورغم ضغط مايسل المستمر على منطقة خط التماس، ظل تفوق النمسا واضحاً. اعترف جاك كرايستون: «لم نعد نعي الاتجاهات التي نتحرك فيها، وكان الجو شديد الحرارة». لم يتمكن الفريق البريطاني من تحقيق أي فوز على الإطلاق مع شدة الحرارة حين تنعدم القدرة على التركيز والسيطرة والاستحواذ.

وبمرور الوقت، بدأ فريق المعجزات يفقد تفوقه، وتنحَّت كرة القدم النمساوية عن عرش أوروبا الذي اعتلته إيطاليا. وفيما يخص تشكيل اللعب،

ظلت الفرق الإيطالية تلعب بأسلوب يوازن بين التشكيلة الإنجليزية «دبليو إم» والطريقة النمساوية 2–3–5، وتميز الإيطاليون عن غيرهم بروح الجماعة. وكتب الكاتب الرياضي جلانفيل: «كرة القدم الإيطالية أقل تميزاً مقارنة ببقية الفرق الأوروبية، غير أنها تتميز بقوة الأداء، والتكوين البدني للاعبين». كان طبيعياً أن يسود الإيمان بأولوية الرياضة تحت نير الفاشية، إلا أنه تماشى مع اتجاهات المدرب الإيطالي فيتوريو بوزو Vittorio Pozzo؛ ذلك الطامح صاحب الشعر المجعد، الذي أصبح العقل المدبر لكرة القدم الإيطالية في فترة ما بين الحربين.

ولد بوزو بالقرب من مدينة تورينو سنة 1886. كان عداء واعداً: وفاز في سباق 400 متر في ألعاب الطلاب في بيدمونت، واتجه إلى كرة القدم بعد أن سخر منه أحد أصدقائه جيوفاني جوشيوني Giovanni Goccione؛ لاعب وسط اليوفنتوس بأنه «يجري مثل سيارة بمحرك»، واقترح عليه أن يجري «وراء الكرة». ولم يكن بوزو لاعباً بارعاً، فاتجه إلى الدراسة الأكاديمية إذ التحق بالمدرسة الدولية للتجارة في زيورخ، وهناك تعلم الإنجليزية والفرنسية والألمانية وسافر إلى لندن. ولم يشعر بوزو بالراحة وسط مجتمع الوافدين في العاصمة، فانتقل إلى برادفورد في الشمال، حيث استطاع والده باتصالاته أن يؤمن له وظيفة في صناعة الصوف. وفجأة استحوذت عليه إنجلترا وسيطرت كرة القدم على تفكيره. وكان بوزو عازماً أن يفهم وطنه الجديد، فبدأ يحضر قداسات الكنائس الإنجليكانية على الرغم من أنه كاثوليكي. وسرعان ما اندمج مع الروتين الإنجليزي الأسبوعي: يذهب يوم الأحد إلى الكنيسة، ويعمل أيام الأسبوع الخمسة، ويلعب كرة قدم يوم السبت. طلب منه والداه العودة إلى إيطاليا لمساعدة شقيقه في شركة الهندسة، إلا أنه رفض. فما كان من والده أن منع عنه نفقات المعيشة التي اعتاد إرسالها إليه، غير أنه بقي في إنجلترا، وبدأ

يجني دخلاً جديداً من تدريس اللغات.

أصبح فريق مانشستر يونايتد هو الفريق المفضل لبوزو، وذلك يرجع إلى النمط الرائع لخط النصف الخلفي الذي يمثله ديك داكوورث Dick Duckworth وتشارلي روبرتس Charlie Roberts وأليك بيل Alec Bell. واعتاد بوزو الانتظار بالقرب من مكان خروج اللاعبين بعد المباريات في أولد ترافورد، وفي إحدى المرات استجمع شجاعته واقترب من روبرتس وعبر عن إعجابه به وسعادته في حال منحه الفرصة للتحدث معه عن المباراة. وكانت هذه بداية صداقة طويلة، تبلور من خلالها أسلوب بوزو في اللعب الذي جعله في صفوف الفريق الإيطالي طوال عشرين عاما. وكان بوزو يمقت دور الظهير الثالث في اللعبة وطالب أن يسمح للاعب الوسط، مثل روبرتس، بإرسال تمريرات طويلة إلى الجناحين. كان ذلك اعتقاداً راسخاً لديه، أدى- على سبيل المثال- إلى قراره بعد إعادة تعيينه مدرباً فنياً عام 1924، بالاستغناء الفوري عن اللاعب فولفيو بيرناديني Fulvio Bernadini معبود الجماهير الإيطالية، وذلك لأنه مجرد لاعب يقوم بالتمرير بدلاً من الركل والتسديد.

وأخيراً، رجع بوزو إلى إيطاليا لحضور حفل زفاف شقيقته. فور انتهاء الحفل قامت عائلة بوزو بمنعه من العودة إلى إنجلترا. وسرعان ما حصل على وظيفة سكرتير لاتحاد كرة القدم الإيطالي، وأوكلت إليه مهمة اشتراك الفريق الوطني في دورة الألعاب الأوليمبية عام 1912 في السويد، وهكذا أصبح مديراً فنياً للمرة الأولى. بعد خسارة الفريق الإيطالي بفارق بسيط أمام فنلندا، والفوز على السويد، هزمتها النمسا هزيمة ساحقة 5-1. وعلى الرغم من أن الهزيمة كانت متوقعة، فإنها جاءت مخيبة للآمال، لكن أهميتها تمثلت في الجمع بين بوزو ومايسل للمرة الأولى. ونشأت بينهما صداقة، لم تحل دون تنافسهما طوال حياتهما.

استقال بوزو بعد هزيمة فريقه أمام النمسا 3–1، وذلك في ديسمبر التالي، ثم عاد إلى رحلاته. خدم في فوج جبال الألب أثناء الحرب العالمية الأولى برتبة رائد، وعين مديراً فنياً مرة أخرى بعد هزيمة الفريق الإيطالي أمام النمسا 4– صفر قبيل أوليمبياد عام 1924 بوقت قصير. وفي باريس كان أداء الفريق مبشراً بفوزه على أسبانيا ولوكسمبورج قبل هزيمته أمام سويسرا بفارق بسيط، ولكن توفيت زوجة بوزو بعد ذلك بفترة قصيرة، فاستقال مرة أخرى. ثم شغل منصب مدير شركة بيريللي للسيارات لمدة خمس سنوات، وكان يقضي وقت فراغه في نزهات بين الجبال بصحبة كلبه. ثم استدعاه الاتحاد الإيطالي مرة أخرى عام 1929 ليعمل به لمدة عشرين عاماً، جعل من إيطاليا خلالها الفريق الأفضل لا على الصعيد الأوروبي فقط، وإنما على الصعيد العالمي ربما.

عندما تولى بوزو عمله للمرة الأولى، وجد دورياً مزدحماً يضم ستة وأربعين نادياً، انفصل العديد منها عن الاتحاد عندما حاول تشكيل فريق أول أكثر تنظيماً. حين تولى ذلك المنصب للمرة الثالثة، وجد دورياً للمحترفين وحكومة فاشية، أدركت فائدة الرياضة كوسيلة للدعاية، فأخذت تستثمر في إنشاء الملاعب وتجهيز البنية التحتية. فكما صاغها لوندو فيريتي، الملحق الصحفي لموسوليني في صحيفة لو سبورت فاشيستا Lo Sport Fascista بعد فوز إيطاليا بكأس العالم 1938: «سواء داخل الحدود أو خارجها، في الرياضة أو سواها، سوف نظل نحن الإيطاليين ننتشي فرحاً عند رؤية الرياضيين المدربين على أعلى مستوى، وهم يلحقون الهزيمة بالكثير من المنافسين المتميزين، ويعد هذا رمزاً لمسيرة الإيطاليين العظيمة في ظل حكم موسوليني».

لم يتضح كثيراً مدى إيمان بوزو بالفكر الفاشي. فعلاقته بموسوليني جعلته منبوذاً في فترة الخمسينيات والستينيات، وكانت السبب في عدم إطلاق اسمه على استاد ديل ألبي الذي بُني خارج تورينو لتقام عليه مباريات كأس العالم

1990. بيد أن بعض الدلائل التي ظهرت في أواخر التسعينيات أظهرت أنه كان يتعاون مع حركات المقاومة ضد الفاشية، حيث كان ينقل الطعام إلى أنصار المقاومة المتمركزين حول بييلا ويساعد في تهريب أسرى الحرب من الحلفاء.

والمؤكد أنه حقق أقصى استغلال للنزعة العسكرية السائدة ليهيمن على فريقه ويحفزه. قال بوزو: «لا يصل فريق يقدم التنازلات إلى مصاف الفرق العظيمة أبداً». كان مديراً ذكياً، يتبع أسلوباً أبوياً حازماً في التعامل مع اللاعبين، كان هو السبب في كسبه حب مشجعي ناديه. فمثلاً كان يقوم بالتحكيم في جميع مباريات التدريب، وحين يشعر برفض لاعب تمرير الكرة لزميله لضغينة ما، كان يطرده. وإذا لاحظ عدم توافق لاعبين مع بعضهما، كان يجبرهما على الإقامة في الغرفة ذاتها. إلا أن انتماءاته القومية كانت الأكثر إثارة للجدل. ولنأخذ مثالاً واحداً، ففي طريقه إلى بودابست للقاء ودّي أمام المجر، فازت فيه إيطاليا 5– صفر، أخذ لاعبيه لزيارة أرض معركة الحرب العالمية الأولى في أوسلافيا وجورجيا، وتوقف كذلك لزيارة المقابر التذكارية في ريديوبيجليا Redupiglia. كتب بوزو في سيرته الذاتية: «أخبرتهم أن إحساسهم بالرهبة من رؤية هذا المشهد الحزين والرهيب أمر جيد: وما هو مطلوب منا في هذه المناسبة شيء لا يقارن بما فعله هؤلاء الذين فقدوا أرواحهم فوق هذه التلال». وفي أحيان أخرى، كان يسير بين اللاعبين وهو يغني «Il Piove».

ورغم ذلك، كان بوزو محباً لإنجلترا بقدر جعله يرجع إلى العصر الذهبي للعب المتقن، قلقاً بشأن الآثار الضارة لمكافآت الفوز التي سرعان ما أصبحت سمة من سمات البطولة الوطنية. قال بوزو: «إنه الفوز مهما كان الثمن، وهو الحقد المرير ضد الخصم، والانشغال بالنتائج حتى نهاية الدوري». وللسبب نفسه، كان يميل إلى التشكيل الكلاسيكي 2–3–5، لكنه يفتقر إلى لاعبي الوسط ممن لديهم الكفاءة الحركية والإبداع. لهذا وقع اختيار بوزو على لويزيتو

مونتي Luisito Monti الذي لعب ضمن فريق الأرجنتين في كأس العالم 1930. وقد انضم ذلك اللاعب إلى اليوفنتوس سنة 1931، وأصبح واحداً من اللاعبين من أبناء المهاجرين، أو لاعبي أمريكا الجنوبية الذين تأهلوا للعب مع البلد الذي اختاروه بفضل التراث الإيطالي. وقع مونتي العقد بعد أن بلغ الثلاثين من عمره، وكان زائد الوزن بطيء الحركة حتى شهر من التدريب الفردي. إلا أنه تميز باللياقة وعرف باسم «اللاعب العري» Doble Ancho لقدرته على تغطية الملعب. وربما تأثر بوزو بالتشكيل الذي ظهر في اليوفنتوس، واستخدم مونتي كلاعب وسط Centro mediano– لا يشبه تشارلي روبرتس أبداً في اللعب، ولم يكن كاللاعب هيربي روبرتس أيضاً، فكان مونتي يتراجع عند استحواذ الجانب الآخر على الكرة ليحدد مهاجم الوسط، ثم يتقدم ليصبح مهاجماً ونقطة ارتكاز عند استحواذ فريقه على الكرة. وعلى الرغم من أنه لم يكن الظهير الثالث، فقد كان أداؤه أفضل من لاعب الوسط التقليدي. وهكذا تراجع المهاجمان الداخليان لدعم الجناحين. ويقول جلانفيل إن إيطاليا لم تقدر اللعب بتشكيل «دبليو إم» حتى عام 1939 حين كتب برنارديني مقاله، بعد تعادل فريق بوزو أمام إنجلترا في ميلانو، وتم اللعب وقتها بالتشكيلة 2–3–2–3 (طريقة «دبليو دبليو»). وقد وصف الصحفي ماريو زابا في صحيفة لا جازيتا ديلا سبورت هذا التشكيل بأنه «طريقة لعب تمزج أفضل العناصر من الأساليب المتميزة كافة».

وكان الشكل أمراً مختلفاً عن الأسلوب، وكان بوزو عملياً رغم مخاوفه. لم يشك بوزو في كفاءة فريقه من الناحية التقنية، وهو ما أثبته اللاعبون بفوزهم 3– صفر على أسكتلندا عام 1931، وذلك قبل ضم مونتي إلى الفريق. ورد في تقرير نشرته صحيفة كوريير ديلا سيرا تصف فيه الفريق الذي خذله الحظ «اتسم اللاعبين بالسرعة، وكان استعدادهم البدني جيدا وكانت ركلاتهم واثقة

وكذلك ضربات الرأس، ولكنهم ظهروا في الملعب على أرض الواقع كأنهم مبتدئين». يعد هذا النقد لاذعاً أياً كان الفريق المقصود به، إلا أنه كان بمثابة سباب للاعبين تم إعدادهم على أعلى مستوى.

وقتها كان جيسيب مياتزا Giuseppe Meazza مهاجم الوسط العظيم والذي شارك في أولى مبارياته عام 1930، يشبه بمصارع الثيران، بينما ورد في أغنية شهيرة في ذلك الوقت «أنه يحرز الأهداف على إيقاع رقصة الفوكس تروت». إلا أن مشاعر الحماس تلك سرعان ما تلاشت. ظل مياتزا لاعباً يتميز بطرازه الخاص، ولم يكن أداء لاعبين مثل سيلفيو بيولا Silvio Piola ورايموندو أورسي Raimundo Orsi وجينو كولاوتشي Gino Colaussi محل شك، بيد أن القوة الجسدية والقدرة على الصمود أصبحت أموراً ضرورية. ورد في مقالة افتتاحية في صحيفة «لا ستادي». عام 1932: «أنه في السنة العاشرة من بداية عصر الفاشية، يتم إعداد الشباب للمعركة والقتال، بل وللعبة؛ فلا يمكن التغاضي عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها شعبنا مثل الشجاعة والحزم والفخر».

كذلك كان بوزو من أوائل الذين أيدوا أسلوب تعيين لاعب محدد للضغط على لاعب في الفريق الخصم، وكان ذلك بمثابة دليل أن كرة القدم لم تعد مجرد فريق يلعب دوره في المباراة، وإنما تدور حول كيفية منع الخصم من اللعب. على سبيل المثال، وفي مباراة ودية أمام أسبانيا أقيمت في بيلباو عام 1931، قام بتعيينريناتو سيساريني لمراقبة إجناسيو أجويريزابالا وكانت وجهة نظره «إذا نجحت في قطع الرأس التي يفكر بها الأحد عشر لاعباً، فسينهار الفريق بأكمله».

أثار هذا المخاوف بين الأصوليين، إلا أن التساؤلات حول أخلاقيات فريق بوزو بدأت تطرح نفسها مع حلول كأس العالم 1934. وبعد مرور عام على

تعادل الفريق الإيطالي 1–1 مع الفريق الإنجليزي– الذي كان ومازال مصراً على سياسة الانعزالية، كان الفريق الإيطالي، الذي يلعب على أرضه، سيظل ضمن الفرق المفضلة، وبخاصة مع تعاظم الإحساس بأن مجد فريق المعجزات قد ولى. وللمرة الأولى بدا تشاؤم مايسل مبرراً، حين شكا من غياب حارس مرماه هايدن Hiden، ومن إرهاق اللاعبين بسبب الجولات الخارجية مع النوادي التي يلعبون لها، ويبدو أنه تقبل النقد الإنجليزي، إذ ادعى أن فريقه يفتقر إلى القدرة على التهديف، وأنه لو كان استعان بمهاجم الوسط في نادي الأرسنال كليف باستن Arsenal's Cliff Bastin، لتمكن فريقه من الفوز.

لعبت إيطاليا تحت قيادة بوزو أمام النمسا تحت قيادة مايسل في الدور قبل النهائي. وفي هذه الفترة كان الدوري بدأ يفقد سمعته. ولم يكن فريق النمسا بلا خطأ. فقد حدث شجار في أثناء المباراة التي فازت فيها النمسا على المجر في الدور ربع النهائي، لكن المباراة التي تعادلت فيها إيطاليا مع أسبانيا 1–1 في الدور نفسه، كانت علامة فارقة في مسار انتشار العنف والشغب في مباريات كرة القدم. ورغم قدرات مونتي المميزة، فقد أظهر استعداده للانغماس في تلك الأعمال المشينة، وتعرض حارس المرمى الأسباني ديكاردو زامورا للضرب المبرح، إلى حد منعه من مواصلة اللعب في الإعادة بعد يوم من المباراة الأصلية. واختلفت المصادر حول عدد اللاعبين الأسبان الذين اضطرتهم إصاباتهم إلى الخروج من الملعب– فقال بعضهم: ثلاثة، وقال غيرهم أربعة لاعبين. لكن أياً كان العدد، فقد جاءت نهاية المباراة حزينة للفريق الإسباني بعد أن سدد مياتزا هدفاً بضربة رأس انتزع به الفوز لإيطاليا بهدف دون رد.

وكان التضارب المرتقب في أساليب اللعب بالدور قبل النهائي مدعاة للسخرية. فأخرج المدرب مونتي لاعبه سندلار في أثناء المباراة، وأخفقت النمسا في إحراز أي هدف في أول أربعين دقيقة من زمن المباراة. وتقدمت

إيطاليا بهدف وحيد. ودخل مياتزا المباراة بديلاً لهايدن. وظل بيتر بلاتزر Peter Platzer وإنريكي جياتا Enrique Guaita؛ أحد لاعبي أمريكا الجنوبية، يصوبان الكرة بقوة خارج خط الملعب. وكان دور فريق تشيكوسلوفاكيا، الذي هزم ألمانيا في المباراة الأخرى من الدور قبل النهائي، الدفاع عن شرف مدرسة بلاد الدانوب. واستطاع الفريق التشيكوسلوفاكي التهديد بإحراج نظيره الإيطالي، وتمكن أنطونين باك Antonin Puc من السيطرة على المباراة طوال ست وسبعين دقيقة. وأصاب فرانتيسك سفوبودا Frantisek Svoboda هدفاً، بينما أضاع جيري سوبوتكا Jiri Sobotka هدفاً آخر. إلا أنه في الثماني دقائق المتبقية أحرز اللاعب أورسي Orsi هدف التعادل لفريقه بكرة انحرفت بشدة مارة باللاعب فرانتيسك بلانيكا Frantisek Planicka. وبعد سبع دقائق من الوقت بدل الضائع، ركل مياتزا الكرة من الناحية اليمنى ليمررها اللاعب جياتا إلى أنجلو شيافيو Angelo Schiavio – الذي قال بعد ذلك إنه كان مدفوعاً «بقوة اليأس»، فسدد الهدف في مرمى جوزيف ستيروكي Josef Ctyroky وحصد الفوز. واستطاعت إيطاليا في ظل موسوليني أن تحقق النصر المنشود، إلا أن هذه الرغبة القوية في تحقيق النصر والأساليب التي اتبعها الفريق الإيطالي لبلوغ هذا الهدف أثارت نقداً لاذعاً من العالم. فقد قال الحكم البلجيكي جون لانجينوس: «اعتبرت أغلب دول العالم هذه البطولة «فضيحة رياضية»، فمقابل الرغبة في تحقيق الفوز، تلاشت جميع الاعتبارات الرياضية، وسيطرت الروح السلبية على كل المباريات».

وجاء لقاء إيطاليا وإنجلترا في نوفمبر– المعروف باسم «معركة هايبري»– ليؤكد هذا الانطباع. فقد جاء رد فعل الفريق الإيطالي سيئاً بعد إصابة مونتي بكسر في قدمه في الدقيقة الثانية من المباراة في أثناء صراعه مع تيد دريك Ted Drake على الكرة. وقال ستانلي ماثيوز Stanley Matthews: «في الخمس عشرة

مباراة إيطاليا والنمسا 1 – 0، نصف نهائي كأس العالم، سان سيرو (ميلان)، 3 يونيو 1934.

دقيقة الأولى، لم يدع الإيطاليون الكرة تلمس أرض الملعب. سيطرت عليهم حالة من الهوس، وكانوا يركلون أي شيء يتحرك أمامهم». ونجحت إنجلترا في استغلال أسلوب اللعب العشوائي وتقدمت على إيطاليا بثلاثة أهداف دون رد. لكن بوزو حاول تهدئة فريقه بين الشوطين، ولعب الفريق بشكل مثير حتى وصلت النتيجة 3—2 لصالح إنجلترا في الشوط الثاني.

ولا شك أن وراء الوجه العنيف والساخر للفريق الايطالي تظهر موهبة لا خلاف عليها. فقد حصلت إيطاليا على كأس العالم 1938 بفضل الفريق الذي ظن بوزو أنه من أفضل الفرق التي عمل معها. وكان التركيز هذه المرة على الصلابة الدفاعية. وقد كتب الصحفي زابا يقول: «السر الكبير وراء تميز الفريق الإيطالي قدرته على الهجوم بأقل عدد ممكن من اللاعبين، دون تشتيت لاعبي الخلف عن أداء دورهم الدفاعي. وفي ذلك الوقت كان فريق النمسا يلعب ضمن الفريق الألماني، بيد أن أداء الفريق الذي ضم لاعبي فريقي الدور قبل النهائي في البطولة السابقة جاء ضعيفاً، وخسر ذلك الفريق أمام نظيره السويسري بقيادة كارل رابان Karl Rappan في الدور الأول. وكذلك خرجت تشيكوسلوفاكيا بعد لقاء البرازيل في دور الثمانية، لكن المجر تأهلت للدور النهائي لتلعب المباراة النهائية أمام فريق بوزو. وجاء أداء الفريق الإيطالي سريعاً وقوياً، حيث حل ميشيل أندريولو، وهو لاعب آخر من أمريكا الجنوبية، محل مونتي في خط الوسط، ليحكم سيطرته على جيورجي ساروس Gyorgy Sarosi مهاجم الوسط المجري، بينما ظهر أسلوب مايسل في المباراة بطيئاً وتقليدياً. وتساءل الصحفي الفرنسي جين إسكيناتزي Jean Eskenazi: «ما الأسلوب الأفضل للعب الكرة: اللعب كمن يمارس الحب أو كمن يحاول اللحاق بالأتوبيس»؟

وكان أسلوب لعب فرق دول الدانوب سيختفي على أي حال مع وصول سندلار إلى نهاية مشواره وتقدم مايسل في العمر. وعجل الوضع السياسي

بهذه النهاية. فمع ضم النمسا إلى ألمانيا النازية جاءت نهاية طبقة المفكرين اليهود وسط أوروبا، ونهاية عصر المقاهي ووفاة سندلار. وفي نهايات الثلاثينيات تراجع دور مهاجم الوسط في الفريق الوطني، لكنه وافق على اختياره للعب المباراة التي أُطلق عليها اسم «لقاء المصالح». بين فريق أوستمارك (Ostmark XI) والفريق الألماني يوم 2 أبريل 1938.

ولم تكن كرة القدم في ألمانيا في نفس مستواها في النمسا، بل كانت في تحسن مستمر. كان أوتو نيرز Otto Nerz، أول مدرب وطني تم تعينه يوم 1 يوليو 1926، من أوائل المروجين لتشكيل اللعب بأسلوب «دبليو إم»، إلا أن طريقة لعب هوجان ظلت موجودة وتجلت في فريق شالكه 4 (Schalke 04) الذي وصل إلى النهائيات في تسع بطولات من إجمالي عشر تصفيات لنهائيات كأس العالم بين عامي 1933 و1942، وحصد ست بطولات. وكان مدرب هذا الفريق جوستاف ويزر Gustov Wieser نمساوي الأصل، وكان يدرب فريقه على طريقة لعب الدوامة ولمن على طريقته الخاصة التي عرفت بعد ذلك باسم Der Kreisel. ووفقاً لوجهة نظر المدافع هانز بورنيمان Hans Bonemann، فمن يتحكم في اتجاه الهجمة ليس اللاعب المستحوذ على الكرة، وإنما بقية اللاعبين المنتشرين في أنحاء الملعب. وقال بورنيمان: «كنا نصوب الكرة ناحية الشبكة عندما لا نجد أحداً لنمررها إليه». وربما يعجب هوجان بأسلوبهم غير أنه لا يؤمن بمبادئهم في اللعب.

وأزعجت هذه التجاوزات نيرز، الذي رفض ضم مدافعي فريق شالكه Schalke– إرنست كوزورو وفريتز سزبيان إلى المنتخب الوطني. (وضم سزبيان إلى فريق كأس العالم 1934 ولكن كلاعب وسط). وقال كوزورو إن نيرز قال له ذات مرة: «اسمح لي أن أسر لك بشيء. أسلوب لعبك في شالكه لا يعجبني أبداً. وإذا لعبت أنت وسزبيان معاً سيبدو أنكما تمرران الكرة بينكما

ولا وجود لأحد غيركما».

وشاركت ألمانيا في الدور قبل النهائي لكأس العالم الذي أقيم في إيطاليا سنة 1934، مما جعل الألمان يؤمنون بقدرتهم على حصد ميدالية ذهبية في الدورة الأوليمبية التي ستقام على أرضهم سنة 1936. لكن ألمانيا خسرت أمام النرويج وكانت المباراة الوحيدة التي حضرها هتلر- لحظ نيرز العاثر. ولم يحضر سيب هيربرجر المباراة، وكان مساعد نيرز والرجل الذي قاد ألمانيا الغربية إلى الفوز بكأس العالم 1954، حيث ذهب لمشاهدة مباراة أخرى في دور الأربعة بين إيطاليا واليابان. وكان يتناول العشاء عندما أخبره مدرب آخر بهزيمة ألمانيا. فضرب هربرجر الطبق بعيداً، وصام منذ ذلك الحين عن لحم الخنزير الذي كان يتناوله حينها. وخلف هربرجر نيرز بعد هذه البطولة، وسرعان ما غير أسلوب لعب مدرسة الدانوب، فضم أدولف أوربن وورودي جيليش من نادي شالكه واستعان بمهاجم نادي مانهايم الراقي وأوتو سيفلينج ليلعب كمهاجم في الوسط. وكانت النتيجة تشكيل فريق يتميز بمرونة عالية وصلت إلى ذروتها يوم 16 مايو 1937 في مباراة ودية مع الدانمارك في مدينة بريسلاو، وانتهت لصالح فريقه بثمانية أهداف دون رد. وكتب الصحفي جيرد كرامر: «مضى عهد أسلوب اللعب القوي الذي عرفه الناس عن الكرة في ألمانيا وبدأ عهد الفنيات».

غير أن الفريق الألماني لم يصل إلى مهارة نظيره النمساوي ولم يملك قدراته الفنية نفسها. وكان لفريق «أوستمارك» ostmark السيطرة على مباراة المصالحة. وظهر الكثير من التكهنات عن حقيقة ما حدث في المباراة. لكن الواضح أن سندلار أضاع العديد من الفرص في الشوط الأول. وبالنظر إلى ركلاته الواسعة خارج حدود الملعب، تساءلت التقارير هل كان سندلار يسخر من الألمان؟ وافترضت وجود أوامر بعدم إحراز أهداف والخسارة عن عمد؟

وفي منتصف الشوط الثاني، أحرز هدفاً من كرة مرتدة، وأحرز زميله شاستي سيستا هدفاً آخر من ضربة حرة. فرقص سندلار فرحاً أمام مقصورة مجلس الإدارة الذي ضم مسؤولين رفيعي المستوى من الحكومة النازية.

وفي الأشهر التالية، تكرر رفض سندلار، الذي لم تخفَ ميوله الديموقراطية الاشتراكية على أحد، اللعب مع فريق ألمانيا الاتحادية تحت قيادة هيربرجر. وفي أغسطس، اشترى سندلار مقهى من رجل يهودي اسمه ليوبولد دريل، كان قد أُجبر على التنازل عن المقهى في ظل التشريعات النازية الجديدة. ودفع سندلار مقابل المقهى عشرين ألف مارك ألماني، وهو ثمن قد يكون مناسباً من وجهة نظر بعضهم، وربما يدل على انتهازية واستغلال كما رأى بعضهم الآخر. لكن السلطات وجهت النقد لسندلار لتقاعسه عن وضع ملصقات تروج للنازية في المقهى. ورغم ذلك، فإن اتهام سندلار بالانشقاق- وهو ما فعله بعضهم- لا يخلو من الكثير من المبالغة.

في صباح 23 يناير 1939، كان صديقه جوستاف هارتمان يبحث عنه، فقام بتحطيم باب شقته في أناجاس ليجد سندلار جثة عارية إلى جانب صديقته كاميلا كاستينجولا التي تعرف عليها قبل عشرة أيام من حتفه. وكانت كاستيلا فاقدة الوعي عند العثور عليها، ولفظت أنفاسها الأخيرة في المستشفى بعدها بقليل. وثبت أن سبب وفاة الاثنين هو التسمم بأول أكسيد الكربون الناجم عن خلل في المدفأة.

هذا ما قالته الشرطة بعد الانتهاء من التحقيقات التي استمرت يومين. لكن المدعي العام لم يتوصل إلى قرار حتى مرور ستة أشهر على الوفاة، وعندها أمرت السلطات النازية بحفظ ملف القضية. وفي برنامج وثائقي بثته شبكة بي بي سي سنة 2003، ادعى إيغون ألبرتش، أحد أصدقاء سندلار، أن مسؤولاً محلياً تقاضى رشوة لتسجيل وفاته كحادث، ليضمن إقامة جنازة رسمية له، ولآخرين

غير ألبرتش تفسيراتهم بشأن هذه الوفاة. وفي 25 يناير، نشر مقال في صحيفة كرونن تسايتوننغ Kronen Zeitung النمساوية ادعى أن «جميع الشواهد تشير إلى أن ذلك الرجل العظيم وقع ضحية جريمة قتل عن طريق التسميم بالغاز». ولمح توربرج في «قصيدة في وفاة لاعب كرة». أن سندلار أقدم على الانتحار لشعوره بأنه أصبح «منبوذا». في ظل «النظام الجديد». وأثيرت لاحقاً تكهنات بأن سندلار وصديقته- أحدهما أو كلاهما- قد يكونان يهوديين. وقد لعب سندلار ضمن صفوف فريق فيينا النمساوي؛ نادي البرجوازية اليهودية، كما أنه ولد في مورافيا التي هاجر منها الكثير من اليهود متجهين إلى العاصمة، بيد أن عائلته كانت كاثوليكية. وقد نصدق أن كاستنيولا صديقة سندلار الإيطالية لها جذور يهودية، لكنها نجحت في إخفاء تلك الجذور، بدليل أنها أصبحت شريكة في حانة قبل أسبوع من وفاتها، وما يشاع أن ثمة شكوى جاءت من الجيران قبل الحادث بخصوص وجود خلل في إحدى المداخن.

وكانت الدلائل المتاحة ترجح أن وفاة سندلار كان حادثاً. لكن فكرة وفاة الأبطال بطريقة غير طبيعية ظلت تسيطر على الكثيرين. وبالنسبة إلى العقلية الليبرالية الرومانسية، لا يوجد ما يمثل النمسا في فترة اندماجها مع ألمانيا أفضل من هذا الرياضي الموهوب- معشوق مجتمع فيينا، الذي مات مسموماً بالغاز بجانب صديقته اليهودية. وكتب بولغار في نعيه لسندلار: «كان سندلار ابن هذه المدينة ومصدر فخرها. حتى لقي حتفه معها. وكان ارتباط سندلار بالمدينة شديداً، حتى أصبح حتفه مرتبطاً بموتها. وتشير الدلائل إلى موته منتحراً بدافع من ولائه لوطنه. فالعيش ولعب الكرة في مدينة مضطهدة ممزقة معذبة يعني خداع فيينا بشبحها المثير للاشمئزاز... لكن كيف يلعب المرء كرة قدم من هذا المنطلق؟ وكيف يعيش إذا كانت الحياة بلا كرة القدم لا تساوي شيئاً؟

ظلت الرومانسية تميز كرة القدم في زمن المقهى حتى النهاية.

الفصل الخامس

△▽△▽△▽△▽△▽

فوضى منظمة

وصلت النهضة الكروية متأخرة إلى الاتحاد السوفيتي، وربما كان هذا السبب قد جعلها تتخذ طابعاً جذرياً غير متقيد بالمفاهيم السائدة تاريخياً التي تتصل بما يُعرف بالطريقة «الصحيحة» لأداء لعبة كرة القدم، فكان البحارة البريطانيون يمارسون اللعبة بجوار المراسي في مدينة أوديسا Odessa في ستينيات القرن التاسع عشر، حتى إن إحدى مقالات مجلة «ذا هونتر» The Haunter تعطينا فكرة عن هذه الفترة حين تصف فوضى الأداء وقتئذ، واعتماده على الجانب البدني. كتب مراسل المجلة يقول: «هذه اللعبة يلعبها أناس مفتولو العضلات يتمتعون بقوة سيقانهم، أما الضعفاء فلا يصلحون إلا للمشاهدة في هذه الفوضى العارمة».

ولم يجد التنظيم طريقه إلى اللعبة إلا في تسعينيات القرن التاسع عشر. ففي روسيا وعدة أماكن أخرى كان للإنجليز دور حاسم بداية من سانت بطرسبرج ثم موسكو بعد ذلك، حيث أسس هاري تشارنوك Harry Charnock المدير العام لموروزوف ميلز Morozov Mills النادي الذي أصبح فيما بعد نادي دينامو موسكو، في محاولة منه لإقناع عماله بقضاء أيام الأحد في شيء آخر غير شرب الفودكا، وعندما كانت صناعة الأساطير السوفيتية على أشدها، قيل: إن نادي دينامو الرياضي الذي كان خاضعاً لوزارة الداخلية، وكان ينافس الفرق في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، اختار اللونين الأزرق والأبيض لملابس لاعبيه؛ لأنهما يمثلان الماء والهواء، وهما العنصران اللذان لا يمكن للإنسان الحياة دونهما.

وحقيقة الأمر أن تشارنوك كان من بلاكبيرن، فاختار لفريقه زياً له نفس ألوان زي الفريق الذي يشجعه، وهو فريق بلاكبيرن روفرز. وفي غرب الاتحاد السوفيتي، كان لدول وسط أوروبا بالطبع تأثير أكبر، فكانت مدينة لفيف Lviv لاتزال جزءاً من الإمبراطورية النمساوية المجرية عندما استضافت في عام 1894 أول مباراة كرة قدم على أرض تدخل حالياً ضمن الأراضي الأوكرانية، وكانت مباراة استعراضية قصيرة ضمن عرض رياضي قدمه نادي سوكول الرياضي Sokol Sports Club.

وبمرور الزمن، أُنشئت رابطة وطنية لكرة القدم عام 1936، وكان البريطانيون قد رحلوا منذ فترة طويلة (سيطرة الأجانب على الكرة السوفيتية انتهت سنة 1908 عندما فاز نادي سبورت Sport الروسي بكأس أسبيدن– وهي مسابقة محلية في سانت بطرسبرج) لكن طريقة اللعب 2–3–5 ظلت هي الطريقة الشائعة، ولم يؤد التعديل في قانون التسلل سنة 1925 إلى فارق كبير على المستوى الخططي. ففي ظل القيود التي فرضها عدم انضمام الاتحاد السوفيتي للفيفا على لقاءات الفرق السوفيتية مع المنافسين الأجانب– ولاسيما المباريات التي تلعب ضد فرق الهواة– لم يكن هناك ما يكشف عن مدى تخلف السوفيت عن الركب في لعبة كرة القدم.

لكن كل ذلك تغير في سنة 1937، وربما يكون تأسيس الرابطة الوطنية هو السبب الذي أدى إلى ظهور تحليل أكثر عمقاً للعبة، لكن شرارة التطور انطلقت مع وصول فريق من إقليم الباسك (الأسباني) في المرحلة الأولى من جولة عالمية تستهدف رفع الوعي بقضية إقليم الباسك في أثناء الحرب الأهلية الأسبانية.

وبسبب ندرة المباريات التي تلعب ضد فرق أجنبية، كان الناس يترقبون هذه المباريات بلهفة، وبخاصة في سنة 1937 أي بعد عام واحد من ظهور فيلم «الحارس» Vratar الكوميدي الغنائي الذي كتبه سيميون تيموشينكو Semyon

Timoshenko ولاقى نجاحاً كبيراً، ويروي قصة فتى من الطبقة العاملة، جسد دوره معبود الجماهير جريجوري بلوزنيك Grigori Pluzhnik، وقد قع عليه الاختيار ليلعب ضمن صفوف فريق محلي أمام فريق زائر بعد أن شوهد ينقذ بطيخة وقعت من عربة يد. وعلى نحو متوقع وغير منطقي انطلق البطل بعد سلسلة من التصديات الرائعة بطول الملعب ليحرز هدف الفوز في الثانية الأخيرة، وتؤكد أشهر أغنيات الفيلم وجود رمزية سياسية واضحة بالفيلم: «يا حارس استعد للنزال/ستقف حارساً في المرمى/تخيل أن الحدود خلفك».

لكن الفريق الزائر الحقيقي الذي ضم ستة لاعبين من تشكيلة منتخب أسبانيا وشارك في كأس العالم 1934 لم ينخدع بالدعاية السوفيتية، وسحق نادي لوكوموتيف 1/5 في المباراة الأولى عبر طريقة «دبليو إم». ثم انهزم فريق دينامو أمامهم 2/1، وبعد التعادل 2/2 مع فريق لينجراد السادس Leningrad XI عاد الباسكيون إلى موسكو ليهزموا المنتخب السادس Select XI لمجلس دينامو المركزي 4/7، وكانت آخر مبارياتهم في روسيا ضد فريق سبارتاك البطل المتوج محلياً، فاستدعى نيكولاي ستاروستين Nikolai Starostin رئيس الجهاز الفني لفريق سبارتاك– في تصميم منه على محو هذه الهزائم المخجلة– عدداً من لاعبي الفرق الأخرى، ومن بينهم فيكتور شيلوفسكي Viktor Shylovskyi وقسطنطين شيكوتسكي Konstantyn Shchehotskyi مهاجما فريق دينامو كييف اللذان تألقا في المباراة التي فاز فيها منتخب كييف السادس على ريد ستار أوليمبيك 1/6 في واحدة من المباريات النادرة مع لاعبين محترفين في إطار جولة قام بها الفريق في باريس عام 1935.

وقرر ستاروستين أن يلاعب الباسكيين بطريقتهم نفسها، محولاً لاعب الوسط المدافع إلى ظهير ثالث في محاولة لتقليل فاعلية اللاعب إيزودرو لانجرا Isodro Langara– رأس حربة الباسكيين. ووفقاً لما دونه ستاروستين في كتابه

«بدايات المستوى الأعلى من كرة القدم» Beginnings of Top-level Football، لم تلق هذه الخطوة قبولاً. وكان أشد المعارضين لها هو أخوه أندريه Andrei؛ لاعب الوسط المدافع، الذي سأل مدربه: «تريدني أن أصبح حديث الاتحاد السوفيتي بأكمله؟ أنت لم تترك لي مجالا للتنفس! من سيساعد خط الهجوم؟ أنت تدمر خطة اللعب التي تعودنا عليها منذ سنوات».

لكن هذه المرة لم تكن الأولى التي جرب فيها فريق سبارتاك اللعب بظهير ثالث، فقبل بضعة أعوام أجبرت الإصابات التي تعرض لها الفريق في جولة في النرويج– الجهاز الفني على إدخال تعديلات طفيفة على طريقة لعبهم المعتادة 2–3–5. يقول ألكسندر ستاروستين Alexander Starostin: «سبارتاك استخدم النسخة الدفاعية لطريقة «دبليو إم» من خلال تعزيز الظهيرين بإضافة ظهير ثالث، وعند الضرورة يتراجع ظهيرا الطرف إلى الخلف».

وانبهر فريق سبارتاك بالإمكانيات التي أتاحها هذا التشكيل الجديد، وواصل تجربة هذه التشكيلة لفترة قصيرة خلال استعداداته لموسم ربيع 1936. يقول نيكولاي ستاروستين: «تم استبعاد هذه الفكرة الشجاعة التي لم تحظ بالتأييد في البلاد بعد الهزيمة 2/5 أمام دينامو موسكو في مباراة ودية. وحالياً تجري المحاولة الثانية لتطبيقها في مباراة ودية أخرى، لكن هذه المرة في مواجهة دولية مهمة للغاية. إنها مغامرة كبيرة».

ولم يكن الاهتمام بالمباراة اهتماماً رياضياً فحسب، إذ أخذت السلطات المسؤولة المباراة بجدية شديدة حتى إن إيفان خاراشينكو Ivan Kharchenko رئيس لجنة الثقافة البدنية وألكسندر كوساريف Alexander Kosarev رئيس منظمة الكومسومول (منظمة الشباب الشيوعي الروسي) وكثير من أعضاء الحزب الآخرين كانوا خلال فترة الإعداد ينامون في مركز تدريب فريق سبارتاك بمدينة تاراسوفكا Tarasovka. وكتب نيكولاي ستاروستين عن ذلك

في مذكراته بعنوان «كرة القدم عبر العصور» Football Through the Years قائلا: «كان سبارتاك الأمل الأخير. وبدأ الناس يثيرون ضجة، وكانت تصلنا خطابات وتلغرافات ومكالمات هاتفية تسدي لنا النصائح وتتمنى لنا التوفيق، وتلقيت استدعاء من عدد من القادة من رتب مختلفة أوضحوا لي أن البلاد بأكملها في انتظار انتصارنا».

ولم تكن بداية اليوم مبشرة. فعلق فريق سبارتاك في زحام مروري تسبب في تأخير ضربة البداية. وتقدم سبارتاك مرتين في الشوط الأول وتعادل الباسكيون. لكن بعد إحراز شيلوفسكي لضربة جزاء مثيرة للجدل في الدقيقة السابعة والخمسين، تمكن الفريق من زيادة الفارق. وأكمل فلاديمير ستيبانوف Vladimir Stepanov ثلاثيته ليفوز فريقه 2/6. وأصر نيكولاي ستاروستين بعد المباراة على أن أداء أخيه في مركزه الجديد غير المعتاد كان «رائعاً». لكن الصحف وحارس المرمى أناتولي أكيموف Antoly Akimov كان لهم رأي آخر حين أشاروا إلى تفوق لانجرا عليه في ألعاب الهواء وتسجيله أحد أهداف فريق الباسك.

واتضح أن هذه الهزيمة كبوة عابرة؛ وواصل الباسكيون انتصاراتهم فهزموا دينامو كييف ودينامو تبليسي وفريقاً يمثل جورجيا، ما أدى إلى نشر مقالة ثائرة في صحيفة «البرافادا» تحت عنوان: «نريد لاعبين سوفيت لا يُقهرون». وذكرت الصحيفة ما بدا واضحاً حينها من أن «أداء لاعبي إقليم في الاتحاد السوفيتي أظهروا أن أفضل فرقنا بعيدة عن المستوى العالي، ولا يمكن قبول عيوب الكرة السوفيتية بأي حال؛ لأنه لا مثيل لشبابنا في البلدان الأخرى– شبابٌ يواليهم الحزب والحكومة بالرعاية والاهتمام والحب».

وسط هذه الضجة كان هناك بعض التعقل، فمضت المقالة تقول: «الواضح أن تحسين كفاءة الفرق السوفيتية يعتمد اعتماداً مباشراً على أداء مباريات ضد

منافسين جادين، حيث كانت المباريات التي لعبت مع الباسكيين مفيدة جداً للاعبينا (من جانب التمريرات الطويلة، واللعب على الجوانب، ولعب الكرة بالرأس)».

وبعدها بأربعة أيام أثبت الباسكيون وجهة نظر «البرافدا». فأكملوا رحلتهم في الاتحاد السوفيتي بانتصار على نادي مينسك السادس 1/6، لكن الدروس التي لقنها الباسكيون للسوفيت لم يطوها النسيان، واستغرق الأمر وقتاً حتى تمت الاستجابة إلى الأصوات المنادية بزيادة المشاركة في الرياضة العالمية، لكن الجميع أدركوا أن خطة دبليو إم تقدم عدداً من حيل المناورة.

وبدأت هذه الحيل تثير اهتمام بوريس أركاديف Boris Arkadiev على الرغم من أن بوريس كان مشهوراً ونجح تدريجياً في أن يجعل نفسه أول منظِّر سوفيتي كبير في كرة القدم، وعُد كتابه «تكتيكات كرة القدم» الصادر عام 1946 كتاباً مقدساً للمدربين في أنحاء أوروبا الشرقية.

وانتقل أركاديف الذي ولد في سانت بطرسبرج عام 1899 إلى موسكو بعد الثورة، حيث درس المبارزة في أكاديمية ميخائيل فرونز العسكرية إلى جانب مسيرته الحافلة في اللعبة، وكانت المبارزة– كما شرح هو لاحقاً– بتركيزها على الدفاع ثم الطعن الخاطف مصدر إلهامه حول قيمة الهجوم المضاد، وتولى أركاديف– بعد قيادته لنادي ميتالرج موسكو Metallurg Moscow أحد الأندية الصغيرة في العاصمة لتحقيق المركز الثالث في أولى مسابقات الدوري الممتاز في عام 1936– قيادة دينامو موسكو الذي كان الفائز بلقب أول دوري ممتاز، وهناك اشتهر بذكائه النادر، وكان السبب في هذه الشهرة ذهنه المتقد وخياله الخصب، ناهيك عن عادته في اصطحاب اللاعبين في جولات بالمعارض الفنية قبل المباريات الكبرى، وفي موسمه الأول أحرز الدوري والكأس، لكنه اضطر إلى إعادة النظر في تكتيكاته في ظل الثورة

التي أحدثتها دروس الباسكيين في الكُرة السوفيتية.

فكتب أركاديف يقول: «بعد جولة الباسكيين بدأت جميع الفرق السوفيتية الكبرى إعادة ترتيب أوراقها في إطار طريقة اللعب الجديدة، وتفوق طوربيدو Torpedo على خصومه في هذا الإطار، وحقق- بسبب تفوقه في التكتيك- أداء عظيماً في النصف الأول من الموسم في عام 1938، وبحلول عام 1939 كانت فرقنا كلها تلعب بطريقة اللعب الجديدة». وكان لذلك تأثير موجع على فريق دينامو، حين تراجع للمركز الخامس في عام 1938، ثم إلى المركز التاسع في ذيل الجدول في العام التالي، وفي ظل رغبة لافرينتي بيريا Lavrenty Beria - رئيس جهاز الاستخبارات الروسية الشهير وراعي الفريق- الشديدة في تحقيق النجاح، كان لا بد من اتخاذ إجراءات عنيفة.

وأي شخص آخر غير أركاديف كان يمكن أن يعود إلى خطط اللعب الأصلية، لكنه استمر في طريقه، فقد كان يؤمن بأن المفتاح لا يكمن في اللاعبين أنفسهم بقدر ما يكمن في طريقة تنظيمهم داخل الملعب، ولذلك قام بخطوة غير مسبوقة في معسكر تدريب قبل الموسم أقيم في منتجع جاجري Gagry المطل على البحر الأسود في فبراير 1940، حيث عقد جلسة استمرت لساعتين لا يعلم أي شيء آخر سوى التكتيك، ويقول: إن هدفه كان إيجاد شكل محسّن من أشكال خطة دبليو إم، ويوضح أركاديف ذلك فيقول: «مع وجود الظهير الثالث استخدم عدد كبير من فرقنا والفرق الأجنبية ما يسمى باللاعب الحر في الهجوم». ويضيف: «هذا البحث الخلاق لم يقطع شوطاً طويلاً، وإنما تحول إلى بداية لإعادة بناء (بريسترويكا) جذرية في تكتيكات كرة القدم الخاصة بنا، وللأمانة الشديدة بدأ بعض اللاعبين في التحرك بحرية في الملعب لأسباب لا تتعلق بالتكتيك، وأحياناً كان السبب في ذلك يرجع ببساطة إلى تمتع اللاعب بقدر كبير من القوة أو السرعة أو التحمل البدني وهو

ما يخرجه عن منطقة مهامه، وبمجرد خروجه من هذه المنطقة يبدأ في التجول بحرية في أنحاء الملعب. وبذلك يكون لديك أربعة لاعبين [من بين خمسة مهاجمين] يتخذون مواقع سليمة ويتحركون إلى الأمام وإلى الخلف في إطار المنطقة الخاصة بكل منهم، ثم تجد فجأة لاعباً واحداً يبدأ في قطع حركاتهم المعتادة عن طريق الجري قطرياً أو عرضياً من اليسار إلى اليمين، هذا الأمر صعّب على الفريق المدافع رقابة هذا اللاعب، ونفع المهاجمين الآخرين لأنهم وجدوا زميلاً متحرراً من الرقابة يمررون إليه».

وبدأ الموسم بداية سيئة بالتعادل في مباراتين أمام كريليا سوفيتوف موسكو Krylya Sovetov Moscow وتراكتور ستالينجراد Traktor Stalingrad وهزيمة أمام دينامو تبليسي Dinamo Tbilisi لكن أركاديف لم يتراجع أبدا، وفي اليوم الذي أعقب الهزيمة في تبليسي، جمع لاعبيه وأجلسهم على الأرض وطلب منهم أن يكتب كل منهم تقريراً عن أدائه وأداء زملائه في المباراة، ووضحت الرؤية وبدا أن اللاعبين أدركوا فجأة ما يرمي إليه أركاديف.

وفي الرابع من يونيو هزم دينامو فريق دينامو كييف بنتيجة 5/8 بعد أن لعب بأسلوب التمريرات القصيرة السريعة، وواصل دينامو انتصاراته، ففاز بلقاء العودة في أوكرانيا 7/صفر، ثم سحق في أغسطس بطل الدوري سبارتاك بنتيجة 1/5، وانتهت آخر سبع مباريات لهم في الموسم بسبعة انتصارات سجلوا خلالها اثني عشر هدفاً، واستقبلت شباكهم ثلاثة فقط.

ويقول أركاديف عن ذلك: «تمكن لاعبونا من الخروج من الإطار التقليدي لطريقة دبليو إم، ليضفوا الطابع الروسي على الطريقة التي ابتكرها الإنجليز، ويعززوا من تجاهلنا للأفكار الجامدة، فقد أربكنا الخصم ونزعنا منه أسلحته الدفاعية بتحركاتنا المفاجئة، وسجل جناحنا الأيسر سيرجي إيلين Sergei Ilyin معظم أهدافه من موقع قلب الهجوم، أما جناحنا الأيمن ميخائيل سيميكاستني

Mikhail Semichastny فسجل أهدافه من موقع المهاجم المتطرف، بينما سجل رأس حربتنا سيرجي سولوفيوف Sergei Soloviov أهدافه من الأطراف».

وأشادت الصحف بـ «الفوضى المنظمة» في حين سعى المنافسون إلى إيجاد طرق للتغلب عليها، وكان الحل الأكثر شيوعاً فرض رقابة رجل لرجل، وهو ما رد عليه أركاديف بجعل لاعبيه يتبادلون المراكز بشكل أكبر. وكتب أركاديف يقول: «مع تحويل خط الدفاع من نظام المنطقة إلى رقابة لاعبين معينين في الفريق الخصم، يصبح من المنطقي على المستوى التكتيكي أن تجعل جميع لاعبي الهجوم بل وخط الوسط أيضاً يتجولون بحرية في الملعب، في حين تحول جميع المدافعين إلى نظام الدفاع المتحرك، حتى يتبعوا لاعبي الفريق المنافس أينما ذهبوا».

ومن المهم هنا أن نوضح ما يعنيه أركاديف «بنظام المنطقة» فهو لم يعن نظام «رقابة المنطقة» المتكامل الذي استحدثه زيزي موريرا في البرازيل في أوائل الخمسينيات، وطبقه فيما بعد فيكتور ماسلوف بنجاح في دينامو كييف، وإنما كان يتكلم عن الانتقال من نظام المنطقة البسيط المطبق في طريقة 2–3–5 الذي يحتل فيه أحد الظهيرين الجانب الأيسر على أن يحتل الظهير الآخر الجانب الأيمن، إلى النظام الصارم المتبع في خطة دبليو إم، التي يعرف فيها كل لاعب بوضوح اللاعب الذي يفترض أن يراقبه في الفريق الخصم (الظهير الأيمن يراقب الجناح الأيسر، ولاعب الوسط الأيسر يراقب المهاجم المتطرف الأيمن، وقلب الدفاع يراقب قلب الهجوم، إلخ).

حدث هذا في إنجلترا بشكل منظم إلى حد كبير مع تطور طريقة دبليو إم. ومع وصول طريقة دبليو إم في شكلها النهائي إلى الاتحاد السوفيتي، كان لا بد من فترة ارتباك، فأخذت الآثار الدفاعية المترتبة عليها في الحسبان. وبتدريج بطيء تولى أحد لاعبي الوسط مهمة يغلب عليها الطابع الدفاعي، وهي توفير تغطية

إضافية أمام لاعبي خط الظهر الثلاثة، وهو ما استدعى نزول أحد المهاجمين المتطرفين لتغطية مكانه، وجرت العملية ببطء، بينما كانت تجري بسرعة أكبر في الطرف الثاني من الكرة الأرضية، لكن طريقة 3–2–2–3 كانت في طريقها لتتحول إلى 4–2–4، بل يعتقد أكسيل فارتانيان المؤرخ المرموق لكرة القدم السوفيتية أن أركاديف كان أول من نشر أربعة لاعبين في خط الظهر.

وبعد أن تسببت الحرب في حل الرابطة الوطنية رحل أركاديف عن دينامو إلى سيدكا CDKA (الاسم السابق لنادي سيسكا CSKA) في سنة 1943، وواصل فوزه بالبطولة خمس مرات قبل أن يجري حل النادي، بعد أن حملهم ستالين مسؤولية خسارة الاتحاد السوفيتي أمام يوغوسلافيا في أوليمبياد 1952.

وفي هذه الأثناء أربك فريق دينامو– الذي ظل يطبق مبادئ أركاديف– البريطانيين باتباعهم أسلوب التمريرات القصيرة (أو ما عرف بالباسوفوتشكا) خلال رحلة للنوايا الحسنة عقب انتهاء الأعمال القتالية في عام 1945. وتميزت الدعاية السابقة لمباراتهم الأولى أمام تشيلسي في ملعب ستامفورد بريدج بإظهارها لمشاعر قلق سياسية بل ومخاوف من تحول «الالتحامات» إلى مصدر خلاف كبير كما حدث مع الفرق البريطانية في جولاتهم الأولى في أمريكا الجنوبية، وكان تشيلسي وقتها يحتل المركز الحادي عشر في دوري القسم الجنوبي– إذ بقيت بضعة أشهر على استئناف نشاط الدوري استئنافاً كاملاً– لكنه قاتل في المباراة ليحرز تعادلاً غير متوقع بنتيجة 3/3، ورغم التعادل كان الفارق في مستوى التنظيم في الملعب واضحاً.

وكما شكل سيندلر مصدر معاناة لفريق إنجلترا عن طريق السقوط إلى الخلف وكما فعل ناندور هيديكوتي لاحقاً، أربك قسطنطين بيسكوف حسابات تشيلسي بعدم تمركزه في المنطقة التي يتمركز فيها عادة رأس الحربة. ورغم ذلك كانت أبرز السمات التي ميزت أداء دينامو تتمثل في طاقتهم وذكائهم في

استخدام هذه الطاقة، حتى إن الظهير الأيسر لتشيلسي ألبرت تينانت اشتكى من ذلك قائلاً: «كان الروس يتحركون طوال الوقت، ووجدنا صعوبة في مجاراتهم». وكتب دافي ميكيلجون القائد السابق لفريق رينجرز، في صحيفة «الدايلي ريكور». يقول: «تبادل الروس أماكنهم لدرجة أن المهاجم الأيسر كان يلعب في مكان الجناح الأيمن والعكس صحيح، ولم أر في حياتي هذه الطريقة في لعب كرة القدم، وكانت عملية متابعة اللاعبين في مراكزهم كما هي مرسومة في الخطة أشبه بالبازل الصيني، فكانوا يتنقلون ببساطة هنا وهناك كما يريدون، لكن أبرز السمات التي ميزتهم هي عدم حدوث أي تداخل بينهم قط».

وبينما يواصل دينامو انتصاراته بسحق كارديف بنتيجة 1/10، والتغلب على الأرسنال 3/4 والتعادل مع رينجرز 2/2 ازداد الإعراب عن مظاهر الإعجاب بأساليبهم، ففي صحيفة الدايلي ميل، تحدث جيوفري سيمبسون قائلاً: «إنهم يلعبون نمطاً من كرة القدم يفوق النمط الذي نلعبه من حيث الجودة والشكل والفاعلية، وبالنسبة إلى القيمة الترفيهية لهذا النمط الذي يلعبون به، فإن بعض الذين كانوا يشجعون بحماس في مباريات الدوري الإنجليزي لا بد أنهم يتساءلون: ما هذا الذي كانوا يشجعونه؟». وكان السؤال وقتها هو: هل يرتبط أسلوبهم في كرة القدم بفكرة أيديولوجية؟

وجرى الحديث مرة أخرى عن كرة القدم التي يلعبونها وتشبيهها بالشطرنج، وسط مزاعم بأن معظم ألعاب دينامو كانت قائمة على تحركات مخططة سلفاً. وربما كان من السهل وصف كرة القدم الشيوعية على سبيل المجاز بأنها تقوم على الفريق كوحدة واحدة، وأن اللاعبين مجرد تروس في هذه الوحدة. على عكس النمط البريطاني الذي سمح بقدر أكبر من التعبير عن الذات. وهذا لا يعني أن هذا الوصف المجازي غير واقعي تماماً. فقد كتب أليكس جيمس-

مباراة تشيلسي ودينامو موسكو 3 – 3 ، ستامفورد بريدج، لندن، 13 نوفمبر 1945.

مهاجم الأرسنال السابق في صحيفة «نيوز أوف ذي ورلد»: «نجاح دينامو هو هبة الأداء الجماعي المميز بنمط معين. ففريقهم لا يمتلك لاعباً ذا مهارة فردية مثل [ستانلي] ماتيوس Stanley Matthews أو [ريك] كارتر Raich Carter. وهم يلعبون بخطة يكررونها عدة مرات بتغييرات طفيفة. ومن السهل إيجاد أسلوب مضاد للتغلب عليهم. فعدم امتلاكهم للاعب ذي مهارات فردية هو نقطة ضعف كبيرة». وربما السر في نجاحهم هو أن لاعبيهم الكبار– فلا أحد ينكر أن لاعبين أمثال بيسكوف وفسيفولود بوبروف وفاسيلي كارتسيف كانوا لاعبين جيدين– وظفوا مواهبهم بطريقة مختلفة.

وبدا أن ميخائيل ياكوشين– الذي حل محل أركاديف في تدريب دينامو– كان حريصاً حرص الصحافة البريطانية على الترويج للجانب الأيديولوجي لأداء فريقه، فيقول: «مبدأ اللعب الجماعي هو المبدأ الأساسي في الكرة السوفيتية. فلا بد ألا يتمتع اللاعب بالمهارة بوجه عام والمهارة التي توظف لصالح الفريق». ولما سئل عن ماتيوس قال: «مهاراته الفردية عالية.. لكننا نضع الكرة الجماعية في المرتبة الأولى وبعدها الكرة الفردية. نحن لا نفضل أسلوبه لأننا نعتقد أنه يضر بأداء الفريق».

وكان هذا الفكر ثورياً في بريطانيا وطرح نظرية مثيرة للاهتمام. وكان النسيان مصير الدروس المستفادة من جولة دينامو، رغم محاولة بوب ماكجروي نقل أسلوب الباسوفوتشكا إلى فريق ستوك سيتي– وهي محاولة لم يصادفها النجاح، وربما لم يكن ذلك مفاجئاً في ظل وجود ماتيوس بين صفوف فريقه، ومع تجاهل الكرة البريطانية للتطورات التي حدثت في أمريكا الجنوبية ووسط أوروبا أو تعاليها على تلك التطورات— لم يكن من المرجح (حتى خلال السنوات الثورية التي أعقبت الحرب مباشرة) أن تتخلص الكرة البريطانية تماماً من تيارها المحافظ. وربما كانت الكرة البريطانية تتمكن من الانفتاح بشكل

أكبر على التجديد لو لم يكن لديها حينئذ وفرة من عظماء اللاعبين في مركز الجناح. فلماذا تغيرت طريقة اللعب التي تسمح للاعبين أمثال ماتيوس وتوم فايني ولين شاكليتون في إنجلترا أو ويلي واديل وجيمي ديلاني وجوردون سميث في أسكتلندا– بإطلاق العنان لمهاراتهم؟

وكانت أفضل لحظات ماتيوس– وربما أفضلها في تاريخ اللعب بالأجنحة في إنجلترا– في نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي سنة 1953، عندما أسهمت تمويهاته ومراوغاته في قيادة فريق بلاكبول لتحويل نتيجة المباراة بعد تأخره 3/1 ليهزم بولتون 3/4 بعدها بأربعة شهور، وفي الملعب نفسه سحقت المجر إنجلترا 3/6 وجاء العنوان الرئيس لصحيفة «الدايلي ميرو» ليعلن «أفول نجم آلهة (كرة القدم)».

وكان ذلك صحيحاً فيما يتعلق بالاعتماد على الأجنحة في إضفاء الجماليات على الأداء.

ومن سخرية القدر أن هيربرت تشابمان Herbert Chapman صاحب فكرة طريقة دبليو إم كان متشككاً للغاية في اللعب بطريقة الأجنحة. فكانت طريقته– التي تعد أول تطوير تكتيكي مهم في الأداء البريطاني خلال نصف قرن تقريباً– في البداية تناور بالأجنحة. لكن لاعبي الأجنحة لم يتوقفوا بها عند هذا الحد، فعادت السمة التي تخلص منها في طريقته المبتكرة لتعرقل المزيد من الابتكار. وكان من المنطقي بالنسبة إلى المديرين الفنيين الذين يمتلكون هذه النوعية من اللاعبين التمسك بما تم اختباره وتجربته. وتمتعت إنجلترا في السنوات اللاحقة مباشرة للحرب بسجل مميز من النتائج، وظلت عامين تقريباً دون هزيمة واحدة تحديداً منذ مايو 1947. وشملت مسيرة انتصاراتها سحق البرتغال بنتيجة 10/صفر في مدينة إستوريل Estoril والفوز 4/صفر على إيطاليا بطلة العالم في تورينو. وكان أداء أسكتلندا أكثر تذبذباً، لكن اللاعبين اطمأنوا

بعد تحقيقهم ستة انتصارات متتالية ابتداء من أكتوبر 1948، وكانت المشكلة أن تألق هؤلاء الأجنحة قد أغمض عيني بريطانيا عن التطورات التكتيكية التي تتم في البلاد الأخرى، واستغرق الأمر ثمانية أعوام بعد جولة دينامو، قبل أن تفتح إنجلترا عيونها فجأة.

الفصل السادس

△▽△▽△▽△▽△▽

صِلات بالمجر

أوحت تجربة «فريق العج». وجولة دينامو موسكو لترويج الباسوفوتشكا بما سيحدث في المستقبل، لكن إنجلترا انتظرت حتى عام 1953 لتتمكن أخيراً من تقبل الواقع الذي يؤكد أن لعبة كرة القدم في القارة وصلت إلى مستوى من التميز لا يمكن تعويضه بالجهد والعرق.

وتم الترويج لزيارة الفريق الذهبي أو «التشكيلة الذهبية» لمنتخب المجر لملعب ويمبلي في 25 نوفمبر من ذلك العام في المباراة التي جمعت بين أبطال الأوليمبياد–الذين كانوا يتمتعون حينذاك بسجل خال من الهزائم على مدى ثلاث سنوات– وبين الدولة الأم للعبة إنجلترا– التي لم تزل تعد نفسها الأرقى والأعلى. لكن إنجلترا كانت على موعد مع «مباراة القرن». وقد تكون هذه التسمية من باب الدعاية التسويقية. لكن صدى مباراة إنجلترا والمجر لم تحظ به أي مباراة أخرى في تاريخ كرة القدم الإنجليزية. وكان المنتخب الإنجليزي تعرض قبل هذا اللقاء لهزائم أمام منافسين أجانب، أكثرها قسوة أمام المنتخب الأمريكي في كأس العالم قبل ثلاث سنوات. لكنه باستثناء هزيمة أمام جمهورية أيرلندا في ملعب جوديسون بارك Goodison Park سنة 1949، لم يتعرض للهزيمة على أرضه أبداً، حيث لم تكن هناك حجة مثل سوء الجو ورداءة الظروف المحيطة والتحكيم ليتعلل بها الفريق. والمؤكد أن الإنجليز لم يلعبوا مطلقاً مع فريق يتفوق عليهم بفارق كبير. ولم تكن لحظة انتصار المجر بنتيجة 6–3 هي اللحظة التي شهدت بداية تراجع الكرة الإنجليزية، وإنما كانت لحظة اكتشاف هذا التراجع. واستعار اللاعب توم فيني Tom Finney–الذي تابع المباراة من

مقصورة الصحفيين بسبب تعرضه للإصابة- الوصف المجازي الذي استخدمه جابريل هانوت Gabriel Hanot في مجال الفروسية منذ 30 عاماً، فقال: «كانت المباراة أشبه بسباق بين خيول جر العربات وخيول السباق».

وخلال النصف الأول من القرن العشرين، كانت المجر- من وجهة النظر الكروية والسياسية- تسير في ركاب النمسا، وحتماً تأثر فكرهم بهوجو ميسل وطريقة «دوامة الدانوب»، لكن الأهم من ذلك أنهم كانوا يمتلكون الفكر. ففي بودابست- كما في فيينا- كانت الكرة مسألة متعلقة بالجدل الفكري. وألقى آرثر روي Arthur Rowe لاعب توتنهام السابق-الذي تولى منصباً في مجال التدريب بالمجر قبل أن يضطر للعودة إلى وطنه بسبب الحرب- محاضرة هناك عن طريقة دبليو إم في عام 1940، لكن مع الوضع في الاعتبار التزامه فيما بعد بطريقة «مرر واقطع»، فليس هناك ما يمنع أن نتصور أنه كان يركز على الجوانب الدقيقة في المنظومة أكثر من تركيزه ببساطة على مسألة المدافع المساك التي هيمنت على تفكير المدربين الإنجليز المعاصرين له.

وبعيداً عن السلبية التي ارتكزت عليها طريقة دبليو إم، فإن أثر مفهومها السائد تمثل في تشكيل الوضع المفضل للاعب قلب الهجوم. وملَّ المديرون الفنيون من مشاهدة لاعبين من المراوغين وأصحاب الانطلاقات وهم ينهارون بدنياً أمام عمليات الرقابة التي يقوم بها المسّاكين، ولذلك اتجهوا لاستبدال هؤلاء بمهاجمين ضخام يتمتعون بمواصفات رأس الحربة من النوع الذي لايزال يوصف في بريطانيا إلى الآن بأوصاف «اللاعب رقم 9 الكلاسيكي» أو «الثور الهائج» وهي الأوصاف التي أطلقها عليهم جلانفيل. وإذا كان ماتياس سيندلر يجسد المثال الحي للاعب المفكر بوسط أوروبا، فإن لاعب الأرسنال تيد دريك Ted Drake- الذي كان يتمتع بالقوة والقدرة البدنية والشجاعة بلا تفكير تقريباً- هو من يمثل المنظور الإنجليزي لقلب الهجوم.

لكن كما كان ضعاف البنيان لا مكان لهم في إنجلترا في الثلاثينيات، كانت هناك ندرة في الهدافين الضخام في المجر في أربعينيات القرن العشرين، وخلق هذا الأمر مشكلة، لأن طريقة 2–3–5 كانت قد تحولت لطريقة دبليو إم في أذهان كل أصحاب النظرة المثالية تقريباً: فكان على المجر أن تبدأ في تكوين لاعبين على طراز قلب الهجوم الإنجليزي أو تخلق نظاماً جديداً تحتفظ بالصلابة الدفاعية التي تمتاز بها طريقة دبليو إم، دون أن تتطلب وجود قاعدة ارتكاز قوية للهجوم.

وجاء الحل على يد مارتون بيوكوفي Marton Bukovi مدرب فريق إم تي كيه (فوروس لوبوجو –Voros Lobogo، حسبما بات يُعرف بعد التأميم سنة 1949) بعد بيع «دبابته البشرية» اللاعب نوربرت هوفلين Norbert Hofling الروماني المولد لنادي لاتسيو في عام 1948، وكان مضمون الحل أنه إن لم يكن لديك قلب هجوم بالمواصفات السليمة لقلب الهجوم، من الأفضل– كما قرر مارتون– أن تتخلى عن هذا المركز تماماً، بدلا من إجبار بعض اللاعبين غير المناسبين لطبيعة المركز باللعب فيه. وعلى هذا الأساس، قلب مارتون حرف دبليو في طريقة دبليو إم، ليخلق طريقة لعب على شكل حرفي إم. وبالتدريج، ومع رجوع قلب الهجوم أكثر وأكثر إلى الخلف ليصبح لاعب وسط مساعد، اندفع الجناحان إلى الأمام ليشكلوا رباعيا أماميا مرنا. وفي شرح ذلك، قال ناندور هيديكوتي– الرجل الذي أتعب إنجلترا في ملعب ويمبلي بسبب سقوطه للخلف– «كان قلب الهجوم يواجه صعوبات متزايدة بسبب تواجد مراقب لصيق له». «فظهرت فكرة سقوط المهاجم رقم 9 إلى الخلف حيث توجد المساحات».

«وفي مركز جناح الوسط بفريق إم تي كيه كان هناك لاعب هجوم رائع يتميز بدقة التوزيع هو بيتر بالوتاس. لم يمر بيتر أبداً بأي مشكلات، فلم يكن

متوقعاً منه إحراز الأهداف، ورغم ارتدائه للقميص رقم 9، فقد واصل اللعب بطريقته الطبيعية. وكان بيتر– بتمركزه في وسط الملعب– يتسلم الكرات من خط دفاعه، ويمررها إلى الجناحين ومهاجمي الجانبين.. وعندما كان بالوتاس يعود إلى الخلف من مركز رأس الحربة كانت مهامه تتداخل مع مهام أجنحة وسط الملعب، فكان يتحتم على أحدهما التراجع ليلعب في مركز دفاعي بحت، بينما يشكل الآخر رابطة مع بالوتاس فيتحولان إلى صانعي ألعاب في وسط الملعب».

وكان هيديكوتي يلعب جناحاً في فريق إم تي كيه، ولذلك كان من المنطقي جداً أن يقع اختيار جوستاف سيبيس Gusztav Sebes– حينما قرر أن يستخدم تلك الطريقة على المستوى المحلي– على بالوتاس ليلعب في مركز رأس الحربة المتأخر. واحتفظ به في هذا المركز في أوليمبياد 1952 التي فازت بها المجر، وكان هيديكوتي حينها يلعب غالباً في الطرف الأيمن، لكن في سبتمبر من هذا العام، حل هيديكوتي محل بالوتاس عندما كانت المجر متأخرة أمام سويسرا بنتيجة 2–0 في مباراة ودية. وأجرى سيبيس هذا التبديل في المراكز من قبل، في مباريات ودية أمام إيطاليا وبولندا، مما دعا معلق الإذاعة جيورجي سيبيسي Gyorgy Szepesi إلى استنتاج أن سيبيس يجرب ليرى مدى قدرة هيديكوتي الذي كان في الثلاثين من عمره وقتها على القيام بدور رأس الحربة الساقط. وعادت المجر للقاء لتفوز 4–2، وكان هيديكوتي مؤثراً للغاية لدرجة أن موقعه أصبح محجوزاً باسمه. يقول فيرينك بوشكاش Ferenc Puskas عنه إنه: «لاعب جيد، يجيد قراءة الملعب، وإمكانياته تتناسب تماماً مع هذا الدور، فهو يتمركز أمام خط الوسط، ويصنع تمريرات سحرية ويجذب خط دفاع المنافس معه فيتركون أماكنهم، وينطلق انطلاقات رائعة ليسجل بنفسه».

وكان يشار إلى هيديكوتي عالمياً برأس الحربة المتأخر، لكن هذا المصطلح

لم يكن يعكس الحقيقة، وكان رقم قميص هيديكوتي هو السبب الأساسي في إطلاق هذا الوصف عليه. وفي الاصطلاح الحديث، كان مركز هيديكوتي يماثل مركز لاعب الوسط المهاجم. يقول هيديكوتي: «كنت أتمركز في منطقة وسط الميدان على الجانب الذي يلعب فيه [جوزيف] زاكارياس Jozsef Zakarias بينما كان [جوزيف] بوسيك Jozsef Bozsik في الجناح المقابل وكان يتحرك غالبا حتى يصل إلى منطقة جزاء المنافسين، وسجل أيضا عدداً لا بأس به من الأهداف. وفي الخط الأمامي كان أكثر من يسجل بوشكاش و[ساندور] كوتشيش Sandor Kocsis، مهاجمي الجانبين، وكان تمركزهما أقرب إلى مرمى الخصم من التمركز المعتاد في... طريقة دبليو كيه... وبعد تجربة سريعة لهذه الطريقة الجديدة، قرر جوستاف سيبيس أن يطلب من الجناحين النزول إلى الخلف قليلاً ناحية وسط الملعب لاستلام التمريرات من بوسيك ومني، وهو ما أضاف اللمسة الأخيرة على التطور التكتيكي».

رغم ذلك كان هيديكوتي هو من قضى على إنجلترا. فرغم كل شيء، نشأ اللاعبون وسط ثقافة يتحدد فيها موقع اللاعب حسب رقم قميصه، فكان الجناح الأيمن يتمركز أمام الظهير الأيسر رقم 3، وظهير الوسط رقم 5 يراقب قلب الهجوم رقم 9. كان هذا الأمر جوهرياً حتى إن المعلق التلفزيوني كينيث وولستينهولم Kenneth Wolstenholme شعر أن من الواجب عليه في الدقائق الأولى للمباراة أن يشرح العادات الأجنبية للمشاهدين، فقال في نبرة يغلب عليها الضجر: «قد تربككم بعض أرقام المجريين، السبب في ذلك أنهم يرقمون قمصان اللاعبين ترقيماً منطقياً إلى حد ما، فمدافع الوسط يرتدي رقم 3 والظهيران يرتديان القميصين رقم 2 و4»، وبعبارة أخرى، كانوا يرقمونهم حسب أماكنهم في الملعب، وليس حسب العادات القديمة: فكيف للبريطانيين أن يجاروا هذا الأمر؟ بل والأكثر أهمية ماذا كان على متوسط الدفاع أن يفعل

إذا كان قلب الهجوم يهرب من رقابته ناحية خط المنتصف؟ عن هذا يكتب هاري جونستون Harry Johnston– متوسط دفاع منتخب إنجلترا في ذلك اليوم– في مذكراته، فيقول: «تجسدت المأساة بالنسبة في عجزي التام عن فعل شيء... فلم أستطع فعل أي شيء يغير من تلك الصورة القاتمة». فلو تبعه إلى وسط الملعب، لأحدث هذا فجوة بين الظهيرين ولو تركه، لتمكن هيديكوتي على التحرك بحرية ليقود اللعب. وفي النهاية، وقع جونستون في حيرة بين الأمرين، فسجل هيديكوتي ثلاثة أهداف، ولم يكن سيد أوين Syd Owen بديل جونستون في اللقاء الثاني بين الفريقين الذي أقيم في بودابست أوفر حظاً، فانهزمت إنجلترا 7–1.

ومع ذلك لم يكن هيديكوتي فقط هو العامل الذي أربك إنجلترا، فقد كانت طريقة لعب منتخب المجر بأكملها غريبة. وعن ذلك، يقول أوين: «لقد كان الأمر أشبه باللعب مع أناس من الفضاء الخارجي». واعترف بيلي رايت بذلك حين قال: «نحن لم نقدر الخطوات المتقدمة التي قطعها المجريون حق قدرها». وهذا يكشف الكثير عن المعيار الفني العام للكرة الإنجليزية؛ إذ وقف وولستينهولم متسمراً ليراقب بوشكاش وهو ينطط الكرة في الهواء ست مرات خلال انتظاره صفارة بدء المباراة. وإذا كان ذلك يشعر الإنجليز المعاصرين بالخجل، فهو لا شيء بالنسبة لما كتبه فرانك كولز في صحيفة الدايلي تلجراف صباح المباراة، إذ أكد في إيمان مؤثر بالقدرات الراسخة للعزيمة الإنجليزية أن «ساحري الكرة المجريين يمكن إيقافهم بالتدخلات القوية». ولا عجب إذاً أن جلانفيل وصف الهزيمة بأنها هزيمة «فتحت أعيناً عمياً».

لكن الأمر لم يكن يتعلق بالتقنية المتبعة فحسب، وإنما لم تكن التقنية شيئاً أساسياً فيه ربما. صحيح أن المجريين امتلكوا خمسة من أفضل لاعبين في العالم متمثلين في بوشكاش وهيديكوتي وكوتشيش وبوسيك وزولتان تشيبور

ومدرباً ملهماً وشديد الدقة متمثلاً في سيبيس، لكن كما اعترف الظهير الأيمن للمجر جينو بوزانسكي «كان التكتيك هو سبب فوز المجر». ويضيف «أظهرت المباراة صداماً بين تشكيلتين وكانت الغلبة- كما هي الحال دائماً- للأحدث والأكثر تطوراً»، وربما يكون من الخطأ الفصل بين التقنية والتكتيك، فبينما يسمح التكتيك للتقنية بالازدهار، يصبح التكتيك بغير التقنية زيادة لا فائدة منها. وكان رد فعل إنجلترا بطيئاً تجاه تلك المشكلات، بل إنها تهاونت تجاه إخفاقها في معالجة تلك المشكلات قبل المباراة الثانية في بودابست، لكن من الصعب أن نزعم أن المدير الفني للفريق الإنجليزي وولتر وينتربوتوم أساء اختيار التكتيك في ذلك اليوم، وإنما كانت المشكلة متوطنة لديهم. ففي الصباح التالي للمباراة كتب جيوفري جرين في التايمز يقول: «وجد لاعبو المنتخب الإنجليز أنفسهم غرباء في عالم غريب، عالم من الأشباح الحمراء خفيفة الحركة، حيث بدا المجريون كذلك وهم يتحركون بسرعة خرافية ومهارة عالية وإنهاء قوي للهجمات وهم يرتدون قمصانهم الحمراء. ويتكلم بعضهم على المفهوم الجديد لكرة القدم الذي وضعه أبناء قارة أوروبا وأمريكا الجنوبية، وكان الانتقاد الأساسي الذي يوجه لهذا الأسلوب دائما يتمثل في عدم امتلاكه القوة الأخيرة أمام المرمى، ويعتقد بعضهم أيضاً أن الوصول إلى المثالية في كرة القدم قد يكمن في منطقة متوسطة بين الطريقة البريطانية المفتوحة القوية وطريقة الاختراق الاستكشافية الأخرى. بالأمس، أظهر المجريون بأدائهم الجماعي الممتاز هذه المنطقة المتوسطة المؤدية إلى المثالية».

ولم ير سيبيس أن فريقه يمثل أي منطقة متوسطة. فبعد تنظيمه لمشادة عمالية في مصنع سيارات رينو بباريس قبل الحرب، لم تشب أوراق اعتماده الشيوعية أي شائبة، وعلى الرغم من أنه بالتأكيد كان يردد ما تود حكومته سماعه، فليس هناك أي سبب للاعتقاد بأنه لم يكن يعبر عن رأيه الخاص، إذ كان مصراً

على أن نجاح المجر–الذي يكمن بوضوح في اللعب الجماعي في الفريق في مقابل الفردية المشتتة التي يلعب بها منتخب إنجلترا– كان انتصاراً للشيوعية. وبالتأكيد لم يكن الأمر في تلك الليلة من نوفمبر– ومع تدلي الأعلام في الضباب فوق البرجين التوأم المصممين لعكس صورة عمل لوتينز في نيودلهي– يحتاج إلى خيال واسع لإدراك الهزيمة الرمزية للإمبراطورية.

وكرة القدم بالطبع لا تلعب على السبورة، فمهما كان النظام صحيحاً، فإن النجاح على أرض الملعب يتطلب موائمة–في أفضل الحالات تنبع من التكافل– بين النظرية واللاعبين الموجودين. ولذلك كانت فكرة بيوكوفي مثالية بالنسبة إلى المجر، لأن وجود أربعة في الخط الأمامي ورأس الحربة المتأخر سمح بانسيابية في الهجوم تناسب عقلية مهاجميه. وبمشاهدة فيديو المباراة اليوم يتضح أن وولستينهولم لاحظ في منتصف الشوط الأول في نبرة بين الدهشة والإعجاب أن «لاعب الطرف الأيسر تشيبور جاء ليستلم الكرة في مركز الطرف الأيمن».

وكانت الانسيابية في الهجوم على ما يرام، لكن بالطبع كلما زادت انسيابية الفريق، صعب عليه الاحتفاظ بالتركيبات اللازمة للدفاع، وكان هذا ما برع فيه سيبيس، فكان يولي اهتماماً شديداً للتفاصيل لدرجة أنه جعل فريقه يتمرن على الكرات الإنجليزية الأثقل وزناً وعلى ملعب تدريب له أبعاد تماثل أبعاد استاد ويمبلي، وتبين مفكرته أنه كان يولي اهتماماً مشابهاً للجانب التكتيكي للمباراة. فكان سيبيس يشجع الظهيرين بوزانسكي وميهالي لانتوس على التقدم لكن تقدمهم كان يعني أن يعود مدافع الوسط جيولا لورانت إلى الخلف أكثر ليصبح في مركز ليس ببعيد الشبه عن مركز اللاعب القشاش في نظام فيرو الذي وضعه كارل رابن. وكان لبوشكاش حرية التحرك في أرجاء الملعب، بينما كان يجري تشجيع بوسيك– الذي يشغل نظرياً مركز لاعب الوسط

الأيمن– للتقدم إلى الأمام لمساعدة هيديكوتي، وكان هذا يتطلب وجوداً دفاعياً مماثلاً، وهو الدور الذي قام به زاكارياس– الذي يظهر في الخطة التي رسمها سيبيس للمباراة في مفكرته في مركز متأخر جداً لدرجة أنه يكاد يلعب بين الظهيرين الخلفيين، وبتواجد الظهيرين الخلفيين ومدافعين بينهما، ولاعبين في منتصف الملعب وأربعة في المقدمة كانت خطة اللعب المجرية قريبة جداً من طريقة 4–2–4.

رغم ذلك ظل الفريق الذهبي للأبد بلا إنجازات. فبعد 36 مباراة دون هزيمة، أضاع المنتخب المجري تقدمه بهدفين ليخسر أمام ألمانيا الغربية بنتيجة 3–2 في نهائي كأس العالم، لينتهي حلمهم في النهاية بسبب سوء الحظ، وأرضية الملعب الموحلة التي أعاقت تمريراتهم، ولمسة من الرضا عن النتيجة بعد التقدم إلى جانب الحيلة البسيطة التي قام بها المدير الفني الألماني سيب هيربرجر بتكليف هورست إيكل بفرض رقابة رجل لرجل على هيديكوتي، وانهارت الخطة التي ساد الاعتقاد بأنها تحرر قلب الهجوم من براثن مراقبه عندما اقترب المراقب منه.

ومع ذلك، فقد يكون الفريق المجري قد دفع أيضاً ثمن الهشاشة الدفاعية، فحتى مع سماحه بتطبيق مبادئ الهجوم الحديثة آنذاك، كان الدفاع المجري مليئاً بالثغرات. فبإضافة الأهداف الثلاثة التي استقبلتها شباكهم من ألمانيا الغربية للأهداف التي استقبلتها شباكهم طوال البطولة يكون المجموع عشرة أهداف طوال البطولة، بينما في عام 1953 استقبلت شباكهم 11 هدفاً على مدار ست مباريات توجت بالفوز 6–3 بويمبلي. واتفق الجميع تقريباً أن الأهداف الثلاثة كانت لمجاملة إنجلترا، وهي ملاحظة أخذها الناس حينذاك على أنها تؤكد تفوق المجريين، لكنها قد تفسر أيضاً أنها انتقاد موجه إلى تراخيهم.

وكانت المشكلة في وجود ثلاثة في خط الظهر أن خط الدفاع يتحرك حول

مباراة إنجلترا والمجر 3 – 6، ودية، لندن، 25 نوفمبر 1953.

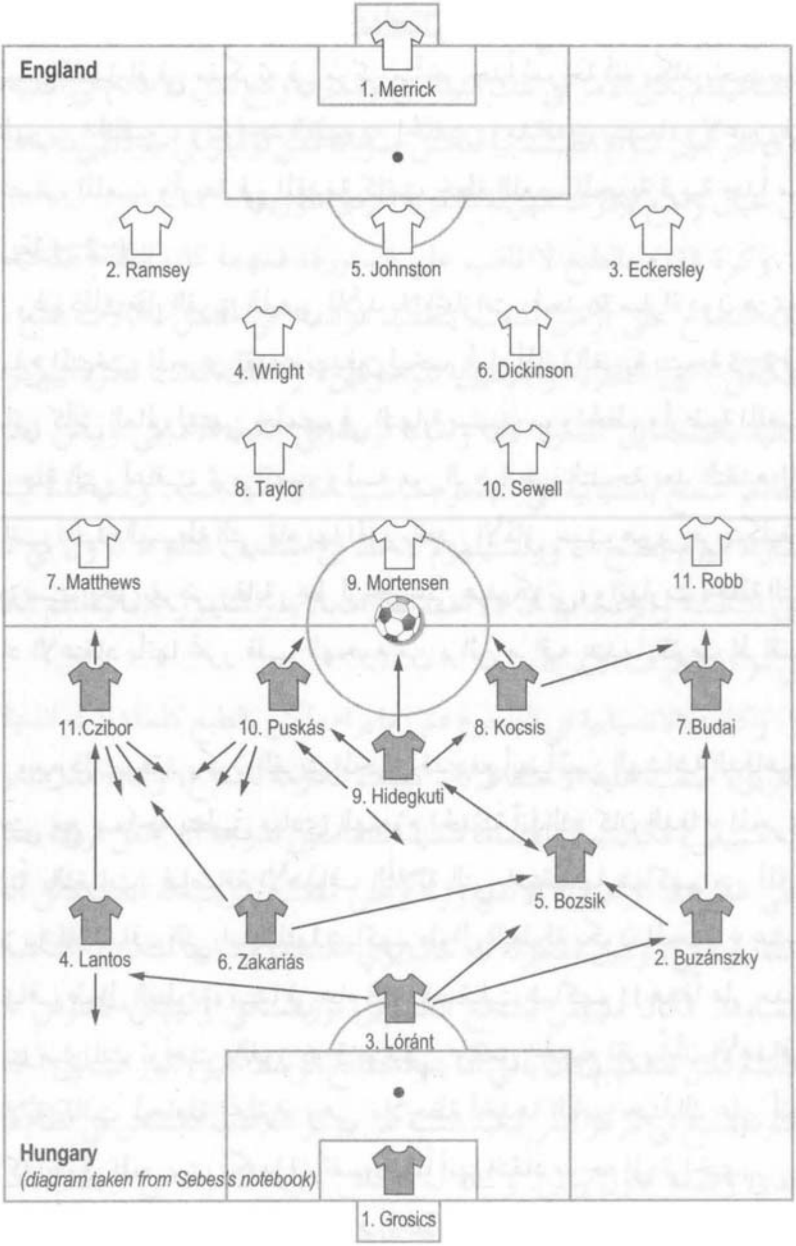

محور ارتكاز، مع انضمام الظهير الأيسر إلى ظهير الوسط إذا كان الهجوم من الناحية اليمنى والعكس بالعكس، وهو ما يجعله عرضة «لتحويل الاتجاه». بكرة عرضية تعطي الجناح -على أقل تقدير- في الجهة المقابلة مساحة للانطلاق. ولم يتراجع زاكارياس- الذي ظل يشغل اسمياً مركز لاعب الوسط- إلى الخلف بالقدر الكافي ليقدم تغطية إضافية سمحت للظهير المساك بأن يظل قرب الجناح الذي يفترض أن يراقبه.

وأياً كان السبب وراء الخسارة في بيرني، فإن رد الفعل في المجر اتسم بالغضب. فحينما عاد لاعبو الفريق الذهبي بعد فوزهم على إنجلترا في ويمبلي، تلقاهم الجمهور المحب بالترحاب، لكن بعد الخسارة في نهائي كأس العالم، اضطر الفريق إلى تحويل وجهتهم إلى بلدة تاتا شمال البلاد ليتجنبوا مواجهة المظاهرات التي نزلت إلى الشوارع. وتعرض بوشكاش لهتافات مضادة في مباريات الدوري، كما تعرض ابن سيبيس للضرب في المدرسة وألقي القبض على حارس المرمى جيولا جروسيتش. وخلال عام 1955، جرى حل الجهاز الفني الذي شكله سيبيس، وعقب خسارة الفريق بنتيجة 4–3 أمام بلجيكا في العام التالي، حل محله جهاز مكون من خمسة أفراد على رأسهم بيكوفي، ووسط الفوضى التي خلفتها الثورة وما تبعها من اعتزال عدة لاعبين، أصبحت مهمة هذا الجهاز مستحيلة. وفي هذه الأثناء، استمر سيبيس لفترة في حياته العملية في مجال الإدارة الرياضية، وشغل منصب نائب رئيس اللجنة القومية للرياضة والثقافة البدنية، قبل أن يشغل مجموعة من المناصب في مجال التدريب لينتهي به الأمر بالاعتزال في عام 1970. ويتذكر تيبور نيلاسي- المهاجم العظيم في فريق فيرنكفاروس خلال فترة السبعينيات- هذه الأيام فيقول: «عندما كنت صغيراً، كان سيبيس يعيش في المنطقة نفسها التي أعيش فيها، فكان يأتي إلى الساحة حيث ألعب كرة القدم مع أصدقائي، ويأخذنا إلى شقته، ويقدم لنا

الشطائر ويرينا أفلام 8 ملم لمباراتي الـ6–3 والـ7–1. وكان هو من رشحني لنادي فيرنكفاروس. وكان متقدماً في العمر وكرس حياته لكرة القدم فقط».

وبينما كان أداء المنتخب الوطني يجتذب معظم الاهتمام آنذاك، كان بيلا جوتمانن مواطن سيبيس أكثر مدرب له بصمة ثابتة على اللعبة، ومن المبالغة الادعاء بأنه اخترع كرة القدم البرازيلية، لكن ذلك لم يثنه عن المحاولة، ومما لا شك فيه أنه جسد آخر مراحل الازدهار في عصر ازدهار كرة القدم بوسط أوروبا؛ فكان آخر مدربي المقاهي، وربما آخر المدافعين عن فطرية كرة القدم.

ويكاد يكون هناك تباين شاسع بين المدربين المجريين الكبيرين في هذا العصر. فبينما كان سيبيس اشتراكياً ملتزماً بالمبادئ الاشتراكية، وجد سعادته في نشر توجهات الحزب وخوض اللعبة الدبلوماسية. كان جوتمانن استقلالياً سريع الغضب، كان رجلاً طحنته الظروف فصار لا يثق بالسلطة ولا يخضع لها، وانتهت مسيرته الدولية في الملاعب نهاية نموذجية بعد أن مثل منتخب بلاده ثلاث مرات. وشعر جوتمانن –عند اختياره للعب في أوليمبياد 1924 بباريس– بالصدمة من عدم كفاية استعدادات المنتخب المجري؛ فقد كان عدد المسؤولين في تشكيلة الفريق يفوق عدد اللاعبين فيه، لذلك اتخذ الحزب مقره في أحد الفنادق قرب مونتمارتر: وهو مكان مثالي يسمح للمسؤولين بممارسة الاختلاط بالمجتمع في وقت متأخر من الليل، لكنه لا يصلح للاعبين يحتاجون إلى النوم. واحتجاجاً على ذلك قاد جوتمانن عدداً من زملائه في حملة لاصطياد الفئران في أنحاء الفندق، ثم ربطوا ذيول صيدهم من الفئران بمقابض أبواب غرف المسؤولين، ولم يمثل بعدها منتخب بلاده مطلقاً. وكان جوتمانن يعيش في الحياة كضيف غير مرغوب فيه، متطلعاً دائما إلى القليل، ومستعداً دائماً للاندفاع، يغضب ويثير غضب الآخرين بالقدر نفسه.

وكان جوتمانن– المولود في بودابست عام 1899 لعائلة من مدرسي الرقص–

مؤهلاً لتدريس الرقص الكلاسيكي في السادسة عشرة من عمره. ورغم ذلك، كانت كرة القدم هي الشيء الوحيد الذي أبهره، وخلال لعبه في مركز لاعب الوسط المهاجم في مدرسة قديمة- وتكاد تتفق روايات المعاصرين له على أنه كان «رشيقاً»- أثار إعجاب فريق توريكفز الذي يلعب في الدوري الممتاز لينتقل في عام 1920 إلى نادي إم تي كيه، الذي كان يعد النادي الممثل ليهود الطبقة المتوسطة بالمجر، والذي لمّا يزل يلعب آنذاك بالأسلوب الذي ابتدعه جيمي هوجان. ورغم ذلك عاد نيول في الموسم التالي، وبعد إقصائه عن الفريق، قام بالعمل الذي سيواصل القيام به طوال حياته المهنية: سار على قدميه وسلك الطريق الذي سلكه الكثير من اليهود خوفاً من الاضطهاد الذي يمارسه ضدهم نظام ميكلوس هورث واتجه إلى فيينا، وكانت هذه أولى تنقلاته من بين 23 تنقلاً قام بها جوتمانن عبر حدود بلاده.

ولم تكن معاداة السامية مجهولة في فيينا، ويبدو أن جوتمانن شعر هناك ووسط مفكري كرة القدم على المقاهي بأنه في وطنه تقريباً. وكتب الصحفي هاردي جرون في قائمة مزاد على متعلقات جوتمانن أقيم في مدينة كاسل الألمانية سنة 2001 يقول: «عاش جوتمانن في أغلب الأحيان في مدن ساو باولو ونيويورك ولشبونة وحلم بأن يستمتع بمشروب الميلانج في أحد مقاهي فيينا ويتسامر مع أصدقاء حقيقيين عن كرة القدم». وعندما تخلى جوتمانن في النهاية عن تجواله في الخامسة والسبعين من عمره، عاد إلى فيينا وعاش في شقة قريبة من دار الأوبرا في وولفيشجاس.

وانضم إلى هاكوه النادي اليهودي الكبير بفيينا أواخر سنة 1921، واستطاع أن يكسب دخلاً إضافياً على الدخل الصغير الذي استطاع النادي أن يقدمه إليه عبر إنشائه أكاديمية لتعليم الرقص. وكان هذا النادي أيضاً يلعب بالطريقة الأسكتلندية في تبادل التمريرات، كما علمها لهم مدربهم بيلي هانتر- الذي

لعب لفريقي بولتون واندررز بجانب جيمي هوجان وميلوول. وعلى الرغم من أن وسط أوروبا لم تتبع مطلقاً الطريقة الإنجليزية في الاعتماد على القوة البدنية الغاشمة، كان لأفكار هانتر بصمة خالدة عليها.

وتحول نادي هاكوه إلى الاحتراف سنة 1925، وفاز في العام التالي بأول بطولة نمساوية للمحترفين. وكان جوتمانن يلعب فيه في مركز لاعب الوسط المدافع، وعلى القدر نفسه من الأهمية كانت الرحلات التي يقوم بها النادي لجمع الأموال للترويج لليهودية المعتمدة على قوة العضلات بوجه عام والصهيونية خصوصاً. وفي عام 1926، قام نادي هاكوه- الذي أطلق عليه وصف «يهود لا يقهرون» (رغم خسارته لمباراتين من مبارياته الـ13)- بجولة في الساحل الشرقي للولايات المتحدة. ونجحت الجولة من حيث المال والصورة العامة- التي قدمها النادي- نجاحاً باهراً، وكان في هذا سبب سقوط النادي؛ حيث كانت النوادي الأمريكية أغنى من هاكوه، فانضم جوتمانن إلى نادي نيويورك جيانتس بعد اتفاقه معهم على تعاقد أفضل بكثير مما كان عليه تعاقده مع هاكوه. وبنهاية العام، لحقت نصف تشكيلة الفريق بمدينة نيويورك.

ومن وجهة النظر الكروية، فإن جوتمانن نجح هناك، حيث فاز بكأس الولايات المتحدة سنة 1929، لكنه تعرض للإفلاس- بعد أن أصبح شريكاً في إحدى الحانات- إثر انهيار الاقتصاد في أعقاب انهيار شارع المال الأمريكي «وول ستريت». ويقول جوتمانن عن ذلك: «خرقت عيني صورة أبراهام لينكولن على ورقة الخمسة دولارات الأخيرة التي كانت معي. حسبت ساعتها ألا مخرج من هذه الأزمة». ولأنه كان دوماً يتطلع إلى الأفضل- كان يصر في هاكوه على ارتداء القمصان المصنوعة من الحرير- فقد تعهد هذه المرة بألا يعود إلى الفقر ثانية. وبقي مع جيانتس حتى انهار الدوري الأمريكي سنة 1932، وعاد إلى هاكوه ليبدأ مسيرته التدريبية التي استمرت 41 عاماً.

ومكث في فيينا موسمين قبل أن ينتقل إلى نادي إس سي إنشيدي SC Enschede الهولندي بتوصية من هوجو ميسل. ووقع في البداية عقداً لمدة ثلاثة أشهر لكنه أصر-عند تفاوضهم معه لإبرام عقد جديد- على الحصول على مكافأة ضخمة إن فاز إنشيدي بالدوري. وكان مديرو النادي على استعداد للموافقة؛ فقد كان النادي يصارع الهبوط من القسم الشرقي. وتحسن مستوى الفريق بسرعة، وأقر رئيس مجلس إدارته- بعد أن خسروا البطولة بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيقها- أنه كان يذهب إلى المباريات في نهاية الموسم وهو يدعو أن يخسر فريقه؛ إذ كان الإفلاس ينتظرهم إذا دفعوا مكافأة جوتمانن.

ولم يشعر بالندم لقبوله ذلك. فبعض المديرين الفنيين يتمتعون بمهارة إنشاء الإمبراطوريات، فهم يلتزمون بوضع الأساسات التي تقود أنديتهم إلى النجاح مدة طويلة بعد رحيلهم عنها، وكان جوتمانن من هذا النوع، فكان صلباً في مساومته لا يقبل أي تدخل في عمله، ويحكي عن هذه الفترة في مرحلة لاحقة من مسيرته المهنية فيقول: «كان الموسم الثالث حاسماً»، وكان من النادر أن يستمر في مكان كل هذه المدة. وبعد عامين في هولندا عاد إلى هاكوه ثم فر إلى المجر بعد الوحدة بين ألمانيا والنمسا.

والغموض يكتنف ما حدث بعد ذلك. وكلما سئل جوتمانن عن الكيفية التي نجا بها من الحرب، كان جوابه دائماً «الرب ساعدني». وتوفي أخوه الأكبر في أحد المعتقلات النازية، وعلى الأرجح أن معارفه من نادي هاكوه ساعدوه على الهرب إلى سويسرا- حيث تم اعتقاله. وهناك التقى زوجته، لكنه كان دائماً يرفض الحديث عن تجاربه في زمن الحرب. وتحتوي سيرته الذاتية- التي نشرت سنة 1964- على فقرة قصيرة عن الموضوع يقول فيها: «في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كُتب عدد لا حصر له من الكتب عن سنوات الكفاح من أجل

البقاء على قيد الحياة، ولا أجد ضرورة لإزعاج قارئنا بهذه التفاصيل».

وبحلول عام 1945، عاد إلى المجر مع نادي فاساس Vasas. وفي الربيع التالي، انتقل إلى نادي سيوكانول Ciocanul في رومانيا، حيث أصر أن يتلقى مقابل عمله في صورة مأكولات كي يتجنب أزمات نقص الغذاء والتضخم التي عصفت بمعظم دول أوروبا آنذاك. وكانت قصة رحيله عن هذا النادي متوافقة مع شخصيته. فعندما حاول مدير النادي التدخل في اختيار الفريق، ذهب جوتمانن على ما يبدو إليه وقال: «حسناً، فلتدر أنت الفريق، فأنت على ما يبدو تمتلك أساسيات التدريب»، ثم غادر.

وفي الموسم التالي، فاز باللقب في المجر مع أوجبيست Ujpest ثم انتقل إلى كيسبست Kispest، حيث حل محل والد بوشكاش في منصب المدرب. وكان الصدام حتمياً مع بوشكاش-الذي لم يكن بدوره متحفظاً- وتمخضت المواجهة عن هزيمة فريقه أمام فريق جيور Gyor بالأربعة. وقضى جوتمانن- الذي كان مصراً على أن كرة القدم ينبغي أن تلعب «بالطريقة الصحيحة»- الشوط الأول وهو يحاول تهدئة النسق العنيف الذي يتبعه الظهير ميهالي باتي Mihaly Patyi. وفي غضب، أصدر جوتمانن تعليماته لباتي ألا ينزل الملعب في الشوط الثاني، على الرغم من أن ذلك كان سيجعل كيسبست يلعب بعشرة أفراد. وتردد باتي في إطاعة تعليمات مدربه لكنه تجاهلها في النهاية، وهو ما قابله جوتمانن بالجلوس في المدرجات طوال الشوط الثاني- الذي قضى معظمه وهو يقرأ صحيفة سباقات، ثم استقل الترام إلى منزله، ولم يعد أبداً بعد ذلك.

ثم تجول بعد ذلك: من تريستينا وبادوفا في إيطاليا، إلى بوكا جونيورز وكويلمس في الأرجنتين، ثم أبويل نيقوسيا في قبرص، ثم إلى إيه سي ميلان في منتصف موسم 1953- 1954، وصعد بهم في موسمه الأول معهم إلى المركز الثالث، ثم إلى قمة الجدول عندما أقيل بعد 19 مباراة من موسم 1954-1955

عقب سلسلة خلافات بينه وبين الإدارة. وقال في مؤتمر صحفي انعقد لإعلان رحيله: «تمت إقالتي رغم أني لم أكن مجرماً ولا شاذاً جنسياً. الوداع». ومن وقتها أصر على إدراج شرط في عقوده ينص على عدم إمكانية فصله إذا احتل فريقه قمة الدوري.

وانتقل إلى نادي فيشنزا ليتركه بعد 28 مباراة في الموسم، ويظل بلا عمل معظم فترات سنة 1956، قبل أن تمنحه ثورة بودابست فرصة للعمل. فعندما قبل فريق هونفيد Honved– وهو الاسم الذي صار فريق كيسبست معروفاً به بعد أن استحوذ عليه الجيش– دعوة للقيام بجولة طويلة في البرازيل وفنزويلا في محاولة لإبعاد اللاعبين عن القتال، تولى جوتمانن– الذي تصالح وقتذاك مع بوشكاش– مسؤولية قيادة الفريق. وعندما وجد طلباً عليه في أمريكا الجنوبية، قرر أن يمكث هناك، فقبل التعاقد مع ساو باولو. وهكذا– كما يدعي جوتمانن– جرى تصدير طريقة 4–2–4 إلى البرازيل، رغم أن الحقيقة أعقد من ذلك.

وقاد جوتمانن ساو باولو إلى إحراز لقب باوليستا عام 1957، لكنه رحل سريعاً متوجهاً إلى أوروبا ليدرب فريق بورتو. ويقول جوتمانن عن المدرب إنه أشبه بمروِّض الأسود. «فهو يسيطر على الحيوانات التي تؤدي عرضه داخل قفصها، طالما تعامل معهم بثقة في النفس وبلا خوف، لكنه يضيع متى أصبح غير متأكد من قدرته على السيطرة وأطلت أول بادرة خوف من عينيه». ولم يمكث جوتمانن فترة كافية لتظهر هذه البادرة في عينيه.

واستطاع جوتمانن أن يساعد فريق بورتو ليتغلب بفارق خمس نقاط بينه وبين بنفيكا لينتزع اللقب منه، وهو ما أدى إلى تعيينه مديراً فنياً لبنفيكا. وفي أول ظهور له مع الفريق استغنى عن 20 لاعباً لكنه فاز بالدوري عامي 1960 و1961، بعد دفعه بلاعبين شبان. والأهم من هذا، أن كرة بنفيكا السلسة هزمت برشلونة 3–2 في نهائي كأس أوروبا عام 1961، لتنهي احتكار ريال

مدريد لهذه البطولة، الذي استمر خمس سنوات.

لكن جوتمان لم يكتف بهذا، فبعد النهائي بأسبوع واحد في بيرني قدم اللاعب الذي أصبح فيما بعد أعظم لاعب في تاريخ النادي: إيزيبيو. وكان اللاعب الموزمبيقي سيلتحق على الأرجح بفريق سبورتينج لو لم يلتق جوتمان بالصدفة كارلوس بوير Carlos Bauer، الذي لعب تحت قيادته في ساو باولو، في صالون حلاقة بلشبونة. وكان بوير يقود نادي برازيلي في جولة لمدة خمسة أسابيع في أفريقيا، فطلب منه جوتمان أن يضع عينه على المواهب الجديدة. بعدها بخمسة أسابيع، التقيا مرة أخرى في الصالون نفسه؛ حيث تحدث بوير عن مهاجم في ناد يدعم نادي سبورتينج باللاعبين في مدينة لورينزو ماركيز Lourenco Marques-- (وهو الاسم الذي كان يطلق على مدينة مابوتو آنذاك)- وأنه كان يريد أن يوقع معه لولا أنه لم يقدر على تحمل المصاريف، وأن مصير هذا المهاجم على أي حال إلى نادي سبورتينج. فتحدث جوتمان هاتفياً مع النادي الموزمبيقي، وخطف الصفقة وحصل على توقيع إيزيبيو بعدها بيومين. ويقول جوتمان عن ذلك: «بضم إيزيبيو، تمكنت من إرجاع ماريو كولونا Mario Coluna إلى الخلف أكثر، ليصبح جناح وسط أكثر منه مهاجماً طرفياً. ولم يعجب ذلك ماريو في أول الأمر لأنه لم يسجل عدداً كبيراً من الأهداف كما تعود، لكنه أصبح أفضل لاعب لدي». وبعبارة أخرى أصبح هيديكوتي بنفيكا.

أنهى بنفيكا الموسم في المركز الثالث، بعد تلقي شباكه أهدافاً أكثر من مجمل الأهداف التي تلقاها فريقا سبورتينج وبورتو- صاحبا المركزين الأول والثاني- معاً. وربما كانت تلك علامة على أن طريقة جوتمان الهجومية ولى زمانها وكان يقول: «لم أهتم بتسجيل المنافسين أهدافاً في مرماي، لأني كنت أرانا قادرين على تسجيل عدد أكبر من الأهداف». لكن هذه القناعة لم تحظ بإقبال

كبير، وبخاصة مع عودة بنفيكا من تأخره بنتيجة 2–0 و3–2 أمام ريال مدريد ليهزمه بنتيجة 5–3 في نهائي كأس أوروبا بأمستردام. وبحث بوشكاش– الذي لم تشفع أهدافه الثلاثة لفريقه– عن اللاعب إيزيبيو بعد انطلاق صافرة النهاية ومنحه قميصه. واعتبر كثيرون هذه اللفتة إيماءة على انتقال الراية من أعظم لاعبي أوروبا إلى خليفته. وبدا بنفيكا وكأنه حل محل الريال كأعظم فرق أوروبا. على الرغم من أن إيزيبيو لم يكن قد تعدى 20 عاماً وقتها، ولم يكن منطقياً الاعتقاد بأن النادي سيعجز عن تسيد فترة الستينيات كما سيطر ريال مدريد على الخمسينيات. هذا إذا بقي جوتمانن، لكنه لم يبق! وبعد النهائي ذهب جوتمانن إلى إدارة بنفيكا وسأل الإدارة إن كان يستحق المكافأة. فقالوا له: لا يوجد في عقدك شيء بهذا الشأن. ويقول جوتمانن: «فزت بكأس أوروبا بمبلغ يقل 4000 دولار عما فزت به بالدوري البرتغالي. ولم تحاول الإدارة تغيير هذا الوضع، ففكرت في الرحيل».

وقد فعل ذلك بعدها بشهرين اثنين، متجاهلاً إغراءات نادي بورت فيل Port Vale بالقسم الثالث، ليعود إلى أمريكا الجنوبية مع نادي بينارول Penarol الأوروجوياني. وهناك بنى فريقاً شق طريقه ليفوز بكأس الليبرتادوريس، على الرغم من أنه تركه قبل النهائي ليتولى قيادة المنتخب النمساوي. وبعد أن أبعدته معاداة السامية بعد خمس مباريات، تجول بين الأندية فذهب إلى بنفيكا– لفترة وجيزة– ثم إلى سيرفيت جنيف Servette of Geneva، وباناثيناكوس وبورتو قبل عودته في آخر الأمر إلى المدينة التي يعشقها مع نادي فيينا النمساوي. ورغم ذلك، لم يعد لمستواه بعد تركه لبنفيكا الذي لم يستطع هو أيضاً العودة للمستوى الذي كان عليه معه. وتدولت قصة تقول إنه لعنهم، مقسماً أنهم لن يفوزوا بكأس أوروبا مرة أخرى حتى يدفعوا له المكافأة التي يستحقها، وهي قصة لا أساس لها بالطبع، لكن بنفيكا وصل إلى خمسة نهائيات منذ ذلك

الحين وخسرها جميعاً.

ولم تعد كرة القدم أبداً كما كانت، فقد طرح جوتمانن- أكثر من أي شخص آخر منذ تشابمان- تعريفاً للمفهوم العصري للمدير الفني، وخلفه في ذلك هيلينيو هريرا Helenio Herrera، الذي تبنى مفهوماً مختلفاً تماماً عن اللعبة. رحلت كل المفاهيم الحالمة المتعلقة بتسجيل أهداف أكثر من الخصم، وحلت محلها فلسفة استقبال أهداف أقل من الخصم أو ما يعرف بـ «الكاتيناتشو» Catenaccio.

الفصل السابع

△▽△▽△▽△▽△▽

استغلال المهرجان

كانت البرازيل عندما وصل إليها بيلا جوتمان Béla Guttmann وهونفيد Honvéd سنة 1956 بعيدة كل البعد عن التأخر الخططي. فكانت المهارات الفردية والابتكار آنذاك محل تشجيع بلا شك، لكن عند اللعب بطريقة «دبليو إم» فيما بعد (على الرغم من أن طريقة 4–2–4 بلغت درجة جيدة من التطور وقتها في البرازيل) فإنها لم تتوافق مع الرغبة المحلية في اللعب المهاري والتعبير عن الذات، وذلك ربما لجمود طريقة «دبليو إم» وما تشتمل عليه من رقابة لصيقة.

وإذا كان لنا أن نصدق أسطورة تأسيس كرة القدم البرازيلية، ويبدو أننا لا نملك أسباباً تجعلنا نشكك في أصولها، فقد وصلت هذه الرياضة إلى البرازيل عن طريق تشارلز ميلر Charles Miller، الذي ولد لأب انجليزي وأم برازيلية، ولأن عائلته تنتمي إلى النخبة المشتغلة بالتجارة والبن في ساو باولو، عاد إلى إنجلترا لتلقي تعليمه هناك. فتعلم اللعبة في المدرسة، وأكمل مسيرته فيها ليمثل هامبشاير ويلعب بضع مباريات لنادي سانت ماري، متصدر أندية ساوثمبتون، وعندما عاد إلى ساو باولو عام 1894، أحضر معه كرتين. وتقول القصة إنه غادر السفينة بكرة في كل يد.

سأله أبوه– حسبما تقول القصة– «ما الذي تحمله يا تشارلز». فأجاب: «شهادتي. لقد تخرج ولدك في كرة القدم»، لا شك أن تفاصيل القصة غير حقيقية تقريباً، ولكن من السهل معرفة سبب قبولها، وبذلك نجد أن كرة القدم البرازيلية كما يظهر من أصولها سعيدة ومبهجة ومتمردة ولا تعبأ بالسلطة.

وانتشرت اللعبة سريعاً في أوساط النخبة الإنجليزية والسكان الأصليين على السواء. وبحلول 1902، كان هناك دوري مزدهر في ساو باولو، وانتقلت اللعبة إلى ريو دي جانيرو عبر برازيلي إنجليزي آخر هو أوسكار كوكس– الذي تعلمها في أثناء دراسته في سويسرا، وأسس مع بعض أصدقائه نادي فلومينينسي. ومثلما حدث مع الأندية الهولندية والدانمركية الأولى، حفل النادي بمحاكاة للمظاهر الإنجليزية، كالقبعات والشوارب، والصيحات الحماسية، والسمات الرجولية. وكان ميلر مؤيداً منذ أيام الدراسة لأسلوب المراوغة بالكرة، وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن اللعبة بين أوساط الإنجليز في المهجر كانت مختلفة في الأسلوب عنها في بريطانيا آنذاك.

بدأ التمرير يحل محل المراوغة في الأندية البرازيلية والإنجليزية كما في غيرها. وكان جوك هاميلتون Jock Hamilton، وهو واحد من عدة مدربين أسكتلنديين عملوا لدى هاري برادشو Harry Bradshaw في نادي فولهام– وهو أول رابط رغم ضآلته بين جيمي هوجان Jimmy Hogan والبرازيل– قد عُين في نادي سي إيه بوليستانو، وقد عبر عن دهشته لتطور اللعبة إلى هذا الحد...وأثنى على مجموع المهارات التي يتمتعون بها، وازدادت الجوانب المهارية بفضل تأثير فريق سكوتيش واندررز وهو فريق تشكل من المغتربين الأسكتلنديين في ساو باولو عام 1912، وقد مارسوا طريقة دمج الأساليب التي أصبحت تعرف خطأً باسم «النظام الإنجليزي». (Systema Ingleza).

كان أبرز لاعبي فريق واندررز هو أركي مكلين، الجناح الأيسر الذي أمضى موسمين مع فريق آير يونايتد في دوري القسم الثاني الأسكتلندي، وكتب عنه توماس مازوني Tomas Mazzoni في كتابه عن تاريخ كرة القدم في البرازيل والصادر عام 1950 قائلاً: «كان فناناً، وأحد أهم ممثلي المدرسة الأسكتلندية. وأصبح أسلوبه العلمي في كرة القدم أكثر أهمية عندما اشترك في الجانب الأيسر

مع مواطنه هوبكينز». وانتقل الثنائي بعد ذلك إلى ساو بنتو، حيث أصبحت طريقتهما في تبادل الكرة بتمريرات سريعة وقصيرة تعرف باسم <Tabelinha‘ ومعناها الحرفي «المخطط الصغير».

وذكر الكاتب أيدان هاميلتون في كتابه An Entirely Different Game أن التأثير البريطاني بقي قوياً في البرازيل لفترة أطول مما حدث في الأوروجواي والأرجنتين. ويتحدث مازوني عن هاري ويلفر– مهاجم ليفربول الذي انتقل إلى ريو دي جانيرو بعد قبوله عرضاً للتدريس هناك– فيقول إنه «تكيف مع طريقة لعبنا» بعد الالتحاق بفريق فلومينينسي ونشر أفكاره الخاصة». وذكر ماكس فالنتيم في كتابه On Football and its Technique أن ويلفر قام بتعليم مهاجمي النادي طريقة لعب الكرات البينية، وذكر اثنين من تقنياته في المراوغة: «التوقف أو التمويه بالجسم الذي يطلق عليه الإنجليز اسم «الانحراف»، والقفز إلى أحد الجوانب في أثناء الجري بالكرة».

وظهر الاختلاف الفعلي عن النموذج القديم عندما شارك السكان المحليون في اللعبة. ونتيجة لمنعهم من المشاركة في نادي فلومينينسي، كان البرازيليون يشاهدون الإنجليز من فوق أسطح المنازل القريبة، فوجدوا رياضة أسهل في الاستيعاب والمحاكاة من لعبة الكريكت. ومع التناقل الودي للكرات المصنوعة من القماش في الطرقات، ظهر مفهوم جديد للعبة، اعتمد على المهارات الفردية غير التقليدية اللازمة للاستمرار في هذه الظروف. ولم تتعارض هذه المهارات مع أي حظر مفروض على الاستعراض. ولم يندهش مكلين، وقال إن الكرة في ساو باولو: «كانت تضم لاعبين عظماء، لكنهم يفتقدون الانضباط بدرجة كبيرة، وتصرفاتهم الغريبة لم تحظ بالقبول في أسكتلندا».

وعقدت العديد من التشبيهات بين الكرة البرازيلية ورقصة السامبا– وكان المشجعون البرازيليون في كأس العالم 1958 يهتفون «سامبا – سامبا» في أثناء

الاحتفال بفوزهم الأول في البطولة- ويشبه الكاتب سيمون كوبر في كتابه Football against the Enemy بيليه بالمقاتل كابويريستا Capoerista- أستاذ أحد الفنون القتالية التي اخترعها العبيد الذين جُلبوا من أنجولا وجعلوها أشبه بالرقص حتى لا يكشف أمرها ساداتهم.

خرج عالم الأنثروبولوجيا روبرت داماتا Robert DaMatta بنظرية 'Jeitinho' ومعناها الحرفي «الطريق الصغي» لشرح القدرات الإبداعية التي افتخر بها البرازيليون، فافترض أنه لأن قوانين ومدونات السلوك في البرازيل، حتى بعد إلغاء الرق سنة 1888، كانت مصممة لحماية الأثرياء وذوي النفوذ، كان على الأفراد إيجاد سبل مبتكرة للالتفاف حول القوانين. وفي كتابه What makes Brazil, Brazil ذكر الكاتب أن «الطريق الصغي» هو وساطة شخصية بين القانون والموقف الذي يتم تطبيق القانون عليه والأشخاص المشاركين- بحيث لا يتغير شيء بخلاف قدر الاضطراب الموجود في القانون ذاته. ففي الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا مثلاً يتم الامتثال للقواعد ما دامت موجودة، ومن المتعارف عليه في هذه المجتمعات عدم وجود رغبة في وضع قوانين جديدة لا تتوافق مع الصالح العام أو مع غيرها من القوانين بالمجتمع، حتى لا يؤدي ذلك إلى إفساح المجال أمام الفساد البيروقراطي وتراجع الثقة في المؤسسات الحكومية. ولذلك «يقف الأمريكيون والفرنسيون والبريطانيون عندما يرون إشارة «حمراء»، أما بالنسبة لنا فيبدو ذلك عبثية منطقية واجتماعية...»

وعلى النقيض يجد البرازيليون طريقة للتغلب على هذه القيود؛ فقد انتهوا إلى الاعتماد على أنفسهم بدلاً من النظم الخارجية، ولا يصعب رؤية القدرات الإبداعية التي ميزت كرة القدم البرازيلية تاريخياً كتعبير خاص عن تلك السمة. ويجد الأفراد طريقتهم الخاصة للسيطرة على المواقف، وهو ما يعني مستويات مرتفعة من الإبداع وعدم الثقة في العمل الجماعي في الوقت ذاته، فكثير من

أعمال داماتا هي تطوير لأفكار جيلبرتو فريير، وهو عالم اجتماع بدأ الكتابة في أواخر الثلاثينيات. وكان فريير من أوائل الذين روجوا للتنوع العرقي في البرازيل كظاهرة إيجابية، محتفياً بشخصية الملاندرو التي اشتهرت في ريو دي جانيرو، وهي عادة شخصية محتال أو مخادع ذي أصول عرقية مختلطة، استخدم ذكاءه ليتفوق على أناس يفترض أن لهم سلطة عليه.

وكتب فريير سنة 1938: «أسلوبنا في لعب كرة القدم يتناقض مع أسلوب الأوروبيين نتيجة لمزيج من الصفات مثل: المباغتة والخشونة والدهاء، وخفة الحركة، مع البراعة والتلقائية الفردية في الوقت ذاته، إن تمريراتنا وتحركاتنا، وتميزنا في اللعب بالكرة، واللمسات الراقصة والمعارضة التي تميز الأسلوب البرازيلي توضح لعلماء النفس والاجتماع بطريقة شيقة جداً مكر واستعراض الأشخاص ذوي الأصول العرقية المختلطة، الأمر الذي يمثل اليوم صفة مؤكدة حقيقية لكل ما هو برازيلي».

بالنسبة للكتّاب آنذاك، تجسدت روح الملاندرو في اثنين من أعظم لاعبي البرازيل في الثلاثينيات، مهاجم الوسط ليونيداس Leonidas والمدافع دومينجوس دا جويا Domingos da Guia، وكلاهما ذو بشرة سمراء. ويقر دومينجوس صراحة أن إمكاناته الإبداعية، ومهاراته الفنية التي سمحت له بإبعاد الكرة من الخلف، كانت نابعة في البداية من غريزة الحفاظ على النفس، فيقول عن ذلك: «عندما كنت طفلاً خشيت لعب كرة القدم، لكثرة ما كنت أرى من تعرض اللاعبين ذوي البشرة السمراء للضرب في الملعب، فقط لارتكاب مخالفة أو أقل من ذلك أحياناً، واعتاد أخي الأكبر أن يخاطبني قائلاً: الكرة دائما تسقط على قدمه، ألا تجيد الرقص؟ وكنت أجيده وساعدني ذلك في كرة القدم، كنت أحرك فخذيي كثيراً، وقد ابتكرت هذه المراوغة القصيرة تقليداً للميودينهو، وهي أحد أشكال رقصة السامبا».

وبغض النظر عن كيفية حدوث ذلك، أصبح هناك أسلوب لعب برازيلي مميز بحلول 1919، وهو ما أوضحه «نوفمب» في مقال بعنوان «الإبداع البرازيلي» في أول أعداد مجلة «سبورت». التي تصدر في ساو باولو، وقد ذكر في مقاله: «على عكس المدرسة البريطانية، التي تنادي بأخذ المهاجمين الكرة مباشرة إلى مرمى المنافس والتسجيل من أقرب مسافة ممكنة، تنادي المدرسة البرازيلية بالتصويب من أي مسافة، وكانت دقة التصويب أهم من قرب المسافة من المرمى، كما تنادي بعدم ضرورة التقدم الجماعي لخط الهجوم بأكمله؛ بل يكفي تقدم لاعبين أو ثلاثة واختراقهم بالكرة، وهو ما يربك دفاع المنافس بالكامل نتيجة التحرك السريع وغير المتوقع».

وحظي التصور الذي يقضي بأن الكرة البريطانية لم تكن مباشرة بما يكفي أمام المرمى بانتشار غريب ولاسيما بالنظر إلى انتقاد المعلقين البريطانيين للتحضير المفرط لدى منتخبات وسط أوروبا، ربما يكون السبب في ذلك هو ارتباط العناصر كافة، فربما كان المغتربون الأسكتلنديون الذين كونوا فريق واندررز يمررون الكرة أكثر من اللازم وهو ما أثر على الرأي، أو ربما كانت كرة القدم في بريطانيا آنذاك، قبل تغيير قانون التسلل بست سنوات، أكثر تعقيداً مما أصبحت عليه. وأياً كانت الحقيقة، فالواضح أن التركيز في الكرة البرازيلية كان موجهاً نحو التعبير عن الذات أكثر من اللعب الجماعي.

رغم ذلك كانت كرة القدم البرازيلية بعيدة في تلك المرحلة عن التقدم الموجود في ريفر بليت، فلم يفز المنتخب البرازيلي في مبارياته العشر الأولى، التي كانت كلها أمام الأرجنتين وأوروجواي وشيلي، سوى في ثلاث مباريات، وفي كوبا أمريكا 1917 استقبل مرماهم أربعة أهداف أمام كل من الأرجنتين وأوروجواي، وفي 1919 حققوا نجاحاً أكبر من خلال الفوز بالبطولة، وذلك إلى حد كبير بفضل تكتيك احتفاظ أحد لاعبي الدفاع الصريح بدور دفاعي

صرف، بينما مُنح الآخر فرصة للتقدم والمشاركة في الهجوم، ولم ينطو ذلك على قدر كبير من التطور، ولكنها المرة الأولى التي يقر المنتخب البرازيلي بحاجته إلى نوع من التنظيم الدفاعي.

ولم يكن هذا النجاح مؤشراً لبداية الهيمنة القارية، فقد فازت البرازيل في 6 مباريات فقط من 20 مباراة لعبتها أمام الأرجنتين قبل 1940، وفازت في 5 مباريات من إجمالي 13 مباراة لعبتها أمام الأوروجواي، كما فازت بكأس أمريكا مرة أخرى عام 1922، ولم تحصل على اللقب الثالث إلا بحلول 1949، ومن المثير للدهشة، أن اللقب الخامس لم يتحقق إلا عام 1997 عندما فازت البرازيل بالكأس خارج أرضها.

تسببت الخلافات الداخلية بين أعضاء الاتحاد في اقتصار الانضمام إلى منتخب البرازيل على لاعبي مدينة ريو دي جانيرو في كأس العالم 1930، وخسر المنتخب مباراته الافتتاحية أمام يوغسلافيا بنتيجة 2–1، وكتب جلانفيل Glanville معلقاً على تلك المباراة: «لقد كانت المهارات الفردية للاعبي البرازيل أفضل، ولكنهم تخلفوا في اللعب الجماعي»، وخرجوا من البطولة رغم فوزهم على بوليفيا بنتيجة 4–0.

تم إقرار الاحتراف رسمياً عام 1933، وهو ما ساعد– على الأقل– في إقناع لاعبي البرازيل الذين كانوا في جولات أوروبية مع أنديتهم بالعودة إلى الوطن، ولكن استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يظهر تأثير الاحتراف على نتائج المنتخب أو أسلوب اللعب.

بعد الخروج من كأس العالم 1934 بعد مباراة واحدة انهزم فيها المنتخب البرازيلي 3–1 أمام المنتخب الأسباني، توجه المنتخب البرازيلي إلى بلجراد ليخوض مباراة ودية ضد منتخب يوغسلافيا، التي أخفقت في التأهل لنهائيات كأس العالم، ليلقى هزيمة بنتيجة 8–4، وعلى الرغم من أن هذا

المنتخب ضم مواهب من أمثال دومينجوس وليونيداس وفالديمار دي بريتو Waldemar de Brito، فقد كانوا في وضع تكتيكي مهين، أكثر مما كانت عليه حالهم في مونتيفيديو قبل ذلك بأربعة أعوام، ويوضح مؤرخ كرة القدم إيفان سوتر Ivan Soter ذلك قائلاً: «كانت هناك مساحات شاسعة بين الخطوط، واستطاع اليوغسلاف استغلالها، ليكشفوا أخطاء هذا الطريقة القديمة» وهو شيء ثبت بالدليل ضرورة تغييره.

جرت أول محاولة لإدخال طريقة «دبليو إم» إلى البرازيل على يد جينتل كاردوسو Gentil Cardoso ولكنه كان محاطاً بمشكلتين رئيسيتين: لم يكن لديه سابق خبرة كلاعب، وكان ذا بشرة سمراء، وقد عمل ماسح أحذية، ونادلاً، وسائق ترام وخبازاً، ثم التحق بالأسطول التجاري، وهو ما أتاح له الذهاب في رحلات متكررة إلى أوروبا، ويبدو أنه كان يقضي معظم وقت فراغه هناك في مشاهدة كرة القدم، وأصبح مشجعاً للكرة الإنجليزية، وزعم لاحقاً أنه شاهد مباشرة تطوير هيربرت شابمان Herbert Chapman لطريقة «دبليو إم» في فريق الأرسنال، ويقول سوتر معلقاً: «كان شخصاً مثيراً للانتباه، شخصاً يحب سرد حكايات سفرياته»، وعلى الرغم من أنها كانت حكايات منمقة، لكن لا يمكن إغفال قدرته على التحليل التكتيكي، فقد رأى طريقة «دبليو إم»، وتعرف على إمكاناتها، وأدرك أن هذه الطريقة المختلفة تماماً عما في البرازيل هي المستقبل.

حصل كاردوسو على فرصته التدريبية في الثلاثينيات حين قسّم وقته بين كرة القدم والعمل في البحر. وقام بتنفيذ طريقة «دبليو إم» على نادي سيريو ليبانيس، وهو أحد الأندية الصغيرة بمدينة ريو دي جانيرو، حيث شهد بزوغ نجم ليونيداس، ويصف الكاتب المسرحي نيلسون رودريجز هذا المهاجم قائلاً: «لقد كان لاعباً برازيلياً بكل معنى الكلمة، وكان مفعماً بالخيال والابتكار،

والبراءة ورهافة الحس وهي الصفات التي ميزت العظماء من لاعبي البرازيل»، ولم يكن بلفظ آخر يشبه ذلك النوع من المهاجمين الذين يفضل الإنجليز توظيفهم في طريقة «دبليو إم»، وكان من السهل تقليد الطريقة من حيث الشكل، لكن يبدو أن تنفيذ الأسلوب كان أصعب كثيراً.

كان نادي سيريو ليبانيس أصغر من أن يعكس بشكل حقيقي إبداع كاردوسو، وحتى بعد انتقاله إلى بونسوسيسو، وهو ناد أكبر قليلاً، آخذا ليونيداس معه، اكتشف أن من الصعب العثور على مؤيدين لأفكاره، وأصبح معروفاً باقتباس كلمات سقراط، وشيشرون وغاندي في مناقشات الفريق، وأثرى مفردات كرة القدم البرازيلية، فقد أطلق على سبيل المثال لفظ «الثعبان» على اللاعب الجيد؛ أو لفظ «الحما» على النتائج الصادمة، ولكن من الناحية التكتيكية، كما وصفه سوتر: «لم يكن الناس يأخذون كلامه على محمل الجد».

واستدعى الأمر قيام مدرب أوروبي هو دوري كورشنر Dori Kürschner بترسيخ طريقة «دبليو إم» في البرازيل، حتى وفاته، قبل أن تظهر نتائج أفكاره. ويعلق فلافيو كوستا Flávio Costa، الذي سبق كورشنر في نادي فلامينجو وحل محله بعد ذلك، في مقابلة مع أيدان هاميلتون قائلا: «عندما وصل كروشنر إلى البرازيل، كان مهذباً يتحدث كثيراً عن طريقة «دبليو إم»، لكن لم تكن لديه هيبة تمكنه من تطبيقها، لذا كان كورشنر هو من حاول تطبيق «نظام كرة القدم» (Futebol sistema).

أصبح كورشنر رمزاً أسطورياً في البرازيل، فهو من وجهة نظرهم حكيم جاء من بلاد بعيدة جالباً معه المعرفة، ومثل الأنبياء الصادقين كافة، رحل دون أن يحظى بالشهرة وهو على قيد الحياة. ويتم تصويره كمبشر بلا تاريخ، أو أنه رجل من اللامكان. ويقول عنه روبرتو آساف الخبير التلفزيوني والمؤرخ

العظيم لنادي فلامينجو: «لم نكن نعرف حتى إن كان من المجر، أو التشيك أو بوهيميا..». ويمكن تفسير هذا الخلط إذا نظرنا إلى نقل حرفي «الراء». و«الواو» في اسمه في بعض المراحل، وبالتالي أصبح اسم كورشنر في البرازيل ينطق ويكتب كـ «كروشنر»؛ وعندما تبحث عن كروشنر لن تجده بالطبع. وكما يذكر أليكس بيلوس Alex Bellos في مقدمته لكتاب futebol: «لم تكن البرازيل بارعة في الحقائق ... فهي بلد مبني على الحكايات، والأساطير، وأناس يلعبون لعبة الهمسات الصينية التي يتناقل فيها الناس الكلام ويتغير مضمونه كلما تناقلوه».

ويساعد ذلك في تفسير الهالة الأسطورية التي أحاطت بكورشنر دون أن يفسر استقرار رئيس نادي فلامينجو جوزيه باستوس باديلها Jose Bastos Padilha عليه، كرجل يستطيع مواصلة خططه للهيمنة على ريو دي جانيرو، وهو ما اشتمل على تمويل بناء الاستاد الجديد.

وبغض النظر عما كان يعتزم فعله، فقد حصل بتعيينه على شخص ذي أصول عريقة في كرة القدم المنتشرة في محيط نهر الدانوب؛ شخص وفر رابطاً مباشراً بجيمي هوجان، إذ كان هوجان يشار إليه بانتظام باعتباره أباً لكرة القدم المجرية والنمساوية والألمانية؛ وما لم يحظ بالقدر نفسه من الإشادة هو اعتباره جداً لكرة القدم البرازيلية.

ولد كورشنر في بودابست، ونجح كلاعب مع فريق «إم تي كيه»، وحصل معه على لقب الدوري المجري عامي 1904 و1908، وانضم أكثر من مرة للمنتخب، وكان يشتهر كمدافع أيسر يلعب في وسط الملعب أحياناً بالبراعة الخالية من التعقيد في امتلاك الكرة، واشتهر- على وجه الخصوص- بقدرته على لعب الكرة بالرأس، وفي أواخر مسيرته كلاعب، تدرب تحت قيادة هوجان، قبل أن يتولى قيادة «إم تي كي». خلفاً له عام 1918، وحقق كورشنر لقباً هناك

لكنه انتقل إلى ألمانيا خلال عام واحد، وهناك حقق نجاحاً أقل مع شتوتجارت كيكرز، وأحرز اللقب المحلي الألماني مع نرونبرج، وبعد فترة قصيرة مع بايرن ميونيخ، أصبح مدرباً للفريق بعد اشتراكهم في اللقب في الموسم الذي تلا ذلك بعدما أطلق عليه «النهائي الأبد» ضد نادي إس في هامبورج.

يبدو أن كورشنر في بداية مسيرته كان يفتقد إلى القدرة على الاستقرار مثل جوتمان، وانتقل إلى نادي إنتراخت فرانكفورت ثم إلى سويسرا مع نادي نوردستيرن بازل، حيث ترقى مع أول محاولة، ثم رحل سريعاً، وانضم إلى هوجان والمدرب الانجليزي تيدي داكوورث Teddy Duckworth لإعداد المنتخب السويسري لأولمبياد باريس، وهناك حققوا أكبر نجاح في تاريخ الكرة السويسرية، عندما وصلوا إلى النهائي وحققوا المركز الثاني بعد الأوروجواي التي كانت تدافع عن لقبها.

عاد كورشنر إلى ألمانيا مجدداً مع نادي شوارز فيس إيسين، وانضم سنة 1925 إلى جراس هوبرز في زيوريخ. وأمضى السنوات التسع التي تلت هناك، فحقق الدوري ثلاث مرات، والكأس أربع مرات، قبل أن يخلفه كارل رابان. ولو بقي كورشنر في ألمانيا أو عاد إلى المجر، حيث كانت الطريقة الدانوبية القديمة 2–3–5 لا تزال سائدة، لاختلفت الأمور. لكن يبدو أن كورشنر اقتنع في سويسرا بمزايا طريقة «دبليو إم» أو– على الأقل– نسخة منها. وعندما اتصل به باديلها عام 1937، أخذ معه إلى ريو دي جانيرو الطريقة التي مثلت ضربة البداية للثورة البرازيلية.

ربما كان أفضل وصف لكرة القدم البرازيلية هو أنها تتطور تدريجياً، لأنها بدورها كانت تتسم بالمحافظة تماماً كالكرة الإنجليزية. كان لاعب وسط نادي فلامينجو عند وصول كورشنر هو فاوستو دو سانتوس؛ «الساحر الأسمر»، وهو لاعب ذو أسلوب أنيق اعتاد على تسيد المباريات. وكانت المراكز في

الكرة البرازيلية لها تدرج واضح من حيث الأهمية، أعلاها لاعبو الوسط وأدناها المدافعون. وليس هناك سبيل، كما قال لكورشنر، في أن يعود إلى الخلف ليصبح مدافعاً، وانقسم المشجعون والصحفيون حول هذه المسألة. ولم يتم حلها إلا عندما تدخل باديلها، وقام بتغريم فاوستو، وأخبره بضرورة أداء المهام التي يتقاضى أجراً عليها. وكانت تلك– على الأقل– الأسطورة التي تصور كورشنر كمجدد صارم، لا يلقي بالاً لإغراء التقليد والسمات الفردية ومخاوف اللاعبين.

ولم يكن الأمر بهذه البساطة، فنادراً ما تخرج الأفكار مكتملة الشكل من عقول أصحابها، وهنا أيضاً يبدو أن الظروف لعبت دوراً. فكان كورشنر وفقا لآساف يخشى الإمكانات الطبية التي وجدها في النادي، وكان أول تحرك مهم يتخذه بعيداً عن التغييرات التكتيكية الجوهرية، هو عرض لاعبيه على الطبيب، وتبين أن فاوستو كان يعاني من بوادر لمرض السل كانت ستقضي عليه في غضون عامين، ويبدو أن قرار توظيفه في مركز متأخر قد اتخذ بالنظر إلى تراجع حالته الصحية بنفس قدر اتخاذه لأسباب تكتيكية. وسواء كان فاوستو بصحة جيدة، تجعل كورشنر يحتفظ بطريقة 2–3–5 القديمة، أو كان قد استخدمه كمدافع وسط ملعب، ووضع لاعباً آخر كوسط ملعب ذي مهام دفاعية في طريقة «دبليو–إم»، يصعب علينا التكهن بذلك.

يبدو أن مفهوم كورشنر لطريقة «دبليو–إم» كان مختلفاً تماماً عن مفهومها الشائع في بريطانيا، ولأنه ينتمي للمناطق المحيطة بنهر الدانوب، ونشأ في مدرسة كرة القدم السويسرية، بدا من غير المحتمل أن يؤيد اللعب بمدافع يلعب بطريقة هيربي روبرتس Herbie Roberts، سواء في وسط الملعب أو في أي مركز آخر. وحتى إن فعل، فلم يكن فاوستو دو سانتوس أبداً هو الرجل المناسب ليلعب بهذه الطريقة، وكان ما يطلق عليه كورشنر والبرازيليون طريقة

«دبليو–إم»، يبدو على الأرجح، أقرب في الحقيقة إلى طريقة الميتودو (2–3–3–2) الخاصة بفيتوريو بوزو، أكثر من كونها «دبليو–إم»، إذ يتحرك لاعب الوسط خلف لاعبي وسط الملعب المدافعين، لكنه أمام لاعبي الدفاع الصريح. وكما يقر سوتر: «على الرغم من أن النظام بدا دفاعياً إلى درجة كبيرة بالنسبة للكرة البرازيلية آنذاك، فقد كان بعيداً كل البعد عن سلبية النموذج البريطاني أو جموده».

وبينما لم تكن خلفيته مبهمة كما يفهم من سيرته، فالحقيقة المؤكدة أن كورشنر قد تلاشى ذكره. فقد بقي فلافيو كوستا، لاعب فلامينجو السابق الذي تولى القيادة من بعده، كمساعد له مستفيداً من عدم معرفة كورشنر باللغة البرتغالية، ليحط من قدره كلما سنحت الفرصة، مبدياً حنقه من طريقة «دبليو–إم» ومؤيداً لفاوستو أثناء الخلاف. وكانت النتائج مخيبة للآمال، رغم تسجيل 83 هدفاً في 22 مباراة، فلقد حل نادي فلامينجو في المركز الثاني في بطولة ريو دي جانيرو خلف منافسه التقليدي فلومينينسي، ووجد كورشنر نفسه وطريقته محل سخرية على نطاق واسع من الصحافة المحلية. وكانت أولى مباريات عام 1938 هي أيضاً المباراة الافتتاحية لملعب استاد جافيا Estadio da Gavea، وعندما تعرض فلامينجو للهزيمة بنتيجة 2–0 أمام فاسكو دا جاما، تم الاستغناء عن خدمات كورشنر وإحلال فلافيو كوستا محله.

كان المتوقع أن يعود كورشنر إلى أوروبا نتيجة لعدم شهرته وملازمة سوء الفهم له على نطاق واسع، لكنه بقي في ريو دي جانيرو، ربما لخشيته من مظاهر العداء للسامية في بودابست، حيث أعلن نظام ميكلوس هورثي Miklos Hórthy تحالفه الرسمي مع ألمانيا النازية. بعد ذلك، تم تعيينه مدرباً لنادي بوتافوجو عام 1939، لكنه رحل عنه في العام التالي وتوفي عام 1941 جراء الإصابة بفيروس مجهول. ورغم ما تعرض إليه من تشكيك، طُلب من كورشنر

العمل كمستشار لمدرب المنتخب الوطني، أديمار بيمنتا Adhemar Pimenta، في كأس العالم 1938 بفرنسا. وقبل بدء البطولة، ذهب توماس مازوني– الذي كان يعمل آنذاك مراسلاً صحفياً– لحضور مباراة ودية بين فرنسا وإنجلترا على ملعب كولومبيه في باريس، وكان منتخب إنجلترا متفوقاً بفارق كبير، وفاز بنتيجة 4–2، ورغم ذلك كتب مازوني باندهاش عن احتفاظهم بثلاثة مدافعين معظم المباراة، مختتماً بأن ذلك لا يمكن استيعابه مطلقاً في البرازيل.

كانت الأمور آخذة في التغيير رغم ذلك، وفي حين وظفت البرازيل في هذه البطولة مارتيم سيلفيرا Martim Silveira كلاعب وسط مهاجم، فقد تم سحب مهاجمي القلب، روميو Romeu وبيراشيو Peracio، إلى ما يعرف باسم مركز «رأس الحربة» ponta da lança– مؤكدة بذلك عملية استمرت لبعض الوقت، وبحلول أواخر الثلاثينيات، وجدت المنتخبات التي كانت تلعب ظاهرياً بطريقة 2–3–5 أن اللعب بخمسة مهاجمين يؤدي إلى اصطفاف بعضهم خلف بعض فيما يشبه الطابور. وقد تراجع ماتياس سيندلر من خط الهجوم ليوفر قدراً من المرونة للنمساويين، بينما في الأرجنتين وأوروجواي كان اللعب من العمق هو الشائع بالنسبة لمهاجمي القلب، وكان سيلفيرا ذا توجه هجومي أكثر من لويزيتو مونتي Luisito Monti، ولكن بغض النظر عن ذلك، كانت طريقة لعب البرازيل عام 1938 مختلفة قليلاً عن طريقة الميتودو التي ابتكرها بوزو في إيطاليا.

ودون شك، أثبتت هذه الطريقة جدواها، فقد وصلت البرازيل إلى الدور قبل النهائي، ورغم ذلك –وفي دراسة لاحقة عن البطولة– انتقد الصحفي جوا سالدانها João Saldanha– الذي أصبح مدربا للمنتخب الوطني عام 1969– قائلاً: «إنه كان بإمكانهم تحقيق نتيجة أفضل بتوظيف ظهير ثالث». واستقبل مرماهم رغم كل شيء 10 أهداف في 5 مباريات، 3 منها من ضربات

جزاء، وهو ما اعتبره مؤشراً لتكدس الدفاع وارتباكه تحت الضغط.

وبالعودة إلى نادي فلامينجو، لم يعد فلافيو كوستا كما كان متوقعاً بعد رحيل كورشنر إلى طريقة 2—3—5، بل قام بتعديل طريقة «دبليو—إم» ليخرج بطريقة أسماها «القُطرية». كل ما فعله في الأساس هو دفع المربع الذي يقع عند منتصف التشكيل لطريقة «دبليو—إم» بحيث أصبح متوازي أضلاع، وأبقى على ثلاثة مدافعين— وكان ذلك هو سبب الخلاف مع فاوستو— وثلاثة مهاجمين، ولكن بدلاً من لاعبي وسط ملعب مدافعين ومهاجمي قلب، كما في النموذج البريطاني، اشتملت الطريقة القُطرية على لاعب وسط مدافع متأخر في العمق- كان اللاعب الذي تم توظيفه في هذا المركز وفق التصور الأول لفلافيو كوستا، والذي تبلور بحلول عام 1941، هو المدافع الأيمن فولانتي وتستخدم كلمة فولانتي حالياً في البرازيل لتشير إلى لاعب الوسط المدافع- ولاعب عن يساره ومتقدم عنه هو جايمي، وقد لعب المهاجم الأيمن- زيزينهو- أعمق قليلاً بحيث لا يترك مساحة كبيرة خلفه، مع توظيف المهاجم الأيسر- بيراشيو- في مركز متقدم في دور رأس الحربة التقليدي.

كانت هذه الطريقة قابلة للتعديل، بحيث يتحول الجانب الأيمن إلى الهجوم أكثر، وقد قام أوندينهو فييرا، وهو أحد لاعبي منتخب الأوروجواي الفائز ببطولة كأس العالم 1930، باستخدام الطريقة القُطرية في نادي فلومينينسي، ولكن مع توظيف سبينللي، المدافع الأيسر، في دور دفاعي، واضطلاع روميو بمهام رأس الحربة.

كان الحكم على مدى حداثة الطريقة «القُطرية» محل خلاف، ووفقاً لما أورده المؤلف والمدرب البرتغالي السابق كانديدو دي أوليفيرا في كتابه The WM System (نظام تشكيلة دبليو إم)، عندما ذهب فلافيو كوستا لاحقاً إلى أوروبا بناء على طلب رئيس نادي فاسكو دا جاما لشرح طريقته، قوبلت طريقته

بالسخرية باعتبارها تقليداً زهيداً لطريقة «دبليو–إم». ربما الحقيقة بالأحرى هي إضفاء فلافيو كوستا صبغة رسمية على تغييرات معروفة ومتضمنة في طريقة «دبليو إم»، فأحد مهاجمي القلب سيكون دوماً أكثر إبداعاً من الآخر؛ وأحد مدافعي وسط الملعب سيكون أمهر دفاعياً.

في نادي الأرسنال في فترة الثلاثينيات، كما يوضح برنارد جوي في كتاب «تكتيكات الكرة» Soccer Tactics، لعب ويلف كوبينج المدافع الأيسر في العمق، مع منح المدافع الأيمن جاك كرايستون مزيداً من الحرية، وعندما لعب في الدفاع بيلي رايت قائد فريق ولفرهامبتون ومنتخب إنجلترا في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات، الذي كان بمقدوره اللعب كوسط ملعب مدافع، ألم يكن ذلك في نقطة أعمق من بيلي كروك أو جيمي ديكنسون؟ ويوضح ريتشارد ويليامز في كتابه «العشرة المميزون» The Perfect 10، عادة كان المهاجم الأيسر أكثر قدرات هجومية من نظيره الأيمن (حسبما تقول النظريات التي تربط بين الإبداع واللعب بالقدم اليسرى)، وهذا ما جعل اللاعب رقم 10 (وليس رقم 8) يستحوذ على الأهمية كصانع ألعاب. ومن السهل أن يتشكك المرء في فلافيو كوستا كما حدث مثلاً مع المعلق ألبرتو هيلينا جونيور الذي رأى أنه لم يفعل سوى إعادة تقديم تكتيكات كورشنر. ويرى أنه نظراً لانتقاده الشديد لكورشنر، لا يمكنه إعادة استخدام طريقته دون تغيير. ولكن لذلك مدلولاً كبيراً. فقد أظهرت تعديلات فلافيو كوستا أن طريقة «دبليو–إم» لم تكن أكثر قداسة من الهرم، وبمجرد تحول المربع إلى متوازي أضلاع، لم يتطلب الأمر أكثر من دفعه لكي يتحول إلى مُعيّن Parallelogram– ثم ببساطة إلى شكل الماسة، ولما حدث ذلك أصبحنا أمام طريقة 4–2–4. وقبل أن تتم هذه النقلة وتكتسب قبولا واسع النطاق، ظلت البرازيل تتجرع آلام سنة 1950.

الطريقة القُطرية (اليمين): تشكيل فريق فلامينجو 1941.

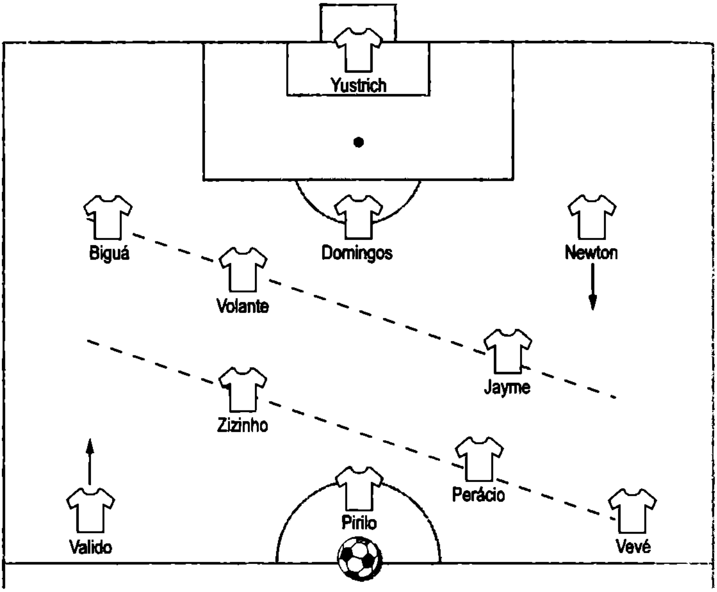

الطريقة القُطرية (اليسار): فريق فلومينينسي 1941.

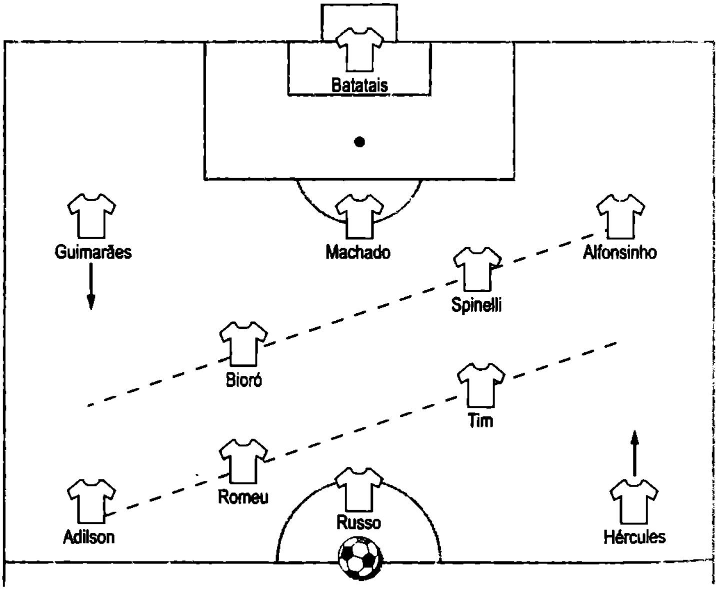

تحظى البرازيل باعتراف شبه عالمي بأن منتخبها كان الأفضل في نهائيات كأس العالم التي استضافتها، ورغم ذلك فلم يكن الكأس من نصيبها، والأكثر من ذلك أنها تلقت هزيمة منكرة في مباراتها الأخيرة يعبر عنها نيلسون رودريجز قائلاً: «إنها كارثة وقعها علينا كقنبلة هيروشيما».

تم تعديل الطريقة القُطرية التي فرضها فلافيو كوستا تعديلاً طفيفاً، بحيث يلعب أديمير، ومركزه الأصلي مهاجم قلب، في مركز مهاجم الوسط، على أن يلعب جاير، المهاجم الأيسر، كرأس حربة وأن يلعب زيزينهو خلف المهاجمين، وبذلك توفر قدر أكبر من الانسيابية ومثلثات لا تنتهي من التمريرات، وقد سارت البرازيل نحو الفوز في كوبا أمريكا 1949 بتسجيل 39 هدفا في 7 مباريات قبل أن تلعب مباراة فاصلة اكتسحت فيها باراجواي بقيادة فليتاس سوليك بنتيجة 7–0.

وأصيب زيزينهو ولم يلعب المباراة الأولى في كأس العالم، ولكن منتخب البرازيل لايزال هو الفريق المكتسح المفضل، وأدى ما عليه في تلك المباراة، محققاً نتيجة فاقت المرات الخمس السابقة بتسجيل 4 أهداف في مرمى المكسيك في المباراة الافتتاحية على ملعب الماراكانا، وبدأت المشاكل تظهر بمغادرتهم ريو دي جانيرو لأداء المباراة الثانية أمام سويسرا في ساو باولو، وكما كان شائعاً آنذاك، أجرى فلافيو كوستا عدة تغييرات، فقد لعب بثلاثة لاعبين في خط الوسط من ساو باولو لإرضاء المشجعين المحليين. وربما كان ذلك هو ما أربك المنتخب، وربما كان السبب طريقة فيرو Verrou 1–3–3–3 التي يفضلها منتخب سويسرا، فلم تكن البرازيل في رونقها المعتاد. ورغم تقدمها مرتين، انتهت المباراة بالتعادل بنتيجة 2–2، ليتحتم عليهم الفوز على يوغسلافيا في آخر مباريات المجموعة حتى يمكنهم التأهل للدور التالي.

استعاد زيزينهو لياقته وحل محل مهاجم الوسط النشيط بالتزار Baltazar،

ليسمح لأديمير بمواصلة دور الرقم 9 المتحرك، ليعود بذلك المنتخب إلى حالته الرائعة عند الفوز بكوبا أمريكا في العام السابق، ولكن التعادل مع سويسرا جعل فلافيو كوستا يفقد الثقة على ما يبدو في الطريقة القُطرية ويلجأ إلى طريقة «دبليو–إم» الأصلية، وربما أدى التفكير في ذلك مع وجود ثلاثي في هجوم الوسط يتمتعون بالسرعة والشجاعة، إلى السماح لمدافعي وسط الملعب، دانيلو وكارلوس باور باللعب أكثر في العمق وتوفير درجة أكبر من الثبات الدفاعي.

في البداية، كانت نتيجة التغيير جيدة، وكانت يوغسلافيا قد بدأت المباراة بعشرة لاعبين بعد خروج راجكو ميتيك للعلاج بعد جرح رأسه نتيجة الاصطدام بعارضة مكشوفة قبل بداية المباراة بقليل، وعندما عاد إلى الملعب، كان أديمير قد أحرز هدف التقدم للبرازيل، ثم اختتم زيزينهو هذه المباراة القوية بهدف آخر في الشوط الثاني.

كان الفريق اليوغسلافي يمتاز بالقوة البدنية، والمهارة الفنية، وساعد التغلب عليه في استعادة البرازيل للثقة، وفي المباراتين الافتتاحيتين للمجموعة الأخيرة، كان المنتخب البرازيلي رائعاً، ودك مرمى السويد بسبعة أهداف مقابل هدف وأسبانيا بستة أهداف مقابل هدف، وقد كتب جلانفيل معلقاً على ذلك بأنهم يلعبون: «كرة المستقبل... فهو فريق عادي من الناحية التكتيكية ولكنه رائع من الناحية الفنية». وقد كان الفريق عادياً من الناحية التكتيكية، لكنه كان متقدماً على منتخب الأوروجواي بفارق كبير، حيث كانت الأخيرة لاتزال تلعب بنسخة من طريقة الميتودو التي وضعها بوزو، لعب فيها المهاري أوبدوليو فاريلا في مركز مدافع الوسط، وجاء التعادل في وقت متأخر لتنتهي المباراة بنتيجة 2–2 أمام أسبانيا في أولى مبارياتهم بالدور النهائي، وتطلب الأمر إحراز هدفين في آخر ربع ساعة للفوز على السويد بنتيجة 3–2 في المباراة الثانية. لم يكن المنتخب البرازيلي يحتاج لأكثر من التعادل في المباراة النهائية ليتوج بطلاً

لكأس العالم، ولم يتوقع أحد في ريو دي جانيرو شيئاً آخر بخلاف الفوز، بل إن الطبعات الأولى من صحيفة «أو موند». في يوم المباراة النهائية حملت صورة للمنتخب البرازيلي تحت عنوان «هؤلاء هم أبطال العالم».

ويروي الكاتب الصحفي تيكسيرا هيزر في كتابه The Tough Game of the World Cups أن فاريلا رأى تلك العناوين لدى بائع الصحف بالفندق صبيحة يوم المباراة النهائية، وشعر بحنق شديد دفعه إلى شراء كل النسخ الموجودة، وأخذها معه إلى حجرته، ثم نشرها على أرضية المرحاض، وحث زملاؤه في الفريق على التبول فوقها.

قبل المباراة، ألقى أنجيلو مينديس دي موررايس Ângelo Mendes de Moraes حاكم الولاية خطبة قال فيها: «أيها البرازيليون، يا من أعتبرهم أبطال البطولة... أيها اللاعبون يا من سيحتفي بتتويجكم أبطالاً بعد ساعات قليلة الملايين من مشجعيكم... يا من ليس لكم نظير على وجه الأرض... يا من تتفوقون على كل منافسيكم... يا من أناديكم من الآن بالفاتحين».

لم يُظهر أحد الاهتمام باحتمال الهزيمة سوى فلافيو كوستا، فقد قال محذراً: «طالما أزعج فريق الأوروجواي هدوء لاعبي كرة القدم البرازيليين، وأخشى أن ينزل لاعبو فريقي إلى أرض الملعب يوم الأحد كما لو كان قميص الأبطال قد صنع خصيصاً لهم، إنها ليست مباراة استعراضية، بل هي مباراة كأي مباراة، ولكنها أصعب من غيرها».

ما جعل الأمر صعباً بوجه خاص هو ذكاء مدرب الأوروجواي خوان لوبيز Juan López. كانت الحرب في أوروبا تعني وضع حد للسفر، لذا نظراً للعب أصحاب مدرسة كرة القدم في أمريكا الجنوبية في معظم الأحيان مع فرق من أمريكا الجنوبية، لم تتيسر لهم فرصة كافية للاطلاع على التطور التكتيكي في المدارس الأخرى، وقد شاهد لوبيز كيف أفقد منتخب سويسرا لاعبي البرازيل

أعصابهم، ليجعل من طريقتهم مصدرا لإلهامه. وأصدر تعليماته للمدافع الصريح ماتياس جونزاليس بالبقاء في الخلف، تقريبا كظهير قشاش، وبذلك أصبح إيسيبيو تيجيرا؛ المدافع الصريح الآخر، لاعب دفاع مؤثراً في وسط الملعب، وتم تكليف جناحي الوسط شوبرت جامبيتا وفيكتور أندرادي بالرقابة اللصيقة رجلاً لرجل لجناحي المنتخب البرازيلي شيكو وألبينو فراياكا، ولعب فاريلا واثنان من مهاجمي القلب في العمق بطريقة تشبه 1-3-3-3 التي لعب بها رابان.

وبلغ العدد الرسمي للجماهير بملعب ماراكانا يومها 173,850 مشجعاً؛ وزاد العدد الحقيقي على الأرجح عن 200 ألف. ويومها تعرض خوليو بيريز المهاجم الأيمن- أو وسط الملعب الأيمن، في التشكيلة المعدلة- لضغوط عصبية لم يستطع التغلب عليها حتى إنه بلل ملابسه أثناء عزف النشيد الوطني، إلا أن الضغط تغير تدريجياً، فقد سيطرت البرازيل على الدقائق الأولى من المباراة- قد تكون تكتيكات لوبيز قد نجحت في كبح جماح البرازيل، لكنها لم توقفها تماماً- ومع ذلك لم يُسجل الهدف الأول. ارتطم جاير بالقائم؛ وكان روك ماسبولي- على حد قول- جلانفيل: «يصنع معجزات أكروباتية في المرمى»؛ وبنهاية الشوط الأول كان التعادل السلبي هو السائد، وتصاعدت حدة التوتر لدى أصحاب الأرض.

واتضح فيما بعد أن نقطة التحول كانت بعد مرور 28 دقيقة، عندما دفع فاريلا الظهير الأيسر لمنتخب البرازيل بيجود، ويتفق كلا اللاعبين أنها لم تكن سوى دفعة خفيفة، ولكن الحكايات التي تروى عن المباراة تشير إلى أن الخوف قد انتاب بيجود في هذه اللحظة، وتم نعته بلقب «الجبان»، وهي الوصمة التي استمرت معه طوال حياته.

بعد دقيقتين من الشوط الثاني، وصلت كرة عكسية من أديمير إلى فراياكا

الذي وضع أندرادي خلفه وسدد محرزاً هدف التقدم للبرازيل، ولو تم إحراز هذا الهدف في الشوط الأول لكان كفيلاً بتحطيم آمال فريق الأوروجواي، ولكن الصمود لهذه المدة الطويلة، منح الثقة لأوروجواي في مقدرتها على مجاراة البرازيل أو تعرضها لهزيمة ثقيلة.

يصعب القول إن كانت تلك السياسة مقصودة أم لا، لكن بدا أن الأوروجواي تفضل الهجوم من جهة اليمين، وهي الجهة الأكثر ضعفاً عندما لعبت البرازيل بالطريقة القُطرية، والتي كان يلعب فيها دانيلو أكثر مدافعيّ وسط الملعب تقدما، وعند اللعب بطريقة «دبليو-إم»، لم يستطع الامتناع عن التقدم للأمام، تاركاً خلفه مساحة قاتلة، وبخاصة مع التزام بيجود وقتئذ بدور المدافع الأيسر وعدم تقدمه كما كان يفعل دائماً، ولم يكن ألسيديس جيجيا الجناح الأيمن لمنتخب الأوروجواي يحلم أبداً بالحصول على تلك المساحات الشاسعة.

كانت البرازيل على بعد 24 دقيقة من الفوز عندما جاءت الضربة الأولى، فقد تقدم فاريلا- الذي أخذت خطورته تتزايد- وأرسل الكرة جهة اليمين إلى جيجيا الذي كانت لديه المساحة ليتقدم بسرعته، ولكن اقتراب بيجود منه ودفعه له عطله، فأرسل كرة أرضية إلى خوان شيافينو الذي أسكنها الشباك من جهة القائم القريب. ويعلق فلافيو كوستا على ذلك قائلاً: «شعر لاعبونا بالرعب من الصمت الذي حل بملعب ماراكانا»، وقد طال اللوم الجميع بعد المباراة بمن فيهم الجمهور. فيقول الموسيقي شيكو بوارك: «عندما احتاج اللاعبون للماراكانا، كان الماراكانا صامتا، لذا لا يمكن الاعتماد على استاد لكرة القدم».

وكان التعادل كافياً للبرازيل. ولكن اتجاه القوة الدافعة تغير بلا هوادة ضدهم. وبعد 13 دقيقة، أخذ جيجيا الكرة مرة أخرى في الجانب الأيمن

البرازيل 1–2 الأوروجواي، بملعب نهائي كأس العالم ماراكانا – ريو دي جانيرو – 16 يوليو 1950.

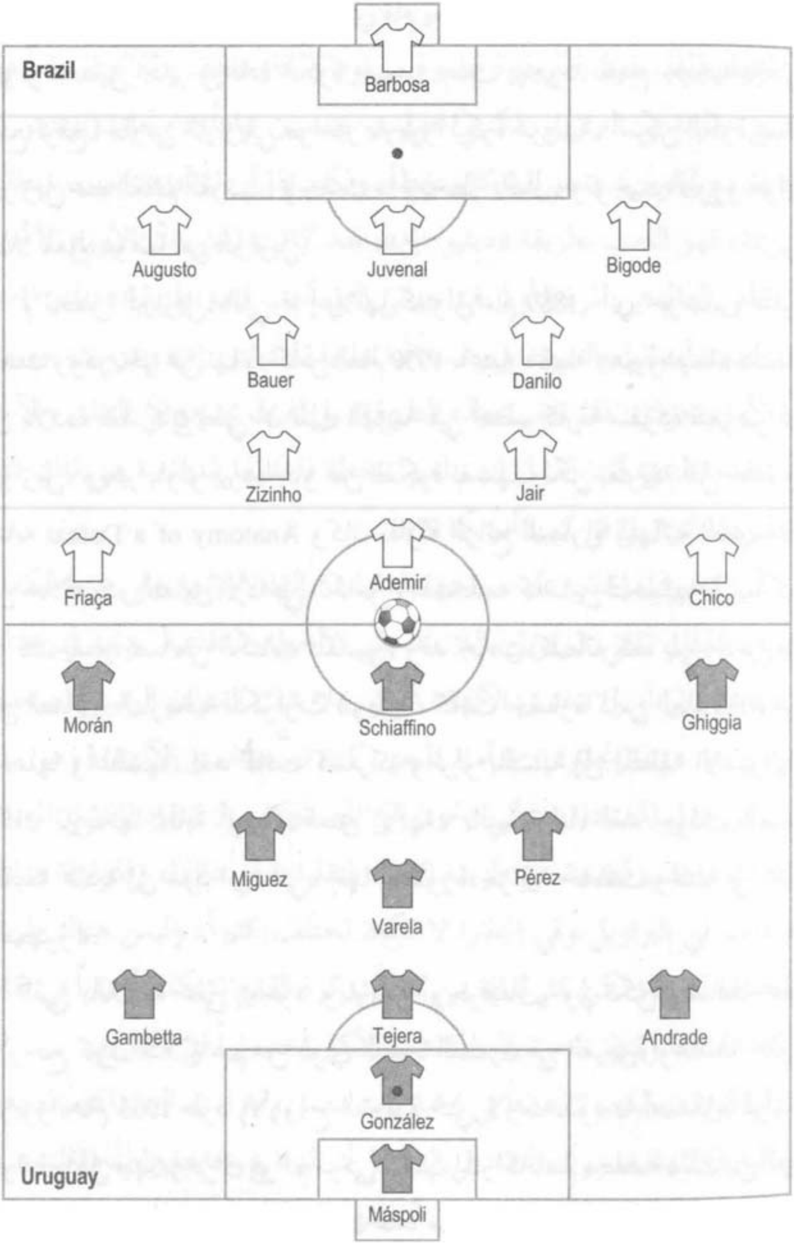

لمنتخب الأوروجواي. هذه المرة كان بيجود أقرب إليه، لكنه كان وحيداً، لذا أعاد جيجيا الكرة إلى بيريز الذي قام بعد تخلص لاعبي الأوروجواي من التوتر بتعطيل جاير وإعادة الكرة لجيجيا خلف بيجود. تقدم جيجيا بالكرة ومع توقع الحارس البرازيلي مواسير باربوزا لكرة عرضية، أسكن الكرة شباك البرازيل عند القائم القريب، وحدث ما لم يخطر بالبال، وتوجت الأوروجواي بطلاً للعالم عوضاً عن البرازيل.

لم تخض البرازيل، التي تم إعلانها كدولة عام 1889، أي حرب، وعندما تحدث رودريجز عن نهائي كأس العالم 1950 باعتباره قنبلة «هيروشيما» بالنسبة إلى بلاده، فقد كان يعني أن تلك الهزيمة هي أعظم كارثة منفردة تتعرض لها البرازيل، ويعبر باولو بيردياجاو عن الفكرة نفسها ولكن بطريقة أقل حدة في كتابه Anatomy of a Defeat وكان تناوله الرائع للمباراة النهائية الذي أعاد من خلاله نشر التعليق الإذاعي الكامل واستخدمه كأساس لتحليلها تقريباً كما لو كان يفسر نصاً من الكتاب المقدس، وقد جاءت كلماته كما يلي: «من بين كل النماذج التاريخية للكوارث الوطنية، كانت خسارة كأس العالم 1950 هي أجملها وأعظمها، لقد كانت كمعركة واترلو بالنسبة إلى المنطقة الاستوائية، وكان تاريخها بمثابة أوبرا «غسق الآلهة» بالنسبة لنا، لقد حولت الهزيمة حقيقة عادية إلى سرد استثنائي، إنها أسطورة خرافية حُفظت ونمت في مخيلة الجمهور».

ألقي باللائمة على بيجود وباربوزا وجوفينال، ولم تكن مصادفة على الأرجح كون الثلاثة هم من ذوي البشرة السمراء في الفريق، وعندما حاول باربوزا عام 1963 طرد الأرواح الشريرة التي لازمته، ودعا أصدقاءه لوليمة شواء احتفل فيها بإحراق قوائم مرمى ملعب الماراكانا، لم يخلصه ذلك من العار الذي لحق به، وتحكي القصة بعد 20 عاماً من النهائي، أن امرأة أشارت إليه في

أثناء وجوده في أحد المتاجر قائلة لولدها الصغير: «انظر، هذا هو الرجل الذي أبكى الشعب البرازيلي بأكمله».

جعله ذلك يقول قبل فترة قصيرة من وفاته عام 2000: «ثلاثون عاماً هي أقصى عقوبة في البرازيل، لكنني عوقبت خمسين عاماً»، ويعلق زيزينهو في مقابلة مع بيلوس: «نعم لقد كان خطأ، ولكن إذا أردنا تحديد سبب منطقي للهزيمة، فهو اللعب بطريقة «دبليو–إم»، فقد كانت المباريات الأربع الأخيرة في كأس العالم هي المرة الأولى في حياتي التي ألعب فيها بطريقة «دبليو–إم»، وقد لعبت أسبانيا والسويد ويوغسلافيا بطريقة «دبليو–إم» وهزمت جميعاً. أما الأوروجواي، فلم تلعب بهذه الطريقة، بل لعبت بمدافع في العمق والآخر في المقدمة». ويمكننا القول إنهم لعبوا بخطة قاعدتها الدفاعية هي تلك التي فازت بها البرازيل في كوبا أمريكا 1919.

كما تتصرف إنجلترا عند مواجهة العقبات بإلقاء اللائمة على عدم الكفاءة الفنية، كذلك تلقي البرازيل باللائمة على الأخطاء الدفاعية. ونجد أن إشارة بيرديا جاو إلى أوبرا «غسق الآلهة» تحاكي بلا شك العنوان الرئيس لصحيفة الميرور بعد هزيمة إنجلترا 6–3 أمام المجر وكان نصه (غسق الآلهة)، وهو ما لم يكن من قبيل المصادفة، ويأتي الحزن من المصدر نفسه: انتقاد للفشل المعتاد، وإدراك غاضب لعدم سمو طريقة اللعب التقليدية في ذاتها، والمفارقة هنا أن العادات في البرازيل وفي إنجلترا لا تكاد تختلف كثيراً، وليس هناك طريقة صحيحة للعب؛ لكن كل ثقافة من ثقافات كرة القدم تشكك أحياناً في نقاط قوتها الخاصة وتنظر بحزن إلى الملاعب الأكثر اخضراراً في الخارج.

لم يكن تسجيلهم 22 هدفاً في 6 مباريات بنفس وقع استقبال شباكهم لهدفين في المباراة النهائية، ورأى النقاد في البرازيل أن الدفاع بحاجة واضحة للتدعيم، وعند حلول موعد كأس العالم 1954، استبدل فلافيو كوستا ذو التوجه الهجومي

بزيزي موريرا الأكثر حذراً، وكان ذلك كما عبر عنه صحفي فرنسي، بمثابة استبدال راقص أرجنتيني برجل دين إنجليزي.

رحل ثلاثي الهجوم العظيم، وجاء بنهيرو كظهير ثالث في وسط الملعب، وهو لاعب يتمتع بقدرات دفاعية أكثر من جوفينال، لعبت البرازيل وأخرجت المكسيك من المنافسة، ثم تعادلت مع يوغسلافيا قبل أن تلعب مباراة قوية مع المجر في ربع النهائي، لتلقى هزيمة بنتيجة 4–2 فيما أطلق عليه «معركة برن».

واختتم رئيس البعثة البرازيلية جوا ليرا فيلهو تقريره الرسمي عن البطولة قائلاً: «حالة استعراضية أعطت شكلاً جمالياً للمباراة على حساب العائد والنتائج»، وهو أمر ألقى باللائمة فيه على اللاعبين ذوي البشرة السمراء، ولحسن الحظ، تم تجاهل التقرير، وتمت الموافقة بالإجماع على بيان جارينشا– أو على الأقل الاسم المستعار له في مختارات ستراتون سميث The Brazil Book of Football– وجاء فيها: «خططت البرازيل للفوز بكأس العالم من خلال دمج الفرد في الخطة العامة للفريق، فذهبوا إلى أوروبا للعب كالأوروبيين ...لكن ما يهم في البرازيل هو قدرة اللاعبين على الإبداع».

لم يكن جارينشا مطلقاً اللاعب المناسب للانضباط التكتيكي، ولكن الابتكار لم يكن يسمح به على نحو فوضوي دون رقابة، وكان الأمر يحتاج إلى نظام يزدهر فيه الابتكار، دون ترك الدفاع مكشوفاً كما حدث مع المسكين بيجود، وقد خضع هذا الحل للتجربة في البرازيل، على نحو غريب، تقريباً منذ بداية العقد.

ويعتبر تحديد أول من وضع طريقة 4–2–4 من الأمور الخلافية، إذ يقول أساف: «لهذه الطريقة آباء عدة». بعضهم ينسبها إلى زيزي موريرا، وبعضهم لفليتاس سوليك، وبعضهم الآخر لمارتيم فرانسيسكو Martim Francisco. وهناك من يقول إنها لم تظهر بشكلها الحقيقي إلا عند تطبيق لولا Lula لها مع

فريق سانتوس البرازيلي. وإذا كان أكسيل فارتانيان على حق، فقد لا تكون برازيلية الأصل، بل أحد الأشكال العديدة التي طبقها بوريس أركادييف في دينامو موسكو. والحقيقة أن البرازيل، بطريقتها القُطرية، والمجر، بمهاجمها المنطلق من الخلف والجناح الأيسر المتأخر، قد انتقلا كل على حدة إلى طريقة كانت 4–2–4 تطوراً حتمياً لها.

لا شك أن لمدرب الأوروجواي فليتاس سوليك دوراً رئيساً في نشر طريقة 4–2–4، من خلال الفوز بالألقاب الثلاثة في ريو دي جانيرو على التوالي من خلال اللعب بهذه الطريقة في نادي فلامينجو بين عامي 1953 و1955، ولكن يبدو أن مارتيم فرانسيسكو هو أول من لعب عن قصد بهذه الطريقة.

كان فرانسيسكو مدرباً لنادي فيلا نوفا بمدينة نوفا ليما التي تقع على بُعد 20 ميلاً من مدينة بيلو هوريزونتي، وقد أعاد جناح وسط الملعب الأيسر ليتو ليلعب كمدافع رابع وهو مصطلح يستخدم حتى اليوم في البرازيل ليشير إلى المدافع الذي يتقدم لينضم إلى وسط الملعب. لا خلاف على عدم كفاية ذلك لمنع المنافس من التغلب على خط الوسط الذي يتألف من لاعبين، لذا كان على أحد لاعبي الرباعي الأمامي العودة قليلاً إلى الخلف، وتحت قيادة فرانسيسكو، أسند هذا الدور للجناح الأيمن أوسوريو، وعند التطبيق العملي لطريقة 4–2–4، نجد أنها لم تظهر أبداً بهذا الشكل، فعند امتلاك الكرة في أثناء الهجوم تصبح 3–3–4؛ وعند فقد الكرة تصبح 4–3–3، وكان هذا النظام معمولاً به على نطاق واسع، ثم ما لبث أن تطور عنه تعديلان آخران، أولهما أسلوب الرقابة اللصيقة على حدود المنطقة، ولعب به زيزي موريرا في نادي فلومينينسي، وقد تدارك الحاجة إلى الرقابة اللصيقة الموجودة بطريقة «دبليو–إم»– وهو الجانب الذي أخفق تماماً عام 1950– وسمح أيضاً بقدر أكبر من سهولة الحركة.

طريقة 4-2-4 في فريق فيلا نوفا - 1951.

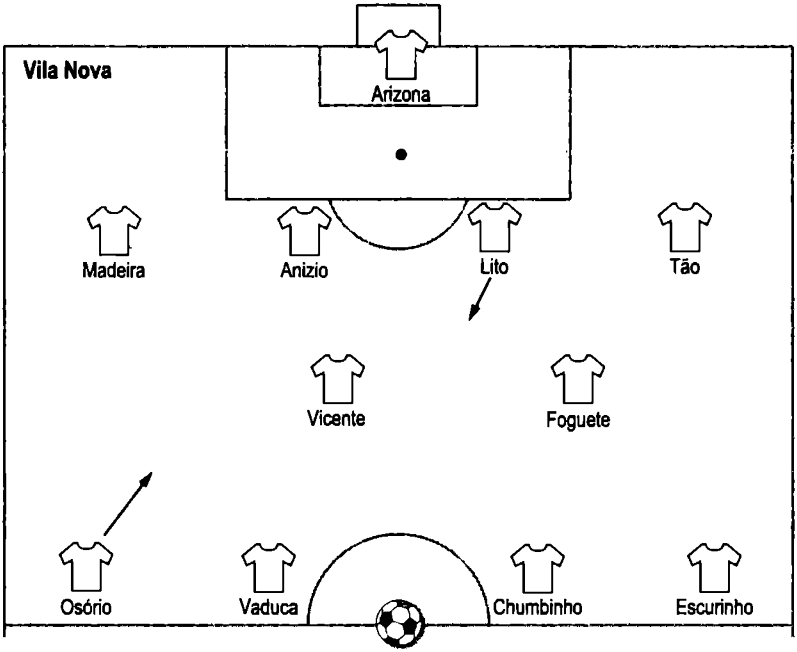

وعندما ذهب الأرسنال في جولة إلى البرازيل عام 1949، تفاجأ لاعبوه بميل الأجنحة البرازيلية إلى الهجوم من كل المراكز، وهو شيء عبروا عن خوفهم منه، واعتبروه نقطة ضعف ونوعاً من عدم الانضباط التكتيكي. ويعلق على ذلك المدافع الصريح لوري سكوت واصفاً لأيدان هاميلتون فوز الأرسنال على فلومينينسي بنتيجة 5-1: «فجأة، ظهر رجل منطلق قام بتسديد الكرة نحو المرمى ولكنها ذهبت بعيداً، عندها بدأنا النظر لنرى لمن نوجه اللوم على ذلك فلم نجد أحداً، فقد اكتشفنا أنه المدافع الصريح لفريقهم. أترى، إنهم لا يأبهون بالأمر. لم أتقدم مطلقاً لهذه الدرجة كما يفعلون»، أصبح لهجوم المدافعين الصرحاء أهمية متزايدة في كرة القدم البرازيلية، وبالنظر إلى المساحة الموجودة أمام المدافع الصريح، كانت طريقة 4-2-4 هي المشجع على التقدم، مع توفيرها

للتغطية في الوقت ذاته، وحيث لم تعد الرقابة رجلاً لرجل، أصبح من السهل بالنسبة إلى المدافع الرابع أن يغطي تقدم المدافع الصريح بعدم الاندفاع إلى الأمام، حتى يستمر فريقه بثلاثة لاعبين للتغطية الدفاعية كما هي الحال في طريقة «دبليو–إم».

وتمثل التعديل الثاني في العودة إلى مركز رأس الحربة، حيث يسقط أحد المهاجمين في العمق أكثر من الآخر، موفراً رابطاً طبيعياً مع وسط الملعب، ولم يكن ذلك جديداً، ولم يكن مختلفاً عن دور مهاجم القلب في الطريقة القُطرية، وكان بوشكاش يؤدي وظيفة مشابهة لعدة سنوات في الكرة المجرية، ولكن يبدو أن هذا المركز كان ملائماً بطبيعته للذوق البرازيلي. وسرعان ما بلغ هذا الدور ذروته مع بزوغ نجم فتى هزيل من تريس كاراكوس، كان هذا الفتى هو بيليه وكان عمره 16 عاماً عندما أعطاه لولا الفرصة أول مرة في نادي سانتوس؛ وفي غضون عام أصبح مصدر إلهام لمنتخب بلاده في أول بطولة كأس عالم يحققون لقبها.

وبالنسبة إلى كل ادعاءات جوتمان، فعندما وصل مع هونفيد في نوفمبر عام 1956، لم يكن نظامهم مفاجئاً له بشكل كبير، وكانت البرازيل قد مضت– ولو بقدر قليل– في طريقها نحو طريقة 4–2–4 أكثر من المجر، رغم تشابههما الواضح في الشكل. ويعلق ناندور هيديكوتي Nandor Hidegkuti على ذلك قائلاً: «في الأساس، كان الاختلاف الوحيد بين التفسير البرازيلي للنظام والتفسير المجري له هو رقم قميص المهاجم الذي يرجع إلى وسط الملعب، فقد اختارت البرازيل عام 1958 اللاعب ديدي المهاجم الأيمن، بينما شغل هذا الدور في المجر لاعب الوسط المهاجم. في كلا الفريقين لعب المهاجم القادم من الخلف الدور الذي يمكن أن نطلق عليه وسط الملعب الأيسر، ومرة أخرى كان لاعب الوسط من جهة اليسار في كلا الفريقين يسقط للخلف ليضطلع

بمهام دفاعية أكثر، بينما كان لاعب الوسط من جهة اليمين يحافظ على التوازن في وسط الملعب من خلال لعب مباراة هجومية مفتوحة أكثر».

لم يكن تأثير جوتمان على النظام بقدر تأثيره على الأسلوب، وهو الجانب الذي يحتاج للإبراز فيما يتعلق بالرأي التقليدي- أو على الأقل الرأي البريطاني التقليدي- بخصوص المنتخب المجري العظيم، ويميل المراقبون البريطانيون إلى الانبهار بالقدرات الفنية للفريق الذهبي المجري والانسيابية التي وفرها تراجع مهاجم الوسط، ربما كانوا مختلفين في الدرجة على نحو طفيف، ولكن لو كان هذا الاختلاف كلَّ شيء، فليس بينهم وبين «فريق العج» النمساوي أي اختلاف جوهري، رغم ذلك كان لدى المجريين رغبة وحيوية، ويلعبون لهدف، وتوجهت الجوانب الفنية لديهم نحو تحقيق الفوز، وكانوا في ذلك أفضل وريث لجيمي هوجان، وربما جامل جيوفري جرين إنجلترا عندما قال إن المجر عام 1953 تعد في منطقة وسط بين الأسلوب البريطاني المباشر والأسلوب الأوروبي غير المباشر، لكن وجهة النظر العامة مقبولة، وقد رأى مؤيدو الكرات الطولية من الإنجليز فيما بعد تأكيداً لطريقتهم لأن المجر في أحيان كثيرة خلال تلك المباراة التي أقيمت على ملعب ويمبلي حولت الدفاع إلى هجوم بهجمة مرتدة بتمريرتين أو ثلاث، لم تكن طريقة 4–2–4 في حد ذاتها هي ما أتى به جوتمان إلى البرازيل، بل استخدامها بشكل هادف.

ولخص نيلسون رودريجز الاختلاف في المنهج كأفضل ما يكون، وخاصة لاعتياده كتابة مشاهد درامية مختصرة تمثل شخصيات واقعية- أو بالأحرى مقابلات تخيلية- وقد تناول جولة هونفيد بمقال يصور فيرينك بوشكاش، وزيزينهو الذي لايزال بطلاً عظيماً في البرازيل، واختتمه بتوجيه سؤال لكل منهما عن أكثر ما يستحوذون به على إعجاب الجماهير، فكانت إجابة زيزينهو: إتاحة الفرصة لزميل في الفريق لإحراز هدف، بينما اختار بوشكاش، كما كان

متوقعاً، إحراز الأهداف، وقد يكون المثال مجرد رأي، لكنه يعتبر مؤشراً لغياب الواقعية عن كرة القدم البرازيلية آنذاك.

وكان موسم 1956 متواضعاً بالنسبة لفريق ساو باولو، حين حل ثانياً في بطولة مدينة ساو باولو، متأخراً بسبع نقاط عن نادي سانتوس الذي أحرز لقب البطولة، ولم تكن بداية موسم 1957 جيدة بالنسبة للفريق إذ حل في المركز الخامس بنهاية الدور الأول من البطولة، متأخراً بسبع نقاط عن فريق كورينثيانز المتصدر، وتدريجياً بدأت طرق جوتمان تدخل حيز التنفيذ.

كان لديه شبكة مرسومة على الجدار في ملعب التدريب، وكان يعطي الكرة لمهاجميه في أثناء التدريبات ويطلب منهم التصويب نحو مربع معين في الشبكة، كما كان يدربهم على تمرير الكرات الطولية من المهاجمين إلى الجناحين، وكان لا يحبذ احتفاظ اللاعب بالكرة، لذا درب لاعبيه على التمرير السريع إلى أن أصبحت صيحاته في هذا الشأن مثل «تات–تات–تات» و«بينج بانج– بونج» كلمات مشهورة. وانصب تركيزه على نقل الكرة بسرعة، بحيث يلعب الفريق الكرة بالفطرة، وربما كان الأكثر أهمية، هو حصوله على توقيع زيزينهو الذي كان في الرابعة والثلاثين حينئذ، منتقلاً من نادي بانجو في ريو دي جانيرو، وأسند إليه دور اللاعب الأبرع بين ثنائي وسط الملعب– في إشارة لما سيفعله لاحقاً مع ماريو كولونا في بنفيكا– مع ارتداد دينو ساني، الذي كان صانعاً للألعاب، للدور الدفاعي في وسط الملعب، وعن ذلك يقول: «عندها فقط بدأت اللعب».

فاز فريق ساو باولو ببطولة مدينة ساو باولو في العام الذي رحل فيه جوتمان إلى أوروبا. لكن تأثيره استمر على يدي فيسينتي فيولا. وكان فيولا– وهو لاعب متوسط المستوى– قاد فريقه للفوز ببطولة مدينة ساو باولو موسم 1949. وبعد اعتزاله استمر مع النادي كمدرب مساعد لجوتمان، وكان تعيينه مدرباً

للمنتخب الوطني الذي سيخوض كأس العالم 1958 مفاجئاً. واضطر سلفه المدرب أوزفالدو برانداو إلى الرحيل بعد أن حلت البرازيل بالمركز الثالث في بطولة كوبا أمريكا 1957، ولم يترك أي من سيلفيو بيريلو أو بدرينهو اللذين حلا محله انطباعاً حقيقياً. وكان هناك اتجاه لتعيين سوليك. لكن كونه من باراجواي لم يكن في صالحه، فاستقر الاتحاد البرازيلي على فيولا كخيار آمن وغير مثير للجدل. وهو شخص- حسب الشائعات- ذو مزاج خاص ويحب الاسترخاء، ويغفو على مقعد المدرب في أثناء قيادة التدريبات. لكن صحة هذه الإشاعات بدت مثار شك. ويقول روي كاسترو في كتابه عن قصة حياة جارينشا: «فيولا كان يعاني مشكلات في الشريان التاجي بسبب السمنة، وبين حين وآخر كان يكابد وخزاً مؤلماً في الصدر. ووجد أن أفضل طريقة للتغلب على هذا الألم إغلاق عينيه وخفض رأسه وانتظار مرور الأزمة. وهو ما فسرته الصحافة مبالغة بالنوم وبخاصة مع الصور التي التقطتها عدسات المصورين».

رغم ذلك يصر الأرجنتيني أنطونيو راتين لاعب الوسط المدافع- الذي لعب تحت قيادة فيولا في الفترة القصيرة التي كان فيها مديرا فنيا لبوكا جونيورز- أن النعاس قد غلبه ولو لمرة واحدة على الأقل، ويقول عن ذلك: «كنا نلعب مباراة في نهاية التدريب، وفي أحد الأيام، كان الجو شديد الحرارة، وبدأنا اللعب وأخذنا نلعب ونلعب، وكنا ننتظر أن يطلق صافرة انتهاء الشوط الأول، لكنه كان جالساً في مكانه، وأخذنا ننظر إليه لعله يفعل شيئاً، وفي النهاية ذهبت إليه لأجده يغط في النوم، وكان نائماً طوال الوقت».

وبينما كان فيولا رجلاً بديناً بشوشاً استمتع بالسخرية من هذه الآراء النمطية، لكنه لم يكن الشخص الضعيف الذي تخيل الاتحاد أن يجده، وبدعم مالي من حكومة جوسيلينو كوبيتشيك، حصل فريق كأس العالم 1958 على أفضل إعداد في تاريخ البرازيل، فقد زار المسؤولون 25 موقعاً مختلفاً في السويد

قبل اختيار ملعب للتدريب، وطلبوا استبدال طاقم الفندق المؤلف من 25 فتاة للحد من تشتيت انتباه اللاعبين، بل إنهم شنوا حملة لإغلاق معسكر محلي للمتجردين من الملابس في أثناء فترة البطولة، لكنهم أخفقوا.

اشتمل الجهاز المعاون على طبيب، وطبيب أسنان، ومدرب، وأمين صندوق، وطبيب نفسي، وجاسوس يجمع معلومات عن المنافسين وأسند هذا الدور لإرنستو سانتوس المدرب السابق لنادي فلومينينسي، وبعد إجراء الفحوصات الطبية المبدئية، قرر الطبيب علاجاً للطفيليات المعوية لمعظم أفراد الفريق، وعلاج أحد اللاعبين من الزهري، وكان طبيب الأسنان بنفس القدر من الانشغال، فقد قام بخلع 470 سِنّاً من 33 لاعباً في الفريق المؤقت، وكان فيولا سعيداً بالمضي قدماً في هذه الإجراءات، لكنه كان يبدي رأيه صراحة بشأن رفضه للطبيب النفسي جوا كارفالهايس.

أجرى كارفالهايس- الذي اعتاد على تقييم الملاءمة النفسية للمتقدمين لوظيفة قائد حافلة- مجموعة من الاختبارات على الفريق، وكان أكثرها غرابة يشتمل على مطالبة اللاعبين برسم صورة لرجل، كانت النتائج مثيرة- كلما كانت طريقة اللاعب فطرية، على ما يبدو، كانت رسمته غير دقيقة أو تصويرية دون أن تحاكي التفاصيل- لكن استنتاجاته كانت تبعث على الضحك، فقد قال إن بيليه: «ذو شخصية طفولية واضحة» و«لا يملك الإحساس اللازم بالمسؤولية كلاعب في لعبة جماعية»، وعندما حقق جارينشا 38 نقطة من 123- وهو أقل من الحد الأدنى المطلوب لسائقي الحافلات في ساو باولو- أوصى كارفالهايس بأنه غير مناسب للمباريات ذات الضغط الكبير، فما كان من فيولا إلا أن تجاهله وأصر على ضم اللاعبين لفريقه.

ولم يلعب أي من اللاعبين المباراة الأولى للبرازيل، التي انتهت بفوز غير استثنائي على النمسا بثلاثة أهداف مقابل لا شيء، وكان بيليه قد تعرض

للإصابة، بينما خرج جارينشا من حسابات المدرب بسبب استعراضه في مباراة تحضيرية ودية أمام فيورنتينا، فبعد أن تخطى حارس المرمى، قرر ألا يودع الكرة في المرمى الخالي، وانتظر عودة الحارس، وتغلب عليه مرة أخرى قبل أن يدع الكرة تعبر خط المرمى، ومع ذلك، كان فيولا سيعطيه الفرصة لو لم يحذره سانتوس من قوة رباعي وسط الملعب في طريقة «دبليو-إم» بالفريق النمساوي، كان يمكن لفيولا الاعتماد على ماريو زاجالو في العودة إلى الخلف من الجانب الأيسر- وقد اضطلع في الحقيقة بدور أوسوريو- لكن لم تكن تلك المباراة مناسبة لجارينشا، لذا فقد استقر على جويل فلامينجو الأكثر انضباطاً.

وتم استبعاد اللاعبين أيضاً أمام إنجلترا، التي كانت تجري بدورها تجارب مع الفريق المعاون- في مؤشر لتطور الاحتراف في اللعبة على مستوى العالم- وأرسل بيل نيكلسون المدير الفني لفريق توتنهام ليستكشف البرازيل، واستنتج أن السبيل لإيقافها، هو إيقاف ديدي، وبناء على توصيته أجرى والتر وينتربوتوم المدير الفني لمنتخب إنجلترا- في خطوة غير مسبوقة- تغييرات تكتيكية لمواجهة التهديد البرازيلي، فقد تم وضع اللاعب طويل القامة دون هوي؛ المدافع الصريح لفريق ويست بروميتش ألبيون، ليلعب كمدافع ثان في وسط الملعب مع بيلي رايت، ووضع توماس بانكس وإيدي كلامب؛ المدافع الأيمن لنادي وولفز، كمدافعين صريحين ذوي مهام هجومية على جانبيهما، وكلف بيل سلاتر برقابة ديدي، وخلال أحداث المباراة ارتدت كرة لفافا من العارضة، وأخرج كلامب الكرة من على الخط، وأنقذت براعة كولين ماكدونالد المرمى مرتين أمام ضربات الرأس التي وجهها جوزيه ألتفياني- الذي كان لايزال يلعب بالاسم المستعار مازولا- لكن هذه الخطة أحبطت البرازيل، وانتهت المباراة بتعادل سلبي.

جعل ذلك البرازيل في حاجة للتغلب على الاتحاد السوفيتي في ختام

مباريات المجموعة لتضمن التأهل لدور الثمانية. وأجرى كارفالهايس مزيداً من الاختبارات، وطالب لاعبيه برسم أول شيء يرد بأذهانهم. فرسم جارينشا دائرة يبرز من محيطها الخارجي بضعة خطوط مدببة مبهمة بدت كالشمس. وعندما سأله كارفالهايس ما الذي رسمه، أجابه جارينشا إنها رأس كوارينتينها زميله في فريق بوتافوجو. فاستبعده كارفالهايس على الفور. ومن إجمالي 11 لاعباً سيخوضون المباراة أمام الاتحاد السوفيتي، قرر استبعاد 9 منهم وقال إنهم لا يصلحون لخوض المباراة بسبب التوتر الشديد. ولحسن الحظ وثق فيولا في رؤيته الخاصة وأشرك بيليه وجارينشا، ويتذكر بيليه قوله لكارفالهايس: «قد تكون على صواب. لكنك لا تفقه شيئاً في كرة القدم».

كان فيولا مهتماً بالتقارير عن التفوق البدني للاعبي الاتحاد السوفيتي، وقرر أن يرهبهم بالمهارات البرازيلية من البداية. فقال لديدي قبل مغادرة غرفة الملابس بقليل: «اجعل أول تمريرة إلى جارينشا».

استغرق وصول الكرة إلى الجناح أقل من 20 ثانية، فتحرك بوريس كوزنتسوف المدافع السوفيتي المخضرم الذي يلعب جهة اليسار ليسد عليه الطريق. موه جارينشا بجسمه جهة اليسار وذهب إلى اليمين؛ تاركاً خلفه كوزنتسوف على أرض الملعب، ثم توقف جارينشا قليلاً وتخطاه مرة أخرى، ثم فعل ذلك للمرة الثالثة، ثم أقعده على الأرض مرة أخرى، وتقدم جارينشا بعد أن أقعد يوري فوينوف على الأرض، وانطلق كالسهم نحو منطقة الجزاء، وأطلق قذيفة من زاوية ضيقة ارتدت من القائم، وخلال دقيقة واحدة ارتدت كرة أخرى لبيليه من العارضة، وبعد دقيقة من ذلك، وضع فافا الهدف الأول للبرازيل من كرة بينية أرسلها له ديدي. هذه الدقائق الثلاث يعتبرها جبريل هانوت أعظم ثلاث دقائق لعبت في تاريخ كرة القدم.

فازت البرازيل بهدفين فقط مقابل لا شيء، لكن الأداء كان له طابع يشبه

اكتساح البرازيل لأسبانيا أو السويد قبل ذلك بثمانية سنوات، وأبدت ويلز مقاومة مثيرة في ربع النهائي، حتى دون مشاركة جون تشارلز الذي له هيبته الخاصة، لتخرج مهزومة بهدف مقابل لا شيء، لكن لا يمكن إنكار قوة هذا الفريق البرازيلي، وخرجت فرنسا التي كانت تعاني نقصاً لإصابة بوب جونكيه بنتيجة 5–2 في نصف النهائي، وهي النتيجة نفسها التي خرجت بها السويد في المباراة النهائية، ويعلق جلانفيل على ذلك: «لم يكن هناك شك هذه المرة أن أفضل وأروع الفرق هو الذي فاز».

وينسب فيولا الفضل لدور زاجالو الذي وازن عبقرية جارينشا في الابتكار. وكان زاجالو في البداية مهاجماً، ثم غير مركزه إلى الجناح لأنه أدرك أن هذه فرصته الوحيدة لينضم إلى المنتخب الوطني. وكان أفضل لاعب لهذا الدور الذي يقتضي الرجوع إلى الخلف والتقدم للأمام في الطرف الأيسر.

بحلول موعد كأس العالم 1962، كان قد اعتاد اللعب في العمق أكثر حتى بدأ يُشار لهذه المنظومة باسم 4–3–3. وحل إيموري موريرا محل فيولا بعد أن تدهورت صحته، واختار تشكيلاً مشابها لخوض كأس العالم التالي. ويقول موريرا عن ذلك: «عامل السن في تشيلي هو ما نأخذه دائما في الحسبان. فقد كان ذلك منطقياً بالنسبة لتكتيكاتنا التي أصبحت أقل مرونة من نظائرها لدى بعض المنتخبات. فمن المتوقع أن يتذكر الناس تألق هذا الفريق في السويد. وعلينا في تشيلي أن نوظف كل لاعب في ضوء علمنا بقدرات الفريق بأكمله. فنجد اللاعب ديدي مثلا أفضل لاعب ينتظر في وسط الملعب، لأنه يغلق الملعب أمام المنافسين. أما اللاعب زيتو، الأسرع، فهو أكثر حركة، وقادر على الانتقال في حركة مكوكية بين الأمام والخلف طوال 90 دقيقة. وعنى ذلك، نتيجة لتوخي الحرص في ربط أدوار اللاعبين ببعضها، وضع حد لمرونة الهجمات مع هذا التعويض العظيم، وتمتع كل لاعب بالحرية والقدرة على

استخدام مبادرته الخاصة وإدخال التغييرات».

وكان أعظم تعويض على الإطلاق هو جارينشا، فقد دأب المنافسون على وضع لاعبين أو ثلاثة لمراقبته، وكان يتخطاهم بسهولة، وكان بيليه قد لعب أول مباراتين فقط في تشيلي قبل أن تنهي الإصابة مشاركته في البطولة، لكن جارينشا كان كافياً، وقد ضيع ضربة جزاء، لكنه أحرز هدفين في المباراة التي انتهت بهزيمة إنجلترا 3–1 في ربع النهائي، وسجل هدفين آخرين وتعرض للطرد في المباراة التي فازوا فيها على تشيلي بنتيجة 4–2 في نصف النهائي، وبعد إراحته في المباراة النهائية، شعر ببعض الإحباط، لكن لا يهم: فقد كانت بطولة كأس العالم 1962 هي بطولته، ومثلت آخر انتصار للجناح قبل تسريح اللاعبين في منتصف الستينيات.

وكتب مازوني في مقال له بصحيفة «لا كازيتا» La Cazeta سنة 1949 قائلاً: «بالنسبة إلى المشجع الإنجليزي فكُرة القدم تمرين بدني. وبالنسبة إلى نظيره البرازيلي فهي مجرد لعبة».

وتابع قائلاً: «المشجع الإنجليزي يرى اللاعب الذي يراوغ بالكرة ثلاث مرات متتالية مزعجاً. لكن المشجع البرازيلي يعتبره موهوباً».

«الكرة الإنجليزية عندما تُلعب جيداً، تشبه الأوركسترا السيمفونية. أما البرازيلية فعندما تُلعب جيداً، فإنها تشبه فرقة حماسية تعزف موسيقى الجاز».

«الكرة الإنجليزية تتطلب تحرك الكرة أسرع من اللاعبين؛ أما البرازيلية فتحرك اللاعبين أسرع من الكرة».

«اللاعب الإنجليزي يفكر، والبرازيلي يبتكر».

كان جارينشا مضرب الأمثال في الاختلاف ولم يضارعه أحد في ذلك. وكان لدى جوتمان في ساو باولو جناح أيسر اسمه كانوتيرو، وكان الناس

تشكيل منتخب البرازيل - كأس العالم 1958.

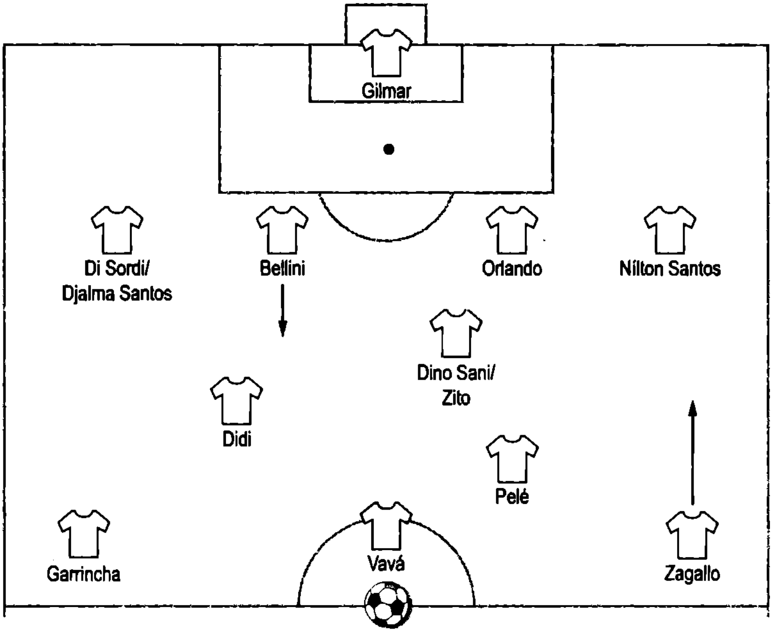

تشكيل منتخب البرازيل - كأس العالم 1962.

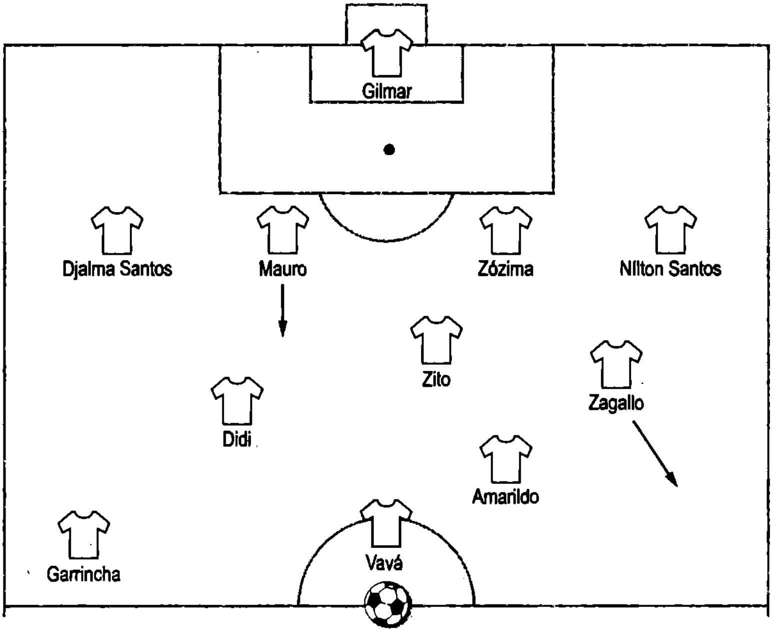

يعتبرونه نسخة ثانية من جارينشا لكنه يلعب بالقدم اليسرى. وذات مرة قال جوتمان بعد أن رأى كانوتيرو يتجاهله: «التكتيكات لكل الناس، لكنها لا تصلح له». وكان جمال اللعب بأربعة لاعبين في الخلف هو توفير جو يساعد على النجاح، رغم عدم تحديد هؤلاء اللاعبين، كما حدث مع فيكتور ماسلوف وألف رمزي. لقد استقبل العالم الرسالة سريعاً وحين جاء موعد كأس العالم 1966، كانت طريقة «دبليو–إم» قد أصبحت في طي النسيان.

الفصل الثامن

△▽△▽△▽△▽△▽

واقعية الإنجليز (1)

في مؤتمر صحفي– لم يجر الإعداد له مسبقاً– عقد في مطار برمنجهام في مارس 1960، قال هيلينيو هيريرا Helenio Herrera: «أنتم في إنجلترا تلعبون بأسلوب كنا نستخدمه في القارة الأوروبية قبل عدة سنوات، يعتمد بشكل أكبر على القوة الجسدية، ولا يتضمن منهجاً ولا تقنية في الأداء». ولا يمكن لأحد ممن رأوا برشلونة يكتسح فريق وولفرهامبتون واندررز بطل الدوري الإنجليزي في الليلة الماضية أن يتشكك في صحة ما يقول. فقد أبدع برشلونة، الذي خرج من مباراة الذهاب فائزاً 4/0– في مباراة العودة ليحقق الفوز في مجموع المباراتين بنتيجة 2/9، وبدا كما لو أن زمناً طويلاً مر على المباريات الودية التي أقيمت تحت الأضواء الكاشفة وتمكن فيها فريق وولفز من هزيمة فرق مثل هونفيد وسبارتاك موسكو.

ومن الإنصاف القول إن فريق وولفز كان له أسلوب مباشر أكثر من معظم الفرق، لكن هريرا ظن أن سيطرة الفريق على المستوى المحلي تدل على ضعف عام في الكرة الإنجليزية، فقال عن الإنجليز ساخراً من توجههم المحافظ الفطري: «في الكرة الحديثة أرى أن البريطانيين تخلفوا عن التطور. الإنجليز روتينيون تحكمهم العادات مثل تناول الشاي في الساعة الخامسة». والمفارقة أن المدير الفني لفريق وولفز ستان كوليس Stan Cullis كان أحد أكبر أصحاب الفكر التقدمي في إنجلترا.

وبينت الهزائم الثقيلة– التي تعرضت لها إنجلترا أمام المجر دون شك أن فكرة التفوق الإنجليزي أصبحت وهمية. وأصبح هناك اعتراف على الأقل بأن

الأسلوب الإنجليزي يجب أن يتغير. وهذا يتضح من نشر سلسلة من الكتب التي تبكي انقضاء العصر الذهبي. وكمنت المشكلة في أنه لم يكن هناك من لديه فكرة يقينية عن كيفية البدء في التعامل مع هذه الأزمة، فكان اللوم منصباً على طريقة دبليو إم، ومع ذلك ظلت هذه الطريقة هي الطريقة المعتمدة، ومع طرح عدد كبير من الحلول، مال الإنجليز لاتباع المسار الذي رسمه فيلي ميسيل في كتاب «ثورة كرة القدم» والذي تمثل في الرجوع إلى العصر الذهبي وإعادة تطبيق طريقة 2–3–5، وهو ما يثبت بالطبع وجهة نظر هيريرا أنه: بينما تتحول بقية فرق العالم إلى المزيد من التطور على المستوى التكتيكي، لازال هناك كتاب جادون ومؤثرون في مجال كرة القدم في إنجلترا يؤيدون العودة إلى طريقة لعب اعتبرها الناس منذ عشرين عاماً عتيقة الطراز.

ولم يكن خيار تقليد المجريين مطروحاً على أرض الواقع سوى في مانشستر سيتي، حيث نجح جوني ويليامسون في أداء دور قلب الهجوم المتأخر في صفوف البدلاء في أواخر موسم 1953– 1954، وفي العام التالي، أشرك المدير الفني للفريق لي ماكدوول اللاعب دون ريفي في هذا المركز في الفريق الأول، وفيما بعد، خصص ريفي 20 صفحة من مذكراته الصادرة بعنوان 'Soccer Happy Wanderer لشرح خطة اللعب، وبعد بداية متذبذبة شهدت هزيمة الفريق أمام بريستون بنتيجة 5/0 في أول أيام الموسم، وبعد الصعوبات في اللعب على ملاعب موحلة بسبب الشتاء، واصل مانشستر سيتي طريقه ليبلغ نهائي الكأس وينهي الدوري في المركز السابع، بينما فاز ريفي بلقب أفضل لاعب في هذا الموسم.

لكن في صيف هذا العام، قام ريفي بإجازة عائلية في بلاكبول ضد إرادة النادي وظل احتياطياً بعد أن تعرض للإيقاف لمدة أسبوعين من بداية الموسم، ثم أعادته الإصابات للتشكيلة الأساسية ليلعب نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي–

الذي هزم مانشستر سيتي فيه برمنجهام– لكن ريفي أصيب بالإحباط وانضم لسندرلاند في الموسم التالي.

وعاد مانشستر سيتي إلى أساليب لعب أكثر تقليدية، بينما جاهد ريفي للاستقرار في سندرلاند، ومع دخول سندرلاند في دوامة الإنفاق غير المسؤول، سقط في فضيحة دفع مبالغ مخالفة للقانون، إذ اكتشف أنه يمنح مكافآت فوز بقيمة 10 جنيهات إسترلينية، بينما كان الحد الأقصى المنصوص عليه يساوي 4 جنيهات إسترلينية. ووسط الفوضى، ومع استبدال آلان براون Alan Brown بمديرهم الفني بيل موراي Bill Murray هبط سندرلاند للدرجة الثانية.

وعلى أي حال، لم يستطع ريفي التكيف مع الفريق. عن ذلك يقول تشارلي فليمنج Charlie Fleming لاعب الهجوم الأيمن في سندرلاند: «لم يكن يجيد اللعب سوى بطريقة واحدة». وأردف: «كان يفعل الكثير من الأمور الغريبة علينا.. كانت طريقة لعب «دون» مقبولة في مانشستر، لكن عندما جاء إلى سندرلاند كان الجميع قد حفظ طريقة لعبه وعرف كيف يمكن التعامل معها، ولم يستطع دون تغيير طريقته». أو ربما كان اللاعبون الإنجليز هم الذين لم يتمكنوا من تغيير طريقتهم، وفي الحالتين رحل ريفي إلى ليدز، وهناك لعب في مركز مهاجم الجنب، وضاعت الدفعة التي حظيت بها تجربته السابقة.

حتى الفرق البريطانية التي نجحت في أوائل سنوات الكأس الأوروبية، لم يكن نجاحها نتيجة للابتكار، وإنما لأنها كانت على درجة عالية من الكفاءة في تطبيق الطرق القديمة. فهيبرنيان مثلاً– الذي صعد إلى الدور قبل النهائي بأول بطولة لكأس أوروبا– اشتهر بالخماسي الشهير في الخط الأمامي الذي يتمثل في جوردون سميث وبوبي جوهانستون ولوري رايلي وإيدي تيرنبول وويلي أورموند وكانت طريقة لعب مانشستر يونايتد أيام بوبي تشارلتون ودينيس فيوليت ودنكان إدواردز بكل نشاطهم وحيويتهم مبنية على طريقة دبليو إم.

وكتب جيوفري جرين عن ذلك يقول: «مزيج من التمريرات القصيرة والطويلة تخلو عن الشكل التقليدي الثابت لخط الهجوم، ومع تطبيق المبادئ الأساسية للدفاع المنظم، وجدوا طريقهم إلى النجاح عبر التحويل المفاجئ لنهاية الهجمة وإخفائها من خلال طريقة أدائهم السلسة. وكانت هذه الطريقة تهدف إلى إيجاد لاعب بلا رقابة– أو «لاعب زائد»– في نهاية الهجمة». وقد يكون مانشستر يونايتد تحت قيادة بوسبي سلس الأداء بالنسبة إلى الإنجليز، وتألق لاعبيه ليس محل شك، لكنه مازال تقليدي الأداء بالنسبة للمعايير الأوروبية.

وكانت أكثر التغييرات الجذرية نجاحاً التغييرات التي حدثت في توتنهام هوتسبير، حيث سيطر الفكر المجري قبل التحول الذي شهده عام 1953، وقبل ذلك ألقى أرثر روي Arthur Rowe محاضرة في بودابست عام 1940، لكن التعليم عملية لها اتجاهان، فبعد أن قدمت بريطانيا لعبة كرة القدم للعالم، انعكست العملية وأعاد العالم تقديمها لبريطانيا، فبفضل بيتر ماكويليام Peter McWilliam– أحد المدربين المستنيرين في العشرينيات والثلاثينيات (وهو أسكتلندي بالطبع)– كان فريق توتنهام يفضل اللعب بالتمريرات القصيرة، وكان لروي يد في هذه الطريقة، فعلى الرغم من أن روي كان يلعب في مركز مدافع الوسط المتأخر في نادي توتنهام، تميز اللاعب عن روبرتس هيربي Roberts Herbie وعدد كبير من أقرانه بامتلاكه مجموعة من المهارات، فقد كان يفضل الاستحواذ على الكرة وتأخير التمرير حتى يتمكن من لعب تمريرات دقيقة بدلاً من ركل الكرة إلى الأمام دونما تفكير، وتعلم روي من العمل مع المجريين كيف يمكن توسيع مجال التدريب، وعندما عُين في عام 1949 مديراً فنياً لتوتنهام– الذي كان حينها يلعب في الدرجة الثانية– شرع في تنفيذ الأسلوب التالي: «بسّطها وسرّعها» كما كان يردد دائماً.

وكان أول ما قام به ضم ألف رمزي الذي كان مشهوراً وقتها في

ساوثهامبتون بأنه ظهير أيمن ذو عقلية هجومية. وفي كتاب And the Spurs Go Marching On أفصح روي عن مدى الإعجاب الذي كان يكنه لرغبة رامسي في الهجوم، وعن تشجيعه له على عدم الاعتماد بكثرة على التمريرات الأمامية الطويلة. ويقول عن ذلك: «هل خطر له [أي لرامسي] مرة كم كان تحقيق المزيد من الدقة مضموناً؟ وكم كان يمكن تحقيق المزيد من التقدم لو أنه لعب تمريرات عالية لمسافة 15 أو 20 ياردة باتجاه لاعب الجناح الأيمن المتأخر سوني وولترز؟ فالمدافع الأيسر للفريق الخصم سيتردد حينئذ في متابعة وولترز إلى منطقة نصف ملعب توتنهام– التي كانت حينذاك منطقة محرمة على لاعبي مركز الظهير المسَّاك– ومن ثم سيمنح وولترز المساحة، ثم يمكن لسوني أن يمرر تمريرة إلى الداخل إذا تقدم ألف وتهيأ لاستلام الكرة».

وعلى نحو شبه متفرد في بريطانيا، بدأ توتنهام في التحضير من الخلف، مع السماح لرامسي بالتقدم. يقول رامسي عن ذلك: «ليس هناك حد يمنع حتى المدافع من المشاركة في الهجوم، وربما لاحظت كثرة تقدمي إلى المنطقة الأمامية للعب تمريرة عرضية أو حتى التصويب على المرمى، فأنا لا أتفق أبداً مع مبدأ أن المدافع لا ينبغي له أن يحاول تسجيل هدف». ولم يكن لرامسي أن يفعل هذا إلا مع وجود لاعب الوسط بيل نيكولسون– الذي كان لاعباً جاداً كما كان متحدثاً لبقاً– واستعداده للتمركز وتوفير التغطية خلف رامسي المتقدم.

وخلال موسم 1950–1951– الذي شهد عودة توتنهام الأولى إلى الدوري الممتاز– أدى الفريق أداء رائعاً، فبعد فوزه– مثلاً– على نيوكاسل بسباعية نظيفة في شهر نوفمبر، كتبت صحيفة «التليجراف» أن «أسلوب لعب توتنهام بسيط، فمبدأ توتنهام باختصار هو الاحتفاظ بالكرة أقصر فترة ممكنة، وعدم رفعها عن الأرض وتمريرها إلى الأمام في المساحة الخالية، حيث سيتواجد الزميل بعد ثانية أو ثانيتين، والنتيجة أن هجماتهم تشن من ناحية الجانب الأيمن

فيأخذ كل لاعب الكرة وينطلق بها بأقصى سرعة، مثل الموجة التي تستجمع قوتها وهي تنطلق باتجاه الشاطئ البعيد، وكل هذا يتم من خلال تشكيلات من اللاعبين على هيئة مثلثات ومربعات، وعندما يبدؤون في تسريع اللعب– كما حدث يوم السبت– مع وضع كل تمريرة في أفضل مساحة من سطح الملعب المبتل، فإنهم لا يلاقون أي دفاع في مواجهتهم». وفاز توتنهام باللقب بفارق أربع نقاط عن أقرب منافسيه، وظل يلعب بأسلوب مشابه حتى حقق ثنائية الدوري والكأس بعدها بعشر سنوات.

ورغم ذلك كان هذا الاتجاه التقدمي نادراً في إنجلترا، وكان فريق توتنهام يواجه بنظرة متشككة رغم نجاحه، ومع تطور باقي دول العالم على المستوى الفني وابتكارهم لأنماط دفاعية أكثر تطوراً أو أساليب لتنظيم سلاسة الأداء، اتخذت الكرة البريطانية لنفسها نهجاً خاصاً أقل تعقيداً، فكان أسلوبهم الجديد مبنياً على الرهبة– أو الواقعية كما يسميها بعض المدافعين عن هذا الأسلوب– تماماً مثل أسلوب الكاتينيتشو الذي تبناه هيريرا في النهاية، لكن هذا كان يعكس شعوراً بريطانيا بعدم الاطمئنان، فلم تكن المهارة– أو غيرها من الأشياء التي تتطلب الكثير من التفكير– محل ثقة، وظلت القوة الجسدية هي الميزة المستهدفة في النهاية، وليست مصادفة أن تكون الصورة المنطبعة في الأذهان عن الكرة الإنجليزية– إذا استثنينا الفوز بكأس العالم 1966– تظل هي صورة تيري بوتشر Terry Butcher الذيَ سالت دماؤه فلم يستسلم وربط الجرح وأكمل المباراة ليقود إنجلترا إلى تعادل سلبي أمام السويد، أمّن التأهل إلى كأس العالم 1990.

وكان الأسلوب الذي أدى إلى هذا التعادل أسلوباً إنجليزياً خالصاً، فإيطاليا قد تشرع في قتل المباراة عن طريق تمرير الكرة بإيقاع بطيء في أنحاء الملعب لتضييع الوقت وكسر إيقاع المباراة، وهو في الواقع ما فعلته إنجلترا– في تبادل للأدوار غير معقول– أمام إيطاليا في روما عام 1997.

مباراة توتنهام هوتسبور 2 – صفر ليستر سيتي، نهائي كأس اتحاد الكرة، ويمبلي، 6 مايو 1961.

مباراة ولفيز 3 – 2 هونفيد، ودية، ولفيرهامبتون، 13 ديسمبر 1954.

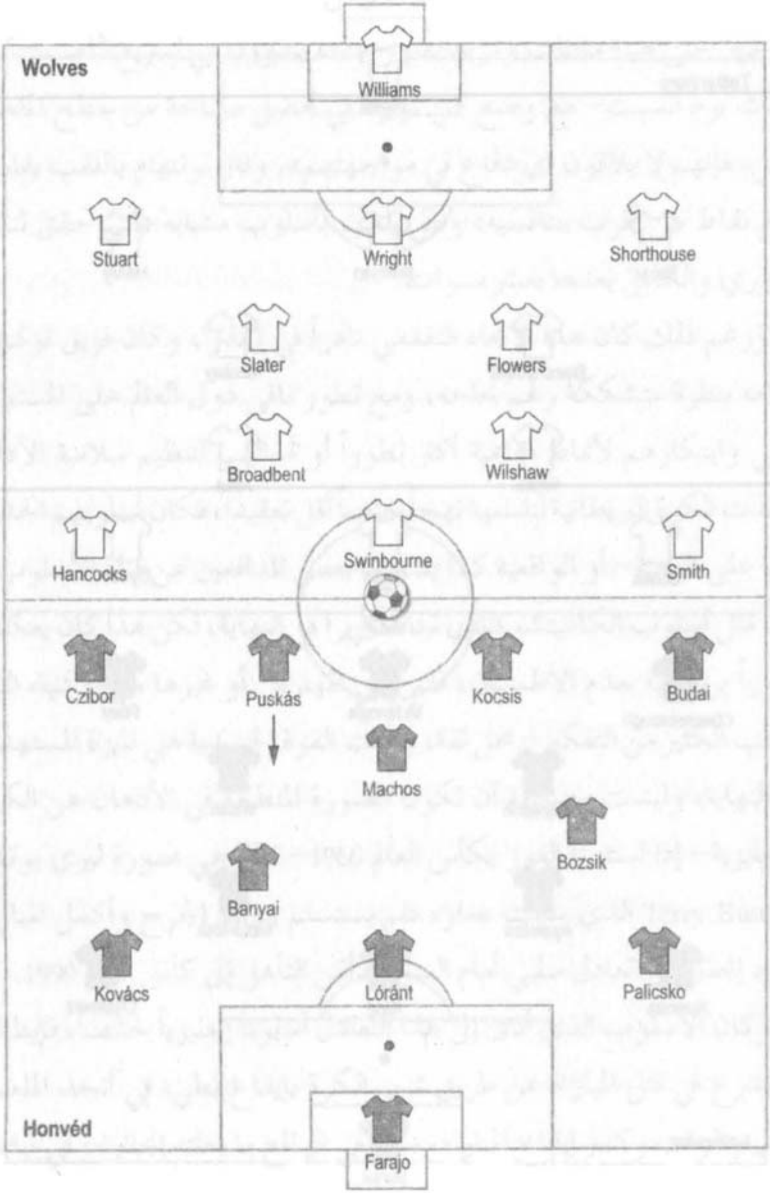

جيمي هوجان، الأب الروحي لكرة القدم وسط أوروبا، يشرح للاعبي سلاح جو الملكي طريقة لعب الكرة بالرأس في فرنسا عام **1940**.

فيتوريو بوزو Vittorio Pozzo يشاهد في توتر هزيمة تشيكوسلوفاكيا أمام إيطاليا في نهائي كأس العالم **1934**.

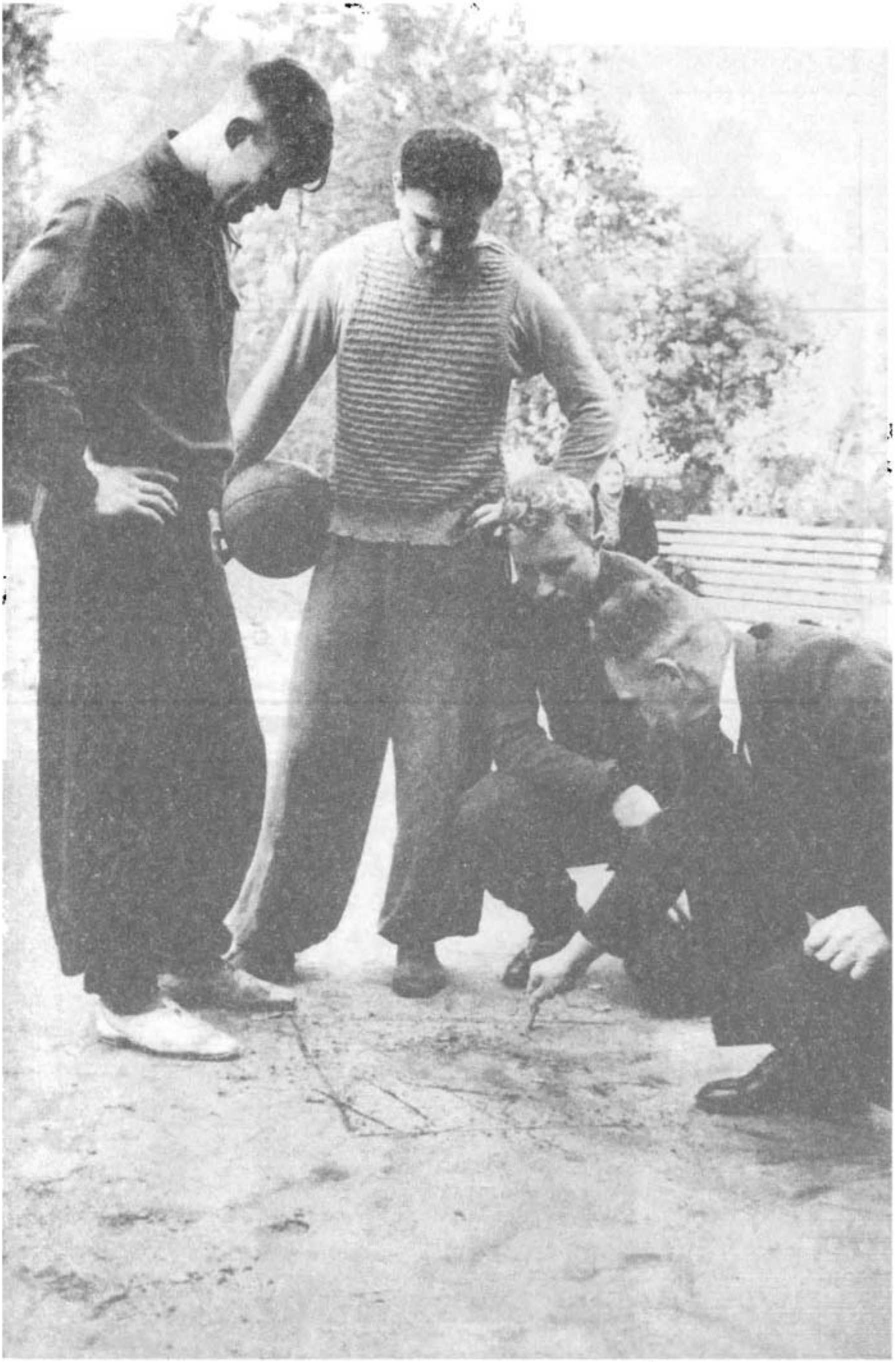

بوريس أركاديف يلخص نظريته عن الفوضى المنظمة للاعبي فريق سيدكا

تصوير بافيل إركلينستيف Pavel Eriklinstev.

المهاجم العظيم ماتياس سيندلر الذي أسهم بعبقرية في قلب «فريق العجب». النمساوي.

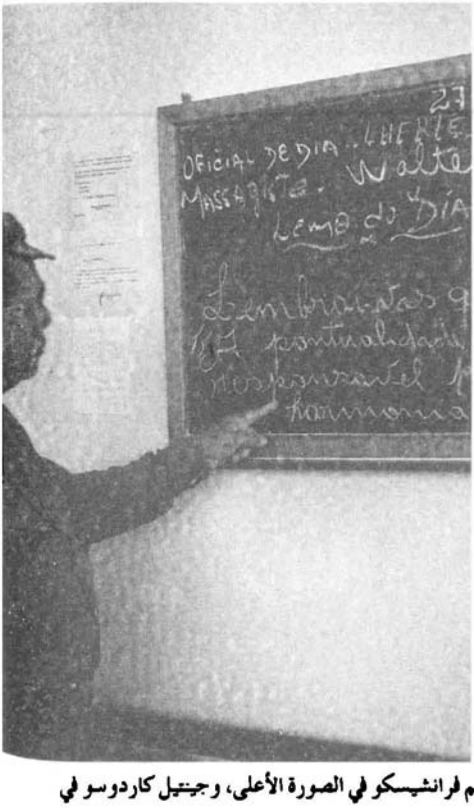

الرجال الثلاثة الذين جاؤوا بالتكتيك إلى البرازيل: مارتيم فرانشيسكو في الصورة الأعلى، وجنتيل كاردوسو في الصورة اليسرى أسفل الصفحة، وفليتاس سوليتش في الصورة اليمنى (جميع الصور من Arquiro/Agencia O Globo ©).

فيكتور ماسلوف يتحدث إلى لاعبي فريق طوربيدو عن خطته الجديدة تصوير بافيل إركلينستيف.

أما في ستكهولم، فتراجع منتخب إنجلترا إلى الخلف ودافع أمام مرماه واعتمد على شجاعة مدافعيه تحت ضغط الهجوم، وهو ما وصفه سايمون كوبر Simon Kuper بالرغبة في تقليد أسلوب معركة دانكريك كلما سنحت الفرصة.

ولذلك من غير المعقول تحميل كوليس مسؤولية صفة من الصفات الشائعة في الكرة الإنجليزية منذ نشأتها، وكذلك من غير المعقول أن يحمل كتاب الخمسينيات هذه المسؤولية لتشابمان (أو حتى أن يصروا- كما فعل فيلي ميسيل- بتفكيرهم الحالم على أنه لو لم يكن تشابمان توفي لعاد إلى النظام الكلاسيكي، وذلك على أساس تلميح ورد- كما يزعم بعضهم- في حوار مع أخيه). إلى جانب أنه إذا كانت النتائج هي الهدف وليس جماليات الأداء، فليس هناك بالضرورة ما يعيب الاعتماد على الجانب البدني، فبعد ثلاثة عشر عاماً من أفول نجم المجر ساهم الاعتماد على الجانب البدني في فوز إنجلترا بكأس العالم، فالمهم هو طريقة اللعب والفكر الذي يقف خلفها.

وقد يكون فريق كوليس تعرض لهزيمة ساحقة من فريق برشلونة تحت قيادة هيريرا، لكنه حقق قبل ذلك بسنوات قليلة نتائج بارزة أمام كبار الفرق، ففي استاد مولينو Molineux جرى تركيب الأضواء الكاشفة في صيف عام 1953، وأضيئت رسمياً للعب مباراة ضد المنتخب الجنوب أفريقي في سبتمبر من العام نفسه، ولاقى نادي راسينج من بيونس أيريس هزيمة بنتيجة 1/3 في مباراة «أظهر فيها فريق وولفرهامبتون واندررز بكفاءة أن الكرة الإنجليزية التي تعتمد على السرعة والروح لاتزال في مصاف الكرة العالمية» وفقاً للمعتد برأيه دائماً ديزموند هيكيت في صحيفة «ذي إكسبريس» The Express.

وبعدها فاز وولفرهامبتون الملقب بالذئاب على دينامو موسكو 1/2 وعلى سبارتاك 0/4، لكن أكثر مبارياته حضوراً في الأذهان كانت- بلا جدال- مباراته أمام فريق هونفيد، الذي كان يلعب له بوشكاش وتشيبور وبوسيك

وكوتشيش يوم 14 ديسمبر 1954. فبعد الهزيمتين المذلتين اللتين تعرضت لهما إنجلترا أمام المجر، كانت هذه المباراة فرصة للثأر.

وفي صباح يوم المباراة، كان كوليس يذكر المعاناة التي لقيها الفريق المجري في اللعب على الأرضية الموحلة في نهائي كأس العالم أمام ألمانيا الغربية، فأرسل ثلاثة ناشئين– كان من بينهم رون أتكينسون Ron Atkinson الذي كان عمره حينذاك 16 عاما– لرش الملعب بالماء.

ويقول أتكينسون عن ذلك– في مقابلة شخصية أوردها جيم هولدن في كتابه عن حياة كوليس: «اعتقدنا أنه مجنون، فقد كنا في ديسمبر وكانت الأمطار تسقط بلا انقطاع منذ أربعة أيام». وسجل هونفيد هدفين في أول ربع ساعة، لكن الظروف المحيطة بدأت في التأثير عليهم. ويواصل أتكينسون كلامه فيقول: «بدأ لاعبو هونفيد بالتدريج يتعثرون في الطين، فكان الطين يمنعهم من أداء حيل المراوغة التي كانوا يمتازون بها». وقرر كوليس أن يتغلب على الطين، فأمر لاعبيه بين الشوطين أن يعتمدوا على المزيد من الكرات العالية لتوصيل الكرة إلى الأمام بسرعة في محاولة لإيقاع ظهيري هونفيد في الخطأ، فقد شعر أن الظهيرين يتركان مسافة واسعة بينهما.

وبعد مرور أربع دقائق من الشوط الثاني، نال الذئاب هدف إحياء الأمل بعد تسجيل جوني هانكوكس ركلة جزاء. وعن ذلك كتب جيوفري جرين يقول: «خطوة خطوة بدأ الذئاب في تضييق الخناق على الفريق المنافس، وبدا الأمر كما لو كانوا يلعبون بضعف عدد لاعبي الخصوم، فوجدوا في كل مكان بالملعب بأعداد كبيرة، وأصبح الملعب– مع استمرار هطول الأمطار عليه– مثل الشمع الكثيف، وقام الجمهور في إستاد مولينو وشجعوا بحرارة حتى كان زئيرهم يشبه الإعصار في البحر، وطالبوا بالإجهاز على الفريق المنافس».

وقبل 14 دقيقة من نهاية المباراة لعب دينيس ويلشوا Dennis Wilshaw–

الذي كان على وشك الاستبعاد بسبب الإصابة التي تعرض لها بعد الحادث الذي تعرض له بدراجته وهو في طريقه إلى ملعب المباراة– كرة عرضية إلى روي سوينبورن Roy Swinbourne ليحولها برأسه في الشباك مسجلاً هدف التعادل، وبعدها بتسع ثوان تعاون هذا الثنائي لإحراز هدف الفوز.

وبعد عام من الذل، احتفلت كرة القدم الإنجليزية احتفالات صاخبة بهذا الانتصار. وعن ذلك كتب بيتر ويلسون في صحيفة الدايلي ميرور: «قد لا أرى في حياتي مباراة مثيرة أعظم من هذه المباراة، وإذا رأيت المزيد من المباريات التي لا تقل في إثارتها عن هذه المباراة فلن أحيا بعدها على أي حال».

وأشاد تشارلي بوتشان في عموده بصحيفة «نيوز كرونيك». بإثبات تفوق الأسلوب الإنجليزي. وتحدثت صحيفة «الدايلي ميل» عن الشعور بالنشوة في عنوانها الرئيسي الذي قالت فيه: «يحيا الذئاب أبطال العالم». وأغضب هذا الادعاء جابريل هانوت لدرجة دفعته إلى ابتكار كأس أوروبا لإثبات كذب هذا الادعاء.

ولم يخرج عن هذا النسق سوى فيلي ميسيل، مشيراً إلى أن هونفيد خسر منذ أيام قليلة أمام ريد ستار بلجراد؛ سابع الدوري اليوغوسلافي وقتذاك، بفارق كبير عن بارتيزان المتصدر. ويقول ويلي عن ذلك: «لم يصف أحد بارتيزان بأنه بطل العالم، بل إنني أجرؤ على القول إن الملاعب الشبيهة بالمستنقعات ليست هي الملاعب التي يمكن أن يتحدد عليها أبطال العالم، حتى ولو كانت هذه المستنقعات في ملاعب محايدة». فعندما يتعلق الأمر بصراع بين القوة البدنية والقدرة الفنية، استطاعت بريطانيا أن تقارع أفضل الفرق، لكن هذا العزاء الخادع لم يلبث أن انكشف في السنوات التالية، فقد واصل الذئاب طريقهم مستفيدين من الفراغ الذي خلفه حادث طائرة ميونيخ؛ ليفوزوا بالدوري عامي 1958 و1959 وكأس الاتحاد الإنجليزي عام 1960، لكنهم لم يتركوا أي انطباع

يذكر في البطولة الأوروبية الرسمية التي بدأت عام 1955، وكانت سخرية هيريرا مؤلمة لأنها كانت صحيحة للغاية، وكان أسلوب كوليس كمدرب- مثله في ذلك مثل العديد من المدربين- لا يرتبط بأسلوبه عندما كان لاعباً، فقد نظر إليه عندما كان لاعباً أنه لاعب وسط ذو ثقافة تكتيكية وعقلية هجومية، حتى إن بوشكاش تحدث عن شهرته بوصفه «أكثر لاعبي الوسط اتباعاً للأسلوب الكلاسيكي في جيله». وظهرت مهاراته القيادية في وقت مبكر، فنال شارة الكابتن في فريق وولفرهامبتون وهو ابن 19 عاماً، وفي المنتخب الإنجليزي وهو ابن 22 عاماً، وعرف عنه- أيضاً- اهتمامه بالتفاصيل، إذ كان يحتفظ بكراسة يدون فيها انطباعاته عن المهاجمين الذين يلعب ضدهم.

ويقول تومي لاوتون: للتغلب على كوليس يحتاج المهاجم إلى «امتلاك قوة الدبابة في الاختراق وسرعة كلب السباق». وعرف عن كوليس- أيضاً- اللعب النظيف، ففي حادثة مشهورة اختار ألا يعرقل ألبرت ستابينز عندما تخطاه ليسجل لليفربول في مباراة تحديد الفائز باللقب أمام وولفرهامبتون. وكان جون أرلوت يصفه بـ «الصارم المتحمس».

وكان كوليس- فيما يتصل بتعلمه التدريب- محظوظاً بالتدرب تحت قيادة الميجور فرانك بوكلي؛ أحد المديرين الفنيين المغامرين في فترة الثلاثينيات، وفي غرفة خلع الملابس بملعب مولينو ركب بوكلي ماكينة للعلاج بالإنفاذ الحراري، وماكينة جلفنة شاملة، وعلاجات بالموجات الصوتية والحث الكهربي وماكينة أشعة فوق صوتية لعمل الأشعة للاعبين، كما أنه في واقعة شهيرة قبل نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي عام 1939 أمر بحقن لاعبيه بـ «هرمونات حيوانية» يقال: إنها مستخلصة من غدد القردة، رغم أن كوليس يعتقد أن هذه الحقن لم تكن سوى عقارات وهمية تعزز الثقة بالنفس أكثر من تعزيزها للكتلة العضلية.

لكن كوليس عاد للمبادئ الأساسية بعد أن واتته الشجاعة للتشكك في

المعتقدات السائدة، فكان دائما يصر على أنه «لا بديل عن العمل الشاق»، وكان أحد أوائل المدربين الإنجليز الذين أخذوا التمرين البدني بجدية، فجعل لاعبيه يجرون قبل بدء الموسم في ريف كانوك تشيس لبناء قوة التحمل لديهم، وعين فرانك موريس، العداء الدولي السابق مدرباً للياقة البدنية، وكان يقول: «يجب أن يمتلك لاعبوه روحاً جماعية عالية، ولياقة بدنية ممتازة، وأن يستخدموا التكتيكات الصحيحة في الملعب».

وتألفت هذه التكتيكات أساساً من إحدى نسخ طريقة دبليو إم، يتركز فيها الجهد على لعب الكرة بسرعة إلى الأمام، ويصر كوليس- كما يصر عدد لا حصر له من المديرين الفنيين الذين يتبعون الفلسفة نفسها - على أن فريق وولفرهامبتون لا يمرر كرات طويلة بلا هدف، وإنما يحاول نقل الكرة بسرعة إلى الجناحين، جيمي مولن وجوني هانكوكس.

ويقول بيلي رايت لاعب الوسط المدافع وكابتن الفريق: «بعض النقاد غير الفاهمين يسمون هذه الطريقة «اركل واجر». وليس هناك تسمية أبعد عن الواقع من هذه التسمية، فكل مرحلة من مراحل الطريقة يحكمها المنطق، وعلى الرغم من أنها تقدم التعاون الجماعي على الأداء الفردي، لم ينهر كوليس مطلقاً أي لاعب مهاري».

وعلى الرغم من أن فريق كوليس كان يضم لاعبين موهوبين من أمثال بيتر برودبينت وجيمي موراي وبوبي ميسون، لم تكن المهارة في ذاتها هدفاً بالنسبة إليه، وإنما وسيلة ينبغي أن تسخر لخدمة أهداف الفريق.

ورغم إيمان كولتيس الشديد بأهمية اللعب النظيف، فإن أفكار اللعب «بالطريقة الصحيحة» لم تكن تعني له شيئا، إذ كان يرى أن الهدف من اللعبة هو الفوز ولا شيء غيره. عن ذلك يقول: «ولأننا كنا نصر على أن أي لاعب تكون الكرة في حيازته يجب أن يطور هذه الحيازة سريعاً للمشاركة في شن

الهجوم، فلم نكن نشجع مهاجمينا على إظهار مهاراتهم بشكل استعراضي قد يرضي قطاعاً صغيراً من الجمهور على حساب تقليل فاعلية الأداء».

وبينما امتدح الآخرون فوز المجر بنتيجة 3/6 في ويمبلي ووصفوه بمهرجان التمرير واستعراض المهارة الفردية، رأى كوليس في المباراة دليلاً على صحة أفكاره، فأشار إلى أن حارس المرمى جيولا جروسيكس كان يميل إلى تمرير الكرات الطويلة، وأن المجر لم تحرز سوى هدف واحد من تحركات في نصف ملعبها، بينما أحرزت ثلاثة أهداف من تمريرة واحدة، وهدفاً من تمريرتين، وهدفاً من ضربة حرة. ويضيف: إن طريقة التمرير والتحرك- التي لاقت إعجاباً كبيراً- لم تظهر إلا في الشوط الثاني، عندما كانت المجر تحاول حرمان إنجلترا من الاستحواذ على الكرة.

ويوضح أن «عدد فرص التسجيل- التي تتاح في أثناء سير المباراة- يتناسب طردياً مع الزمن الذي تكون فيه الكرة موجودة أمام المرمى، فإذا تأخر مدافعو وولفرهامتون في تشتيتهم للكرة فستظل الكرة أمام مرمانا فترة أطول، وهكذا ستتاح فرص التسجيل للفريق المنافس. وإذا استغرقنا وقتاً طويلاً في بناء هجماتنا فسيقل تواجد الكرة في منطقة الفريق المنافس خلال المباراة وبذا سنحرز عدداً أقل من الأهداف».

وفي هذا الفكر وجد كوليس تأييداً من جانب قائد الجناح تشارلز ريب؛ أحد ضباط سلاح الجو الملكي البريطاني المتمركز بالقرب من بريدج نورث، وكان ريب مقيماً في حديقة باشي بارك جنوب غرب لندن في الثلاثينيات، ثم أصبح مولعاً بأسلوب نادي الأرسنال بقيادة هربرت تشابمان بعد حضوره محاضرتين ألقاهما لاعب الوسط الأيمن بالفريق تشارلز جونز في ثلاث ساعات عام 1933. ففي المحاضرتين أكد جونز ضرورة النقل السريع للكرة من الخلف إلى الأمام، وشرح مفهوم تشابمان للاعب الجناح الوظيفي.

وأرسل ريب إلى ألمانيا في نهاية الحرب، وعند عودته في عام 1947 أصيب بخيبة أمل بعد أن وجد أنه رغم تبني شكل دبليو إم، لم يكن هذا التبني مصير أفكار تشابمان الأخرى، فشعر أن الأداء بطيء، إذ تحول الجناح مرة أخرى إلى لاعب يكاد يؤدي حيل المراوغة دون مساعدة قبل أن يرسل كرات عرضية من النادر أن تسفر عن أهداف. وتزايد إحباط ريب، حتى انتهى به الأمر إلى فقدان صبره- وفقاً لما دونه في مقال يحكي سيرته الذاتية لمجلة جماهير أسكتلندية تسمى «ذا بونتد» The Punter- في أثناء مباراة لفريق سويندون تاون Swindon Town في ملعب كاونتي جراوند يوم 19 مارس 1950.

ولم يكن هناك أي مباراة يوم 19 مارس 1950، وهو أمر محير إذا وضعنا في الاعتبار حرص ريب على الدقة الحسابية (على الرغم من أنه- إحقاقاً للحق- قد يكون خطأ من المراجع) لكن سويندون هزم بريستول روفرز 0/1 في ملعبه بالقسم الثالث (قسم الجنوب) يوم 18 مارس، ولذلك فإن هذه المباراة على الأرجح هي المباراة التي يشير إليها، فبعد انقضاء الشوط الأول- الذي شاهد فيه ريب الهجمات تضيع هجمة تلو الأخرى- قرر ريب أن يحصي الهجمات في الشوط الثاني، ويظهر إحصاؤه أن سويندون سنحت له 147 هجمة في الشوط الثاني. وأدرك ريب- باستقرائه لهذا الإحصاء وبافتراضه وقوع 280 هجمة في المباراة بمتوسط تسجيل يصل إلى هدفين- أن هذه النسبة تساوي معدل إخفاق يصل إلى 99,29٪، مما يعني أن على الفريق أن يحسن من أدائه بنسبة 0,71٪ حتى يصل إلى معدل 3 أهداف في المباراة، ورأى أن هذا التحسن كفيل بأن يضمن ترقيه.

وطور ريب من تحليله وبدأ في تدوين التحركات الهجومية للفريقين، وعن ذلك كتب يقول: «في عام 1950 لم تكن هذه النتائج ثابتة بما لا يدع مجالاً للشك فيها، لكن الزمن كان كفيلاً بإثبات صحتها، فمن بين تسعة أهداف،

سُجل هدفان فقط من تحركات شملت تمرير الكرة أكثر من ثلاث تمريرات». ولاحظ- أيضاً- أن التمريرة الطويلة من نصف ملعب الفريق تزيد من فاعلية التحرك، وأن إعادة امتلاك الكرة داخل منطقة جزاء الخصم- أو قريباً منها- هي أكثر طرق التهديف فاعلية، وأن هذه الطريقة تسفر عن هدف بعد زهاء 8 محاولات على المرمى.

وكان ريب حينئذ متمركزاً في ياتسبري، وبدأ يعمل مع فريق سلاح الجو الملكي البريطاني هناك، فوضع نظرية عن الطريقة التي ينبغي أن يلعب بها الجناحان، ورغم عدم بقاء أي سجل معاصر لذلك، يناقش أويفيند لارسون- في مقال له عن تأثير ريب على الكرة النرويجية- تقريراً أرسله ريب للمدير الفني للمنتخب النرويجي وقتذاك إيجيل أولسن في التسعينيات، وكان التقرير في بادئ الأمر موجهاً لوولتر وينتربوتوم- رغم عدم وجود دليل يؤكد قراءة وينتربوتوم لهذا التقرير- قبل مباراة إنجلترا الودية ضد الأوروجواي عام 1954، وكان مبنياً على ملاحظاته على المباراة التي فازت فيها الأوروجواي على أسكتلندا 0/7 في إطار مباريات كأس العالم في وقت سابق من هذا العام.

وفي التقرير زعم ريب أن الأجنحة ينبغي أن يحتلوا أبعد نقطة ممكنة في الخط الأمامي، وأن يتجنبوا الوقوع في التسلل، وأن يوجدوا على خط التماس تقريباً في انتظار الكرات الطويلة القادمة من الدفاع، وعند استحواذ الجناح على الكرة ينبغي أن يتوجه دائماً إلى القائم القريب فيسدد أو يمرر كرة عرضية، أما الجناح الذي لا تكون الكرة بحوزته فينبغي أن يتجه إلى القائم البعيد لمساعدة قلب الهجوم.

وكانت هذه الطريقة، في خطوطها العريضة، هي الطريقة التي تلعب بها الأجنحة عند تشابمان، وإذا كان فريق ياتسبري يؤدي بالطريقة نفسها، فإن نجاحه وفوزه بكأس قادة الجيش الجنوبيين- الذي يلعب بنظام خروج

المغلوب– عام 1950 بدا راجعاً إليها.

وأعيد توزيع ريب مرة أخرى ليعود إلى باشي بارك عام 1950، وبينما هو هناك، اجتذبت نظرياته اهتمام جاكي جيبونز المدير الفني لفريق برينتفورد وابتداء من فبراير 1951، عين النادي ريب في وظيفة بدوام جزئي، وعندما وصل كان الفريق يواجه خطر الهبوط ولم يبق من مباريات الموسم سوى 14 مباراة، لكن مع نصائح ريب، ارتفعت نسبة تهديفهم في المباريات من 1,5 هدف في المباراة إلى 3 أهداف في المباراة، فحصلوا على 20 نقطة من أصل 28 ليحتفظوا بمكانهم في الدوري بفارق مريح عن الهابطين، وفي فترة لاحقة من هذا العام نقل ريب إلى بريدجنورث مرة أخرى.

وفي الفترة بين عامي 1953 و1967 أجرى ريب وبرنارد بنجامين Bernard Benjamin رئيس جمعية الإحصاء الملكية دراسة على 578 مباراة– كان من بينها ثلاث كؤوس عالم لكن الدراسة ركزت بشكل أساسي على مباريات الدوري الإنجليزي– واكتشف أن 5٪ فقط من التحركات تتضمن أربع تمريرات أو أكثر، وأن 1٪ فقط تتضمن ست تمريرات أو أكثر. وكتب كين باري Ken Bary– الزميل الزائر لجماعة علوم الرياضة والتمارين في جامعة باث– عن السبب في ذلك في كتابه How to Score (كيف تسجل الأهداف) قائلاً: «السبب في ذلك واضح، فتبادل سلسلة طويلة من التمريرات يتطلب دقة في كل مرة، يصعب الحفاظ عليها في ظل تحرك المدافعين لغلق المساحة وبذلك يستريح المساكين».

وكانت الخلاصة التي توصل إليها ريب، أن كرة القدم التي تعتمد على الاستحواذ ليست مثمرة، وكانت هذه الخلاصة تحمل قدراً كبيراً من الصحة بالنسبة لفرق المستوى الأدنى مثل فريق سلاح الجو الملكي أو فريق برينتفورد، ولم يفرق ريب بين أي مستوى من المستويات، لكن الغريب أن براي لم ينتقده

ولم ينتقد تشارلز هيوز المدير الفني للاتحاد الإنجليزي الذي وضع نظريات مشابهة في الثمانينيات، ولا تعني ندرة تبادل التمريرات لفترة طويلة في الكرة الإنجليزية في الخمسينيات أن هذه الطريقة لم تكن مرغوبة، فشيوع شيء لا يعني بالضرورة أنه جيد، فمن وقت تشابمان، كان يُطلب إلى اللاعبين إرسال الكرة بسرعة في تمريرة طويلة، وكان ذلك لسبب وجيه وهو حمامات الطين التي كانت تجتاح الملاعب في منتصف الموسم، مع الوضع في الاعتبار ندرة تبادل سلسلة من التمريرات في الملاعب الإنجليزية، فليس من المفاجئ إذاً أن الأهداف التي تأتي بهذه الطريقة كانت قليلة جداً.

وعلى أي حال فهناك عيوب واضحة للعيان في الحجج التي يتبناها من يعتمد على تحليل ريب، زاعماً أن الكرة المباشرة أكثر فاعلية، فأرقامه تبين أن 91,5٪ من التحركات في المباريات- التي خضعت للدراسة- تضمنت ثلاث تمريرات أو أقل، فلو كان عدد التمريرات قبل إحراز الهدف لا يصنع فارقاً لكان من المنطقي أن تكون نسبة الأهداف المسجلة من تحركات تتضمن ثلاث تمريرات أو أقل أيضاً 91,5٪. ولو كانت الكرة المباشرة أكثر فاعلية لكان هذا الرقم أعلى، لكن براي استخلص من أرقام ريب أن «زهاء 80٪ من الأهداف نتجت عن تحركات شملت ثلاث تمريرات أو أقل».

وكما سبق وأشرنا، فإن ريب نفسه ادعى أن «هدفين فقط- من بين تسعة أهداف- يأتيان من تحركات تتضمن أكثر من ثلاث تمريرات». (وبهذا فإن 7 أهداف من أصل تسعة- بنسبة 77,8٪- تأتي من تحركات تشمل ثلاث تمريرات أو أقل).

والمعروف أن فريق واتفورد سجل 93,4٪ من أهدافه في موسم 1981-1982 من تحركات شملت ثلاث تمريرات أو أقل، لكن كأس العالم 1982 شهدت تسجيل 72 هدفاً من أصل 106 (67,9٪) من ثلاث تمريرات أو أقل.

وإذا كانت نسبة 80٪ من الأهداف تقريباً– كما تشير هذه الأرقام– ناتجة عن تحركات تتضمن ثلاث تمريرات أو أقل، رغم أن 91,5٪ من التحركات تشمل ثلاث تمريرات أو أقل، فذلك يستتبع– حتى مع المعايير غير الدقيقة التي وضعها ريب– أن التحركات التي تتضمن ثلاث تمريرات أو أقل، أقل فاعلية من التحركات التي تتضمن أربع تمريرات أو أكثر، وهذه الأرقام لم تأخذ في اعتبارها الأهداف التي تسجل عندما يؤدي تبادل سلسلة طويلة من التمريرات إلى ضربات ثابتة أو توقف اللعب، كما أنها لم تأخذ في اعتبارها أن الفريق الذي يستحوذ على الكرة ويجعل منافسيه يركضون وراءها لن يتعب بسرعة، وبذلك سيكون قادراً على الإجهاز على منافسيه المرهقين في آخر المباراة.

ومن المفزع أن نتصور أن من الممكن السماح لفلسفة تقوم على هذا الخلل في تفسير الأرقام ستصبح حجر الزاوية في عالم التدريب بإنجلترا. فمناهضة الفكر شيء.. والاعتقاد في فكر زائف مبني على فرضيات خاطئة شيء آخر أسوأ بكثير.

وظهرت إحصائية مهمة في مقال ريب المنشور في مجلة الجمعية الإحصائية الملكية. ورغم ذلك لم يلاحظها أحد. لأنها كانت تسير على خلاف أطروحة ريب نفسه. ففي كأس العالم 1958، تكونت نسبة 1,3٪ من التحركات من سبع تمريرات أو أكثر، مقارنة بنسبة 0,7٪ في مجموعته المختارة من مباريات الدوري الإنجليزي (بكل أقسامه) لموسم 1957–1958. وفي كأس العالم 1962 كانت النسبة 2,3٪ مقارنة بـ1,3٪ في مباريات الدوري في الموسم السابق، أما في 1966 فكانت النسبة 2,6 مقارنة بـ1,2 في الدوري. ويقودنا هذا– على ما يبدو– إلى استنتاجين (وهو أكبر عدد من الاستنتاجات ذات الدلالة يمكن استخلاصه من عينة صغيرة مثل هذه). أولهما: أن السلاسل الطويلة من التمريرات أصبحت أكثر شيوعاً بين عامي 1958 و1962. وثانيهما: أن احتمال

إنتاج سلاسل طويلة من التمريرات في كرة القدم على مستوى المنتخبات- التي كانت وقتذاك تمثل قمة اللعبة- يمثل ضِعف احتمال إنتاج هذه السلاسل الطويلة على مستوى الأندية، ولو كانت الكرات الطويلة المباشرة أفضل لكان المؤكد أن ترتفع نسبتها في المستوى الأعلى. ونظراً لارتفاع نسبة استخدام سلاسل طويلة من التمريرات بين بطولتي كأس العالم في شيلي وإنجلترا، فلا يمكن أن يعزا هذا التفاوت إلى حالة الطقس والحاجة إلى الاحتفاظ بالكرة في الجو الحار (على الرغم من أن ريب- على أي حال- لم يبد أي وعي بالآثار المحتملة لهذه العوامل الخارجية).

ولا نسعى بذلك إلى القول إن أسلوب الكرة المباشرة خطأ على طول الخط، فالتعصب لرأي ما أمر مضلل في مجال التكتيك كما هو مضلل في أي مجال آخر. فالتكتيكات يجب أن تكون محكومة بالظروف المحيطة واللاعبين الجاهزين.

والمدافعون عن ريب أساؤوا تفسير الأرقام، وحتى لو لم يفعلوا، فإن طريقته تمتاز بقدر من العموم، حتى إنها تكاد تكون بلا معنى. فلماذا يستتبع ذلك أن يكون المنهج الملائم لمباراة في القسم الثالث أقيمت في روزرهام في ديسمبر صالحاً للتطبيق بالقدر نفسه في مباراة بكأس العالم في جوادالاخارا في يوليو؟ علما بأن جزءاً من عبقرية كبار واضعي خطط اللعب يتمثل في قدرتهم على تطبيق النظام المناسب في الوقت المناسب، فحتى ألف رامسي- الذي تبنى أسلوباً أكثر اعتماداً على الاستحواذ في كأس العالم بالمكسيك عام 1970- اعترف بذلك.

لكن إحصائيات ريب ساندت الميول الفطرية لدى كوليس، فتمتع الاثنان- في الدوري الإنجليزي على الأقل- بعلاقة مهنية مثمرة. يقول كوليس: «لقد ساعدني في إدخال تعديلات وتحسينات على نقاط في التكتيك كانت تكلفنا أهدافاً أو تخفض قدرتنا على التهديف». كما انبهر كوليس بتحديد ريب

«للموقع الأمثل للفر» وهي منطقة على مقربة من المرمى مقابلة للقائم الخلفي تسجل منها نسبة هائلة من الأهداف، ولذلك كان ريب يشجع الأجنحة على الجري إليها. يقول كوليس: «ما دونه ريب عن مباراة المجر أظهر بالتفصيل الدقيق صحة المبادئ التي آمنت بها، فاستطاع أن يثبت بالكتابة الحقائق- التي اضطررت إلى الاعتماد على ذاكرتي بشأنها- مما ترتب عليه ضياع بعضها أو تشوشه».

وكان ألف رامسي- الذي لعب في مركز الظهير الأيمن في هذه المباراة وسجل هدف إنجلترا الثالث من نقطة الجزاء- من بين الذين اقتنعوا بأن الهزيمة أمام المجر بنتيجة 6/3 كانت خادعة، فأشار هو الآخر إلى أن كثيراً من أهداف المجر جاءت من تمريرات طويلة، وزعم- في انتقاد مقنع لجيل ميريك حارس مرمى إنجلترا- أنهم كانوا محظوظين في ذلك اليوم لأنهم سجلوا من كل التصويبات التي صوبوها على المرمى، لكن هذا الكلام غير أمين لأنه يتجاهل أن المجر صوبت 35 تسديدة مقابل 5 لإنجلترا، كما يتجاهل السهولة المخجلة- إلى حد ما- التي وجدها لاعبو المجر في حرمان المنتخب الإنجليزي من الاستحواذ على الكرة في الشوط الثاني الذي كان ممتعاً رغم ذلك. وربما كان ذلك نابعاً من ضيق أفق رامسي عندما يتعلق الأمر بالأجانب، فلا ننسى أنه رفض ذات مرة فرصة مشاهدة باليه الجمال النائم لفرقة البولشوي حتى لا يفوته عرض فيلم لألف جارنيت في نادي السفارة البريطانية بموسكو، أو ربما لأنه نشأ كلاعب في ناد يلعب بأسلوب لا يختلف كثيراً عن أسلوب المجريين، ناد يطلب من مهاجميه الرجوع إلى الخلف لخلق المساحات، ولذلك لم يكن مبهوراً مثل الآخرين بالبراعة الفنية والخططية للمنافسين، ولم يكن رامسي رجلاً يبهره الجمال.

ونظرا لأنه قاد منتخب إنجلترا لتحقيق نجاحه الوحيد، فمن الغريب أن

يكون تقييمه العام متضارباً إلى هذا الحد. وبينما كان بعضهم ينظر إلى عام 1966– بالنظرة نفسها التي كان ينظر بها آخرون إلى تشابمان أو إلى طريقة 2–3–5– على أنه المرجع لكل أساليب كرة القدم المستقبلية، كان هناك من يوجه اللوم– على ما يبدو– إلى رامسي بسبب مقلديه كما لو كان خطؤه أنه نجح؛ لأن نجاحه جعل آخرين لا يمتلكون عقلية التطور يسعون إلى تقليده. وحتى مع فوز إنجلترا بكأس العالم، كان الإعجاب به يتبلور في صورة حقد، فوفقاً لما كتبه (ديف باولر) مؤلف السيرة الذاتية لرامسي «كان المقللون من شأنه يشيرون إلى تقسيمه للمباراة كما لو كان تشريحاً لحيوان معملي، زاعمين أنه سلب كرة القدم شاعريتها، واختزلها في صورة علمية بحتة. ولم يكن رامسي ليختلف مع هذا التقييم، بل وربما اعتبره مجاملة؛ لأنه كان يرى أن الكرة ممارسة تكتيكية وعقلية بقدر ما هي رياضة بدنية».

ولم يأبه رامسي لذلك، لكن إصراره على رأيه– رغم اللعنات التي صُبت عليه– لم يكن في صالح سمعته.

وكان رامسي واقعياً قلباً وقالباً، ووضح ذلك بمجرد أن تولى قيادة فريق إبسويتش في أغسطس 1955، وربما استحسن رامسي أساليب روي مع توتنهام، لكنه وجد أن طريقة «مرِّر واقطع». لا مكان لها في فريق بالقسم الثالث الجنوبي لا يرجى منه الكثير، فبدأ بأمور بسيطة، وعلى الرغم من أنه خسر أولى مبارياته بعد توليه المسؤولية أمام توركواي يونايتد 0/2، واعترف مراسل صحيفة «إيست أنجليان دايلي تايم». بانبهاره الشخصي بعدد الركلات الركنية التي شهدتها المباراة، وتحسنت النتائج سريعاً، لكن رامسي انتظر حتى ديسمبر ليقوم بالتحول الذي سيعلن بداية عقد من التطور ينتهي بكأس العالم، وكان هناك لاعب مهاري وذكي اسمه جيمي ليدبيتر يلعب في مركز مهاجم الطرف، لكن عيبه الرئيسي كان يكمن في افتقاده للسرعة، وانضم

جيمي للفريق في الصيف عن طريق سكوت دانكان– الذي كان يدرب الفريق قبل رامسي– وكان قلقاً على مستقبله، إذ إنه لعب مرة واحدة خلال الأشهر الأربعة من تولي رامسي للمسؤولية، ثم طلب رامسي قبل بداية العام الجديد من ليدبيتر اللعب في مركز الجناح الأيسر، وبينما خشي ليدبيتر من أن سرعته لن تمكنه من اللعب في هذا المركز، كان اهتمام رامسي منصباً على طريقة تصرفه في الكرة.

يقول ليدبيتر: «كان المفترض أن ألعب في مركز الجناح الأيسر، لكنني لم أقم بهذا الدور، وتراجعت إلى الخلف لأتلقى الكرات من خط الدفاع، ولم يتبعني المساكين من خط الظهر إلى هذه المنطقة لمراقبتي، فكان لدي مساحة للتحرك، ومع تقدمي إلى الأمام استطعت أن أجتذب الظهير المساك من موقعه، فلم يتصور أن يبقى في وسط الملعب لا يراقب أحداً، وشعر أنه مضطر إلى اللحاق بي، وخلَّف تحركه هذا مساحة كبيرة في الجانب الأيسر من الملعب، وكانت هذه المنطقة هي المنطقة التي يلعب فيها [قلب الهجوم] تيد فيليبس. وكان تيد يحتاج لمساحة، وإذا استطعت أن تمنحه الكرة خلال تلك المساحة فسيحولها إلى داخل الشباك».

وصعد الفريق سنة 1957، ومع انتقال المهاجم راي كراوفورد إلى الفريق قادماً من بورتسموث والجناح الأيمن التقليدي روي ستيفنسون قادماً من ليستر سيتي، تبلورت خطة رامسي، فكان يلعب بطريقة 4–2–4 مع بعض التغيير تماماً كما كانت الحال بالنسبة إلى الطريقة التي فازت بها البرازيل بكأس العالم، وبينما كان ماريو زجالو يتأخر في منتخب البرازيل من الخط الأمامي إلى الخلف، كان هذا الدور في إيبسويتش موكولا إلى ليدبيتر الذي كان يتأخر بشكل طبيعي بسبب افتقاده للسرعة.

وعلى أي حال، كانت الطريقة أشبه في شكلها بطريقة 4–3–3 المعدلة–

التي لعبت بها البرازيل بعد ذلك سنة 1962- منها بطريقة 4-2-4 التي لعبت بها في سنة 1958 رغم الاختلاف الكبير في الأسلوب.

يقول رامسي: «نحن نؤمن بالتحول السريع من الدفاع إلى الهجوم. فدفاع الفريق يكون في أضعف حالاته لحظة انقطاع الهجمة التي كان يشنها، وإذا كان عليّ أن أقترح العدد الأمثل للتمريرات، فأنا أقترح أن يكون ثلاث تمريرات». وكان رقم ثلاثة- وربما لا يكون ذلك من باب المصادفة- هو الرقم السحري لريب، على الرغم من أنه لا دلالة على حدوث لقاء بين الاثنين.

ويقول ليدبيتر: «تجسدت فكرة رامسي في أنه كلما قل عدد التمريرات، قلت فرصة التمرير الخاطئ. والأفضل أن تمرر ثلاث تمريرات بسيطة وسليمة، لأنك لو حاولت تبادل عشر تمريرات، فسوف تخطئ في واحدة. وقف في مكان يسمح بالتسديد عند تلقي التمريرة الثالثة. ولم يكن ذلك ممكناً بسبب الطريقة التي لعبت بها الفرق وقتها».

فكانت نقطة الضعف الكبرى في طريقة دبليو إم هي محور الارتكاز، الذي ظهر بسبب تواجد ثلاثة مدافعين فقط في خط الظهر. فإذا جاءت هجمة من الناحية اليسرى للفريق المهاجم، كان الظهير الأيمن يتحرك لقفل المساحة على الجناح. ويتسلم لاعب الوسط المدافع مهمة مراقبة قلب الهجوم. ويتمركز الظهير الأيسر خلفه للتغطية. وإذا لعب الفريق أمام فريق يطبق طريقة 4-2-4 أو طريقة أخرى تعتمد على رأسَيْ حربة، يراقب الظهير الأيسر رأس الحربة الثاني.

ويقول ليدبيتر: «كانت هذه التغطية هي الوحيدة الممكنة، فإذا تخطيت الظهير المقابل لك فستصبح لدى مهاجميك فرصة جيدة للتهديف».

وصعد إيبسويتش مرة أخرى إلى القسم الأعلى سنة 1961، ثم واصل طريقه- تحت دهشة الآخرين- ليفوز باللقب في العام التالي، على الرغم من

أنه لم ينفق سوى 30,000 جنيه إسترليني في شراء اللاعبين، وهو مبلغ أقل من ثلث ما دفعه توتنهام ليعيد جيمي جريفز Jimmy Greaves من إيطاليا. ويومها قالت صحيفة التايمز: «إيبسويتش ظاهرة يعجز الإنسان عن تفسيرها. لاعبوه يؤدون الألعاب البسيطة بدقة وسرعة، ويخلو أداؤهم من الزخرفة والتكلف، وربما يعود ذلك إلى إخلاصهم في بذل الجهد».

ومع ضآلة أو انعدام التغطية التلفزيونية لإظهار التكتيك، وجد أفضل المدافعين صعوبة في مجاراة طريقة لعب إيبسويتش، فيقول جورج كوهين George Cohen الظهير المساك لنادي فولهام ومنتخب إنجلترا: «ليدبيتر كان ينزل إلى الخلف كثيراً لدرجة أنني لم أعرف مَن عليَّ أن أراقب، فقد جعلني أترك موقعي، وبدأ في إرسال الكرات إلى المساحة التي تركتها خلفي إلى كراوفورد وفيليبس فأحرزا هدفين قبل أن ندرك حتى أن المباراة قد بدأت، وإذا استبدلت فيليبس وكراوفورد بهارست وهانت فسيكون لديك تشكيل منتخب إنجلترا».

لكن في الموسم التالي عرفت الفرق خطة إيبسويتش، فخسر الدرع الخيري بنتيجة 1/5 أمام توتنهام، إذ أمر بيل نيكولسون ظهيريه بالدخول إلى قلب الملعب لمراقبة قلبي الهجوم، تاركين للاعبي وسط الملعب التعامل مع ليدبيتر وستيفنسون، وفعلت الفرق الأخرى الشيء نفسه، وبنهاية أكتوبر– عندما عين رامسي مديراً فنيا لمنتخب إنجلترا– فاز إيبسويتش بمباراتين فقط من أصل 15 مباراة.

ولم يكن سلف رامسي في قيادة المنتخب وولتر وينتربوتوم قادراً على فعل شيء، حيث كان اختيار اللاعبين موكلاً إلى لجنة هو مجرد عضو فيها، لكن رامسي طلب أن يكون له التحكم الكامل في شؤون الفريق، ودون ذلك كان من المستحيل تجربة التكتيك، فإذا كانت هناك مجموعة تصوت على أفضل

لاعب في كل مركز، فمن البدهي أن تكون المراكز محددة سلفاً دون النظر إلى توازن الفريق أو التفاعل بين اللاعبين، وفي الماضي أسفر ذلك عن إيمان بلا تفكير بمميزات طريقة دبليو إم، واعترض رامسي على ذلك قائلاً: «الناس تقول: إن ماتيوس وفيني وكارتر إلى آخر أفراد الفريق لا يحتاجون إلى خطة، وأنا لعبت مع هؤلاء اللاعبين وأستطيع أن أقول: إن منتخب إنجلترا حينذاك كان جيداً، لكن لو كانت هناك خطة متماسكة إلى جانب هؤلاء لتحسن أداء الفريق كثيراً».

لكن التحكم الكامل لم يُمنح لرامسي إلا بداية من شهر مايو التالي لتوليه المهمة، وهكذا لعب رامسي مباراتين في وجود اللجنة. في المباراة الأولى اختاروا طريقة دبليو إم فخسرت إنجلترا 2/5 أمام فرنسا في باريس، وهذا ما أقنع اللجنة بالنزول على رغبة رامسي والتحول إلى طريقة 4–2–4، وعلى الرغم من أن ذلك تسبب في هزيمة المنتخب الإنجليزي على أرضه 1/2 أمام أسكتلندا، فقد تمسك رامسي بالطريقة في معظم مبارياته الأولى.

وجاء التطور التكتيكي لرامسي في مايو 1964، في جولة بأمريكا الجنوبية قبل بداية الموسم، فسحق المنتخب الإنجليزي نظيره الأمريكي 0/10 في نيويورك؛ ليثأر لرامسي الذي كان بين صفوف الفريق الذي انهزم أمام الولايات المتحدة 1/0 في بيلو هوريزونتي عام 1950، لكن المنتخب الإنجليزي كان عليه– رغم إرهاق السفر– أن يواجه منتخب البرازيل بعد مباراة الولايات المتحدة بثلاثة أيام، فلاقى أمامه هزيمة ساحقة بنتيجة 1/5 في أول مباراة له في دورة يشارك فيها 4 فرق، ثم تعادل بعدها مع البرتغال، لكن اللقاء الثالث أمام الأرجنتين كان حاسماً، فكان المنتخب الأرجنتيني يعلم أن التعادل يكفيه للفوز بالدورة، وهكذا تمركز اللاعبون في انتظار الكرة قانعين بإفساد الهجمات والاحتفاظ بالكرة وانتظار انقضاء زمن المباراة، وكان لاعبو إنجلترا أشبه «بمجموعة من

الريفيين السذج الذين يحاولون التغلب على دهشتهم»– كما وصفهم ديزموند هيكيت في الدايلي إكسبريس– فرغم سيطرتهم على اللعب لم يبد أنهم قادرون على التسجيل، وخرجوا للاستراحة وهم متأخرون بهدف نظيف.

يقول كابتن المنتخب الأرجنتيني جوزيه راموس ديلجادو: «لعبنا بطريقة 4–2–4 مع نزول روبرتو تيلش إلى الخلف مثل زاجالو في عام 1962، وكانت إنجلترا تمتلك فريقاً كبيراً مكوناً من مور وتشارلتون وتومبسون لكننا لاعبناهم بذكاء. صحيح أن المنتخب الإنجليزي استحوذ على الكرة معظم فترات المباراة، لكن هذا كان بسبب نزول لاعب من لاعبي الوسط لدينا للدفاع في مواجهة بعض اللاعبين».

ومن حيث مشاركة بعض اللاعبين يقول هيكيت: «الأسود الثلاثة على قميص لاعبي المنتخب الإنجليزي كانت ستتحول إلى ثلاث قطط عجائز». فكان رد فعله أن المنتخب الإنجليزي قد يصبح بلا حيلة أمام المنافسين المنظمين الملتزمين بخطة ذكية، لكن السبب المفترض وراء ذلك كان– كما كان دائماً وكما سيكون في المستقبل– هو أن اللاعبين لم يبذلوا الجهد الكافي أو أنهم لم يظهروا ولاء كافياً للقميص الذي يرتدونه.

أما براين جيمس في الدايلي ميل، فعلى الرغم من أنه لم يكن أقل غضباً من هيكيت، فقد اقترب من التقييم الواقعي، فكتب يقول: «إذا لم تكن المباراة مهمة بالنسبة إليك، وكنت على استعداد للتخلي عن المتعة في الأداء، فيمكنك الفوز، فالأرجنتين فكرت بمنطق وطبقته بحذافيره. فكانت خطتهم تكمن في عبارة «إذا لم يسجلوا، فلن نخسر» فلو فتحوا خطوطهم لكانوا متهورين».

وبالطبع كان من الصعب على رامسي الاعتراف بأنه تأثر بأداء منتخب الأرجنتين، لكنه أقر «بالفجوة الهائلة» بين عملاقي أمريكا الجنوبية وإنجلترا، ومن المهم أن نعلم أن تقرير الاتحاد الإنجليزي عن الفوز بكأس العالم 1966 لم يشر

إلى أهمية الخبرة التي تم اكتسابها من الرحلة.

فطوال صيف هذا العام، ظل رامسي يعيد النظر في استراتيجيته، ويبدو أنه قرر أن الخطة أهم من الأفراد، لكن ميل رامسي الفطري إلى قلة الكلام يجعل من الصعب التأكد من ذلك، ومع ذلك يمكننا أن نزعم أن العامين التاليين شهدا مرحلة تطور لها نظام دقيق ظلت تتبلور حتى تحقق الفوز بكأس العالم.

فلم يكن لاعبا الأطراف اللذان يلعب بهما في طريقة 4–2–4–بوبي تشارلتون Bobby Charlton وبيتر تومبسون Peter Thompson– من النوع الذي يعود إلى الخلف، ولم يكن واقعياً أن يطلب من جيمي جريفز أو جوني بيرني Johnny Byrne– رأسي الحربة– الرجوع إلى الخلف، وكان جورج إيستهام George Eastham يلعب في مركز لاعب الوسط وهو في الأصل مهاجم جنب، كما أن زميله في وسط الملعب جوردون ميلني Gordon Milne لم يكن من النوع الذي يفسد هجمات المنافسين.

وأدرك رامسي أنه رغم صلاحية طريقة 4–2–4 لتحقيق الفوز على الفرق الأضعف، فهي لا تصلح للعب مع منافسين أكثر قوة، وقد تجعل الفريق الأفضل عرضة للهزيمة إذا لم يكن في يوم حظه. وباختصار، أظهرت المشكلة الحقيقة المتمثلة في أن طريقة 4–2–4 فعالة عند امتلاك الكرة، لكنها لا تساعد على استخلاص الكرة عند فقدها.

ولم يتضح لنا التوقيت الذي اتجهت فيه أفكار رامسي إلى نوبي ستايلز صمام أمان مانشستر يونايتد، لكن بمجرد اختيار ستايلز اتضح أنه لا يستطيع اللعب بطريقة 4–2–4؛ لأن اشتراكه سيضع عبئاً غير ضروري على لاعب واحد، وهذا العبء يتمثل في المناورة بالكرة من الخلف إلى الأمام، وكان تومبسون ضحية هذا الاختيار، رغم أنه كان– على الأرجح– أفضل لاعب في صفوف منتخب إنجلترا في مباراة البرازيل، ولقبته الصحافة المحلية بلقب «بليه الأبيض». لكن

بالنسبة إلى طريقة رامسي الجديدة في التفكير، كان تومبسون- الذي يلعب في مركز الجناح في ليفربول- لاعباً يفرط في الاستعراض. ومع توجه رامسي للاعبين أمثال جون كونيلي وإيان كالاجان وتيري بين، خرج تومبسون تدريجياً من قائمة منتخب إنجلترا.

وكانت أول مباراة لإنجلترا في الموسم الجديد في البطولة الدولية المحلية على ملعب أيرلندا الشمالية في شهر أكتوبر التالي، واختار رامسي اللعب مرة أخرى بطريقة 4-2-4، لكن مع تحرك بوبي تشارلتون إلى الخلف؛ ليؤدي دور إيستهام في وسط الملعب واختيار بين ليلعب في اليمين مع مطالبته بالسقوط إلى الخلف كما كان يفعل زاجالو وليدبيتر، وتقدمت إنجلترا 4/0 قبل نهاية الشوط الأول، لكن المباراة انتهت بنتيجة 3/4 بفارق هدف واحد فقط، وطالبت صحيفة «الميل»- التي تحدثت عن «تسع دقائق من الاسترخاء»- بإقالة رامسي، لكن الأخير- رغم غضبه من تفريط فريقه في المباراة- لم يكن بالرجل الذي يدع ردة فعل معاكسة من الصحافة تثنيه عن خطته.

ثم تلا هذه المباراة تعادل غير مقنع مع بلجيكا، لكن التقدم الحقيقي تحقق في مباراة ودية في فبراير التالي؛ إذ لم ينضم إلى المنتخب ستة لاعبين من بينهم جوردون بانكس وبوبي تشارلتون وبيتر تومبسون، بسبب ارتباطاتهم بكأس الاتحاد الإنجليزي، لكن رامسي واصل برنامجه بإقامة مباراة تدريبية بين الفريق الأول والفريق الأوليمبي بطريقة 4-3-3، وكان سعيداً بالنتيجة. وعن ذلك يقول: «قمت بحيلة قاسية لهؤلاء الشبان، فلم أخبرهم مسبقاً بالطريقة التكتيكية التي سيطبقها الفريق الأول، وبمشاركة ثلاثة لاعبين مشهود لهم بالتميز في خط الوسط، وهم برايان دوجلاس في اليمين وجوني بيرني في الوسط وجورج إيستهام في اليسار، اجتاح الكبار فريق الشباب. وخرجت إلى النور عبارة «عجائب اللعب دون أجنحة».

يقول رامسي: «من الترف وجود لاعبين متمركزين على الطرفين، ذلك يجعلك تلعب بتسعة لاعبين عندما ترتد الهجمة عليك». ويرى ديف براون- المدير الفني لويلز بين عامي 1964 و1974- أن عبقرية رامسي تجسدت في إدراكه- قبل أي شخص آخر في بريطانيا- أنه إذا لعبت الفرق بأربعة لاعبين في خط الظهر، يصبح الجناحان التقليديان بلا فائدة. يقول براون: «الأمر يختلف مع وجود ثلاثة مدافعين، فكان الظهير العكسي يغطي المساحة خلف متوسط الدفاع، وهكذا يتوفر للجناح مساحة يتلقى فيها الكرات العرضية. وفي وجود أربعة مدافعين، يستطيع لاعبو خط الظهر الضغط على الجناح وبالتالي يفقد مساحة الانطلاق فيصبح بلا فائدة بعد خسران هذه المساحة».

ومع وضوح معالم الخطة، بدأ رامسي في البحث عن أفضل اللاعبين لتنفيذها. وفي أبريل ظهر ستايلز وجاك تشارلتون لأول مرة في المباراة التي انتهت بالتعادل 2/2 أمام يوغوسلافيا. وبعد أكثر من شهر، كشف رامسي عن خطة 4-3-3 في مباراة ودية أمام ألمانيا الغربية، وحل رون فلاورز لاعب وولفرهامبتون محل ستايلز، مع وجود بول في وسط الملعب، وأمامه مايك جونز لاعب ليدز يونايتد وإيستهام، على أن يتبادل بين وديريك تيمبل لاعب إيفرتون- في مشاركته الدولية الوحيدة- الأدوار في مركز الجناح ودعم وسط الملعب. وفازت إنجلترا بالمباراة 0/1، ثم هزمت السويد 1/2، مع عودة ستايلز للفريق، وهو ما أقنع رامسي بصحة التحول إلى طريقة 4-3-3. وكان بول هو مفتاح الخطة الرئيسي، إذ كانت طاقته الهائلة تمكنه من اللعب في مركز الجناح، بالإضافة إلى المشاركة في خط الوسط مثلما كان زاجالو يفعل في البرازيل عام 1962.

وتراجعت جودة الأداء في أوائل موسم 1965-1966. لكن في ديسمبر تمكن منتخب إنجلترا المكون من ستايلز وبول وتشارلتون في الوسط وأمامهم روجر

هانت وإيستهام وجوي باركر من هزيمة منتخب أسبانيا 2/0، والظهور بأداء رفيع. ولما أدرك رامسي فاعلية خطته، قرر أن يخفيها. وقال رامسي لمراسل صحيفة الميل برايان جيمس: «أعتقد أن من الخطأ إطلاع منافسينا في العالم على ما نفعل. واجبي ادخار بعض اللاعبين لوقت الحاجة. هذه خطوة وخطوة مهمة في مسيرة ثقافتنا الكروية. وستكون مهمتي إيجاد الفريق المناسب في الوقت المناسب. ولا يعني ذلك بالضرورة الدفع بتشكيل معين لمجرد أنه أثبت نجاحه».

وعاد رامسي مرة أخرى إلى طريقة اللعب 4–2–4 في مباراة ودية انتهت بالتعادل أمام بولندا وأخرى تكللت بالفوز 1/0 على ألمانيا، وشهدت هذه المباراة الظهور الأول لجيوف هارست الذي انسجم على الفور مع هانت، وأرضى الفوز اللاحق للفريق على أسكتلندا بنتيجة 3/4 الجمهور والإعلام، لكنه أكد لرامسي الحقيقة التي يعرفها، وهي أن اللعب بالشق الدفاعي لطريقة 4–2–4 غير مجد.

وفي المباراة التي فازت فيها إنجلترا 2/0 على يوغوسلافيا في ويمبلي في مايو 1966، قدم رامسي آخر ترس في ماكينته مارتن بيترز لاعب الوسط المتحفظ في صفوف فريق ويست هام، وعلى الرغم من أن وصف رامسي للاعب بيترز بأنه «سابق زمنه بعشرة أعوام» قد يصبح عبئاً عليه فيما بعد، كان بيترز– مثل بول وهارست– لاعباً عصرياً متعدد الوظائف قادراً على الإبداع وأداء واجبه الدفاعي.

وفي مباراة ودية على ملعب فنلندا لعب رامسي بطريقة 4–3–3، ببول وبيترز وتشارلتون في الوسط وكالاجان كجناح وحيد، وفازت إنجلترا بالمباراة بثلاثة أهداف نظيفة، وبعدها بثلاثة أيام هزمت النرويج 1/6 في أوسلو، لكن هذه المرة في وجود جناحين، حيث أدى كونيلي الدور التقليدي للجناح،

بينما أدى بين دور ليدبيتر في مركز الجناح المتأخر، ولم يكن بيترز حينها بين الاختيارات الأساسية- على الأقل بالنسبة للإعلام- لكنه استدعي إلى آخر مباريات فترة إعداد المنتخب أمام بولندا في كاتويس. وأخيراً ظهرت التشكيلة التي كان ينيها رامسي، وهي حقيقة اعترف بها وهو يعلن تشكيل الفريق للصحف، ليتوقف بحس درامي غير مألوف عنه قبل أن يعلن أنه منح بيترز القميص رقم 11. وكان هذا الفريق دون جناحين سواء بالشكل التقليدي أو غيره.

ورغم استمرار وصف الخطة على أنها 4-3-3، كان شكل الخطة على أرض الواقع- كما أشار إلى ذلك نوبي ستايلز في سيرته الذاتية- 4-1-3-2، بوجود ستايلز كمحور ارتكاز في خط الوسط وأمامه بيترز وتشارلتون وبول، مع السماح لهم جميعا بالتقدم ودعم لاعبي المقدمة هانت وجريفز كما كان مرجحاً وقتذاك. وفازت إنجلترا 0/1 بهدف هانت، ووفقاً لرأي ويلسون، بدأ يظهر اتجاه يعترف بأن رامسي كان محقاً عندما أصر قبل ذلك بثلاث سنوات أن إنجلترا ستفوز بكأس العالم.

لكن في أول مباراة بكأس العالم أمام الأوروجواي، اختار رامسي كونيلي ليلعب أمام بيترز وعاد إلى طريقة 4-3-3 المائلة، وربما حاول بذلك عدم كشف أوراقه أو ربما كان يشعر بأن الجناح مازال قادراً على أداء دور في مواجهة فريق أضعف سيسعى إلى تكديس دفاعاته. وأياً كان السبب وراء تطبيق هذه الطريقة، فلم يصبها النجاح على أرض الواقع، ولاقى لاعب الوسط صعوبة في التقدم لمساعدة الثلاثي الأمامي، ونجحت الأوروجواي في الحفاظ على النتيجة والخروج بالتعادل السلبي.

وفي المباراة الثانية أمام المكسيك شارك بيترز مكان بول المصاب، وحل بين محل كونيلي، وغيّر هذا التعديل الخط المائل في الخطة، فوجد الجناح في اليمين

بدلاً من اليسار، لكن النقاط الجوهرية في الخطة ظلت كما هي، وعاد رامسي إلى استخدام الجناح أمام خصم يتوقع الفوز عليه، وكان له ما أراد، صحيح أنه لم يكن بالشكل المطلوب لكن في النهاية حقق المطلوب بالفوز 0/2.

ووقع الاختيار على كالاجان أمام فرنسا في المباراة الثالثة من مباريات المجموعة، وفازت إنجلترا مرة أخرى 0/2، رغم أن المباراة نالت شهرة أكبر بسبب تدخل ستايلز العنيف مع جاكي سايمون. وحذره الاتحاد الدولي لكرة القدم من تكرار هذا السلوك مرة أخرى، لدرجة أن رامسي تلقى رسالة من الاتحاد الإنجليزي يسأله فيها عما إذا كانت هناك ضرورة فعلية للاستمرار في الاستعانة بستايلز، فهدد رامسي بالاستقالة ربما عن مبدأ، وربما لأنه يدرك أهمية ستايلز كلاعب وسط لإفساد هجمات المنافسين.

وأخيراً عاد رامسي مرة أخرى إلى طريقة 4–1–3–2 أمام الأرجنتين في ربع النهائي، وربما كان التحول الخططي كافياً، لكن إصابة جريفز قدمت مساعدة أخرى لرامسي، حيث سمحت له بالاستعانة بهارست– وهو مهاجم أقل شهرة من جريفز، لكنه قادر على التفوق في الكرات العالية والاحتفاظ بالكرة– دون أن يخشى ردة فعل الصحف إذا هو استغنى عن خدمات فتاها المدلل، وكانت المباراة شرسة وعنيفة– «لا تشبه مباريات كرة القدم بقدر ما تشبه حادثة عالمية» كما وصفها هيو ماكلفاني– لكن إنجلترا كانت مصممة على الفوز. وبعد طرد أنطونيو راتين كابتن المنتخب الأرجنتيني، نجح هارست في ترجيح كفة إنجلترا برأسية في شباك الأرجنتين، ولم تشهد المباراة عرضاً مميزاً، لكنها بينت– بالنسبة لرامسي– أن الدروس المستفادة من هزيمة إنجلترا في ماركانا قبل ذلك بعامين آتت ثمارها، فعلى غير العادة طلب من ستايلز مراقبة إيرميندو أونيجا فالتزم بذلك تماماً، بينما كان بول ممتازاً في المنطقة الأمامية اليمنى، فلم يقتصر دوره على الإزعاج الهجومي لمنتخب الأرجنتين، بل امتد

مباراة إنجلترا – ألمانيا الغربية 4 –2، نهائي كأس العالم، ويمبلي، لندن، 30 يوليو 1966.

إلى منع ظهير المنتخب الأرجنتيني سيلفيو مارزوليني من التقدم.

وكان لستايلز دور حاسم مرة أخرى في مواجهة البرتغال في نصف النهائي، حيث نجح في إيقاف خطورة إيزيبيو؛ لتفوز إنجلترا بنتيجة 1/2. وسجل بوبي تشارلتون هدفي المباراة، ومرة أخرى ظهرت فاعلية الخطة- المتمثلة في السماح للاعبي الوسط بالتقدم- في المباراة النهائية، إذ أحرز بيترز الهدف الثاني لإنجلترا ثم أرسل بول- الذي لا يكل ولا يمل في الجانب الأيمن- كرة عرضية أحرز منها هورست هدفاً ثالثاً مثيراً للجدل؛ ليحول النتيجة إلى 2/3 في الوقت الإضافي، وجاء الهدف الرابع والحاسم بتصويبة قوية من هارست في اللحظات القاتلة من تمريرة طويلة من بوبي مور، وهو هدف، كما وصفه ليدبيتر لاحقاً، من نوعية الأهداف التي كان رامسي يسعد بها في إيبسويتش، حيث إنه أُحرز دون تعقيد، بمجرد تمريرة بسيطة وإنهاء رائع. وربما كان هذا الأسلوب مناسباً لإنجلترا، لكنه مضلل بعض الشيء، إذ إنهم أظهروا في المكسيك بعدها بأربع سنوات أنهم قادرون بامتياز على الاحتفاظ بالكرة.

وبمرور الزمن أصبحت واقعية رامسي مملة، وتحدث ماكلفاني بلسان الكثيرين عندما أشار بسخرية- بعد هزيمة منتخب إنجلترا على ملعبه أمام ألمانيا الغربية 1/3- إلى أن «الأداء الحذر وغير الممتع في كرة القدم أضحى لا يحتمل، حتى ولو كان يجلب الانتصارات، أما عندما يجلب الهزيمة فلا يمكن أن يكون هناك سوى رد فعل واحد على ذلك». وعندما لم تستطع إنجلترا التأهل إلى كأس العالم 1974 بفضل الملحمة البولندية في استاد ويمبلي- التي كان بطلها جان توماسزوسكي Jan Tomaszewski- تمت إقالة رامسي.

ويمكننا تلخيص ما سبق بالقول إن تعاملات رامسي مع الإعلام وعدم تعاطف الإعلام معه كان شكلاً جديداً من أشكال الصراع القديم بين جماليات الأداء وتحقيق النتائج. والجانب الذي يؤيده رامسي واضح كالشمس، فهو

يكره أسلوب الأرجنتين، ولم تكن الفرق التي أشرف عليها مسؤولة عن اتساع شعبية «الكرة الدفاعية البحتة»، لكن رامسي اتفق مع رؤى المدرب الأرجنتيني أوزفالدو زوبيلديا حول دور المدير الفني. ويقول رامسي عن ذلك: «مهمتي الفوز في المباريات ليس إلا».

الفصل التاسع

△▽△▽△▽△▽△▽

ميلاد جديد

ربما وقع كل خبراء كرة القدم في لعنة تكرار مخاوف أسلافهم. هناك مثالان على ذلك: «فالسرعة صارت حاجة ملحة، وأصبحت كلمة السريع تعني الجيد وأفضل». أما الآخر: «فتنظيف المنطقة بسرعة..واللعب القوي الذي لا يخلو من القلق.. والرعب من الإخفاق.. وعجز اللاعب عن الحفاظ على الكرة وهدوء أعصابه معاً..والصياح من خارج الخطوط الذي يجمد الدم في أجساد اللاعبين ويهدم الإبداع».

المثال الأول: هو كتابات فيلي ميسيل سنة 1957، والثاني: ما كتبه مارتن صامويل في صحيفة «التايم». بعد يومين من الهزيمة بنتيجة 2/3 أمام كرواتيا سنة 2007؛ الهزيمة التي أكدت عدم تأهل إنجلترا لكأس الأمم الأوروبية لكرة القدم 2008. وكان الاثنان على حق حين سلطا الضوء على الفشل الذريع الذي شاع في كرة القدم الإنجليزية، وعند تقصي أسباب إخفاق إنجلترا نجد السبب ماثلاً في عدم الثقة في التكنيك. كان هذا هو السبب قبل مائة عام وها نحن اليوم أمام السبب نفسه.

ومع ذلك، فماتزال الشكاوى حول السرعة قضية نسبية. وإذا كان اللعب الإنجليزي في منتصف الخمسينيات سريعاً جداً وفق ما يرتئيه ميسل، فما الذي سيقوله عن الدوري الممتاز في السنوات الأولى من الألفية الثالثة؟ عند النظر إلى أشرطة الفيديو من السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، فلن ترى سوى مباراة يمكن وصف طريقة اللعب فيها باصطلاح «التصوير البطيء» إن قارناها بمعايير اللعبة الحديثة.

شاهد المجرين في الخمسينيات أو البرازيليين في الستينيات وسيسترعي انتباهك وانتباه العين الحديثة قدرة اللاعبين على الاستحواذ على الكرة. وليس سبب السيطرة الفورية هو قدراتهم الفنية فقط، وإنما لأن لاعبي الخصم لم يضيقوا عليهم. فكان لدى أي لاعب يستلم الكرة الوقت الكافي لتقييم خياراته. وأسلوب المراوغة من جارينشا Garrincha أو ستانلي ماثيوز Stanley Matthews لا وجود له في مباريات اليوم. وغياب هذه الملامح عن كرة اليوم لا يعود إلى غياب المهارات، وإنما لأن أي فريق كبير لن يترك ثلاث أو أربع ياردات لخصمه. فهل يعد اللاعبون القدامى نجوماً عظماء.بمقاييس كرة القدم الحالية؟ ذاك احتمال، لكن ليس بأسلوب المراوغة القديم.

إن الفارق بين كرة القدم الحديثة والقديمة هو تقليص المساحات الخالية– أي الضغط. والفكرة أنه.بمجرد بدء فريق في ممارسة الضغط وتحقيق النجاح، من المحير ألا يتبعه الجميع. فانتشار تكتيك الضغط على الخصم لايزال مشوهاً بشكل غريب. فقد وصل إلى ألمانيا في تسعينيات القرن الماضي فقط، عندما فرضه أريجو ساكي على فريق إيه سي ميلان في أواخر الثمانينيات. وقد رحب الفريق به باعتباره شيئاً جديداً ورائداً. لكن أياكس بقيادة رينوس مايكل ودينامو كييف بقيادة فاليري لوبانفيسكي وفريق واتفورد بقيادة جراهام تايلور– استخدمت الضغط منذ عدة سنوات. وكان محورياً أيضاً بالنسبة إلى نجاح الفريق الأرجنتيني إستوديانتيس دو لا بلاتا بقيادة المدرب أوزفالدو زوبيلديا في أواخر الستينيات. ورغم ذلك، كان أول من ابتكر أسلوب الضغط على الخصم مواطن روسي عمل في أوكرانيا تحت قيادة مدرب مغمور لا يعرفه أحد خارج التكتل السوفيتي السابق. ولا شك أن تطور اللعبة لم يكن خطياً، بل كان هناك الكثيرون الذين كانت لهم أدوار بارزة. وإن صح القول إن هناك رجلاً واحداً قد يكون الأب الحقيقي لكرة

القدم الحديثة، فسيكون فيكتور ماسلوف.

من المستبعد أن يكون ماسلوف ثورياً، فأهل عصره لم يعرفوا عنه قيادته الاستثنائية بقدر ما عرفوا عنه دفء مشاعره. وقد قال ميخايلو كومان (أحد أفضل مهاجمي فريق دينامو في الخمسينيات إن لم يكن أفضلهم): «ما كان يسحرني دوماً أنه كان معروفاً باسم (الجد). فاللاعبون الذين لعبوا تحت قيادته كانوا بمثابة أبنائه. وكان هو أصغر بكثير من أن يكون جدهم. ويبدو أن الاسم علق به قبل أن يصل إلى فريق كييف. ولم يكن للاسم علاقة بعمره. وربما ساهم شكله وبنيته الكبيرة –في الصورة التي رسمت له– في إكسابه لقب الجد. وكان ممتلئ الجسم.. أصلع.. حواجبه سميكة وكثة. لكن السبب الرئيسي لهذه التسمية هو حكمته الكبيرة ونزعته الإنسانية ولطفه».

وكان ماسلوف– الذي ولد في موسكو سنة 1910– أحد أفضل اللاعبين في السنوات الأولى للدوري الممتاز السوفيتي، وكان لاعب خط وسط قوي يُعتمد عليه، لديه القدرة على تمرير مجموعة كبيرة من الكرات. وظل ماسلوف في صفوف نادي توربيدو حتى أنهى بطولة موسكو سنة 1934 و1935 محتلاً المركز الثاني. ولم يلبث أن أصبح كابتن الفريق بين عامي 1936 و1939، وقادهم إلى الانتصار في إحدى البطولات الدولية في فرنسا في عام 1938. وبعد إنهاء مسيرته الكروية سنة 1942 تولى تدريب فريق توربيدو لأربع فترات قبل أن يغادر الفريق ليحط رحاله في فريق روستوف نا دونو سنة 1962. وآخر تلك المناصب، الذي بدأ في عام 1957، هو الأكثر نجاحاً حتى الآن، حين قاد ماسلوف فريق توربيدو مرتين لتحقيق المركز الثاني في الدوري السوفيتي. وفي عام 1960، قادهم للفوز بأول ألقابهم في البطولة. لكنه لم يطلق العنان لأفكاره إلا بعد أن وصل إلى فريق دينامو كييف سنة 1964، فقد حول مركز كرة القدم السوفيتية من موسكو إلى العاصمة الأوكرانية.

وقد يبدو ماسلوف حانياً مثل العم أو الخال، لكن هذا الإنجاز لم يكن ليتحقق دون صرامة وقدرة على ممارسة اللعبة السياسية. فقد ارتبط ماسلوف بعلاقة ودية قوية مع فولوديمير شيربيتسكي الذي أدار الإدارة الأيديولوجية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوكراني، وسخر ذلك لصالح كرة القدم، وحافظ لوبانوفسكي على العلاقات القوية بعد أن أصبح شيربيتسكي رئيساً للحزب في أوكرانيا.

وكانت لفريق دينامو القدرة دائماً على استقطاب أفراد جدد من أنحاء البلاد. ففي الخمسينيات مثلاً ضم الفريق العديد من اللاعبين من زاكارباتيا، وتحت قيادة المدرب ماسلوف انجذب أفضل اللاعبين إلى دينامو، وكان سبب الجذب لهم في كييف هو توافر المساكن والشقق وغيرها من المميزات التي وفرها لهم الحزب الشيوعي.

ورغم ذلك، كان الفريق قوياً بدرجة تكفي للحفاظ على استقلاليته. فتقول إحدى الحكايات عن فريق كييف: ذات يوم جاء مساعد أحد المسؤولين البارزين في الحزب لتوبيخ الفريق بعد الشوط الأول من إحدى المباريات التي لعبها بشكل سيئ. فقال له ماسلوف: «ليس لدي أي مشاغل غدا». وهو يقوده إلى الباب، ثم قال: «سوف آتي لزيارة رئيسك ثم أجيب بعدها عن كل تساؤلاته. أما اليوم، فتفضل بغلق الباب وراءك». وربما تكون هذه القصة غير حقيقية. فليس هناك اتفاق على المباراة التي حدثت فيها هذه الواقعة أو الموظف المشار إليه؟ لكن شيوع القصة على نطاق واسع يوحي بوجود حقيقة وراءها.

«نعرب عن تقديرنا لماسلوف الجد. أولاً لما يتحلى به من صفات إنسانية. وثانياً لأنه مدرب للفريق». جاء هذا الكلام على لسان أندريه بيبا، كابتن فريق دينامو بين عامي 1964 و1967. وقد أضاف بيبا: «كان ينظر إلينا أولاً أننا بشر

لنا إيجابيات وسلبيات، ثم أننا لاعبو كرة قدم. وكانت هذه هي الطريقة التي أدار بها علاقاته باللاعبين. كان في قمة الصدق والإخلاص على نحو يستحيل معه أن تشعر بمشاعر سيئة. وأعرب عن ثقته فينا. وكانت استجابتنا لهذه الثقة تسير على النهج نفسه من تبادل الثقة والمشاعر الطيبة».

ربما كان هذا صحيحاً في حق أعضاء الدائرة الداخلية، لكن إدوارد سترلتشوف؛ النجم الكبير في فريق توربيدو بقيادة ماسلوف قبل إيداع إدوارد في السجن سنة 1958 إثر اتهامه (ربما كانت تهمة ملفقة) بالاغتصاب، يذكر جانباً مختلفاً من حياة ماسلوف: «فحين يكره ماسلوف أحد اللاعبين، لا يستطيع إخفاء كراهيته».

وفي الحالتين، ليس هناك شك أن ماسلوف كان شخصية ملهمة، فقد قال عنه بيبا: «تعليماته قبل المباراة لا تستمر أكثر من خمس دقائق. ولم يكن يتذكر جيداً أسماء لاعبي الخصم، لكنه تميز على الدوام بالدقة في إخبارنا عن كيفية مواجهة قوتهم. وكان ينهي اللقاء معنا بسرد أحد الأقوال المأثورة ليمس قلوبنا. أذكر منها مثلاً: اليوم يجب أن تكونوا في قوة الأسود وسرعة الغزلان ورشاقة الفهود! وكنا نبذل قصارى جهدنا».

ولا شك أنه لم تكن فيه نزعة التسلط التي تميز بها فيما بعد لوبانوفسكي، الذي يعد أعظم تلاميذه، بل كانت عنده الرغبة دوماً في المناقشة وتسوية الأمور بشكل ودي، وكان يرغب دوماً في تحقيق هذا، حتى في المواقف التي يبدو فيها اللاعبون مفرطين في الحكم، وذلك النحو الذي يذكره أركادي جالينسكي، وهو أحد أعظم الصحفيين المشهورين الذين كتبوا عن كرة القدم في حقبة الستينيات والسبعينيات قائلاً: «في إحدى مباريات دوري توربيدو كنت جالساً بالقرب من الملعب ومقعد احتياطي البدلاء»، ثم أردف: لم تكن أمور الفريق تسير على ما يرام، وقرر مدرب الفريق استبدال أحد لاعبيه، وقام

اللاعب البديل بخلع معطفه وملابسه الرياضية، وبعد فترة قصيرة من الإحماء، ذهب إلى خط المنتصف خارج الملعب، في انتظار التبديل مع أحد زملاء فريقه في أول مرة يوقف فيها حكم المباراة اللعب. كان الأمر يسير تماماً وفق ما هو معتاد في كرة القدم. وما حدث بعد ذلك كان مثيراً بدرجة كبيرة. فكابتن فريق توربيدو- المهاجم المشهور فالنتين إيفانوف- جاء مهرولاً إلى هذا اللاعب بعد أن أطلق حكم المباراة صافرته وأخبره أن الفريق ليس بحاجة إلى بديل. وبعد أن أمضى بعض الوقت مرتبكاً، عاد لاعب الاحتياطي إلى مقاعد البدلاء. لقد رميت ببصري تجاه المدرب لأرى رد فعله؟ ولكنه هز كتفيه غير مبال- فيما يبدو- لما حدث. حسبت ذلك محاولة لإثارة اللاعب الذي كان في صفوف البدلاء عن اتفاق مسبق بين المدرب وكابتن الفريق، لكن ما بدا بعد انتهاء المباراة أن الفريق رفض التبديل الذي اقترحه المدرب. ولم أرَ هذا الموقف قط في كرة القدم قبل هذا اليوم. وبعد سنوات قليلة، شهدت أحداث نفس الحلقة مرة أخرى. لقد أجريت المباراة في نفس الاستاد؛ استاد لينين المركزي (الذي يسمى الآن باستاد لوزنيكي) في موسكو، وكان المدرب هو نفسه، وما اختلف هو الفريق الذي لعب المباراة- دينامو كييف، ومرة أخرى لم يبد ماسلوف أي تعاطف.

وفي أثناء فترة عمله مراسلاً لدى صحيفة «سوفيت سبورت» Sovetsky Sport الروسية، ذاع صيت جالينسكي بسبب عواطفه المؤيدة لموسكو، وكان منتقداً استخدام فريق دينامو نظام المراقبة داخل المنطقة، وكانت هناك مشاحنات شخصية فيما يبدو بينه وبين ماسلوف، الذي كان في نظر بيبا ميالاً إلى الصدق أحياناً أكثر من التكتيك. وكانت النتيجة التي خرج بها جالينسكي أن الحادثتين لا تدلان على أي من نقاط ضعف ماسلوف، وإنما كانت دليلاً على قوته. وكتب جالينسكي: «لقد فهم تماماً أن اللاعبين لم يرفضوا إجراء التبديل

ليقوضوا سلطته، ولكن لما رأوه من مصلحة المباراة والفريق؟ وكان يتردد بين لاعبي دينامو– مثل إخوانهم في فريق توربيدو سابقاً– قولهم لمدربهم: «لا تقلق. كل شيء على ما يرام. مجريات أمور المباراة ستكون لصالحنا قريباً. وهذا ما حدث».

وكان مبدأ التشاور جزءاً أساسياً تميزت به طريقة ماسلوف في التعامل مع اللاعبين، فكان يقوم بجمع فريقه في المساء قبل المباريات، أو كبار اللاعبين على الأقل، للتحدث معهم عن مباراة الغد، ويحاورهم في أفكارهم حول المباراة قبل أن يضع خطة اللعب النهائية. وكان هذا المستوى من الثقة والتفاهم المتبادل هو ما سمح لماسلوف بتنفيذ المزيد من ابتكاراته التكتيكية الجذرية.

وفي أوائل الستينيات، بدأ منتخب الاتحاد السوفيتي– شأنه شأن معظم منتخبات العالم– في التحول إلى اللعب بخطة 4–2–4؛ تلك الطريقة في اللعب التي كان رائدها المدرب الوطني غافريل كاتشالين. لقد قاد منتخب الاتحاد السوفيتي لكرة القدم للفوز في أولمبياد عام 1956، وللنجاح في بطولة الأمم الأوروبية الافتتاحية بطريقة «دبليو–إم»، ولكن كان يرى طريقة لعب البرازيل في كأس العالم 1958 لكرة القدم أنها الطريقة التي تتجه إليها كرة القدم، ولقد اقتفى العديد من مدربي الأندية طريقته، وعلى الفور أيدت مؤسسة الاتحاد السوفيتي المحافظة تجاربه، وقد رأى الكثيرون أن هذا التغيير، أو على الأقل السرعة التي تم فرض التغيير بها، هو السبب في العرض المهلهل لمنتخب الاتحاد السوفيتي لكرة القدم في كأس العالم لكرة القدم عام 1962، عندما هزموا منتخب يوغسلافيا ومنتخب الأوروجواي، لكنهم هُزموا على يد منتخب تشيلي في الدور ربع النهائي، ولكن كانت طريقة اللعب البرازيلية في أوج ازدهارها، الأمر الذي دفع قنسطنطين بيسكوف Konstantin Beskov، الذي خلف كاتشالين، إلى الاستمرار في إصراره على استخدام طريقة 4–2–4 عندما

تحول للعب بطريقة «دبليو إم» على مدار الثمانية عشر شهراً التي استغرقها في عمله.

كان ماسلوف أكثر فطنة من بيسكوف، ومثل السير ألف رامسي، أدرك مدى أهمية زاجالو بالنسبة إلى نجاح البرازيل، فقد شق طريق العودة ليصبح لاعب خط وسط ثالثاً، لكن ماسلوف زاد على ذلك وسحب لاعب الجناح الأيمن في فريقه كذلك، ويُنسب إلى رامسي عادة (أو يُلام) نتيجة إلغائه للاعب الجناح الأيمن. وتسليماً بانعدام التواصل بين الاتحاد السوفيتي والغرب في هذه الأيام، فلا توجد أي إشارة إلى أن الفكرة لم تكن من بنات أفكاره، إلا أن طريقة اللعب 4–4–2 هي طريقة لعب تم اختراعها أولاً على يد ماسلوف.

ومثل رامسي وعلى عكس العديد ممن تبعهم، سحب ماسلوف لاعبي الجناح الأيمن في هذه التشكيلة التي لم تثبت قدراته الإبداعية، وبدأ لاعبون مثل أندري بيبا وفيكتور سيريبريانيكوف ولوسيف زابو أداء مهامهم كمهاجمين، قبل أن يحولهم ماسلوف إلى لاعبي وسط. وحافظ الكثير من لاعبي الوسط التقليديين مثل فولوديمير مونتيان وفيدير ميدفيد على اللعب الإبداعي وأصبحوا بمثابة خط ثان للهجوم.

ورغم ذلك كانت هناك خسائر. وقد يكون ماسلوف حصل على منصب المدرب بالإجماع، وربما كان عديم الرحمة في التعامل مع اللاعبين غير المناسبين لنظامه، فتم الاستغناء عن النجوم السابقين أمثال فيكتور كانفيسكاي وأوليه بازيليفيتش، وهو ما حدث مع اللاعب لوبانوفسكي الذي أثار جدلاً واسع النطاق.

إذاً لماذا اختلف ماسلوف ولوبانوفسكي، إن كان حدث اختلاف أصلاً؟ يبقى الأمر غير واضح، فقد كانت تصوراتهم عن كرة القدم مختلفة جداً. وإذا كان لنا أن نصدق كلام جلينسكي، فقد كانت هناك أيضاً عداوةٌ شخصية،

ومن ثم يجب أن يرسخ في الأذهان أن جلينسكي كان أحد النشطاء الأساسيين في محاولة إخراج لوبانوفسكي من أوكرانيا إلى موسكو. لذا قد لا يكون دليله موضوعياً على الإطلاق حسب رؤيته للأحداث، وتأججت المشكلة بعد معسكر تدريب على ساحل البحر الأسود القوقازي قبل موسم 1964.

وكتب جلينسكي: «بدا أن كل شيء يسير على أكمل وجه». إذ بدا اللاعبون مغرمين بمدربهم الجديد، وقد لعب الفريق جيداً، وبدا ماسلوف مسروراً من لوبانوفسكي، وفي رحلة العودة إلى الوطن، واجهت طائرة دينامو طقساً سيئاً مما دفعها إلى الهبوط في سمبروبل، وقد تم إرجاء مغادرتهم مرات متكررة، حتى طلب ماسلوف الغداء في النهاية. ولتسلية اللاعبين، طلب لكل واحد منهم كوباً من الهوريلكا، وهي فودكا أوكرانية.

وقال جلينسكي: لم يصدق اللاعبون أعينهم، فلم يُر شيء مثل هذا من قبل في دينامو، فقد اقترح ماسلوف أن يشربوا نخباً من أجل حظ أوفر في الموسم المقبل، وشرب كل واحد نخباً باستثناء لوبانوفسكي الذي لم يلمس حتى كوبه، وعندما رأى ماسلوف هذا الأمر، طلب منه أن يشرب نخب نجاح الفريق، وعندما رفض لوبانوفسكي أن يقوم بذلك مرة ثانية سبه ماسلوف، فصرخ لوبانوفسكي في وجهه مرة ثانية، ومنذ تلك اللحظة ادعى جلينسكي بأن هناك كراهية فيما بينهما. وأصر كانفيسكي على أن جلينسكي بالغ في الأمر، فقد شاركهم في الوجبة ووافق على وجود الهوريلكا، وإن الجميع باستثناء لوبانوفسكي الذي يصعب إرضاؤه، قد شربوا النخب، إلا أنه مازال يعتقد أن الانضباط الذاتي الصارم الخاص بلوبانوفسكي كان معروفاً جداً، بل كان حائزاً على الإعجاب، وأن ماسلوف لم يكترث لرفضه «فلم يقل ماسلوف شيئاً له» واستطرد قائلاً: «ولم يستخدم أي كلمات تنم عن إهانة».

واعتقد الآخرون أن العلاقة القائمة بينهما قد انهارت أعمدتها خلال

مباراة أقيمت في موسكو ضد سبارتاك في 27 أبريل لعام 1964، حين تقدم لوبانوفسكي لفريق دينامو، وكانت النتيجة لاتزال 1/صفر عندما تم تبديله لأول مرة في مسيرته الكروية، ومع بقاء عشرين دقيقة في المباراة تعادل سبارتاك Spartak وانتهت المباراة بالتعادل، مما أدى إلى التكهن بأن ماسلوف قد رتب النتيجة مسبقاً مع مدرب سبارتاك نايكيتا سيمونيان Nikita Simonyan، وأن لوبانوفسكي قد تم إخراجه؛ لأنه لم يتماش مع ما اتفقوا عليه. وسواء أكان الأمر صحيحاً أم لا، فقد كانت المبارة التالية مع شينيك في ياروسلافل آخر مباراة للوبانوفسكي مع النادي.

ثم مرة ثانية، قد لا تكون العلاقة بين اللاعب والمدرب قد انهارت، فقد تخلص ماسلوف من ميخائيل جيرشكوفيتش وديفيد بيز وجريجوري يانيتس بالسرعة نفسها التي قضى بها على لوبانوفسكي، وكلهم من اللاعبين الجيدين، وكان ذلك عندما عاد إلى توربيدو في عام 1971، ولم يكن هناك سبب واضح غير أنهم لا يناسبون نظامه، ومن السهل أن نرى السبب الذي جعل لوبانوفسكي غير مناسب لخطط ماسلوف، بغض النظر عما يمكن أن يقوله جلينسكي.. كان لوبانوفسكي يُطلَق عليه في صحافة موسكو اسم «كور» نتيجة الطريقة التي ظهرت بها الكرة في ذلك الوقت متعلقة برباط حذائه، فكان نجماً حقيقياً ولاعباً موهوباً ومشهوراً بين الجمهور، وعند موته في عام 2002 ذكرت العديد من رسائل الحزن والأسى التي أرسلها المشجعون كيف كان ذهابهم إلى مباريات دينامو في أوائل الستينيات أمراً مثيراً من خلال مشاهدته وهو يلعب الكرات الجانبية فتدور في الهواء حتى تسقط في الصندوق، وهي مختلفة عن الضربات الحرة الملقبة «بالورقة الساقطة» التي قدمها ديدي قبل ذلك بسنوات، لكن المشكلة كانت تكمن في أنه لاعب جناح أيسر وليس للاعبي الأجنحة مكانٌ في خطة ماسلوف.

وقال بيبا: «لا يمكن أن أصف ما حدث بين ماسلوف ولوبانوفسكي بأنه صراع، بل كان الأمر أن فاليري كان دائم المعارضة لتوجيهات المدرب، وكان ماسلوف يسعى إلى وضع أشكال جديدة لكرة القدم ولاعبيها الذين ظلوا لمدة طويلة جداً يلعبون تحت نظام لعب لا يناسبهم، وحتى «ركلة الموزة» التي اخترعها لوبانوفسكي لم تستطع إقناعه، لكن منذ ذلك الحين، وبعد أن أصبح مدرباً، اعترف فاليري بأن لوبانوفسكي لم يستطع اللعب داخل فريقه، وكان هذا الجدل الذي أثاره تفضيل ميخائيل جيرشكوفيتش للعب الجماعي عن اللعب الفردي الذي يمارسه ستانلي ماتيوس والذي قاده إلى ذروته المنطقية.

إن المسألة ليست مسألة قدر الموهبة التي يتمتع بها اللاعب، فإذا لم يلعب كجزء من الفريق الجماعي فلن يجد مكاناً داخل الفريق.

ولا يعني هذا أن ماسلوف كان معارضاً للعب الفردي الرائع في حد ذاته. بل كان بيبا أحد أكثر لاعبي الوسط الذين خرّجتهم أوكرانيا من ناحية الموهبة. وكانت له وظيفة في نظام ماسلوف مثل بوبي تشارلتون Bobby Charlton في فريق إنجلترا بقيادة رامسي. وقد قال لوسيف بتسا Losif Betsa عضو منتخب الاتحاد السوفيتي لكرة القدم والحائز على الجائزة الذهبية في أولمبياد 1956 والمدرب المحترم فيما بعد: «عندما يحصل هذا اللاعب على الكرة يعرف مقدماً ما سيفعله أفراد فريقه والخصم أيضاً. فكانت لديه خطة لأفعاله التالية. وبلمسته الأولى يضع الكرة في مكان مريح يسمح له بالتصرف فيها بسرعة. وإذا خمن الخصم نواياه، يستطيع تغيير اتجاه الهجمة فوراً، ويستطيع بيبا لعب كرات طويلة رائعة، وإنهاء الهجمة بالوصول إلى المكان الصحيح في الوقت المناسب».

بلغ بيبا ذروة شهرته سنة 1966. ففي موسم الربيع هزم ليف ياشين بركلة من على بعد 40 ياردة في مباراة خاضها ضد دينامو موسكو، وكان رائعاً في

هذا الانتصار الساحق 4/صفر على فريق سيسكا CSKA في الخريف، حين هيأ هدفين من أهداف دينامو، كما أنهى العام بهدف حاسم في الانتصار الذي حققه الفريق في نهائي الكأس ضد توربيدو، إذ فاز فريق دينامو بالبطولتين في هذا الموسم، وكان هذا اللاعب محور الإبداع في الفريق، ولقد تم اختياره، باتفاق واسع النطاق، لاعب العام في الاتحاد السوفيتي.

وأصبحت كرة القدم السوفيتية مهووسة بديدي بعد انتهاء بطولة كأس العالم 1958، وعلى وجه الخصوص، مع انعدام وجود صانعي الألعاب في فرقهم، ففي الستينيات كان هناك لاعبان فقط هما: بيبا وجينادي جوساروف من فريق دينامو موسكو.

واستطاع ماسلوف، بشكل حاسم، تطوير قدرة فريقه على فهم الاستخدام الأفضل لصانعي الألعاب، وهو الأمر الذي لم يكن واضحاً دائماً. فاستدعى جلينسكي، مثلاً، بيسكوف في سنة 1968 في رد فعله تجاه اعتزال جوساروف Gusarov في محاولة لتغيير مركز لاعب الهجوم يوري أفروتسكي ليلعب صانع ألعاب. وكتب جلينسكي يقول: «لقد تعامل مع الدور بجدية إلى حد ما». وأضاف قائلاً: « كان دائماً ما يجد الفراغات ويعرض نفسه على زملائه في الفريق لتلقي تمريراتهم، وكان متحركاً، وهو يمرر عند حصوله على الكرة تمريرات جيدة، لكنه عندما يجد الفراغ مرة ثانية لا يتحصل على الكرة في الغالب. ولا أعرف ما إذا كان اللاعبون لم يتبعوا توجيهات بيسكوف، أو ما إذا كانوا غير ظاهرين بصورة كافية، لكن عندما كان أفروتسكي يتحرر من رقابة اللاعب الذي يراقبه، فإن اللاعبين الآخرين يفضلون التحرك بالكرة أو تمريرها بأنفسهم للأمام؛ وبذا يكون صانع الألعاب في تلك الحالة عديم الجدوى، بل إن الأسوأ من ذلك، أنه يصبح عبئاً على فريقه، لأنه لا يراقب خصماً محدداً وقت هجومهم.

وتبقى تلك شكوى عامة، مثلما يبقى عدم الثقة «باللاعبين المرفهين» أمراً منتشراً، وذلك على الأقل في شمال أوروبا، وقد كان جلينسكي يتأذى من المعاملة الخاصة التي كانت تُمنح لهم، لكنه في سخريته كان يعتمد على الحقيقة التي كتبها «يترجم بعض مدربي كرة القدم صانع الألعاب على أنه شيء ما مثل مريض ينام في منتجع صحي، وقد يكون من الصواب تحرير مهاجم أو مهاجمين من التزاماتهم الدفاعية، لكن هل يمكن القيام بالشيء نفسه مع لاعب الوسط؟ وهل هو تشارلتون أو ديدي؟

كان حل ماسلوف هو ما سمح لديدي بالحصول على هذه الحرية. وكان ذلك الإبداع الذي طواه النسيان، والذي اخترعه زيزي موريرا واستخدمته البرازيل للمرة الأولى في كأس العالم 1954، هو ما يسمى بمراقبة المنطقة. وكانت هي النظرية التي مهدت الملاعب لزهو البرازيل في عامي 1958 و1962، لكنها لم تجد تفضيلاً آنياً لدى فرق الاتحاد السوفيتي. وكانت الصعوبة التي تقتضيها فكرة مراقبة المنطقة أنها تتطلب تنظيماً وفهماً عالياً بين المدافعين. فالآلية سهلة إلى حد ما: يتصدى المدافع وحده لأي لاعب في منطقته. لكن في حال وجود مهاجمين آخرين في المنطقة نفسها، تصبح هناك حاجة إلى مدافع آخر ليتصدى للعدد الإضافي من المهاجمين في المنطقة التي أصبحت فارغة من المدافع الأصلي– وهذا شيء لا يمكن الاعتياد عليه ببساطة.

وكانت هناك محاولة من جانب نيكولاي موروزوف لتقديم فكرة مراقبة المنطقة في الفريق الوطني قبل كأس العالم 1966. لكنها باءت بالفشل. وبعد تلقي شباك الفريق ستة أهداف في المباريات الودية التي أقيمت قبل كأس العالم أمام فرنسا ونادي سيسكا، أصبح موروزوف مذعوراً وانتهى به الأمر إلى وضع خمسة مدافعين أمام المرمى، ولاعب ليبرو يلتقط الكرات التي تسقط خلف المدافعين الأربعة. وتشجع لاعبو الوسط على التعمق في حين فقدان

الكرة والهجوم اعتماداً على الهجمات المرتدة.

ووصل فريق الاتحاد السوفيتي مباراة نصف النهائي لهذه البطولة، وهي الدرجة الأفضل التي حققها الفريق في أي بطولة كأس عالم، غير أن طريقة الدفاع المتزايد التي يدافع بها كل الفريق، والتي يحاكي بها طريقة فريق إنترناسيونالي تحت قيادة هيلينيو هيريرا Helenio Herrera، لم تُر قط سوى حل فردي لمشكلة بعينها.

ورغم ذلك، ظل ماسلوف مقتنعاً بأن فكرة مراقبة المنطقة فقط كانت الطريقة الصحيحة للعب، وقد بدت له دائماً مبدأ أخلاقياً، ولقد قال في إحدى المرات: «مراقبة رجل لرجل هي إهانة وإذلال واضطهاد أخلاقي للاعبين الذين يلجؤون إليها».

لم يراقب بيبا أي لاعب خصم محدد، لكن لم يقم أحد من لاعبي وسط دينامو بذلك أيضاً، وقد قال ماسلوف: «كان بيبا الوحيد الذي أبقى على حقوق الديمقراطية الكاملة». وأضاف قائلاً: «إنه لاعب ماهرٌ جدا وأمين، بحيث لا يسمح لنفسه أبداً بأي تجاوزات وهو لا يسيء استخدام مهاراته على الإطلاق». وسوف يقوم أندري بالشيء الضروري بالضبط، فله الحق في تشكيل المباراة وكأنه هو المدرب في أثناء المباراة، مما يمكنه من اتخاذ القرارات المتعلقة بكيفية تشكيل الفريق، ويفهم الآخرون أفكاره ويطبقونها بأقصى صورة ممكنة».

وكان ماسلوف يعتقد بأنه من خلال التنظيم الجيد يكون لديه دائماً زيادة عددية في أي جزء من الملعب، وهي فكرة اقترحها الصحفي جورجي كوزمين في كيفسكاي فيدوموستي، وقد أخذها من لعبة كرة السلة.

ومع تولي بيبا دوراً حراً، فللقيام بهذا الدور يحتاج إلى نقطة دفاعية ثابتة في وسط ملعبه بما يسمح بالارتداد الكامل للبدء من اللاعبين الأربعة في الخلف

حسبما هو مطلوب، وقد قدم فاسيل توريانتشايك (Vasyl Turyanchyk) نموذج هذا المدافع المحارب، إذ تم وضعه أمام لاعبي الدفاع الأربعة، فأصبح محور الارتكاز الأول في كرة القدم السوفيتية، وكانت مهمته- حسبما حدد ماسلوف- «كسر الأمواج الهجومية»، حيث كان يمثل الخط الأول للتصدي للمهاجمين، وكذا لبدء هجمات دينامو. بمعنى آخر، إنه لعب تقريباً مثل جوزيف زاكارياز مع المجر، وفي هذا السياق، ساعد في ذلك أنه قد بدأ عمله كمهاجم، لكنه ربما يكون الأهم أنه، مثل زابو وميدفيد، أتى من زاكارباتيا، حيث كان تأثير لاعبي المجر قوياً.

وما يعد النقطة الأكثر حسماً، رغم ذلك، هو أن توريانتشايك كان ذا دور فعال في لعب المباراة الضاغطة، فهل يكون ماسلوف قد حاول القيام بها أو حتى فكر فيها إذ لم يكن لديه لاعب يقوم بدور القائد مع هذا الإحكام الدقيق لهندسة المباراة؟ ومع التسليم بغياب المفكرات أو الصحف، يكون من المستحيل القول بذلك، فكانت عبقريته، كما في استخدامه لبيبا، قد ألقت الضوء على الإمكانيات التي وفرتها قدرة توريانتشايك للخروج من الخلف، وكانت تُعلم باقي أفراد الفريق كيف يمكن استخدامها على النحو الأفضل. ومع حلول الوقت الذي فاز فيه فريق دينامو بأول لقب له تحت قيادة ماسلوف، كان لاعبو وسط ملعب الفريق يصطادون الخصوم ويغلقون الطريق أمامهم محجمين مبادراتهم في مناطق من الملعب لم تكن متوقعة من قبل، وكانت صحافة موسكو مرتاعة من ذلك، حين نشرت إحدى الصحف صورة لأربعة لاعبين من فريق دينامو يتحولون إلى الخصم المستحوذ على الكرة مع تعليق يقول: «نحن لا نحتاج إلى هذا النوع من كرة القدم».

لقد تطلب أسلوب الضغط حركة مطردة من لاعبي الوسط، ولياقة بدنية عالية، الأمر الذي قد يفسر السبب وراء عدم ظهوره في وقت سابق.

وكان امتهان الكرة بدوام كامل شرطاً أساسياً، كما كان كذلك الفهم المعقد نسبياً للتغذية والحالة الصحية شرطاً كذلك، لقد لوحظ على لاعبي فريق دينامو المستوى العالي من اللياقة البدنية عندما فازوا باللقب لأول مرة تحت قيادة فياتشيسلاف سولوفيوف سنة 1961، ولكن انتقل ماسلوف بمجريات الأمور إلى مستوى جديد «فكان أول مدرب لفريق دينامو يضع في بؤرة اهتماماته التأكيد على الإعداد البدني للاعبين»، جاء هذا الكلام على لسان فولوديمير مونتيان «إنه ليس لوبانوفسكي كما يعتقد الكثيرون، بل ماسلوف، رغم أنه فعل ما رآه صواباً، بينما كان لوبانوفسكي يتصرف على أساس علمي».

وتخبرنا الإحصائيات عن الوضع تماماً، فعندما فاز فريق دينامو باللقب سنة 1961 مُني مرماهم بثمانية وعشرين هدفاً في ثلاثين مباراة، ومن ثم سطروا صفحات تاريخية تشهد بسلامة دفاعاتهم. وفي الموسم التالي، عندما احتلوا المركز الخامس، مُني مرماهم بثمانية وأربعين هدفاً في اثنتين وأربعين مباراة، وفي عام 1963، عندما تراجعوا إلى المركز التاسع، دخل مرماهم ثمانية وأربعون هدفاً في ثمان وثلاثين مباراة. ووصل ماسلوف في الموسم التالي، فدخل مرماهم تسعة وعشرون هدفاً في اثنتين وثلاثين مباراة احتل فريق دينامو إثرها المركز السادس في البطولة، ثم احتلوا المركز الثاني في بطولة عام 1965، بعد أن دخل مرماهم اثنان وعشرون هدفاً في اثنتين وثلاثين مباراة، وسار الأمر إلى الأفضل في مواسم البطولة الثلاثة، فدخل مرماهم سبعة عشر هدفاً في ست وثلاثين مباراة في موسم عام 1966، وأحد عشر هدفاً في ست وثلاثين مباراة في موسم عام 1967، وخمسة وعشرون هدفاً في ثمان وثلاثين مباراة في موسم عام 1968، ولم يكن من المستغرب أن الجدل حول تكتيكات ماسلوف تضاءل في وقت قليل.

وفي استعراضه لموسم عام 1967، كتب مارتن ميرزانوف، عميد الصحافة

دينامو كييف 1 – 1 سيلتك – الجولة الأولى من كأس الأمم الأوروبية – مباراة الإياب – أوليمبسكي (كييف) 4 أكتوبر 1967.

السوفيتية لكرة القدم ومؤسس مجلة «فوتبول»: « أثبت دفاع المنطقة– عندما يبني المدافعون قاعدة لعبهم على أساس التفاهم المتبادل والتأمين المتبادل، مع عدم التعامل مع خصم واحد بعينه، وإنما مع أي لاعب يدخل المنطقة– أنه أكثر كفاءة (من اللعب بطريقة المراقبة الفردية رجلاً لرجل)».

ولم يكن الأمر سهلاً. فجاءت هزيمة فريق دينامو 1/2 أمام فريق شاختار دويتسك الأوكراني سنة 1967 ليلمح إلى أشياء ستحدث. وبعد مغادرة فريق دينامو، قضى لوبانوفسكي موسمين مع فريق كورنوموريتس أوديسا قبل الانتقال شرقاً إلى نادي شاختار. وفي تلك الأثناء، تطور فكر لوبانوفسكي التكتيكي. ومع المدرب أوليج أوشينكوف توصل إلى خطة لمواجهة نظام فريق دينامو. وبينما لم تسعَ معظم الفرق إلا إلى ضم عدد أكبر من النجوم والأبطال، أصر لوبانوفسكي على ضرورة مهاجمة شاختار لهم، مختاراً اللعب بطريقة 4–2–4 المزودة بالمراقبة الفردية اللصيقة (رجلاً لرجل) بلاعبي الوسط مونتيان وزابو. جعلت هذه الخطة اللاعب ميدفيد أقل إبداعاً.. وحرية. بيد أن لوبانوفسكي لم يعبأ بهذا، على الرغم من أنه أراد الحد من خطورة فريق دينامو بقدر المستطاع. لكن قلقله الأكبر تمثل في إمطار دفاعاتهم بأعداد كبيرة من اللاعبين.

تكرر هذا النموذج في كأس الأمم الأوروبية في ذلك العام نفسه عندما خسر فريق دينامو بعد الفوز على حامل اللقب نادي سيلتك في الجولة الأولى، خسر بنتيجة 2/3 في مجموع المباراتين أمام البطل البولندي زابرزي جورنيك في الجولة الثانية، حين تهاوى أمام سرعة فلودزيميرز لوبانسكي وزيجفرد زولتيسك وتحركهما.

ورغم ذلك، فماتزال تلك الأمثلة أمثلة نادرة، وأثبت فريق دينامو– الذي كان يعمل على تغيير نهجه بطريقة منتظمة وفقاً لحال خصمه– شيئاً ما يعد نادراً

بشكل كبير في ذلك الوقت، وهو المهارة في التعامل مع العديد من الاختلافات الأسلوبية التي قدمها الدوري السوفيتي. «كان لدى هذا الفريق شيء ما مثل فريقين مختلفين».

وقد كتب جالينسكي: «أحدهما يقاتل وينخرط في صراع صريح للقوة إذا قام الخصم بالمبادرة بذلك، بينما يلعب الآخر بالأسلوب الفني «الجنوبي»، بإيقاع سريع غير منتظم، ولكن التحول من فريق إلى آخر يحدث ببساطة بالغة في فريق دينامو، فتغيير واحد أو تغييران قبل بدء المباراة وأحياناً تبديل واحد في أثناء المباراة يكفي، فيمكنهم التحول بصورة مباشرة من الأسلوب الجنوبي إلى لعبة أبسط بكثير عبر اللعب على الأجنحة والكرات العرضية والكرات الطولية والتصويبات نحو المرمى».

قام ماسلوف بعد ذلك بعمل المزيد، فعندما قام بالدفع بمهاجمين فقط، تكهن بأنه سيأتي الوقت الذي تستخدم فيه الفرق لاعبا واحدا وحسب في المقدمة، لقد عبر قائلاً: «كرة القدم مثل الطائرة، فكلما تزداد السرعة تزداد مقاومة الهواء، ومن ثم عليك أن تجعل رأسك أكثر انسيابية».

ومن حيث التشكيل والإبداع والنجاح، يعد عمله غير عادي كما هو بالفعل، ولكن كانت هناك خطوة أخرى بحاجة إلى الاتخاذ، ففريقا دينامو وأياكس سيدركان تصوره قريباً، لكن ذلك لم يحدث بصورة ناضجة تحت إدارته، على الرغم من أنه– من خلال فرض الرقابة في المنطقة والضغط– قد وضع حجر الأساس.

وفي أكتوبر 1981، هزم فريق دينامو بقيادة لوبانوفسكي فريق زينيت لينينجراد بنتيجة 3/صفر؛ ليفوز باللقب السوفيتي للمرة العاشرة، وقد ورد مقال في صحيفة سبورتيفنا خازيتا Sportyvna Hazeta الأوكرانية يشيد بسلاسة حركتهم في تلك المباراة، وطوال ذلك الموسم تجلى تقدمهم في هذا الأمر:

«لقد راود فيكتور ماسلوف ذات مرة الحلم بصناعة فريق كرة قدم يستطيع الهجوم بمجموعات مختلفة من اللاعبين، فعلى سبيل المثال يبدأ كل من أناتولي بيئوفيتس وفيتالي خملنيتسكي- المباراة بضرب دفاع الخصم، ثم يتراجعان أثناء المباراة في بعض نقاط الملعب إلى خط الوسط ويتولى أماكنهما مثلاً مونتيان وسيريبريانيكوف. لكن هذه الطريقة لم تؤت ثمارها المرجوة في هذه الفترة، على الرغم من أنها تعد إنجازاً في وقتنا الحاضر».

وبين الحين والآخر قام لاعبو ماسلوف- عن طريق الصدفة أو بالفطرة- بتبديل المراكز «كان نظام اللعب بطريقة 4—4—2 الذي قدمه «الجد» مجرد نظام رسمي، وكان في سياق اللعبة قابلاً للتغيير.

واستطرد زابو: «يمكن لأي مدافع مثلاً الضغط على المهاجم بلا خوف. لأنه عرف أن زميله في الفريق سيغطيه إن لم يستطع العودة إلى مكانه في أي لحظة من المباراة، حيث يستطيع لاعبو الوسط والمهاجمون السماح لأنفسهم بالقيام بمجموعة أكبر من التحركات لم تكن مسموحة من قبل. وقد لعب الفريق بأول نموذج لكرة القدم الجماعية. ويعتقد الناس أن هذه الطريقة تطورت في هولندا لمجرد كونها في أوروبا الغربية، ولم ير فريق دينامو كييف وهو يلعب تحت قيادة ماسلوف».

وانتهى الأمر بإقالة المدرب ماسلوف سنة 1970، مع تراجع ترتيب دينامو كييف إلى المركز السابع في جدول الدوري. وفي سنة 1966، ومع ابتعاد عدد كبير من أفراد الفريق في كأس العالم، تمكن ماسلوف من المحافظة على الشكل الجماعي لفريق دينامو مع ظهور عدد من اللاعبين الشبان. لكنه في سنة 1970، لم يتوافر له هذا العدد من اللاعبين الاحتياطيين.

يقول المدافع فيكتور ماتفيينكو: «يعتمد مصير أي مدرب على النتائج». واستطرد: «بعد النصف الربيعي من الموسم كنا نحتل المركز الثاني في قائمة

الدوري، وأنا على يقين من أن «الجد». كان سيحتفظ بمنصبه إذا تسنى لنا أن نحافظ على ذلك المركز حتى نهاية الموسم، وكان الأمر يتطلب أن يعيد تجربة عام 1966 عندما قام لاعبو الشباب البارزون بالمحافظة على اللاعبين الذين عادوا من إنجلترا خارج تشكيل الفريق، وكان الموقف مشابهاً لذلك في عام 1970، فلاعبو فريق دينامو الذين كانوا موجودين في كأس العالم في المكسيك غابوا مدة شهر ونصف الشهر، ولعبوا فقط مباراتين، لقد خسروا هناك أكثر مما جنوا لأنهم لم يتدربوا على خوض المباريات، ولكن «الجد» لم يحسب لهذا الأمر حساباً وقتها وقام بإشراك اللاعبين مباشرة بعد عودتهم، وقد فقدوا براعتهم في اللعب، ومن ثم بدأنا في التراجع في الترتيب».

وربما كان الأمر مفهوماً، فأمضى ماسلوف سبع سنوات في النادي. وكان الشعور أنه ربما صار لا قيمة له. ورغم ذلك، فإن طريقة طرده من الفريق خلفت مذاقاً مراً.. طرد قال عنه كومان: «من أسوأ الحلقات في تاريخ نادي دينامو». لقد تقرر أنه من الملائم سياسياً طرده عن كييف، ومن ثم عندما قام فريق دينامو في نهاية موسم 1970 بالسفر إلى موسكو للعب مباراة ضد فريق سيسكا، انضم إليهم ميزياك نائب رئيس اللجنة الأوكرانية الحكومية الاشتراكية السوفيتية الرياضية، وكان يتحمل مسؤولية الرياضات الشتوية، وأعلن من فندق روسيا قبل المباراة رسمياً خبر إقالة ماسلوف من منصبه كمدرب للفريق.

ومع جلوس ماسلوف في المنصة وعدم تعيين بديل له، خسر فريق دينامو بنتيجة 1/صفر، وبعد نهاية المباراة، حين قامت حافلة الفريق بنقل اللاعبين إلى المطار لاستقلال طائرة العودة إلى كييف، توقفوا في محطة مترو يوغو زابادنايا ونزل ماسلوف بهدوء، وبعد أن مشى قليلاً نظر خلفه ورفع يده ببطء مودعاً. ويقول كومان عن هذا المشهد: «إذا لم أشاهد الموقف بنفسي، فما كنت لأتخيل أبداً أن عملاقاً مثل ماسلوف يمكن أن يبكي».

عاد ماسلوف إلى فريق توربيدو، وفاز بالكأس معهم، وعندها كان له موسم في أرمينيا مع أرارات يريفان، حيث فاز بالكأس مرة ثانية. لكنه لم تكن لديه أبداً الإمكانات– أو ربما القوة– ليعيد النجاحات التي حققها مع دينامو. وحين حلت ساعة وفاة ماسلوف عن سبعة وستين عاماً في مايو 1977، كان لوبانوفسكي– اللاعب الذي أبعده ماسلوف– على يقين من أن تراثه سيبقى إلى الأبد. فربما لم يكن تأثير ماسلوف أكثر من جيمي هوجان، لكنه سيظل المدرب الأوسع تأثيراً.

الفصل العاشر

△▽△▽△▽△▽△▽

طريقة كاتيناتشو

لم يحظ أي أسلوب تكتيكي في كرة القدم بالسمعة السيئة التي لاحقت الأسلوب المعروف باسم كاتيناتشو Catenaccio. فعلى مدار أجيال، ظلت كلمة «السلسلة» chain المستوحاة من فكرة المزلاج الذي يستخدم لغلق باب المنزل-- تمثل كرة القدم الإيطالية بكل ما تحويه من جنون وعظمة وسلبية ووحشية وعنف. وظهر ذلك بوضوح في بريطانيا عندما تغلب نادي سيلتك Celtic بقيادة مدربه جوك ستين على خصمه إنترناسيونالي بقيادة مدربه هيلينيو هيريرا في كأس العالم 1967، حينها قام بيل شانكلي مدرب نادي ليفربول بتهنئة جوك ستين وأصر على أن النصر منحه «الخلود». وتبين لاحقاً أنه كلف اثنين من مدربي نادي سيلتك بالجلوس خلف المقعد الخاص بنادي إنترناسيونالي لتوجيه الإهانات إلى هريرا طوال المباراة، طالما أصر هريرا أنه ثمة سوء فهم بخصوص أسلوب اللعب الخاص به، حيث إنه- مثله مثل أسلوب هيربرت تشابمان- اكتسب سمعة سيئة. ورأى تشابمان أن سبب ذلك هو محاولات بعض الفرق الأقل خبرة تقليد أسلوبه، لكن التنفيذ لم يتم بالشكل المناسب، ويبقى الموضوع محل جدل، فعلى الرغم من أن أسلوب كاتيناتشو أصبح يتصف بالشراسة فإن أصوله بسيطة.

وظهر أسلوب كاتيناتشو أول ما ظهر على يدي كارل رابان Carl Rappan في سويسرا. وُلد رابان-- الذي اشتهر بهدوء حديثه وتواضعه والاعتزاز بكرامته-- في فيينا سنة 1905، وتزامن احترافه المهني كمهاجم أو لاعب وسط مهاجم مع العصر الذهبي لكرة القدم الفينية في الفترة بين وسط وأواخر

العشرينيات. وكان رابان شديد الارتباط بمجتمع المقاهي وتولى لاحقاً إدارة مقهى دي لا بورسا Café de la Boursa في جنيف. وفي عام 1930، تولى تدريب نادي أستريا وفاز بالدوري مع رابيد فيينا ثم انتقل إلى سويسرا ليتقلد منصب مدرب نادي سيرفيت. وكان لاعبو رابان شبه محترفين. وحسب تصريحات والتر لاتز Walter Lutz عميد كتاب الرياضة السويسرية، فإن رابان ابتكر طريقة ليتمكن من تعويض عدم تكافؤ اللياقة البدنية بين لاعبيه والفرق الأخرى التامة الاحتراف.

وقال رابان– في مقابلة نادرة مع مجلة وورلد سوكر قبيل كأس العالم 1962: «التكتيك يلعب دوراً مهما مع الفريق السويسري. والمواطن السويسري ليس لاعب كرة بالفطرة. لكنه غالبا شديد العزم والإصرار في سعيه لتحقيق أهدافه، ويمكن حثه على التفكير مستقبلاً وحساب النتائج مقدماً».

وأضاف رابان: «يتم اختيار الفريق وفقا لوجهتي نظر: الأولى أن يتمكن فريق الأحد عشر لاعباً من هزيمة خصمه كالبرازيل مثلاً بفضل تميز لاعبيه ومهاراتهم الفطرية. والوجهة الأخرى أن يلعب أحد عشر لاعباً متوسطو الأداء في إطار فكرة محددة هي «الخطة». وتهدف الخطة إلى إظهار أفضل ما لدى كل فرد لصالح الفريق ككل. لكن الصعوبة تكمن في فرض الالتزام التكتيكي الصارم دون سلب حرية اللاعبين في التفكير والتصرف».

وتوصل رابان إلى حل أطلق عليه صحفي سويسري اسم «فيرو» وهو تطوير للخطة القديمة 5–3–2 والتي ظلت التشكيل الأساسي والبدهي لنادي فيينا لفترة طويلة بعد ابتكار تشابمان لتشكيلة «دبليو–إم» في إنجلترا، فضلاً عن ترحيل لاعب الوسط ليصبح مكانه بين الظهيرين. ومثل طريقة «دبليو–إم»، يتراجع جناحا منتصف الملعب ليحيطا بهم ويتخذا دور الدفاع ويكون دورهم الأولي مقاومة لاعبي جناح الفريق المنافس. فأصبح دور الظهيرين هو

الدفاع عن وسط الملعب معاً. في حين أن الخطة الفعلية تنص على أنه في حالة هجوم الفريق المنافس من اليمين، يتوجه لاعبو اليسار ناحية الكرة ويغطي لاعبو اليمين المنطقة الخلفية، والعكس على الجهة اليسرى.

ونظرياً، دائماً ما أفرزت هذه الخطة لاعباً إضافياً في الخلف، وهو ما سمته الصحافة السويسرية اسم الليبرو libero (أو اللاعب الفيروليه verouller) أو القشاش. أما نقطة الضعف الرئيسية في هذه الخطة فهي المسؤولية الثقيلة على كاهل لاعب الوسط. فعلى الرغم من أن تشكيل المباراة نظرياً يضم أربعة مدافعين، ولاعب وسط خلف مهاجمين داخليين، وسلسلة مكونة من ثلاثة لاعبين يقطعون المقدمة، يبدو ذلك التشكيل مماثلا لطريقة 4–3–3 الحديثة التي طبقها جوزيه مورينو مثلاً في أول موسمين له مع نادي تشيلسي Chelsea. والاختلاف الأكبر يكمن في مدى تقدم لاعبي الجناحين، فعند فقدانهما الكرة يتحولان إلى مهاجمين صريحين، ويسيطران على أرض الملعب طوال مدة المباراة، بدلاً من التراجع لمعاونة خط الوسط. وهذا يعني أنه حين يواجه فريقٌ يلعب بلاعب ليبرو فريقاً آخر يتبع تشكيل «دبليو–إم»، يلعب الثلاثة لاعبين الأماميون جنباً إلى جنب تبعاً للطريقة الطبيعية ضد الثلاثة مدافعين، ويقوم المهاجمون الداخليون بالسيطرة على لاعبي الجناح من ناحية المنتصف للفريق المنافس، وبذلك يتبقى لاعب الوسط ليتعامل مع مهاجمين داخليين اثنين، وهنا تكمن المشكلة التي تواجه لاعبي الجانبين اللذين يقومان بدور القشاش، وهي أن وجود لاعب إضافي في جزء من الملعب يعني خللاً في جزء آخر.

ويصبح الموقف أكثر سوءاً عند اللعب أمام فريق يلعب 2–3–5، حيث يوجد لاعب إضافي لدى الجانب الذي يلعب بالقشاش في طرفي الملعب، ما يعني أن لاعب الوسط يحاول القيام بمهمتين: مواجهة مهاجم الداخل لدى الخصم والتعاون مع لاعب الوسط الآخر—وهي مهمة مستحيلة.

نظام فيرو الذي وضعه كارل رابن، 1938.

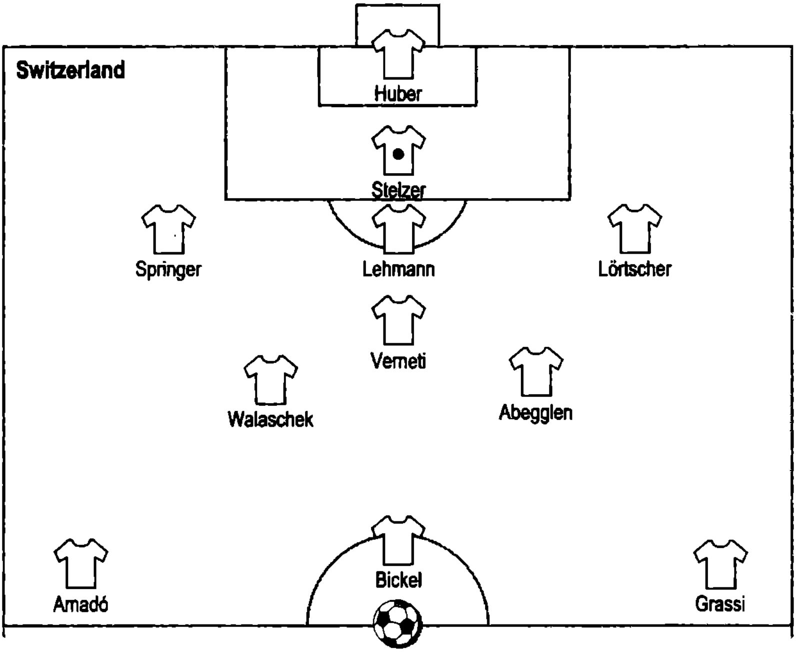

وبناء على ذلك، نزع فريق رابان إلى التراخي والتنازل عن وسط ملعب الخصم، وتضييق الخناق لخلق جبهة صلبة تؤدي إلى إحباط الخصم. وأصبح لا مفر للخصم من تمرير الكرة دون جدوى من جانب إلى آخر. ومع تطور ذلك الأسلوب، خف العبء عن لاعبي الوسط نظراً لتراجع مهاجم الداخل. بيد أن التغيير الأكثر بروزاً كان الذي تم في خط الدفاع، إذ تراجع أحد المدافعين خلف لاعب الوسط الآخر ليقوم بدور الليبرو التقليدي.

وحاز رابان بطولة الدوري مرتين مع نادي سيرفيت، وفاز بالبطولة خمس مرات مع نادي جراس هوبر Grasshoppers، الذي انضم إليه سنة 1935، لكن نجاحه مع فريق سويسرا كان له الفضل في توضيح فاعلية أسلوب رابان والبرهنة على نجاحه.

وفي سنة 1937، تقلد رابان منصب مدرب محلي لمدة ليست بطويلة بهدف الصعود بسويسرا للمشاركة في كأس العالم 1938. ففي تلك الآونة كان فريق سويسرا الأضعف بين الدول الأوروبية وكان رصيده الأقل في كأس دكتور جيرو، فلعب 32 مباراة، فاز بأربع وتعادل في ثلاث، وخسر خمساً وعشرين.

ورغم توظيف الفريق لأسلوب اللاعب الإضافي (الفيرو)، فقد فاز بالمباراة الودية لتصفيات كأس العالم أمام إنجلترا، وهزم ألمانيا. وتقدم الفريق على النمسا في الدور الأول للبطولة، قبل هزيمته من المجر في المباراة التي انتهت بهدفين للاشيء. وبهذه النتائج كان خروج سويسرا من البطولة مشرفاً، إذ فاقت نتائجها ما حققته في السابق. لكن أسلوب ألفيرو بدأ يظهر كوسيلة للفرق الأقل كفاءة لمحاولة إحباط خطط الفرق الأعلى مستوى، ليس إلا.

ولم يكن مدهشا نشأة أسلوب مستقل ظاهرياً في روسيا بعد بضع سنوات، نظراً لما استلزمته الفوضى المنظمة التي تسبب بها بوريس أركاديف Boris Arkadiev من إعادة التفكير في تكتيكيات الدفاع. وفي سنة 1943، تأسس فريق كريليا سوفيتوف كيبيشيف (اسمه الآن سامارا Samara) ودعمته القوات الجوية الروسية، وتمكن الفريق من التأهل إلى الدوري الممتاز سنة 1945. وسرعان ما اشتهر بأسلوبه الدفاعي وتكتيك عرف باسم «فولكا كليب» Volga Clip. وعلى الرغم من أن تكتيك فولجا لم يكن مرناً مقارنة بطريقة ألفيرو (الليبرو)، وأنه نسخة مطورة من طريقة «دبليو إم»، فإن المبدأ الرئيس ظل واحداً— أن الظهير الأوسط يتراجع ليسمح لدفاع الوسط باللعب خلف المدافعين في مركز الليبرو.

صمم هذا التكتيك ألكساندر كوزميتش أبراموف مدرب نادي كريليا الروسي. وقال فيكتور كاربوف المدرب السابق لنادي كريليا عنه: «اندهش بعضهم منه، لأنه لم يحترف كرة القدم بالمعنى المعروف. أبراموف جاء من عالم

الرياضة البدنية، وهذا قد يكون سبب تأثره بمبادئ الكرة التقليدية. وكانت له وجهة نظر مستقلة في كل شيء. وأولى اهتماماً كبيراً بتمرينات اللياقة البدنية، واستغل اجتماعات التدريب لتحسين التناسق فيما بيننا. وكانت تمر ساعة كاملة دون أن نلمس الكرة، لكن تلك التدريبات ساعدتنا في تحسين مهاراتنا. وعلّمنا كوزميتش أن نفكر على أرض الملعب، فكان يجمع الفريق قبل كل مباراة ليناقش خطة المباراة. وعلى حد علمي لم يقم مدرب آخر بهذا».

وقال مدرب نادي كريليا: «اعتمد أسلوبنا في اللعب على حسب الفريق الخصم. فحين نلعب مباراة مع نادي دياموند مثلاً، ويكون دفاعهم من خمسة لاعبين—تروفيموف وكارتسيف وبيسكوف وسولوفيو وإين، يصبح لا مفر من اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة هذه النجمة الخماسية. وفي تلك الفترة، كانت أغلب الفرق تلعب بثلاثة مدافعين. لكن في فريقنا كان ظهيرا المنتصف يعاونان المدافعين بشكل أكبر—وكنت أنا وزميلي نيكولاي بوزديانكوف من نقوم بهذا الدور في معاونة مدافع اليسار».

ويضيف كاربوف: «لم نلتزم بهذا التشكيل المحدد. وحاولنا اللعب بمرونة وحرية، وكان الغرض من الأسلوب منح اللاعب مساحة أكبر من ذي قبل. وأحياناً انضم لاعب احتياطي للمباراة وحاول مطاردة خصمه في أنحاء الملعب. وأحيانا كان لاعب الخصم يذهب ليحصل على شربة ماء، فكنا نرى أحد لاعبينا المبتدئين معه كظله. كنا نضحك، لأننا تعلمنا كمحترفين أن نلعب كما تقتضي الظروف».

واحتج كثيرون على موقف نيكولاي ستاروستين عندما كلف أخاه باللعب في مركز الظهير الثالث. واحتج آخرون على ابتكار أبراموف باعتباره خيانة لمبادئ وأسس كرة القدم الروسية. لكن هذا الأسلوب أصبح مقبولاً تدريجياً ووصفه ليف فيلاتوف بأنه «حق الضعفاء».

أما المهاجم فيكتور فوروشيلوف، الذي كان كابتن الفريق تحت قيادة أبراموف، فكان يسخر من النقاد الذين هاجموا الأسلوب: لنفترض أننا نلعب أمام نادي «سيدكا» موسكو، ومهاجموه هم جرينين ونيكوليف وفيدوتوف وبوبروف ودويمين. فكيف نخاطر؟ كنا نلعب بالقرب من مرمانا. وعندما انتشر لاعبونا في الملعب في مباراتنا مع نادي دينامو، تفوق علينا مدربهم ميكي ياكوشين بذكائه، فانتهت المباراة لصالحهم بخمسة أهداف للاشيء».

ولم يكن سهلاً نقد تكتيك فولجا. فقد صعد نادي كريليا إلى المركز السابع من الثالث عشر، محققاً فوزاً ساحقاً على دينامو موسكو سنة 1947، بعد أن فاز بثلاث مباريات من أصل اثنين وعشرين، وأنهى دوري الدرجة الأولى بالمركز العاشر من أصل ثلاثة عشر مركزاً. وتكرر فوزه على نادي سيدكا سنة 1948 و1949 حين فاز الفريق بمباراتي الذهاب والإياب. وكتب فيلاتوف: «حاول الخصم مراراً لعب المباراة على النحو اللائق. ومزج الفريق عدة تمريرات، وحصل على بعض الركنيات والضربات الحرة. لكن هذه المحاولات أحبطت. وكانت الكرة تحلق في السماء أو تتجه إلى مضمار الجري المحيط بأرض الملعب. وفي النهاية أصيب اللاعبون بالإحباط، وانهارت معنوياتهم حين أدركوا أن جهودهم ضاعت سدى».

ورغم ذلك، شاع أن تكتيك الكليك كان تكتيكاً خاصاً بالفرق الصغيرة في مواجهة الفرق الأقوى، بدلاً من اللعب بخطة مبادرة. وفي 1951، حصل نادي كريليا على المركز الرابع وصعد نهائي الكأس السوفيتية بعد عامين. ويتذكر كاربوف متابعته لجيولا زيلاجي المدافع المجري العملاق ومحاصرته في أثناء المباراة، إذ قام الاتحاد السوفيتي بضمه لتحقيق الفوز بمباراة مع فريق البدلاء في بودابست، وانتهت المباراة بفوزه بثلاثة أهداف للاشيء. لكنه ظل محصوراً في نادي كريليا، وانتقل جيولا إلى إيطاليا قبل أن يحقق المزيد

من الانتصارات للاتحاد السوفيتي.

أشرقت الشمس على أسطول صيد رسا على شاطئ البحر في ساحل البحر التيراني، وخرج مدرب كرة القدم مجهداً في نزهة الصباح الباكر بعد أن فارقه النوم. مشى غافلاً عن صوت النوارس ومساومات التجار على رصيف الميناء، يخطو خطوات واسعة متسائلاً مراراً: كيف يكشف أفضل ما يستطيع فريقه أن يقدمه؟ فكر ملياً كيف يبذل جهده ليبني دفاعاً لا يقهر؟ وفي أثناء مشيته المتسارعة، وبينما عقله يبحث المشكلة مراراً، لفت مركبٌ انتباهَه، ولاحظ الصيادين يسحبون شبكة مكتظة بالسمك. ولاحظ خلفها شبكة أخرى تعمل كشبكة أمان، حين ينزلق بعض السمك من الشبكة الأولى فيقع في الثانية. عندها شعر المدرب أنه توصل إلى اكتشاف مبتكر. وأدرك أن فريقه يحتاج إلى مدافع احتياطي خلف المدافع الرئيسي مهمته التصدي للضربات الهجومية التي تمر دون تصدي لاعبي فريقه لها. هذا المدرب هو جيبو فياني مدير فريق ساليرنيتانا، أما فكرته فهي طريقة كاتيناتشو. هذه القصة رواها فياني، بكل ما فيها من إيحاءات دينية غامضة، لكنها رواية جذابة على الرغم من أنها تبالغ في الرومانسية.

ومن الروايات الكثيرة حول نشأة الكاتيناتشو في إيطاليا تبدو رواية فياني الأكثر واقعية. وربما يكون هو أول من وظف هذا الأسلوب بشكل نظامي وناجح. وعلى الرغم من أنه يبدو أن رابان ابتكر كاتيناتشو، فإن أهمية تأثير سويسرا على الكرة الإيطالية لا يمكن إغفالها. فعلى سبيل المثال، قضى فيتوريو بوتزو عامين في نادي جراس هوبرز في زيوريخ كلاعب احتياطي. وتلقى فرانز كالي تعليمه في مدينة لوزان، فكان من غير المألوف في الفترة بين الحربين العالميتين أن تجد فريقاً رائداً من شمال إيطاليا يخلو من مهاجر سويسري واحد على الأقل. وكانت تلك الظاهرة شديدة الوضوح تحديداً في نادي جنوة،

ونادي تورينو، ونادي إنترناسيونالي.

وسواء جاء ابتكار الكاتيناتشو من وحي نزهة على شط البحر أم لا، فإن فياني توصل إلى أن الإستراتيجية الأكثر فاعلية هي ممارسة سياسة «حق الضعيف» وعرقلة سلاسة اللعب لدى الفريق الخصم. وكان ألبيرتو بيتشيني أحد أشهر ظهيري المنتصف قد حاز مرتين الدوري الإيطالي في أثناء لعبه مع نادي يوفنتيس. ونزل أرض الملعب ليحدد مهاجم الوسط للفريق المنافس ويحاصره ويعيقه بالتعاون مع المدافع المتمركز الذي يعد أحد ثلاثة مدافعين في تشكيلة «دبليو–إم». وكانت تشكيلة دبليو–إم حلت محل أسلوب بوزو وأصبحت التشكيلة الرئيسة في إيطاليا. ثم يتراجع بيتشيني إلى مركز الليبرو. وقد جعل فياني فريقه يلعب بهدوء وصبر لاستنفاد طاقة الخصم، وحث لاعبيه على توظيف لاعبين إضافيين في الهجوم بهدف إضعاف الخصم أكثر فأكثر. وربما اختلف الشكل لكن الفكرة وراء ابتكار فياني لم تختلف قط عن فكرة هيربرت تشابمان في نادي نورثهامبتون سنة 1907.

ولم يعد استخدام نادي ساليرنيتانا لما أطلق عليه اسم «فيانيمو» Vianemo إنجازاً أو تقدماً للكاتيناتشو. فقد كان الفريق ضعيفاً، وعلى الرغم من أن أسلوب لعبه ساعده على التأهل سنة 1947 حين أثبت أنه صاحب أفضل خط دفاع على مستوى الثلاثة فرق المتوازية في الدرجة الثانية، فقد أخفق في الفوز بمباراة الذهاب في الدوري الإيطالي وتم استبعاده فوراً.

وتسبب النجاح النسبي الذي حققه فياني في نادي ساليرنيتانا في انتشار طريقة الكاتيناتشو وبروزها في أنحاء مختلفة من البلاد. وقال لودوفيكو مارادي– رئيس تحرير قسم كرة القدم السابق بصحيفة «جازيت ديلا سبورت»: «أدركت الفرق الصغيرة عدم جدوى تحويل المباراة إلى سلسلة من المعارك الفردية. فقام العديد منها بتعديلات على تشكيلة «دبليو–إم» لتوفير

لاعب إضافي في المساحات الخلفية. وفعلوا ذلك عن طريق تحريك أحد لاعبي الجناح للخلف وتمركز الظهير خلف الدفاع. ومع ذلك لم يتم التعديل بصورة منهجية وأصبح التنفيذ مرتجلاً إلى حد بعيد».

ثم أضاف مارادي: «قد يختلف الكثيرون مع وجهة نظري، لكن السبب وراء تلك الفكرة هو تنفيذ الفرق الصغيرة لهذا الأسلوب، إذ إنها غالباً تندفع إلى الخلف على أي حال، ولذلك فإن محاولة المدافع قطع الملعب لن تلاحَظ، لأن الفريق كله يكون متراجعاً للدفاع».

كان أكثر مؤيدي هذا الأسلوب الجديد إثارة للدهشة هو نيريو روكو الذي نجح في تحقيق تغيير سريع على نادي تريستينا. وعلى الرغم من أنه قاد نادي إيه سي ميلان إلى إحراز الكأس الأوروبية مرتين، فإن الفضل الأكبر يعود إلى ناديه القديم الذي شكله وساهم في صناعة تفكيره الكروي. وقد عمل روكو في محل جزارة مملوك لجده قبل قبوله عقد نادي تريستينا، وبعد أن سلك حياة مهنية متواضعة كلاعب في ناديي بافودا ونابولي، وحصل على بطاقة عبور إلى العالمية كمدرب، عاد مرة أخرى إلى المدينة التي أحبها.

وبغض النظر عن المقابلات التي ظهر فيها على شاشات التليفزيون، والتي كان يحاول خلالها الظهور بمظهر حيادي، كان روكو يتحدث بلهجة تريستية شديدة، وأصبح عضو المجلس الديمقراطي المسيحي في عام 1948، ومع ذلك، فإن ما عزز مركزه في العمل الشعبي هو إنجازاته مع نادي كرة القدم المحلي.

وعندما عين روكو في عام 1947، كان فريق نادي تريستينا في ورطة، إذ كان قد احتل المركز الأخير في دوري الدرجة الأولى، ولولا حصوله على استثناء بسبب عجزه عن تنظيم أي مباراة في بلده بسبب احتلال القوات البريطانية والأمريكية، لكان تعرض للاستبعاد.

ويعتقد الكثيرون أن الفريق قد يكون أفضل حالاً إذا لم يضطر إلى السفر

المتكرر، ومع ذلك، ففي الموسم الأول لروكو ظل الفريق يحصد الفوز في المباريات التي أقيمت في بلده وانتهت البطولة بحصوله على المركز الثاني المتكرر، وكان هذا أفضل ما يمكن تحقيقه.

أما حصول الفريق على المركز الثامن على التوالي في الموسمين التاليين فهو حتماً إنجاز يستحق التقدير نظراً للإمكانات المحدودة لنادي تريستينا، لكنْ تدهورَ مستوى الفريق وهبط إلى المركز الخامس عشر بمجرد رحيل روكو بسبب خلاف مع مجلس إدارة النادي، وتولى مكانه بيلا جاتمان Bela Guttmann.

إلى هذا الوقت، ظل المفهوم السائد هو أن كاتيناتشو «حق للضعفاء» إلى أن بدأ نادي إنترناسيونالي تطبيقه بقيادة ألفريدو فوني Alfredo Foni، وحينذاك اختلفت النظرة له ليتحول إلى أسلوب تلجأ إليه الأندية الكبرى للفوز بالكؤوس، وكانت خطة فوني هي أن يتراجع جينو أرمانو Gino Armano لاعب الجناح الأيمن ليحاصر لاعب الجناح الأيسر للخصم ليعطي الفرصة لإيفانو بلاسون Ivano Blason الظهير الأيمن كي يتحرك إلى الجانب الآخر ويقوم بدور القشاش. وكان أرمانو أول من عُرف باسم «التورنانتي»(Tornanti)— وهو لاعب جناح يتراجع ليساعد في الدفاع.

في أثناء تلك الفترة، اشتهر بلاسون بأنه أفضل ليبرو على الإطلاق، وكان مدافعاً يفتقر للبراعة عندما التحق بنادي تريستينا سنة 1950، لكنه تميز في دوره الجديد وبرع في ركلاته الطويلة وتميز بطبيعته الصلبة. وهناك أسطورة شائعة أنه اعتاد أن يحفر خطاً على أرض الملعب قبل ركلة البداية ويهدد مهاجمي الفريق الخصم بركل قصبة أرجلهم إذا حاولوا تخطي ذلك الخط.

قال مارادي: «لم يكن بلاسون قشاشاً بالرقي الذي قد يتوقعه بعضهم، فهو في الأساس لاعب يعتمد على ركل اللاعبين الآخرين في قصبة الرجل، ولا يتردد في أن يلمس الكرة بيده وقتما تسنح له الفرصة، ولذلك كان الاسم

الأصلي للقشاش يعكس أنه لاعب يلمس الكرة كثيراً».

أحرز نادي إنترناسيونالي أربعة وستين هدفاً فقط في عام 1953– 1952 بفارق سبعة وعشرين هدفاً أقل من نادي يوفنتس، مع ذلك، تأهل للفوز بالدوري الإيطالي، حين دخل في شباكه أربعة وعشرون هدفاً فقط (ونادي يوفنتس فاز بالدوري في الموسم السابق محرزاً تسعة وثمانين هدفاً، بينما دخل شباكه أربعة وثلاثون هدفاً).

قال جياني بريرا واصفاً أسلوبه: «يدافع لاعبو نادي إنترناسيونالي، ثم يطلق بلاسون ركلة مدفعية على حين غرة من مسافة تبعد سبعين متراً لكن بلا جدوى، حيث لم تلاق الكرة أياً من لاعبي الفريق ليستغلها». فقد فاز النادي في ثماني مباريات ذلك الموسم بنتيجة 1/صفر، وتعادل في أربع مباريات بلا أهداف. ثم استطرد قائلاً: «وعلى الرغم من تميز خط المرمى الذي يتشكل من ثلاثة لاعبين وهم بينيتو لورينزي، وناكا سكوجلاند، واستيبان نايرز، فقد هاجمتهم الصحافة بضراوة في تلك الآونة بسبب أسلوب لعبهم الشديد الدفاعية والمفتقر للحيوية».

وأضاف: «اعتبر ذلك وقتها ثورة في كرة القدم، فقد كان من المعتاد أن تحرز الفرق الفائزة في الدوري الإيطالي حوالي مئة هدف».

ثم بدأت تطرأ بعض التغييرات على الفكرة، فعلى سبيل المثال فاز نادي فيورينتينا باللقب عام 1956 بقيادة مديره الفني فولفيو بيرنارديني إذ استبعد بوزو مهاجم خط الوسط مستخدماً شكلاً مختلفاً من أسلوب الكاتيناتشو، فقد لعب المدافع الأيسر أرماندو سيجاتو دور القشاش (الليبرو) ومن ثم، تراجع لاعب الجناح الأيسر ماوريليو بريني ليقوم بمهمة دفاعية، بالإضافة إلى تعديل آخر، حين يندفع مهاجم ناحية اليسار ميجويل أنجل مونتوري نحو مركز قام بريني بإخلائه ليصبح مونتوري مهاجماً إضافياً لخط الوسط، وعلى الرغم من

عدم انتشار هذا الأسلوب؛ فإنه وضع أساس كرة القدم الإيطالية.

وعلى الرغم من أن نادي إنترناسيونالي أصبح الأكثر شهرة ونجومية ضمن النوادي التي تلعب كرة القدم؛ فإن فريق ميلانو هو الذي أظهر لأوروبا كلها مدى فاعلية الكاتيناتشو وقوته، وبلا شك يرجع الفضل إلى عبقرية روكو، فقد كان له وجه مربع، وكان ممتلئ الجسم، قصير الأرجل، ذا بنية مضحكة بغرابة، لكنه سيطر على لاعبيه تمام السيطرة، حتى إنه كان يراقب لاعبيه بعد مغادرتهم ملعب التدريب ليتأكد من عدم تعارض حياتهم الخاصة مع حياتهم المهنية كلاعبي كرة قدم، وكان شديد التحكم لدرجة أن المهاجم جيجي ميروني في منتصف الستينيات أثناء لعبه في نادي تورينو، ظل يتظاهر فترة أن صديقته هي أخته ليصرف انتباه روكو عنه، وكان شديد الحماس، ذا جاذبية خارقة، سريع الانفعال، جذاباً، وكان متحمساً لعمله لدرجة أنه قد يمارس عمله في مطعم عام، فقد ركل روكو ذات مرة في ثورة غضب حقيبة ملقاة في غرفة تبديل الملابس بها مجموعة أدوات، على اعتقاد خاطئ منه أنها تحوي ملابس احتياطية. ويتذكر اللاعبون الذين عاصروه تحديقهم في الأرض خشية ألا يتمالكوا أنفسهم من الضحك في وجوده.

وفي تورينو، كان روكو يذهب إلى حانة في مكان التدريب ليحتسي بضع كؤوس من الخمر ثم يستغرق في النوم في غرفة تغيير الملابس على خزانات الملابس، وكان أكثر ما يستهويه أن يسهر لوقت متأخر ليلاً كي يحتسي الخمر زجاجة تلو الأخرى مع بريرا الذي نشأ في شمال إيطاليا والذي كان يشاطره آراءه حول أسس لعب كرة القدم. كتب بريرا ذات مرة: «المباراة المثالية تنتهي بالتعادل السلبي». إلا أن آراء روكو على الأرجح لم تتماد إلى هذا الحد، مع أنه كان يتعصب لضياع الكرة وسط الملعب في تمريرات جانبية لا معنى لها، كما أنه أصر على ضرورة أن يتراجع اللاعبون بمن فيهم المهاجمون، مما لم يستوعبه

بعضهم في أحيان كثيرة.

فعلى سبيل المثال، ورغم النجاح المثمر الذي حققه المهاجم البرازيلي جوزيه ألتافيني الشهير بمازولو في نادي ميلان، فإنه عانى كثيراً ليتقبل الفكرة، في حين أنها كانت أحد الأسباب الرئيسة لاستياء جيمي جريفز من الحياة في إيطاليا، ودائماً ما ينسى بعضهم أن جريفز الذي عاد إلى وطنه بعد خمسة أشهر فقط من مشاركته في دوري الدرجة الأولى في عامي 1962–1961 وإحرازه تسعة أهداف في عشرة مباريات مع نادي ميلان، إلا أن ذلك النجاح غير كاف من وجهة نظر روكو، إذ قال مشيراً إلى مازولو وجريفز: «يحتاج هذان اللاعبان أن يدركا أنك في أثناء المباراة تتلقى ركلات وتقبض راتباً جيداً على حد سواء».

عاد روكو إلى نادي تريستينا بعد أن قضى فترة قصيرة مع نادي تريفيسو لكنه انتقل إلى نادي بادوفا في عام 1953، وسرعان ما عاود نجاح أساليبه في الظهور مرة أخرى، لم يكن فريقاً عملاقاً، بيد أن الفترة ما بين 1957–1956 و1960–1959 شهدت نجاحه، حين احتل الفريق المركز الثالث، والسابع، والخامس، والسادس، مما جعلها أفضل جولة في تاريخ النادي، ثم جاءت الفرصة الذهبية لروكو عندما طلب منه أن يتولى إدارة نادي إيه سي ميلان بعد أن توفي فياني الذي كان قد فاز بالدوري الإيطالي عام 1959 إثر أزمة قلبية، وعمل فياني كمدير رياضي وادعى في وقت سابق أن له الفضل؛ لأنه هو من أقنع روكو بمميزات القشاش.

من المحتمل وجود مناقشات حول التفاصيل الدقيقة لأسلوب اللعب، غير أن روكو- بلا شك- بدأ في استخدام الكاتيناتشو منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناه فيها على نادي تريستينا.

مع ذلك، فإن تشكيل روكو كان بعيداً كل البعد عن الصورة النمطية السلبية، على سبيل المثال، في الدوري الإيطالي لعام 1962–1961 أحرز نادي

الميلان ثلاثة وثمانين هدفاً في أربع وعشرين مباراة بفارق اثنين وعشرين هدفاً أكثر من نادي روما الذي يعد ثاني أكثر الأندية إحرازاً للأهداف، وعلى الرغم من أن سيزر مالديني– الذي ولد في مدينة تريست وبدأ حياته المهنية في نادي تريستينا– كان من أكثر المدافعين حزماً وإصراراً، فإنه لم يطابق صورة القشاش المخيفة التي علقت في الأذهان، بل العكس، فقد كانت كلمات السجل الرسمي التاريخي للنادي عنه عند مغادرته تورينو عام 1966 أنه «لاعب كرة قدم مهذب، يتميز بلعبه النظيف، ويتمتع بحس نمطي، ومع ذلك دائماً ما راعى واجباته الدفاعية».

استطاع روكو أن يتمتع بهذا الحضور الفاتر المبتكر مثله مثل جياني ريفيرا، الذي قارنه ريتشارد ويليامز في «العشرة المميزون» The Perfect 10 حين وصفه بأنه ذو وجودية غريبة تتوانى وتعبث على هامش الحياة. لكن فيما يتعلق بريفيرا، فقد رفض بريرا نهائياً، مشبهاً الموضوع أنه مثل معركة ستالينجراد في علاقته بروكو. وكان متشدداً متعصباً، أو كما يحب أن يصوغها «دفاعيا». في لعبه للكرة. رأى بريرا روكو أنه ترف كمالي، مهملاً إياه، ونعته بالراهب وهو لفظ يوحي بالجبن وافتقار الشجاعة، بيد أن أهمية ريفيرا لفريق روكو تتضح في فوز الفريق بنهائي كأس الأمم الأوروبية مرتين، فقد ساعد ألتافيني على تسجيل هدفين خلال ثماني دقائق من الشوط الثاني في أثناء مجيء الميلان من الخلف لهزيمة بينفيكا عام 1963، كما أحرز هدفين آخرين في المباراة التي فاز فيها الميلان على أياكس بنتيجة 1/4 في نهائي 1969.

لم يكن أسلوب الكاتيناتشو دفاعياً بالقدر الذي رآه بعضهم، بيد أنه كان شديد الاختلاف مقارنة بما استخدمه جاتمان مع فريقه بنفيكا، فقد اشتركا في نزعتهما العدوانية المتعصبة، إلا أن مفهوم جاتمان عن كرة القدم ظل رومانسياً، أما روكو، فهدفه الأساسي هو الفوز. وكان المفترض أن يلقي تعليماته على

لاعبيه قبيل مباراة كأس القارات ضد الفريق الأرجنتيني الشهير استوديانديس دي لا بلاتا Estudiantes de la Plata عام 1969، فوجه لاعبيه قائلاً: «عليكم بركل أي شيء يتحرك، ولاسيما الكرة». قد تكون هذه قصة مختلقة، غير أنها تبدو ملائمة ومنطقية.

احتج أندي نيلسون Andy Nelson كابتن نادي إيبسويتش تاون Ipswich Town على أداء فريق روكو عندما خسر نادي إيبسويتش تاون في الدور الثاني لكأس الأمم الأوروبية لعام 1963–1962 أمام نادي ميلان، وقال أندي عن فريق روكو متذمراً: «مارسوا كل فعل معيب؛ من جذب شعر، إلى البصق، إلى دهس أصابع الأقدام».

أما في المباراة النهائية فقد سحب باولو باريسون Paolo Barison لاعب الجناح على الرغم من أنه أحرز الكثير من الأهداف على مدار البطولة، وبتبديل برونو مورا Bruno Mora لموقعه من اليمين إلى اليسار استبدل بجينو بيفاتيلي الذي أوكل له مهمة إحباط ماريو كولونا Mario Coluna مهاجم نادي بينفيكا العظيم، ولعل السبب كان سوء الحظ أو سوء استخدام الوقت، إلا أنه عندما كان كولونا يحاول جاهداً مواجهة التحدي الصعب الذي أوكل إليه من بيفاتيلي، تعادل الفريقين بفارق دقيقة مما لم يثر دهشة الكثيرين.

مهما فاقت تجاوزات فريق روكو الحد فإنه لا يوجد وجه مقارنة بينها وبين تلك التي ارتكبها منافسه المحلي نادي لا جراند إنتر La Grande Inter الذي شكله هيلينيو هيريرا. كان الفريق عظيم الموهبة، ولا يمكن إنكار نجاحه، كما أنه شرس وعنيف إلى أقصى درجة. كان هذا الفريق المنافس الأكثر خطورة والأشد ضراوة في الكاتيناتشو، وجاء ليجسد كل ما هو خطأ في كرة القدم، ومع ذلك، فإن الفريق يستحق أن نكن له كل الاحترام، لكن في نفس الوقت، يجب أن نعترف أن هذا الاحترام كان يشوبه الحسد

في بريطانيا على وجه التحديد.

ادعى هريرا أنه من ابتدع فكرة القشاش مستقلاً عن رابان في أثناء مباراة في فرنسا عام 1945، وكان يلعب كظهير أيسر ضمن أسلوب «دبليو–إم» وكان فريقه متقدماً بهدف مقابل لا شيء مع وقت إضافي لا يتعدى ربع الساعة، أدرك هريرا الضغط المتزايد الواقع على فريقه مما حثه على توجيه المدافع الأيسر ليتراجع إلى موقع هريرا، بينما تقدم هو داخل أرض الملعب ليحمي ظهر مدافع خط الوسط. وقال هريرا: «كان ذلك أسلوبي في التفكير كلاعب من الأساس، وما لن أنساه أبداً– بعدما أصبحت مدرباً– أن ذلك الأسلوب قاد الفريق نحو الفوز».

قد تكون رواية هريرا صحيحة أو خاطئة، فحتماً لن يتردد في أن يصقل أسطورته، إلا أن هريرا– دون أدنى شك– يعد الأب الروحي للأسلوب الذي بفضله فاز بالكأس الأوروبية مرتين.

كان يبدو هريرا–بما له من قوام بدين وبحبه للخمر– على خلاف دائم مع روح الأسلوب، وكما وصفته الصحفية كاميلا كاديرنا Camilla Caderna فإن هريرا رجل مستقيم، صارم الالتزام بالرغم من «شعره قاتم السواد».

ولد هريرا في مدينة بيونس آيرس، أما تاريخ ميلاده فيبقى مبهماً، حيث يقال: إن والده المهاجر الإسباني قد زور تاريخ ميلاده حتى يتجنب دفع غرامة لتأخره في تسجيل لحظة وصول ابنه للدنيا. أما هريرا– طبقاً لزوجته– فقد قام لاحقاً بتغيير سنة ميلاده من 1910 لتصبح 1916، وقد شبه هيريرا والده في مذكراته بـ «المسيء» حيث كان يعمل نجاراً، وكان اتحادياً وفوضوياً، أما والدته فكانت عاملة نظافة وصفها هريرا بأنها «غير متعلمة إلا أنها حادة الذكاء».

في سن الرابعة، وبمجرد شفاء هريرا من نوبة ديفتريا، انتقلت عائلته إلى المغرب ربما هربا من السلطات، وقبيل تولي هيريرا إدارة نادي برشلونة، كان

على حافة الموت عند تعرضه لحادث تحطم طائرة. والواضح أن هريرا– بفضل نجاته المتكررة من الموت– تأكد من خصوصيته المميزة، وزادت قناعته بأنه قائد ذو رسالة، وشعر بمكانته كالشخص المختار مما كان ظاهراً في زهده في الحياة، حيث كان يخلو معسكر التدريب الخاص بنادي إنتر من أي شيء عدا الصليب، واسترد هريرا عافيته كاملة بعد شفائه من مرض الديفتريا إلى حد جعله يشتهر بين المراهقين بكونه مهاجماً مفتول العضلات قوي البنية.

قال هيريرا: «منذ أن كنت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر كنت ألعب مع العرب واليهود والفرنسيين والإسبان، وكانوا يقولون: كيف لنا أن نفوز إذا لعب هيريرا؟». كان اللاعبون في وجوده يلتفون حول بعضهم، وقد تكاتفوا وهم يهتفون: «سوف نفوز. سنحقق الفوز معاً».

كان المهاجم لوي سواريز Luis Suarez مؤمناً بأنه لو سكب القليل من الخمر في أثناء إحدى الوجبات، فإنه سوف يحرز هدفاً في المباراة التالية. وكان هيريرا معتاداً أن يريق كأسه على طاولة اللاعبين في أثناء تناولهم الطعام قبيل المباريات المهمة، فكان سواريز يبلل إصبعه ثم يلمس جبهته وقدمه.

مع مرور الوقت، أسس هيريرا فريق إنتر Inter وأصبحت طقوس هيريرا أكثر تعقيداً؛ لأنه بحث عن كيفية تحسين ما رآه رغم برودة الأجواء المحيطة بالنادي، ومن أمثلة هذه الطقوس أن يمسك هيريرا بالكرة في منتصف الملعب قبل المباراة ويطلب من اللاعبين الجري في اتجاه الكرة في محاولة للإمساك بها هاتفين: «لا بد أن آخذها. لا بد أن آخذها». يجب الاحتفاظ بالكرة. اللاعبون ينفعلون، لأن المباراة مهمة وبالملعب حشد كبير من الجماهير، الكرة هي حياتهم. ثم أطلب من اللاعبين أن يعانقوا بعضهم. لا أن يتبادلوا القبلات. بل مجرد العناق! وأقول لهم: «نحن في سفينة واحدة. تكلموا مع بعضكم. دافعوا. تكلموا مع أنفسكم. فالفريق عائلة واحدة».

أوضح أداء هيريرا في برشلونة ثقته العالية في نفسه، فقام بتوزيع اللاعبين المهاجمين في مراكز جناح نصف الظهير لمنحهم فرصة للإبداع في منطقة الوسط. وفاز فريق هيريرا بالدوري عام 1958–1959 بفارق أربع نقاط بعد إحرازه ستة وتسعين هدفاً في ثلاثين مباراة. وفاز بدوري 1959–1960 بعد خروج ريال مدريد بفارق نقطة واحدة. ورغم فوز هريرا على ريال مدريد 2/6 في كأس أوروبا بالدور قبل النهائي، تمت إقالة هريرا قبل نهاية الموسم. وغادر كما أتى بين جولتي كأس المعارض النهائي، التي من خلالها حافظ نادي برشلونة على اللقب، وتغلب على منافسه الإنجليزي. وقام المشجعون بمهاجمة هيريرا في الفندق بعد هزيمته في كأس الاتحاد الأوروبي. وبعد إقالته حملوه على أعناقهم حتى شارع برشلونة الرئيس– رامبلاس. وبالتالي استطاع جوتمان تحدي هيريرا كأفضل مدرب مرغوب فيه في أوروبا.

وبعد تلقي العديد من العروض، اختار هيريرا الأفضل وانتقل من فريق إنتر إلى ميلانو، وأقال الرئيس أنجلوموراتي Anglo Moratti اثني عشر مدرباً على مدى خمسة أعوام سابقة. لكن هيريرا وعد موراتي بجلب النصر الذي ينشده في مقابل الحصول على مرتب سنوي (خمسة وثلاثون ألف دولار) قائلاً: «أحياناً يكون الاختيار المكلف زهيداً. وما لا ثمن له هو باهظ الثمن». وبرر هيريرا طلبه هذا بأن النادي سيحصل في المقابل على خمسة أضعاف مرتبه في الموسم الأول.

قابل هيريرا زوجات اللاعبين بعد وصوله بأسابيع قليلة وشرح لهن أهمية التغذية والنظام الذي يجب أن يتبعه اللاعبون، وكان هيريرا يسعى إلى أن تشمل توجيهاته كل شيء حتى لو تطلب إنجازه خطة الرياضة الروحية، وعزل اللاعبين في مقر مركز تدريب أبيانوجنتايل Appiano gentile الذي يقع في منطقة معزولة، وأكد ذلك المدافع تارسيسيو بورغنيتش حين قال: «الفكرة تكمن

في التركيز التام في المباراة القادمة لا في شيء آخر». خلال الرياضة الروحية، لا تستطيع أن تغادر، ما تستطيع القيام به هو التدريب، وتناول الطعام، والنوم فقط، أما في وقت الراحة فكل ما تستطيع القيام به هو لعب الورق، وهكذا تجد نفسك في النهاية لا تفعل شيئاً إلا التفكير في المباراة القادمة، وتكمن مشكلة الرياضة الروحية في أنك تستطيع القيام بها مرة واحدة من حين لآخر، ولكن إذا قمت بها عدة مرات فستصبح مشقة على اللاعبين. ويقوم اللاعبون بأداء كل شيء بطريقة منظمة في الليلة السابقة لكل مباراة بداية من تنظيم النوم إلى التدريب إلى اتباع نظام الحمية الغذائية إلى تمرينات الأوكسجين. وشبه المدافع الإنجليزي جيري هيتشينز خروجه من فريق إنتر «كمثل الخروج من الجيش الدامي»، وروى قصته مع سواريز وماريوكورسو عندما تركهم الأوتوبيس الذي يحمل اللاعبين في أرض الملعب بعد أن تخلفوا عن تمرين الجري عبر المدينة، وبدؤوا رحلة العودة إلى المدينة التي تبعد عنهم بستة أميال، معتمدين على أنفسهم، واعترف ساندرومازولا أنه أحياناً كان قلق هيريرا على الإعداد أكثر من اللازم. وقال أيضاً: «بعد فوزنا على فريق فاشاش في كأس الاتحاد الأوروبي عام 1966–1967 كنا نتجاذب أطراف الحديث أثناء الاستحمام معبرين عن رغبتنا في القيام بإجازة لمدة يومين؛ لأننا نعيش في المعسكر، ولكن لسوء الحظ كان هيريرا يستمع إلينا. فأجاب هيريرا قائلاً: «ليس مهما مدى النجاح الذي حققتموه، ولكن المهم الاستمرار في الحفاظ على هذا النجاح». وهكذا عدنا إلى مركز التدريب دون أن نتفوه بكلمة واحدة.

وكان ضبط النفس بالنسبة لهيريرا شيئاً مطلقاً. وأي تحد لأوامره يتم قمعه بلا رحمة. ووصف هيريرا المهاجم المجري بفريق برشلونة لاديسلاوكوبالا Ladislao Kubala بأنه «أفضل لاعب عرفه». لكنه انتقده فقال: الحالات التي تنتابه بعد تناول الخمر تعمل على تشويه صورته وتزعزع استقرار الفريق.

واقترح المدافعون عن كوبالا أن هيريرا يحاول انتهاك المعتقدات القبالية kobalismo عبر تأثيره المتناقض على النادي. وعند التحاق هيريرا بفريق إنتر، تخلص أيضاً من المهاجم الأرجنتيني أنطونيو أنجليلو الذي أحرز ثلاثة وثلاثين هدفاً عام 1958–1959، وذلك بسبب حياته الاجتماعية العنيفة. وعلى الرغم من أن أرماندوبيتشي اشتهر بلعب الليبرو (القشاش)، فإنه لم ينج من انتقادات هيريرا، وتم بيعه إلى فاريزي عام 1967 بعد الرجوع إلى رأي هيريرا.

قال هيريرا: «اللاعبون اتهموه بأنه مستبد وعنيف إلى أقصى درجة» ورغم ذلك أنجز خطوات حذت جميع الأندية حذوها مؤخراً، ومنها العمل الشاق والسعي إلى الكمال والتدريب البدني ونظام الحمية الغذائي والتركيز لمدة ثلاثة أيام قبل المباراة.

كما تضمن الإعداد للمباراة دراسة الفريق المنافس، بدأ اللاعبون في التعرف على الفريق المنافس بطريقة جيدة من خلال وصف هيريرا دون الحاجة إلى الرجوع إلى صور، ونظر سواريز– الذي أصبح أغلى لاعب في العالم عندما انضم إلى فريق برشلونة عام 1961– إلى إنجازات هيريرا على أنها لا مثيل لها، فتركيزه على اللياقة البدنية والحالة النفسية غير مسبوق، حتى ذلك الوقت، كان المدير الفني ليس ذا أهمية، وكان هيريرا يوبخ أفضل اللاعبين ليترك انطباعاً بأنهم ليسوا على المستوى المنشود، ويقوم بمدح الآخرين، وهكذا يقوم اللاعبون ببذل أقصى ما عندهم لإثبات صحة قوله أو خطأه».

لقن فريق إنتر فريق أتلانتا درساً لا ينسى بعد أن هزمه 1/5 في مدينة بيرجامو وهذه أول مباراة لهيريرا، وفاز الإنتر كذلك في المباراة التالية 6/صفر في أودينيزي، ثم أحرز خمسة أهداف في فيتشنزا، وتم تصنيف فريق إنتر الثالث بعد أن سجل ثلاثة وسبعين هدفاً في أربع وثلاثين مباراة، وهو أكبر عدد أهداف سجله أي فريق عدا فريق الأبطال اليوفنتوس، وفي السنة التالية تم تصنيف الإنتر

الثاني، ولكن ذلك لم يَكْفِ الرئيس موراتي، فدعا إدموندوفابري إلى مركز تدريب أبيانوجينتايل، ليلقي نظرة على عمل هيريرا، ويقدم أفكاراً أخرى في الدقيقة الأخيرة ثم العودة مرة أخرى إلى موطنه.

قال موراتي لهيريرا: إن أمامه موسماً آخر ليحقق النجاح الذي وعده به، ومنذ هذه اللحظة قرر هيريرا التغيير، وقام بوضع لاعب الوسط بجانب المدافعين الأساسيين ليعطي فرصة للظهير الأيسر للهجوم. قال هيريرا: «في الهجوم يستطيع اللاعبون معرفة ما أريده، فكرة القدم الرأسية تتميز بسرعتها العالية، فبثلاث تمريرات تستطيع أن تسجل هدفاً في مرمى الخصم، وإذا فقدت الكرة العمودية فلا تعد مشكلة، ولكن فقدانها أفقياً يمكن أن ينتهي بهدف في مرماك».

أثبت بيتشي- الذي سجل هدفاً واحداً في الدوري الإيطالي- أنه مدافع مجتهد، ووصفه بريرا بالمدير الدفاعي؛ لأن تمريراته لم تكن عشوائية بالمرة، ويتميز برؤية ممتازة، ولعب أريستيد غوارنري كمدافع خط الوسط بجانب الظهير الأيمن بورغنيتش. وقال مارادي: «منذ تلك اللحظة قام العديد من الفرق بتوظيف الجناح الأيسر كمهاجم يستطيع في كثير من الأحيان التصويب لإحراز هدف، وبذلك يصبح أكثر فاعلية من الجناح الأيمن، وبدأ العديد من المهاجمين البارزين من هذه النقطة، ومن أمثلتهم جيجي ريفا وبيرينوبراتي».

أعطى ذلك الظهير الأيسر جياسيبتوفاكيتي- الذي التحق بالنادي كمهاجم- فرصة أكبر للدفع بالكثير من المهاجمين؛ لأن اللاعب الذي كان يلاحقه كان يميل إلى النزعة الدفاعية، واستكمل مارادي قوله: «كان يائير أمام بورغنيتش». لم يكن بورغنيتش مدافعاً عظيماً ولكنه كان يحب الجري نحو اللاعبين ويحتاج أيضاً إلى مساحة أمامه، وعلى اليسار تجد كورسو أمام فاكيتي، وهو لاعب بارع، ليس الأسرع بين اللاعبين لكنه أكثرهم هجوماً، فهو لاعب لديه القدرة

تشكيلة نادي لاجراند إنتر (إنتر العظيم).

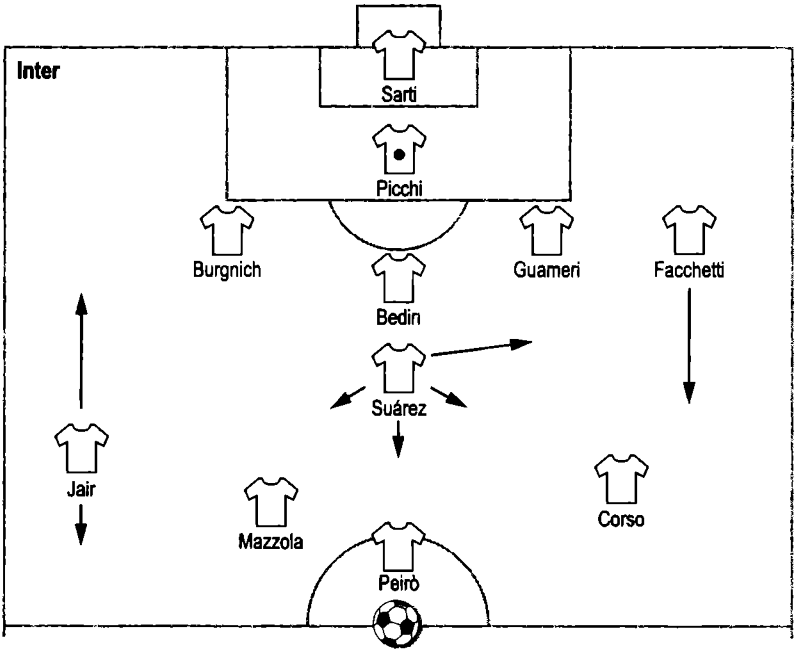

على تشتيت مدافعي الفريق المنافس، وكان أيضاً حلقة الوصل بين اللاعبين الأماميين، وكان مركز كل من كارلوتاجنن وجيانفرانكوبيدن أمام خط الدفاع، وقاما بأداء رائع سواء في الجري أو في الدفاع، وبجانبهما كان سواريز صاحب النظرة المتميزة والتمريرة الدقيقة العالية، وهذا هو الأسلوب نفسه الذي لعب به فريق إنتر بعد استحواذه على الكرة، إما إعطاء الكرة إلى اللاعب يائير الذي سيجري بها إلى مساحة فضاء، أو تركها إلى سواريز الذي سيركلها بشدة إلى مازولا في خط الوسط، أو إلى بنيامينودي جياكومو Beniamino di Giacomo أو أوريليوميلاني Aurelio Milani وهؤلاء كانوا كلهم موهوبين.

كان فاكيتي خير دفاع ضد الأقاويل التي اتهمت هيريرا بالسلبية. قال هيريرا: «ابتكرت أسلوب لعب الكاتيناتشو المعروف بـ «مزلاج الباب» ولكن

تكمن المشكلة في أن من حاول تطبيق هذا الأسلوب قام بتطبيقه بالطريقة الخطأ؛ لأنهم أغفلوا الأسس الهجومية التي تعد أساس الكاتيناتشو، فكان لدي بيتشي المعروف بالسويبر، وفاكيتي أول ظهير يحرز أكثر عدد أهداف كمهاجم، وذلك يعتبر مبالغة؛ لأن فاكيتي اشترك في مباراة واحدة بالدوري ولكن برقمين مختلفين، وهذا ساعد على ظهور الادعاء الكاذب بأن هيريرا يعتمد في تكوين فريقه على القشاش المعروف بالسويبر وعلى أربع علامات دفاعية.

من الصعب التشكيك في فاعلية أسلوب هيريرا، ففي الأعوام 1963، 1965 و1966 فاز فريق إنتر في الدوري الإيطالي الممتاز، ولكنه خسر عام 1964 بعد هزيمتهم في المباراة النهائية أمام بولونيا وفي 1964 و1965، وكانوا أبطال أوروبا ووصلوا للنهائي عام 1967، ولم يكن النجاح وحده سبب كراهية شانكلي لهيريرا وأسلوبه المعروف بالكاتيناتشو الذي يعبر عن نظرتهم الدفاعية، ولكن الخداع الذي يتميز به الأداء كان عاملاً آخر.

انتشرت في برشلونة إشاعات مغرضة بسبب وقاحة أسلوب هيريرا، فأشار إليه الصحفيون المحليون أنه «صيدلي لكن في هيئة مدرب». ورغم إنكار اللاعبين لهذا الادعاء فإن ما تبع ذلك أعطى لهم مصداقية. قال فوستي Fuste لاعب الوسط الإسباني– الذي لعب في صفوف الشباب ببرشلونة في أثناء إدارة هيريرا–: إنه على الرغم من صرامة هيريرا في عمله فإنه كان يتميز بروح الدعابة، ويعرف جيداً كيف يحصل على أفضل ما في لاعبيه، وإن ما قيل عن إعطائه العقاقير للاعبيه أكذوبة، فهو كان عالماً نفسياً جيداً.

هكذا كان هيريرا، ولكن ما قيل عنه: «إنه مختص في علم العقاقير» ظل يطارده. ومن الادعاءات التي شوهت سمعته ما كتبه مازولا في سيرته الذاتية، وما ورد على لسان الأخ الأصغر للاعب ساندرو Sandro. فقد

قال: «لقد شاهدت بعيني كيف كان هيريرا يعامل اللاعبين ويعطيهم أقراص الأدوية ليضعوها تحت ألسنتهم، وكيف كان يجري التجارب على اللاعبين الاحتياطيين قبل وضعهم لاعبين أساسيين في الفريق، كان بعضنا يقوم ببصق الأدوية، واقترح عليّ ساندرو أن أقوم ببصقها في الحمام إذا لم يكن لدي الرغبة في تناولها، ولكن هيريرا اكتشف ذلك، وبدأ في إذابة الأدوية في القهوة، ومنذ هذا اليوم أصبحت «قهوة هيريرا» عادة فريق إنتر. ورغم إنكار ساندرو هذه الادعاءات بشدة وغضبه الشديد منها وقطع علاقته بأخيه، فإن هذه الادعاءات كانت قد انتشرت انتشاراً واسعاً، وعلى الرغم من عدم صحة هذه الإشاعات، فإن انتشارها أدى إلى تشويه سمعة النادي.

في الواقع، نظر الناس إلى هذه الإشاعات نظرة صدق، و يعتبر هذا مؤشراً إلى أي مدى سيواصل هيريرا رحلته ليبرئ ساحته. داخل فريق إنتر، امتزج التكتيك، وعلم النفس، والروح الوطنية معاً، ودخل هيريرا في جدال مع ناس كان من الصعب إنكار سلبية عقلانيتهم، فعندما تكلم أن نهجه التكتيكي ليس بالضرورة دفاعياً، تكلم كل من جان لوكا فيالي غابريل وجيان لوكا فياللي وجابريل ماركوتي في كتاب «الوظيفة الإيطالية» The Italian Job عن انعدام الأمان الذي ساد مجتمع كرة القدم الإيطالية، ففي فريق إنتر ظهر على هيئة جنون الشك والاضطهاد والرغبة في اتباع الأساليب التي روعت تشابمان بغض النظر عن مثالية هوجو ميسل، وكان بريرا يؤكد دائماً أن اللاعبين الإيطاليين يجب أن يلعبوا كمدافعين، وذلك يرجع إلى ضعف قوتهم البدنية، وبذلك أصبحت الألاعيب أسلوب حياة، فقبل نهائي كأس الاتحاد عام 1967، وصل هيريرا إلى ملعب إيبروكس Ibrox بجلاسجو بطائرة خاصة لمشاهدة المباراة بين فريق سيلتك ورينجرز Rangers. وقبل مغادرته إيطاليا عرض على جون شتاين John Stein أن يصاحبه على طائرته ليتمكن من مشاهدة مباراة

فريق إنتر ضد فريق اليوفنتوس. وكان شتاين يتميز بالحكمة، فلم يلغ التذكرة التي حجزها على الطائرة المدرجة في الجدول الزمني، وتأكدت شكوكه عندما سحب هيريرا دعوته مدعياً أن حجم الطائرة صغير جداً على رجل في حجم شتاين، وبالمثل فمصاريف التاكسي والتذاكر التي تعهد فريق إنتر أن يتحملها لم يقم بدفعها، وانتهى الأمر بشتاين أن يشاهد المباراة ببطاقة الصحفي الذي أقنع رجال البوابة أن يسمحوا لشتاين بالدخول.

وإن وضعنا جانبا اتهامات تعاطي العقاقير والتلاعب في نتائج المباريات، لا نستطيع أن نغفل أن هيريرا كان يظهر أحياناً عديم الرحمة. والدليل أنه عندما توفي والد اللاعب غوارنري في الليلة السابقة من مباراة الفريق أمام رابطة (إيه سي ميلان)، أخفى عنه هيريرا خبر الوفاة حتى انتهت المباراة. وفي عام 1969، عندما ترك هيريرا فريق إنتر وأصبح مدرباً لفريق روما، توفي المهاجم جوليانو تاكولا وهو تحت رعايته، وكان جوليانو مريضاً، وبعد فشل نتائج جراحة إزالة اللوزتين أثبتت الفحوصات أنه يعاني تضخماً في القلب. ورغم ذلك جعل هيريرا تاكولا يلعب في الدوري الإيطالي الممتاز بسامبادوريا، وظل صامداً حتى الدقيقة 45 قبل انتهاء المباراة. وبعد أسبوعين سافر بأمر هيريرا مع الفريق إلى ساردينيا للعب مباراة على أرض الخصم ضد فريق كالياري. ولم يكن في نية هيريرا أن يلعب تاكولا هذه المباراة. ولكن في صباح يوم المباراة، طلب منه أن يتدرب مع باقي الفريق على الشاطئ رغم البرد القارس وسرعة الرياح. وشاهد تاكولا المباراة من المدرجات، وبعد انتهاء المباراة سقط مغشياً عليه في غرفة الملابس ولفظ أنفاسه الأخيرة بعد ساعات قليلة.

بعد ذلك ادعى البعض أن هيريرا اعتاد التلاعب بالمباريات، وكانت المرة الأولى التي شاعت فيها التلميحات بأن فريق الإنتر يتلاعب بالحكام- على المستوى الدولي على الأقل- بعد مباراة الدور قبل النهائي في كأس أوروبا

أمام بروسيا دورتموند سنة 1964، حين تعادل الفريق في المباراة الأولى أمام ألمانيا 2/2، وفاز في مباراة العودة أمام سان سيرو 2/صفر. وما ساعده في تحقيق هذا الفوز هو إصابة لاعب يمين الوسط في دورتموند هوبي كورات Hoppy Kurrat، جراء ركلة قام بها اللاعب سواريز، ولم يتخذ حكم المباراة اليوغوسلافي برانكوتيسانيك Branko Tesanic أي إجراء. وربما كان ممكناً أن يمر ذلك التصرف دون أن يلاحظه أحد، حتى التقى سائح يوغوسلافي بتيسانيك خلال العطلة ذلك الصيف، وادعى أن أحد الحكام أخبره أن نادي الإنتر دفع له تكاليف إجازته.

ثم التقى فريق الإنتر مع فريق ريال مدريد في المباراة النهائية التي أقيمت في فيينا، وجاء التشكيل ليضع تاجنين في مراقبة دي ستيفانو، وسيطر جوارنيري على بوشكاس وأحرز مازولا هدفين لتنتهي المباراة لصالح فريق الإنتر 1/3.

وفي وقت سابق خلال البطولة انتقد مهاجم موناكو اللاعب إيفون دويز أسلوب لعب فريق الإنتر، ثم وجه مهاجم مدريد اللاعب لوسيان موللر نفس النقد بعد المباراة النهائية، أما هيريرا فكانت عيناه على الكأس. واستمر أسلوب اللعب يتميز بالهجوم في الدوري الإيطالي خلال الموسم التالي، حين أحرز الفريق ثمانية وستين هدفاً، إلا أنه تمسك بأسلوبه الدفاعي، فقد تقدم الفريق في مباراته الأولى في الدور قبل النهائي أمام فريق رينجرز، واستسلم بعد سبع دقائق من مباراته في إبروكس، غير أن الفريق صمد بشكل رائع، وكان ذلك هو الجانب الشرعي في أسلوب لعب كاتيناتشو، لكن ما حدث في مباراة الدور قبل النهائي أمام ليفربول لم يكن مقبولاً بالمرة.

فاز فريق ليفربول في المباراة الأولى التي أقيمت في أنفيلد 1/3، وصرح شانكلي بعد المباراة أن صحفياً إيطالياً قال له: «لن يسمح لك بالفوز». وهو ما حدث بالفعل، فلم يستطع الفريق النوم الليلة السابقة للمباراة بسبب تجمهر

الجماهير المشاكسة حول الفندق الذي أقام فيه، وهي ظاهرة تكررت بعد ذلك بشكل شائع في أوروبا، إلا أنه أصبح واضحاً مع بدء المباراة أن هناك خطأً ما، ففي الدقيقة الثامنة أحرز كورسو هدفاً من ضربة حرة غير مباشرة اجتازت حارس مرمى فريق ليفربول تومي لورنس وقام الحكم الإسباني أورتيز دي منديبل باحتساب الهدف، وبعد دقيقتين استولى اللاعب يواكين بيرو على الكرة من لورنس بينما كان يضربها استعداداً لركلة صوب الملعب، وللمرة الثانية احتسب دي منديبل الهدف، ثم أحرز اللاعب فاتشيتي هدفاً رائعاً أكد به الفوز.

وبعد فترة تورط دي منديبل في الفضيحة التي كشف عنها برايان جلانفيل والتي وردت في صحيفة «صنداي تايمز» عام 1974، وتعلقت هذه الفضيحة بعرض المجري ديتزوسولتي مبلغ خمسة آلاف دولار أمريكي وسيارة على الحكم البرتغالي فرانشسكو لوبو Francisco Lobo ليساعد اليوفنتوس ليفوز بمباراة العودة أمام فريق دربي كاونتي، وذلك في الدور قبل النهائي لكأس الأمم الأوروبية عام 1973. وزعم جلانفيل أن هذا الحكم كان على قائمة الحاصلين على رشاوى من سكرتير نادي اليوفنتوس، إيتالو ألودي، الذي سبق وعمل لدى الإنتر، كما أشار إلى أن مباريات الأندية الإيطالية في أوروبا كانت دائماً تحت إشراف دائرة محدودة من الحكام، وأن هذه الدائرة كانت تضمن فوز هذه الأندية بطريقة غير طبيعية، وما فعله جلانفيل هو أنه أثبت ما زعمته الأقاويل طوال مدة من أن الحكام كانوا يتقاضون الرشاوى، وهذا بالذات ما لم يستطع شانكلي أن يغفره.

كانت المباراة النهائية أمام فريق بنفيكا عام 1965– التي أقيمت على نحو مثير للجدل في سان سيرو– نموذجاً لمباراة كلاسيكية لهيريرا، وتقدم فريق إنتر قبل ثلاث دقائق من نهاية الشوط الأول بهدف للاعب جاير مر عبر كوستا

بيريرا ليستقر في مرمى بنفيكا، ثم حدثت الإصابة ليترك كوستا فريقه ليلعب بعشرة لاعبين، ليأخذ موقعه في حراسة المرمى المدافع جرمانو، وعلى الرغم من أن الإنتر كان يلعب على أرضه بجدارة، فإن الفريق استمر في أسلوب اللعب الدفاعي، مكتفين بتقدمهم بهدف واحد، هل دل هذا على أسلوب اللاعبين البراجماتي (العملي)؟ أو أن اللاعبين كانوا يفتقرون إلى الثقة في قدراتهم، رغم محاولات هيريرا دعم ثقتهم بأنفسهم؟ أم أن السبب هو أنهم لم يكونوا يعتمدون على جهودهم فحسب وإنما على جهود الحكم كذلك؟

وبعد أن خسر نادي بنفيكا المباراة النهائية للمرة الثانية خلال ثلاثة أعوام، ألقى باللوم على لعنة جوتمان، إلا أن الحقيقة هي أن الأسلوب الهجومي للفريق أصبح بالياً وقديماً، فعلى مستوى الأندية على الأقل، قضى أسلوب اللعب الدفاعي «الكاتيناتشو»– سواء بطرق مشروعة أو غير مشروعة– على البقية الباقية من أسلوب اللعب الكلاسيكي للفرق الدانوبية الذي لم يزل يتمثل في تشكيل 4–2–4، بيد أنه مع التوازن في كل شيء– أي دون حصول الحكام على الرشاوى– قد يخفق أسلوب «الكاتيناتشو» أمام مهاجمي الفريق المضاد الموهبين، وقد فاز فريق الإنتر بالدوري الإيطالي مرة ثانية في 1965–1966، لكنه خسر أمام ريال مدريد في المباراة قبل النهائية في كأس الأمم الأوروبية، وكان حكم مباراة العودة هو المجري جورجي فاداس Gyorgy Vadas. وأدى الحكم دوره في المباراة بمنتهى النزاهة التي لا يشوبها شائبة، وحقق فريق ريال مدريد التعادل 1/1، ثم فاز الفريق بالمباراة 1/2، لكن بعد عدة أعوام كشف فاداس للصحفي المجري بيتر بورينش Peter Bprenich أن سولتي عرض عليه رشوة هو الآخر، وعلى عكس الكثيرين غيره. رفض فاداس عرض الإنتر، لكن فريق الإنتر بقيادة هيريرا أخفق في العام التالي، ومع ذلك جاءت بداية الموسم قوية، بتحقيق الفوز في سبع مباريات متتالية.

وبحلول منتصف أبريل، كان الإنتر متقدماً على اليوفنتوس بفارق أربع نقاط وتصدر المجموعة الأولى، كما لعب مباراة الثأر في أوروبا أمام ريال مدريد، التي انتهت بفوز ساحق في دور الأربعة بثلاثة أهداف مقابل لا شيء، وهنا حدث تطور في غاية السوء، فقد تعادل الإنتر مرتين 1/1 أمام فريق سوفيا سيسكا CSKA في الدور قبل النهائي، فكان عليه أن يلعب مباراة فاصلة– أقيمت في بولونيا بعد أن وعد الإنتر البلغاريين بالحصول على خمسة وسبعين في المئة من عائد التذاكر– وعلى الرغم من أن المباراة انتهت لصالح الإنتر بهدف مقابل لاشيء، فإن جميع المشكلات التي كان يعاني منها الفريق بدأت تظهر فجأة، تعادل الإنتر أمام فريق لازيو Lazio وكاجلياري Cagliari، وخسر أمام اليوفنتوس 1/صفر، فأصبحت صدارة الفريق للمجموعة بفارق نقطتين فقط، ثم تعادل الإنتر أمام نابولي، بينما تعرقل اليوفنتوس في مانتوفا، ثم تعادل الإنتر مرة أخرى على أرضه أمام فيورنتينا Fiorentina، ولكن هذه المرة حقق اليوفنتوس نقاط الصدارة بفوزه على لانيروسي فيتشينزا. وبقي أمام الإنتر خلال هذا الموسم مباراتان: المباراة النهائية أمام فريق سيلتك في لشبونة في إطار كأس الأمم الأوروبية، ومباراة في بطولة الدوري أمام منتوفا Mantovva، وكان الفوز في كلتا المباراتين سيأتي ببطولتين للإنتر، إلا أن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن.

وتردد أن هيريرا كان قد اختلف مع ألودي Allodi، وأن ريال مدريد كان يحاول ضمه إلى صفوفه، أما سواريز فقيل: إنه يفكر في العودة إلى إسبانيا؛ بلد خطيبته، وشاع أن موراتي كان ينوي التنحي عن رئاسة ناديه ليكرس المزيد من الوقت لإدارة أعماله الخاصة. وحدث الأسوأ حين استبعد سواريز من المباراة النهائية لما وصف به وقتها بأنه جاءه شد في عضلة الفخذ أو إصابة في غضروف الساق، بينما كان مازولا يعاني من الأنفلونزا عدة أيام قبيل المباراة.

وحاول فريق سيلتك تجريب حظه مع طريقة اللعب الدفاعية أمام دوكلا براغ Dukla Prague في المباراة قبل النهائية، وانتهت بالتعادل السلبي. إلا أنها أكدت أن تفوق سيلتك كان في الشق الهجومي، وكان أسلوب لعب سيلتك الأساسي هو تشكيل 4–2–4 الذي شاع بعد كأس العالم 1958. لكن لاعبي هجوم الوسط– ستيفي تشالمرز وويلي والاس، تناوبا على التوغل بعد منتصف الملعب، لسحب لاعبي الدفاع في خط الوسط في فريق الإنتر. شجع ذلك الجناحين جيمي جونستون وبوبي لينوكس للتحرك داخل الملعب، ليفتحا المجال أمام المهاجمين جيم كريج وتومي جيمل، وبدا أن الهدف من هذه التشكيلة منح سيلتك القدرة الكاملة على الهجوم إذا لجأ الإنتر إلى الأسلوب الدفاعي.

وكان فريق الإنتر ينوي اللعب بأسلوب دفاعي، ولاسيما بعد أن أحرز مازولا هدف المباراة الأول من ضربة جزاء في الدقيقة السابعة من بداية المباراة، وكان هذا ما فعله الإنتر أمام بنفيكا عام 1965، وما حاول الفريق تكراره مرة ثانية، غير أن الإنتر لم يعد كسابق عهده، فقد أصاب اللاعبين حالة من الشك وفقدان الثقة، ظلت تتضاعف مع زيادة ضغط لاعبي سيلتك عليهم طوال المباراة.

وقال برجنيتش: «مع مرور خمس عشرة دقيقة من بداية المباراة أدركنا أننا لن نستطيع منعهم من التهديف، فقد كانوا يسيطرون على الكرة طوال الوقت، وملأت ركلاتهم جوانب الملعب، وحفاظنا على نتيجة هدف مقابل لا شيء حتى نهاية الشوط الأول كان ضرباً من ضروب المعجزات، وما يحدث في هذه المواقف أحياناً أن تزداد ثقة اللاعبين مع مرور كل دقيقة ويعود لهم إيمانهم بقدرتهم على الفوز، ولكن هذا لم يحدث في ذلك اليوم، وفي غرفة تبديل الملابس بين الشوطين، نظرنا إلى بعضنا وكنا نعرف جميعا

أننا خاسرون لا محالة».

وبالنسبة إلى برجنيتش، جاء ذلك بنتيجة عكسية، حين ساهم في تفاقم حالة انعدام الثقة والسلبية. قال برجنيتش: «أعتقد أني رأيت عائلتي ثلاث مرات خلال الشهر الفائت، ولهذا السبب كنت أمزح كثيراً وأقول: إني متزوج من جياتشنتوفاتشيتي Giacinto Facchetti زميلي في الغرفة. وكنت أقضي معه وقتاً أكثر مما أقضيه مع زوجتي، ولم تزل الضغوط في زيادة مستمرة، فلم يكن هناك مهرب ولا سبيل للعودة، وأعتقد أن هذا الشعور ساهم بشكل كبير في انهيار اللاعبين، سواء في مباريات الدوري أو في المباراة النهائية».

وعند وصول هيريرا إلى البرتغال، اصطحب فريقه لفندق مطل على ساحل البحر، يبعد ثلاثين دقيقة عن لشبونة. وكالعادة، قام فريق الإنتر بحجز جميع غرف الفندق. يقول برجنيتش: «لم يكن بالفندق سوى اللاعبين والمدربين، فحتى مسؤولو النادي أقاموا في مكان آخر، لست أمزح حين أقول: إنه من لحظة مرور الحافلة التي تقل اللاعبين عبر بوابة الفندق وحتى اللحظة التي غادرنا فيها الفندق متجهين إلى الاستاد بعد ثلاثة أيام، لم نر مخلوقاً عدا المدربين والعاملين بالفندق، قد يفقد أي إنسان طبيعي عقله إذا تعرض لهذه الظروف. فبعد مرور عدة سنوات، صرنا معتادين على هذه الأمور، لكن مع بلوغنا هذه المرحلة كنا قد وصلنا إلى حافة الانهيار. كنا كمن يحمل ثقل العالم وهمومه على كاهله، ولم يكن هناك مهرب من ذلك الشعور، ولم يغمض جفن لأي منا. وكنت أعتبر نفسي محظوظاً لو غفوت ثلاث ساعات خلال الليل، وكانت الهواجس تنتابنا طوال الوقت جراء القلق الذي شعرنا به إزاء المباراة وإزاء لاعبي فريق سيلتك، وكنا نستيقظ أنا وفاتشيتي خلال الليل على صوت كابتن الفريق أرماندوبيتشي في الغرفة المجاورة Armando Picchi وهو يتقيأ من شدة قلقه، وأصاب القيء أربعة لاعبين صباح المباراة، وأربعة آخرين في غرفة تغيير

الملابس قبل الخروج إلى أرض الملعب، وهكذا كنا نحن السبب فيما حدث لنا (ألقينا بأنفسنا إلى التهلكة))».

وعلى النقيض تماماً، ضرب فريق سيلتك مثلاً لهدوء الأعصاب، مما زاد من توتر لاعبي الإنتر، فمن وجهة النظر العقلية، كان ذلك أسوأ مراحل «الكاتيناتش». إذ وصلت السلبية أقصى حدودها، فقد صنع الإنتر وحشاً انقلب على صانعه في النهاية، ولم يعق سيلتك أي شيء، وظلت الفرص تواتي اللاعبين، فصوب بيرتي أولد Bertie Auld ناحية المرمى ولكن الكرة اصطدمت بالعارضة، ثم نجح حارس المرمى جيلاياني سارتي Giulisno Sarti في صد ركلة لجيميل بمنتهى البراعة، وفي الدقيقة السابعة عشرة من بداية الشوط الثاني، جاء هدف التعادل، وعاد الفضل في هذا الهدف للظهيرين اللذين حققا أمنية شتاين في التخلص من مراقبة لاعبي الإنتر، ثم وجد بوبي مردوخ Bobby Murdoch كريج ناحية اليمين، الذي تقدم ثم قطع كرة مرتدة لجيميل كي يصوب قذيفة بقدمه اليمنى استقرت في أعلى الشبكة. واتضح أن أسلوب المراقبة لم يكن ممكناً مع كل اللاعبين وبخاصة هؤلاء الذين يتراجعون من أماكن بعيدة في الملعب.

وتابع برجنيتش هجومه قائلا: «أتذكر أنه في إحدى مراحل المباراة استدار بيتشي ليقول لحارس المرمى: «جيلياني.. كف عن المحاولة، لا مغزى مما تفعل، فآجلاً أم عاجلاً سوف يحرزون هدف الفوز». وأضاف برجنيتش: «لم أتخيل قط أنني سوف أسمع تلك الكلمات، ولم أتصور أن يطلب كابتن الفريق من حارس المرمى أن يستسلم، ولكن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أننا وصلنا إلى مرحلة الانهيار، فقد كان الأمر وكأننا أردنا أن ننهي عذابنا بسرعة».

ولم يملك لاعبو الإنتر المنهكون سوى إطلاق ركلات طويلة نحو الأمام بلا هدف محدد، ثم استسلم الفريق قبل نهاية المباراة بخمس دقائق، ومرة أخرى

ظهرت فائدة الظهير، حين مرر جيميل الكرة لمردوخ، الذي أخطأ التصويب ليقوم تشالمرز بركل الكرة بعيداً عن سارتي، وكان سيلتك أول فريق غير لاتيني يحمل كأس الأمم الأوروبية، وكانت تلك نهاية الإنتر.

وحدث الأسوأ في مانتوفا، فمع تقدم اليوفنتوس على لازيو، سمح سارتي بمرور ركلة انطلقت من قدم دي جياكومو مهاجم الإنتر السابق، ومرت تحت جسده، وضاع الدوري الإيطالي من الإنتر.

قال بيرجنيتش: «كانت هذه النهاية بالنسبة لنا على المستويات العقلية والجسدية والعاطفية». أما هيريرا فقد ألقى باللوم على المدافعين، ثم اشترى نادي بولونيا جوارنيري، أما بيتشي فاشتراه نادي فاريسي. قال المدافع: «حين ينجح الفريق يكون الفضل لتخطيط هيريرا العبقري، وحين يخفق الفريق يقع اللوم دائماً على اللاعبين».

وكلما اعتمدت المزيد من الفرق أسلوب كاتيناتشو في اللعب، ظهرت جوانب قصوره بشكل واضح، وكانت المشكلة التي اكتشفها رابان- وهي أنه يمكن السيطرة على وسط الملعب- لاتزال معلقة، وقد يساعد أسلوب اللعب الذي يعتمد على الانحناءات «تورنانت». على التخفيف من حدة هذه المشكلة، ولكنه يقلل من الهجوم.

وأوضح مارادادي قائلاً: «نجح الإنتر في هذا الأسلوب؛ لأن جاير وكورسو لعبا في أماكن مفتوحة، وكان كلاهما موهوبين، كما كان لدى الإنتر سواريز الذي كان يستطيع ركل الكرات الطويلة، لكن أسلوب «الكاتيناتشو» كان مشكلة كبيرة بالنسبة إلى معظم الفرق، وهكذا، فما كان يحدث هو تحويل الظهيرين إلى قشاشين، بدلاً من تحويل مهاجمي الوسط، وكان هذا يسمح للاعب حين تكون الكرة في حوزته أن يتقدم نحو وسط الملعب، وبذلك يكون هناك لاعب إضافي ليمرر الكرة وسط الملعب، كان هذا التطور من

مباراة نادي إنترناسيونالي وسيلتك 1 – 2، نهائي كأس أوروبا، الاستاد الوطني، لشبونه، 25 مايو 1967.

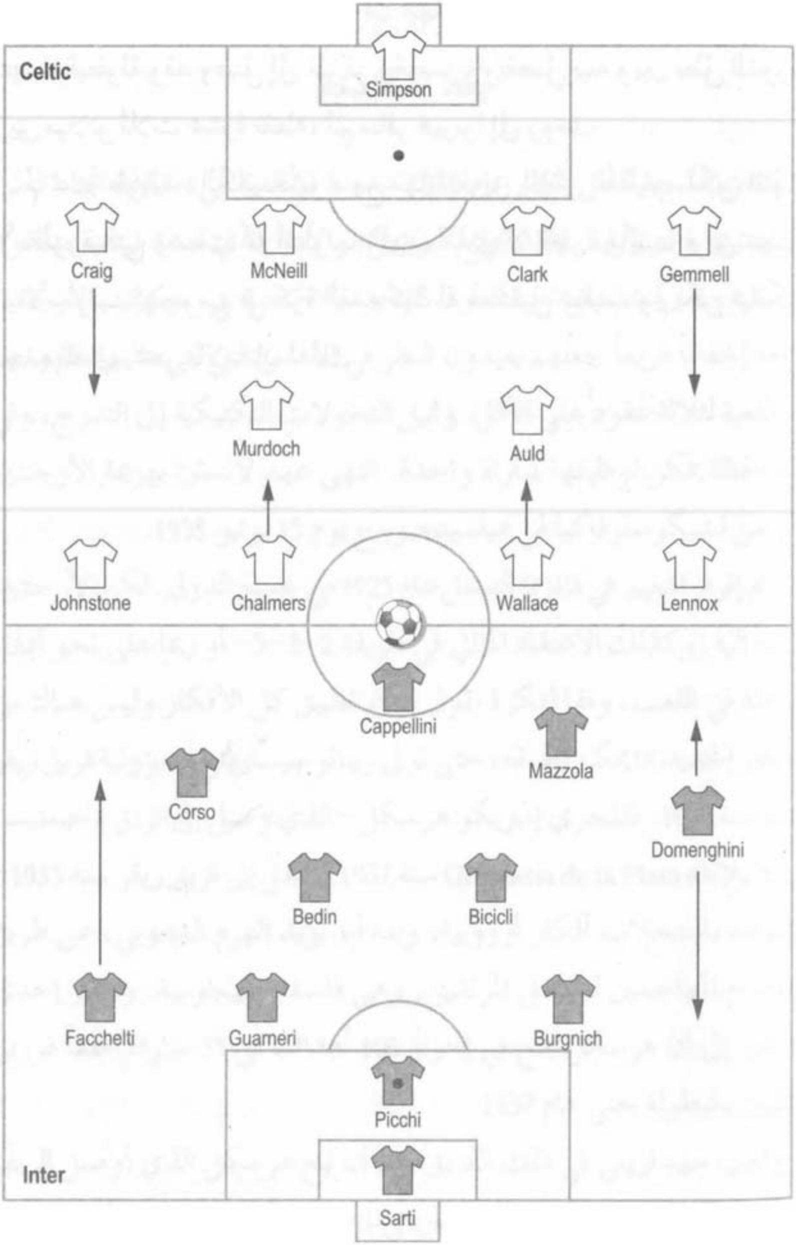

«الكاتيناتشو» لما نسميه نحن «اللعبة الإيطالية».

وفي موسم 1967–1968، بعد أن انهارت الثقة والروح المعنوية للإنتر، انتهت البطولة وقد وصل إلى المركز الخامس، ويفصل بينه وبين بطل الدوري فريق ميلانو ثلاث عشرة نقطة، ثم سافر هيريرا إلى روما.

لم تمت طريقة «الكاتيناتشو» مع نهاية فريق الإنتر العظيم، لكن انتهت الأسطورة التي زعمت أنه أسلوب اللعب الذي لا يقهر، وأثبت فريق سيلتك أن الأسلوب الهجومي في كرة القدم كان له مستقبل عظيم، ولم يكن شانكلي وحده الذي يشعر بالامتنان لذلك.

الفصل الحادي عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

بَعدَ الملائكة

كانت نسخة كأس العالم عام 1958 شديدة الأهمية في صياغة اتجاه الكرة الأرجنتينية والبرازيلية. فأكد نجاح البرازيل، والأداء الذي قدمه شباب متألقون مثل بيليه وجارينشا على تفرد الطرق الهجومية الخاصة بهم. وكانت الأرجنتين تواجه إخفاقاً ذريعاً جعلهم يعيدون النظر في الأسس التي بُني عليها مفهومهم عن اللعبة لثلاثة عقود على الأقل. وتميل التحولات التكتيكية إلى التدرج، وفي هذه الحالة يمكن توظيفها لمباراة واحدة. انتهى عهد لانسترا بهزيمة الأرجنتين 6–1 من تشيكوسلوفاكيا في هيلسينجبورج يوم 15 يونيو 1958.

وتم إقرار التغيير في قانون التسلل عام 1925 في جميع الدول. لكن الأرجنتين لم تنتبه إليه. وكذلك الاعتقاد المثالي في طريقة 2–3–5– أو ربما على نحو أدق، ببساطة في اللعب، وفقا لفكرة تقول إنه تم تطبيق كل الأفكار وليس هناك من الأفكار الجديد مما يمكن تطبيقه، حتى تولى ريناتو سيساريني مسؤولية فريق ريفر بليت سنة 1939. فالمجري إميريكو هرسكل– الذي وصل إلى فريق «جيمنيسيا دي لا بلاتا» Gimnasia de la Plata سنة 1932 وانتقل إلى فريق ريفَر سنة 1935– تم اتهامه باستجلاب أفكار أوروبية، وبدا أنه يؤيد الهرم الدانوبي، عن طريق استخدام المهاجمين للداخل المرتدين. وهي فلسفته الهجومية. وتشير إحدى المصادر إلى أن هرسكل نجح في إحراز 106 أهداف في 35 مباراة محققاً فوزين متتاليين بالبطولة حتى عام 1937.

ولعب سيساريني في ذلك الفريق بعد أن تبع هرسكل الذي أوصل الريفَر إلى أوج تألقه. وكان اللاعب سيساريني إيطالي الأصل، وترك الأرجنتين في

أواخر عشرينيات القرن الماضي متجهاً إلى إيطاليا. ولِدَ في سينيجاليا بإيطاليا سنة 1906، وهاجرت عائلته إلى الأرجنتين وعمره لم يتجاوز بضعة شهور. وبدأ مشواره في اللعب مع فريق كاكريتا جونيورز. وفي سنة 1929، استجلبه اليوفنتوس للعودة إلى أرضه الأم. وحقق هناك نجاحاً مذهلاً، وفاز بلقب دوري الدرجة الأولى الإيطالي خمس مرات على التوالي. وأظهر مهارة خاصة في إحراز الأهداف في الوقت بدل الضائع من المباريات، حتى يُقال الآن في إيطاليا عن الفائزين في الدقيقة الأخيرة أنهم أحرزوا الأهداف على طريقة سيساريني.

وطور جوف الطريقة نفسها في ذات الوقت الذي فعل فيه المدرب الدولي فيتوريو بوزو Vittorio Pozzo ذلك. وكان دور سيساريني محدداً للغاية فيها، فقام في كثير الأحوال بفرض رقابة على أمهر لاعبي الخصم. وليس من المدهش، حين عاد إلى الأرجنتين في 1935– في بادئ الأمر كلاعب لفريق كاكريتا، وبعد ذلك لفريق ريفر– أن يحمل تلك الأفكار معه. يُوصَف سيساريني كثيراً أنه قدم طريقة دبليو–إم إلى الأرجنتين، مثل دوري كرشنر Dori Kiirschner في البرازيل، ولكن لم تكن نسخته منها كما عُرِفت في إنجلترا. والأصح أن ما أتى به هي الطريقة، فقد وضع نيستور روسي كلاعب وسط متقدم، أعمق قليلاً من لاعبي الوسط على الأجناب، على طريقة لويسِتو مونتي (كان إيطالي الأصل أيضاً). رغم أن روسّي كان في حاجة إلى توفير الغطاء الدفاعي، كان من المتوقع أيضاً أن يبدأ هجوم صياح الأمريكيين، فقد دعته الجماهير لإطلاق صيحته بشدة لتنظيم الوضع. قال أنطونيو راتين، لاعب الوسط المساك العظيم، روسّي مثلي الأعلى، وكان أنطونيو كابتن الأرجنتين في كأس العالم 1966. «حاولت أن أفعل كل شيء فعله روسَّي. ليس الطريقة التي يلعب بها فحسب، وإنما الطريقة التي يصيح بها، والطريقة التي يتحرك بها، الطريقة التي يفعل بها كل

شيء. «كانت مباراتي الأولى مع بوكا جونيورز ضد الريفَر. كنت في التاسعة عشرة من عمري، وكان هو في الواحدة والثلاثين. وكان أول شيء فعلته بعد انتهاء المباراة الأولى، التي فزنا فيها 2—1، هو الحصول على صورة معه».

ومن أواخر عشرينيات القرن الماضي، بدأ المهاجمون للداخل في الأوروجواي والأرجنتين في الانطلاق بعمق من الخط الأمامي. وتحت قيادة سيساريني قام فريق الريفر باستغلال تلك الحركة إلى أقصى حد. أصبح أول خمسة لاعبين- إن قرأنا مخطط تشكيل المباراة من اليمين إلى اليسار- هم فيليكس لاوستاو وأنجيل لابرونا وأدولفو بديرنيرا وجوس مورينو ووان كارلوس مينيوز- أحد الأساطير الكروية (على الرغم من أنهم لعبوا كخماسي 18 مرة فقط على مدار خمس سنوات). وبدلاً من ارتداد المهاجمين للداخل، كان مورينو وبديرنيرا يسقطان في المساحة المفتوحة أمام خط منتصف الملعب، بينما يؤمن لاوستاو الجناح الأيمن بأكمله. وهذا ما أصبح معروفاً باسم «جناح المروحة» (ventilador-wing أو fan-wing)- لأنه كان جناحاً يمنح الهواء للاعبي وسط الملعب من خلال بعض تحركاتهم.

يعني تحرك لاوستاو أن لاعب الوسط نوربيرتو ياكونو ينهض بمهمة دفاعية وجيزة، وأصبح اللاعب معروفاً مثل «طابع البريد» بسبب الطريقة التي التصق بها باللاعب المكلف بمراقبته. (وبدا أن لكل شخص وشيء كنية. وهذا يشير إلى أهمية كرة القدم في الثقافة العامة وفي الأحاديث اليومية في الأرجنتين حينئذ). ولأن الفرق الأخرى قلدت دور ياكونو، نشأ في الكرة الأرجنتينية بالتدريج ما يُعرف باسم «الظهير الثالث»— أو على الأصح «قلب الدفاع»، اللاعب رقم 5 الذي يسقط بين ظهيري الدفاع full-backs المدافعين الخلفيين (رقم 2 و3). ويتحرك لاعب الوسط الأيمن رقم 4 على اليمين. وتم اعتماد طريقة 4—2—4 بعد سنة 1958، وكان لاعب «يسار الوسط» left-half رقم 6 هو

تشكيلة فريق ريفر بليت (لاماكينا).

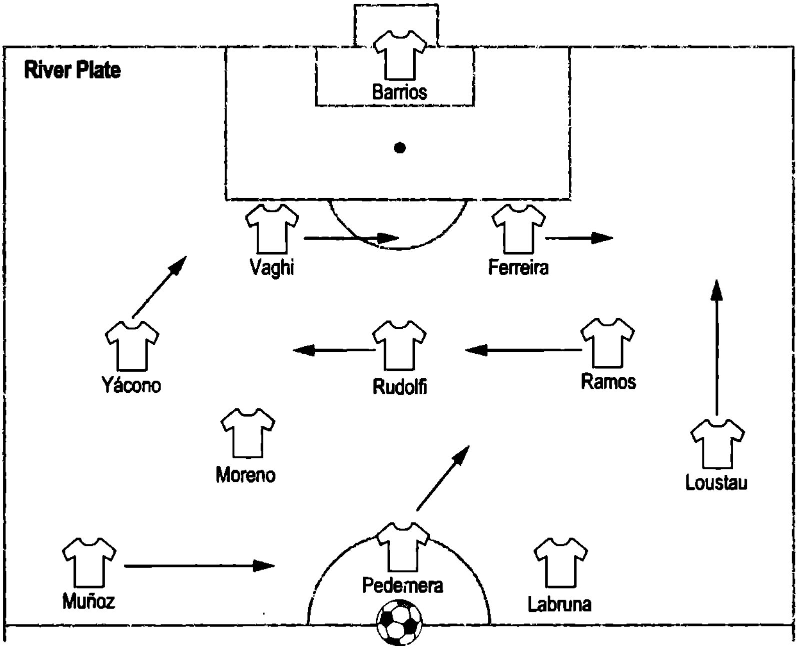

الذي يعود إلى موقع الدفاع المركزي بجانب اللاعبين رقم 2 و3. وبقي لاعب قلب الدفاع رقم 5 في مركز لاعب الوسط المساك holding midfielder. (حتى اليوم في الأرجنتين هناك ميل لتحديد المواقع بالأرقام. واتخذ اللاعب راتين مثلاً رقم 5، وأوزفالدو أرديلز رقم 8). فكان الإنجليزي التقليدي يقرأ الملعب من اليمين إلى اليسار بالطريقة التالية: 2- 5- 6- 3، بينما يقرأ الأرجنتيني الملعب على النحو التالي: 4- 2- 6 – 3.

ولم يكن في باراجواي حركة مشابهة للاعبي الوسط اليمينين المتأخرين، ما أدى إلى عدم انتقال المدافعين الخلفيين إلى اليسار. وحين أصبحت الطريقة 2–3–5 (أو التشكيل) 4–2–4، سقط جناحا الوسط مباشرة كمدافعين بعيدين (ما يُطلق عليه في بريطانيا اليوم «المدافعون المتأخرون» - Back-four) وسيُقرأ التشكيل هناك على النحو التالي: 4- 2- 3 – 6، رغم أن رقم 2 سيكون في كثير من الأحيان- ولعب ماتياس جونزاليس نهائي كأس العالم 1950 خلف المدافعين الثلاثة الآخرين في مركز الليبرو. وباستخدام نظام الترقيم يُعرف هذا اللاعب في النظام السويسري باسم فيرو.

أصبح اللاعب لاماكوينا إلى جانب سيساريني في فريق ريفَر— أبرز المؤيدين للانسترا. وقال إرنيستو لازاتي اللاعب رقم 5 في فريق بوكا جونيورز: «تلعب ضد لاماكوينا بهدف الفوز»، «لكن كمحب لكرة القدم كنت أفضل أحياناً البقاء في المدرجات وأشاهدهم يلعبون». وبما يتناسب مع الرومانسية تجاه اللعبة الأرجنتينية، لم يكن لاعبو الريفَر الفائزون قاسين. وعلى الرغم من أن فريق الريفر كان الأفضل في بلده، فقد فاز بثلاثة ألقاب فقط بين عامي 1941 و1945— وفي اثنين من هذين اللقبين جاء فريق بوكا في المركز الثاني. وقال مونوز: «وصفونا بأننا فرسان العذاب» لأننا لم نبحث عن المرمى. لم نفكر في أننا لن نستطيع إحراز أهداف في المنافسين. نحن انطلقنا في أرض الملعب

تشكيلة 4-2-4 بالأرقام.

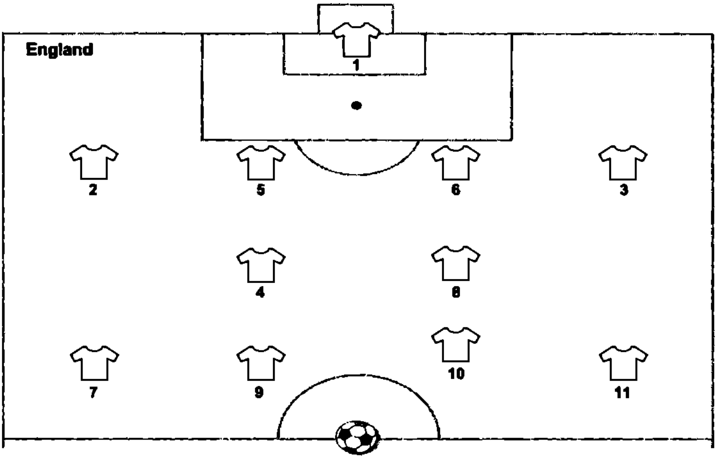

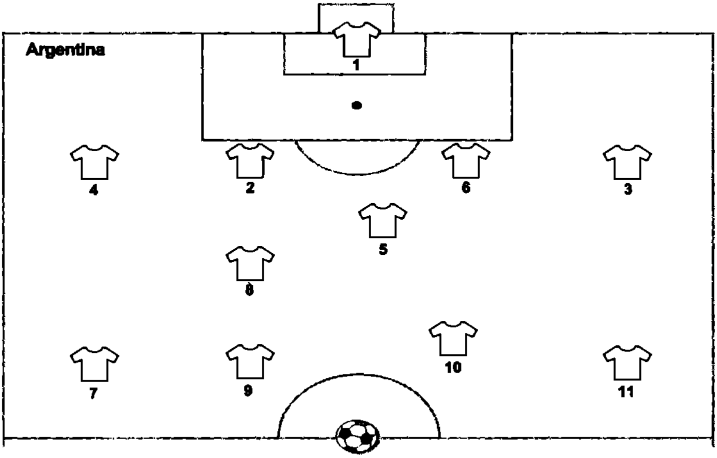

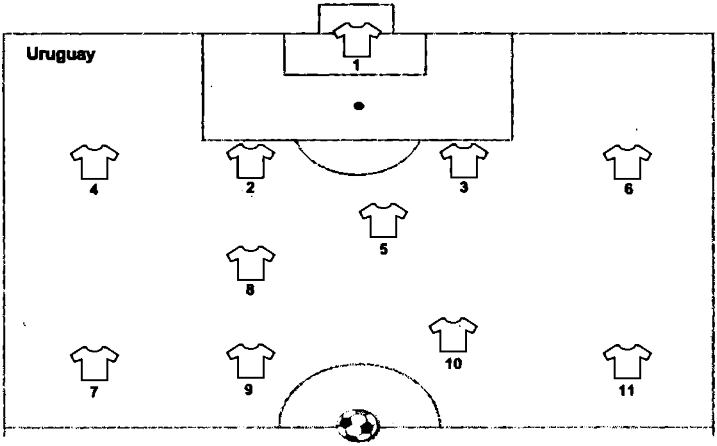

ولعبنا بطريقتنا: أخذ الكرة وأعطاني إياها ثم مررتها إلى اللاعب جامبيتا. فجاء الهدف من تلقاء نفسه ومر وقت طويل على إحراز الهدف. وكانت المعاناة لأن اللعب لم يُحسَم سريعاً، وكنا نرغب في التسديد من داخل الصندوق، لكننا كنا نلهو في وسط الملعب. ولم يكن هناك تسرّع في الأداء. وكان أمراً غريزياً». وكان لفريق لاماكوينا ماكينة مختلفة عن ماكينة الأرسنال المتمثلة في المدرب هربرت شابمان.

على هذا النحو، كانوا ممثلين مثاليين للعصر الأرجنتيني الذهبي، حين كانت كرة القدم أقرب من أي وقت مضى أشبه بما عنته لعبة المجد لداني بلانشفلاور Danny Blanchflower. العزلة التي فرضتها الحرب والسياسة الخارجية البيرونستية- عنيت بعدم إلحاق الهزائم بأطراف دولية للحث على إعادة التفكر، ولذلك فقد انحدرت كرة القدم الأرجنتينية كما لم تنحدر من قبل في طريق الجمالية.

قد يكون ذلك تعصباً ولكن، لا يمكن القول أن الإحساس بالتفوق كان بالضرورة خادعاً. وفي حالة وجود مقاومة أجنبية، كانت تميل إلى الهزيمة. خلال فصل الشتاء من 1946–1947، على سبيل المثال، طاف سان لورينزو شبه الجزيرة الأيبيرية، لعب ثماني مباريات في أسبانيا واثنتين في البرتغال، وفاز الفريق في خمس مباريات، وخسر مرة واحدة فقط، وأحرز 47 هدفاً. يتساءل المهاجم رينيه بونتوني «ماذا كان سيحدث لو أن الأرجنتين لعبت في كأس العالم في ذلك الوقت؟ أشعر بأن هناك شوكة بجانبي ولم يتبدد هذا الإحساس على مدى السنين، لا أريد أن أكون مغروراً، ولكني أعتقد أننا لو كنا اشتركنا، لتوجنا بالأكاليل».

الفوز على إنجلترا عام 1953 فيما يبدو يؤكد وحده ما توقعه الجميع في الأرجنتين: أن نسختهم الخاصة من لعبة كرة القدم أصبحت الأفضل عالمياً

وأنهم خير ممثل لها. فمَن كان قائد تفوق ريال مدريد في كأس أوروبا غير ألفريدو دي ستيفانو– الذي تربى على أفضل تقاليد لانسترا في نادي الريفَر؟ وقد ثَبُتَ هذا الاستنتاج بفوز الأرجنتين بكأس أمريكا الجنوبية في عام 1955 والاحتفاظ به في بيرو بعد ذلك بعامين.

هذا الفريق الأخير برز مع المواهب الشابة، في خط الهجوم عمر كورباتا، وهمبيرتو ماسكيو، أنطونيو أنجليللو، عمر سيفوري، وأوزفالدو كروز وهم يلعبون بحماسة مؤذية، وتلك الطريقة أكسبتهم كُنيَة «الملائكة أصحاب الوجوه القبيحة». لقد فازوا على كولومبيا بثمان أهداف، وبثلاثة على الإكوادور، وأربعة على الأوروجواي، وستة على شيلي وثلاثة على البرازيل، وخسروا مباراتهم الأخيرة أمام البلد المضيف، ولكن بعد ذلك حازت الأرجنتين اللقب وانتهت عزلة الأرجنتين بشكل مؤكد، لم يعودوا فحسب لاعبين للأرجنتين، وإنما كانوا يمثلون أفضل فريق في أمريكا الجنوبية، وربما في العالم.

ورغم حلول موعد كأس العالم 1958، انتقل أنجيللو وماسكيو وسيفوري إلى دوري الدرجة الأولى الإيطالي، وانتهى الأمر بالثلاثة إلى اللعب على المستوى الدولي لإيطاليا. وكرس دي ستيفانو، على نحو مشابه، مجهوده لإسبانيا، وحين ذهب الفريق الأرجنتيني إلى السويد أصاب الأرجنتين اليأس لما حدث لمهاجميها، وللتغلب على ذلك فقد أضطرت إلى اللجوء للابورنا، الذي كان وقتها على أعتاب الأربعينيات، لم تكن الهزيمة 3–1 لصالح ألمانيا الغربية حاملة اللقب عاراً، ولكنها أشارت إلى أن الأرجنتين لم يكونوا جيدين بما فيه الكفاية كما كانوا يعتقدون ذلك عن أنفسهم. «لقد كنا معصوبي الأعين»، هكذا اعترف روسِّي.

ومع ذلك عادت الثقة بالنفس بعد هزيمة الفريق لأيرلندا الشمالية 3–1 في مباراتهم الثانية. وكانت هناك إشارات تحذيرية، فقد علم فريق أيرلندا الشمالية

عن أسلوب الأرجنتينيين في المهارة والسرعة وقوة اللعب الهجومي لديهم. وما وجدوه، كما قال ماكلوري: «الكثير من الرجال البدينين.. ضئيلي الحجم.. أصحاب الكروش يتسمون لنا ويلوحون للفتيات الموجودات بين الجمهور».

ترك ذلك الأرجنتين في حاجة إلى تعادل في المجموعة النهائية مع تشيكوسلوفاكيا للصعود، ولم تصل تشيكوسلوفاكيا إلى الدور ربع النهائي. وخسرت مباراتها الفاصلة أمام أيرلندا الشمالية، وأقصت الأرجنتين. «اعتدنا اللعب ببطء وهم تميزوا بسرعة عالية»- هذا ما قاله اللاعب جوس راموس دلجادو، أحد أفراد الفريق الذي لم يلعب المباراة، وأضاف: «لم نلعب مباريات دولية وقتاً طويلاً. وحين ذهبنا هناك، كنا نظن أننا موهوبون.. لكننا علمنا أننا لم نواكب وتيرة تقدم بقية دول العالم. نحن تخلفنا بينما لعبت الفرق الأوروبية بكل بساطة وتميزت بالدقة. وتمتع لاعبو الأرجنتين بالقدرة. لكننا لم نحرز أي تقدم».

وضع اللاعب ميلان دفوراك Milan Dvorak تشيكوسلوفاكيا في المقدمة بعد ثماني دقائق بقذيفة في إحدى الزوايا، وقبل انتهاء الشوط الأول أصبحت الأرجنتين متأخرة بثلاثية، وتسببت الأخطاء الفردية في إحراز زدينيك زيكان هدفين. تم جذب أورست كورباتا Oreste Corbatta من الخلف في منطقة الجزاء، لكن اللاعب جيري فيوريسيل أعاد الفارق إلى ثلاثة أهداف مرة أخرى خلال أربع دقائق، قبل هدفي فاسلاف هوفوركا الذي أكمل الخزي وخرج باللقاء 6–1.

«إذا كان لنا أن نبحث عن تفسير لهذا الأداء السيئ وأردنا أن نلخصه في كلمة واحدة فستكون: الفوضى»، هذا ما قاله حارس المرمى أماديو كاريزو. «سافرنا إلى السويد على إحدى رحلة جوية استغرقت 40 ساعة تقريباً. ولم تكن

تلك أفضل طريقة للبداية. قارن ذلك بما حدث مع البرازيل الذين سافروا في طائرة خاصة، وقاموا بجولة اعتمد لاعبو الفريق طريقة اللعب التي سيؤدون بها. وكان اللعب أيضاً غير منظم، ولم نعرف أي شيء عن موعد وصولنا. سجل التشيك أربعة أهداف تبدو متطابقة، وارتدوا للخلف فأحرزوا هدفاً، وقاموا بارتدادة أخرى أسفرت عن هدف آخر. تعبوا من التهديف بهذه الطريقة، واكتشفنا الخطة واعتقدنا أن الأمر سيكون سهلاً علينا، ارتددنا وكان الأمر يسيراً على أي أحد إلا نحن».

جاء رد الفعل عنيفاً، فتم رشق اللاعبين بالعملات والخضروات في مطار بيونس آيرس، وعزل المدرب جليرمو ستابايل الذي تولى مسؤولية الفريق منذ 1941. وقال المؤرخ يوان بريستا Juan Presta عن المدرب: «لم يعلم شيئاً عن التكتيك. هو اختار فقط أمهر اللاعبين وقال لهم العبوا. كان حالماً».

وقال راموس دلجادو «كان الأمر مروعاً. كنا نتعرض للشتم في كل استاد قصدناه ومن الجميع، وحتى الذين لم يشاركوا في المباراة منا. ولزم تعديل الفريق الوطني، والبحث عن نوع آخر من اللاعبين، لاعبين لديهم نزعه للتضحية أكثر من اللعب، فأصبحت الكرة أكبر من مجرد مهارات».

وكان رد الفعل ضد لانسترا ضاراً، فقد ثَبُتَ أن طريقته عفا عليها الزمن. لكن رد الفعل ذهب إلى أبعد من مجرد الانتقال إلى طريقة 4–2–4. وتراجعت أعداد جماهير مباريات الدوري بشكل حاد، جزئياً بسبب الشعور بخيبة الأمل، وأيضاً لأن الطبقة المتوسطة المتنامية بدأت تشاهد المباريات على شاشات التلفزيون بدلاً من الملاعب. وفقدت النوادي– التي تمتعت بدعم الدولة في عهد بيرون Peron– الدعم المالي، وتحولت العديد من الأندية إلى المواهب الأجنبية لجذب انتباه الجماهير. وأصيبت ثقافة لانسترا بالمزيد من الضعف، والأخطر من ذلك أن الروح الشعبية تغيرت. ومع المخاطر المالية التي ظهرت،

أصبحت كرة القدم بالنسبة للمتفرج تعني أقل من الفوز، أو على الأقل عدم الخسارة، كما هي الحال في إيطاليا في أواخر العشرينيات. والنتيجة أن التكتيك أصبح سلبياً على نحو متزايد.

«ثم ظهر بعد ذلك النظام الأوروبي» كما ذكر الفيلسوف توماس أبراهام الذي قال: «كان ذلك هو الطريق إلى الحداثة.. والحداثة انطوت على الانضباط والتدريب البدني والنظافة والصحة والاحترافية والفردية. وكل ذلك دخل إلى الكرة الأرجنتينية. جاءت تلك الأساليب للإعداد البدني الذي يعطي أهمية للدفاع– ومن ذا الذي اهتم بالدفاع من قبل؟ من الغريب، أن ذلك قد حدث بعد ذلك، بالتوازي مع انتصار البرازيل، الذي ينبغي أن يكون حقاً حجة لكرة القدم المحلية عندنا».

حاول نادي بوكا، على الأقل، تكرار النجاح البرازيلي، وقد عين فيسنتي فيولا، رغم أنه مكث موسماً واحداً فقط قبل أن يتم استبداله بجوزيه داميكو Jose D'Amico. فقد أحضر معه اثنين من بيرو، وستة من البرازيل، ربما كان أبرزهم هو أورلاندو– مدافع الوسط الفائز بكأس العالم 1958. يذكر راتين «كان أورلاندو هو من قدم لنا فكرة أن رقم 6 المحاصر، يبقى في الدفاع بدلاً من خط الوسط». «لم يكن فيولا محظوظاً. ظللنا معه نسدد في العارضة أو نضيع ضربات الجزاء، وبعد ذلك فاز داميكو بالبطولة بالفريق نفسه».

الفوز في عام 1962، خُتِمَ بالنصر على الريفَر، إذ إن أنطونيو روما أنقذ ضربة جزاء متأخرة، تحقق بطريقة 4–3–3، ولكن كان ألبرتو جونزاليس كجناح مروحة Ventilador-Wing، يرتد إلى الخلف ليصبح رابع لاعب وسط لإضافة القوة. بلغ الحل الدفاعي أوجه بعد سنتين، ذلك أنه بقيادة بديرنيرا حاز بوكا اللقب مرة أخرى، وقد تلقت شباكه 15هدفاً فقط في 30 مباراة. قد يكون بديرنيرا من مؤيدي لاماكوينا، ولكنه لم يكن يعتذر عن أسلوب فريقه. أضاف

«لم يكن هناك بوهيمي من قبل»، «اليوم الرسالة واضحة: إذا حققت فوزاً فأنت مفيد، وإذا خسرت فأنت لست كذلك». إلى حد كبير، أثبت بوكا أنه فعال خارج البلاد، فلم يُهزَم خلال ثماني مباريات في جولته بأوروبا عام 1963.

المدرب المستقل مانويل جوديس، الذي قاد فريقه للفوز بلقب الدوري في 1960 و1963، ثم تحقيق انتصارات متوالية بكأس «محرري الأمريكيتين» Libertadores، لقد كان أكثر من متمسك باللعب التقليدي، ولكن حتى أعضاء فريقه كانوا يعرفون بمخالبهم وقوتهم وروحهم القتالية. ويذكر راموس دلجادو «كان المدرب المستقل وبوكا في مستهل الستينيات فريقين قويين جداً ومميزين لعبا كثيراً على الهجمات المرتدة».

يقول أبراهام: «هنا تكمن أول سمات العصرية»، «لعدة سنوات قد مزق ذلك الكرة الأرجنتينية بين هؤلاء الذين يريدون الحفاظ على التقليد، وأولئك الذين يصرون على أننا تخلفنا». وقد تبدو تجلياتها الأكثر شهرة في الخلافات التي نشبت بين كارلوس بيلاردو، وسيزا لويس مينوتي، ولكنها ظهرت فيما قبل، بصورة أوضح في التوتر الذي حدث بين لابرونا، الذي درب نادي ريفَر وروساريو سنترال، ووان كارلوس لورينزو، الذي قاد الفريق الأسباني ريال مايوركا إلى إنجازات متوالية ثم فترات متفرقة مع سان لورينزو لعدة سنوات في إيطاليا، كانت أساليبه لا تضاهى. يتساءل لورينزو: «كيف يمكنك هزيمة فريق لديه مهاجم كبير؟ ببساطة شديدة، إذا أردت ألا يأكل شخص ما، فعليك أن تمنع الأكل القادم من المطبخ، فأنا لا أرسل أحد ليراقب النادل؛ ولكن ينبغي أن أقلق بشأن الطاهي».

حين تم تعيين لورينزو مدرباً وطنياً قبل كأس العالم 1962، كان اتحاد كرة القدم يبحث بوضوح عن مدرب أوروبي. حاول وضع نظام catenaccio، أو مزلاج الباب (الترباس)- حتى إنه جعل اللاعب الليبرو (القشاش)، يرتدي

قميصاً لونه مختلف في التدريب حتى يتسنى للاعبين رؤية دوره- ووجد الوقت ضيقاً أمامه لتنفيذ شيء مختلف تماماً فعاد إلى طريقة 4–2–4 ولعب بها في البطولة نفسها.

وقد تم تعيينه في 1966، وفي أثناء البطولة وضع لأول مرة التشكيل الذي أصبح فيما بعد التشكيل الأرجنتيني التقليدي: كانت طريقة 4–3–1–2 في الأساس تحوي في وسط الملعب شكل المعين (شكل هندسي)، في قاعدته راتين، ويمثل كل من جورجيه سولاري وألبيرتو جونزاليس جناح المروحة لفريق بوكا، يتحركان إقبالاً وإدباراً على أي من جانبيه، إنهما لاعبان يعرفان بالمكوكين، وقد أعطيت إلى إرميندو أونيجا تعليمات باللعب في وسط الملعب على رأس المعين. وفي المنطقة العرضية تم وضع مهاجم يندفع من عند المدافعين الخلفيين، وروبيرتو فريرو، وسيلفيو مارزوليني. وحين بدا أنه لم يعد هناك حاجة للجناحين الملتزمين بحدود الملعب التزاماً تاماً، أصبح لاعبو الوسط الأربعة أكثر مرونة بدرجة كبيرة. كان التشكيل الإنجليزي في الأساس قريب الشبه، ويكمن الاختلاف الرئيسي في أن المكان الذي وضعت فيه إنجلترا لاعب وسط مدافعاً وهو نوبي ستايلز، وضعت فيه الأرجنتين لاعب وسط مهاجماً وهو أونيجا. لم تتفق المصادر الإنجليزية والأرجنتينية بشكل كامل على التقاء الفريقين في الدور ربع النهائي في تلك الدورة، ولكن كليهما اتفق على الأسباب الرئيسية لفوز إنجلترا– حين وضع تواطؤ الحكم والدعم المالي المزعوم للفيفا حتى يصل الفريق الوطني إلى النهائي قبل البث بالأقمار الصناعية في جانب واحد- وهي أن ستايلز أربك أونيجا، وأن آلان بول كان يهاجم من الجانب الأيمن لوسط الملعب، مانعاً مارزوليني من التقدم.

وتمثل التغير الرئيس في اللعب الأرجنتيني في السنوات التي تلت 1958، في الاهتمام بالأسلوب أكثر من النظام. وأصبحت كرة القدم الأرجنتينية

منتخب الأرجنتين 1966.

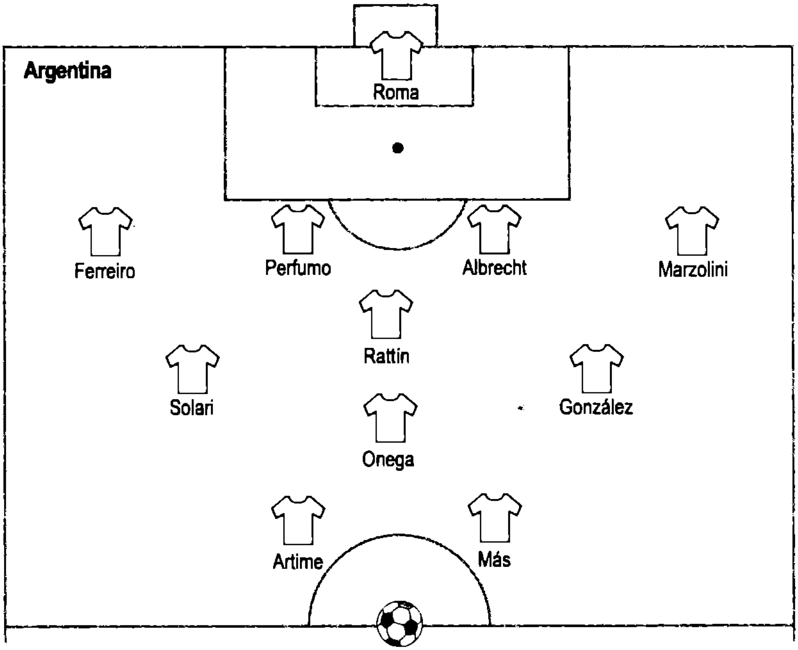

تزداد اتقاداً، ووصل فريق سيلتك على حساب راسينج كلوب في نهائي كأس القارات 1967. وفاز سيلتك في أول مباراة في جلاسجو 1– 0، لكن العاصفة ضربته في بيونس آيرس. وبقدر ما كان هناك اهتمام بكرة القدم الأرجنتينية، أصبح ثمة هدف يجب تحقيقه بعد هزيمة الفريق الوطني المثيرة للجدل من إنجلترا بكأس العالم في الدور ربع النهائي قبل عام، ولم يُلق بالاً للاختلافات بين مناطق المملكة البريطانية.

نزل فريق سيلتك إلى الملعب وسط هتاف ناري. روني سيمبسون، حارس مرمى الفريق، أصابه حجر في رأسه أثناء الإحماء وكان لا بد من استبداله. ورفض الحكم الفزِع احتساب ضربة جزاء واضحة قبل أن يمنحهم ضربة جزاء في النهاية، ومع أن تومي جيميل تصدى لها، تعادل نوربيتو رافو لصالح

راسينج بضربة رأس من مكان ادعى سيلتك أنه موضع تسلل. كان لاعبو فريق سيلتك مرتبكين حين عادوا إلى غرفة ملابسهم ما بين الشوطين ليكتشفوا أن ليس هناك ماء. ساء الوضع أكثر في الشوط الثاني. سجل وان كارلوس كارديناس هدفاً مبكراً ليضع راسينج في الصدارة، بعده شرعوا في إضاعة الوقت، بالإضافة إلى احتجاز الجماهير للكرة فترات طويلة.

والفوز يعني للفريقين مباراة فاصلة في مونتفيديو. وقرر سيلتك القتال من جديد، وقال جاك ستاين: «عهد حسن الخلق مضى. ونحن نستطيع أن نكون قساة عند الضرورة. لن نتحمل السلوك الفظ لفريق راسينج». وأصبحت المباراة أكثر ضراوة منذ البداية. وهدأت الأمور بهدف كاريندا‌س، لكن النتيجة كانت آخر ما يهم وسط دوامة العنف التي غلفت المباراة. وتم إقصاء ثلاثة لاعبين من سيلتك، واثنين من راسينج، ولم يكن إقصاء عدد أكبر من اللاعبين مستبعداً. وقع نادي سيلتك عقوبات على لاعبيه، وقام لاعبو راسينج بشراء سيارات جديدة لأنهم اعتبروا الفوز الهدف الأسمى في المباراة.

وربما كان نادي راسينج مسؤولاً عما تطورت إليه الأمور في الأرجنتين، لكن الفريق كان أحد المؤيدين لمبدأ الفوز بأي ثمن. وذهبت الجائزة إلى نادي استيديانتس دي لا بلاتا تحت ولاية أوزفالدو زبيلديا. وتولى الرئيس وان كارلوس أونجانيا السلطة إثر انقلاب يونيو 1966، ولأنه أدرك مكانة الرياضة، منح الأندية الأموال لتسوية ديونها. وتم تعديل البطولة، وتقسيمها إلى جزئين بين- ميتروبوليتانو وناسيونال- لتشجيع تطوير الفرق من خارج بيونس آيرس. وتم كسر احتكار الأندية الخمسة الكبيرة- بوكا جونيورز وريفَر بليت وراسينج كلوب وإندبندنت وسان لورينزو- وفي سنة 1967، أصبح فريق استيديانتس أول بطل ميتروبولي.

حين وصل زبيلديا إلى النادي عام 1965، وقد تم استبعاده من الفريق

الوطني، كان هدفه الأساسي تجنب الإقصاء. وكلاعب في بوكا جونيورز، وفليز سارسفيلد وأتلانتا وبانفيلد، كان ذكاؤه وإحساسه بالمكان ملحوظاً. وبدا الوعي بالتشكيل والمساحة حجر الزاوية في إدارته. ويقول راتين عنه: «كان لاعب وسط على الجانب الأيمن ولعب بجانبي مباشرة في بوكا. حتى كلاعب كان على دراية حقيقية باللعبة، كان يطلع على القانون ويقف عند حدوده».

قاد زبيلديا فريق أتلانتا إلى إنجازين محترمين، ولكنه وجد أن الأشياء إلى حد ما أكثر صعوبة في الأرجنتين، ربما لأن فرض رؤية على فريق يلعب على المستوى الدولي، كما اكتشف فاليراي لابنوفسكاي في تجربته مع الاتحاد السوفيتي؛ عندما يكون الوقت المتاح للعمل مع اللاعبين قصيراً جداً، يختلف عنه حين يكون الأمر على مستوى أحد الأندية حيث المشاركة يومية.

يقول وان ريمون فيرون: «جاء إلى النادي قبل أن يبدأ بشهر»، وكان معروفاً عنه عموماً أنه أكثر لاعب موهوب ضمن فريق إستيديانتس. «قام بالاطلاع على الفريق الأول، والفريق الثالث وقد رأى أن الفريق الثالث كان يلعب بشكل أفضل، وسأل نفسه ما المغزى من الاحتفاظ باللاعبين القدامى؟».

احتفظ بأربعة لاعبين منهم فقط، كان يفضل أن يجرب تشكيل العقول الصغيرة. يستأنف فيرون «كان زبيلديا رجلاً شديد البساطة، وكان العمل هو هدفه». «كان شديد الولع بالتدريس، وقضاء الوقت والعمل مع اللاعبين. وجاء إلى هنا مع مدرب آخر، هو أرجنتينو جينورازو، الذي كان شديد الجنون، ولم يمكث طويلاً في أي ناد لأنه كان دائماً ما يتشاجر مع الناس، لكنهم حين وصلوا إلى هنا كانت لديهم خطة، وكانوا على تمام العلم بما يرغبون في القيام به.

كنا نستعد للموسم الجديد، وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل، يقوم

المدربون بإجراء التدريب اليومي بشكل مكثف، وهو ما لم يكن معتادا قبل ذلك، حين أتى زبيلديا إلى هنا بدأنا نركز في اليوم السابق للمباراة، كنا نعيش في ساحة التدريب، كنا نتلقى التكتيكات على السبورة وبعد ذلك نتدرب عليها في أرض الملعب».

يذكر فيرون: «لم يفز أي ناد يقع خارج العاصمة باللقب من قبل، لذا لم تكن هناك تطلعات، ولم تكن هناك مطالبات بتحقيق نجاح فوري، كان المشجعون أكثر صبراً، لذلك تمكن زبيلديا من العمل هنا لثلاث سنوات دون الفوز ببطولات، وهو الأمر الذي لم يكن يقدر عليه في بوكا». «كنا صغاراً بحق ، ولم نلحظ ما كان يحدث. أخذت الأشياء في التطور، ويوماً ما أدركنا أن لدينا فريق كبير».

وفي صحيفة الجرافيكو، كتب الصحفي جورجيه فينتورا يصف أسلوبهم: «ارتكزت كرة القدم التي تم التدريب عليها على مدار أسبوع من العمل الشاق وظهرت في اليوم السابع بفاعلية– على مسألة المراكز. لأن نادي إستيديانتس واصل حصد النقاط بطريقة لعبه، وهي الاعتماد على العمل أكثر من الموهبة... واصل نادي إستيديانتس الفوز».

ويقول بيلاردو: «خاضوا تدريبات أكثر صعوبة ودقة من أي ناد أرجنتيني آخر. ووضعوا كل احتمالات اللعبة في الحسبان وتم التدريب عليها.. الضربات الركنية.. والركلات الحرة.. والرميات كنا نستغلها أفضل استغلال لصالحنا. وكانت لنا إشارات ولغة سرية استخدمناها لخداع المنافسين».

وحصل إستيديانتس على المركز الثاني بالمجموعة الأولى لبطولة الميتروبوليتانو سنة 1967، ما أهله لأن يكون ضمن المربع الذهبي، وهو إنجاز في حد ذاته. لكنهم تقدموا بعد أن كانوا مهزومين 3– 0 ليهزموا فريق بلاتنس Platense 4– 3 في الدور قبل النهائي، قبل الفوز المريح على نادي الراسينج 3– 0 في النهائي.

وكتب جوفينال المحرر بصحيفة الجرافيكو «كان فوزهم انتصاراً للفكر الجديد الذي نودي به كثيراً من السويد إلى هنا. لكن هذه الأفكار لم تتحول إلى حقائق. الفكر الجديد الذي نفذه شباب أقوياء.. منضبطون.. مفعمون بالحيوية.. نشطون.. وأصحاء نفسياً وجسدياً. والواضح أن إستيديانتس لم يخترع أي شيء. لقد سلكوا نفس طريق فريق راسينج العام الفائت... فاز إستيديانتس بعد 36 عاماً شهدت صيام الفرق الصغيرة عن تحقيق البطولات. واستطاع فريق إستيديانتس التغلب على قناعاتهم، وقيودهم كفريق دفاعي متهالك متآكل بشكل مبالغ فيه. وأفاق فريق إستيديانتس من نشوة الأسبوع الفريد من نوعه في تاريخ ناديهم، وتحلوا بأجدر الخصال الجديرة بالثناء في ساعة النصر وهي التواضع». ومثلما كان يُشاد بالمدرب بوزو Pozzo على الجانب الإيطالي كممثل للجانب العسكري للفاشية، أصبح إستيديانتس ممثلاً للرئيس أونجانيا Ongania حاكم الأرجنتين الجديدة. وجعل جوفينال تلك النقطة أيضا أكثر وضوحاً في يناير 1969، حين كان إستيديانتس في طريقه لتحقيق الفوز الثالث على التوالي بكأس الليبرتادوريس. وقد أثنى على «طرقهم الدفاعية وتحركاتهم وتصرفهم وتضحيتهم ودفاعهم الهجومي وروحهم القتالية وتفكيرهم الجماعي وتنظيمهم.. لقد تخلصنا من الارتجال. نحن نقوم بتحسين وتطوير ما تسبب في تدني مستوانا حسب بعض النقاد؛ أي أنهم كانوا يُمتَدحون لما فعلوه بشكل مختلف عن لانسترا. واستحقوا الثناء على تحديهم للصورة النمطية الأوروبية عن المواطن القادم من أمريكا الجنوبية بوصفه رجلاً أنيقاً لكنه كسول.

ربما يكون إستيديانتس قد سار على درب راسينج في أسلوبهم ورفضهم القاطع لطريقة لانسترا، ولكن في بعض النقاط الأساسية يعتبر ما كانوا يفعلونه جديداً. كان تشكيل 4-3-3 يكتسب شعبية عبر القارة، لكن ما فعلوه في إطار ذلك كان فريداً ليس فقط في الأرجنتين، ولكن في أمريكا الجنوبية بأكملها.

يقول فيرون: «لقد كان شيئاً غير معروف في الأرجنتين» و«قد كان ذلك هو ما سمح لفريق متواضع مثل إستيديانتس بإحراز هذا النجاح».

والسؤال بعد ذلك، هو من أين جاءت الفكرة. كان حب استطلاع زبيلديا ودراساته لطرق التدريب من جميع أنحاء العالم، وفيما يبدو أن معظم لاعبي فريقه يتفقون على أن الضغط كان الشيء الذي أخذه منهم، كما ذكر فيرون، أنه «أحد الفرق الأوروبية». «ذهب الآخرون أبعد من ذلك وأصروا على أنه ناد بشرق أوروبا، ولكن أحداً لم يستطع أن يتذكر أي فريق. لدرجة أنهم أبدوا اهتماماً، على الأقل حين تم عرض الفكرة، التي كانت مجرد خطة أخرى لزبيلديا، ولم تكن إلا مقطع فيديو كان يعرضه عليهم. من المثير الاعتقاد بأن زبيلديا تأثر بفيكتور ماسلوف Viktor Maslov– وربما حصل على تلك الطريقة في مرحلة كان فيها دينامو كييف هو النادي الوحيد البارع بحق في الضغط– لكن ليس ثمة دليل واضح على ذلك، حتى لو كان هناك أحد الفرق الأخرى بشرق أوروبا التي أخذ منها زبيلديا الضغط، فمنطقياً أخذ هذا النادي ذلك الأسلوب من ماسلوف الذي كان تأثيره عالمياً.

كان الضغط وخط التسلل العالي من ابتكاراتهما الحقيقية، ولكن كان هناك أيضاً جانب أكثر ضرراً، لقد كان العنف الذي مارسه نادي إستيديانتس وأذهل الأوروبيين، ولكن وفقاً لبريستا Presta، في تلك النقطة لم يكونوا يختلفون عن أي ناد أرجنتيني آخر آنذاك. كان ما برزوا فيه هو استخدامهم لحيلهم القذرة. «أنت لا تصل إلى المجد من خلال طريق وردي» هكذا قال زبيلديا. من الصعوبة بمكان الآن الفصل بين الحقيقة والخيال، ولكن القصص التي انتشرت على نطاق واسع عنهم لا تستند على الأقل على أساس في الواقع. تنامت إلى المسامع قصة عن أن بيلاردو كان يحمل معه دبابيس في الملعب ليخز بها اللاعبين الخصوم. يقول فيرون: «إنها قصة مختلقة»، لكن راتين أصر

على أنها قصة حقيقية، على الرغم من أنه اعترف أنه لم ير ذلك بنفسه. يقول راتين «كان بيلاردو وضيعاً». «كان على الدوام يفتعل شيئاً مخادعاً: قد يجذب قميصك، ويتظاهر بأنه تلقى ضربة، أو أي شيء».

وعلى الرغم من أنه كان عازفاً عن الخوض في التفاصيل، أقر فيرون أن إستيديانتس «حاول اكتشاف كل شيء ممكن عن كل فرد من أفراد منافسينا على حدا، عاداتهم، شخصياتهم، نقاط ضعفهم، وحتى حياتهم الخاصة لذا بإمكاننا أن نستفزهم في الملعب، وحملهم على الرد، معرضين إياهم للطرد».

يقول بريستا: «لقد استخدموا علم النفس بأسوأ طريقة ممكنة». «كان هناك أحد اللاعبين من فريق الإندبندينت Independiente قد قام بقتل أحد أصدقائه عن غير قصد في رحلة صيد- وحين لعب ضد إستيديانتس، كانوا ينادونه طيلة المباراة بـ«القاتل». أو كان هناك حارس مرمى لفريق الراسينج شديد الارتباط بوالدته، ولم ترد أمه أن يتزوج، ولكن في نهاية الأمر تزوج، وبعد ذلك بستة أشهر توفيت والدته. توجه بيلاردو نحوه وقال: «تهانيّ، أخيراً أوديت بحياة أمك».

هناك زعم بأن بيلاردو، الذي كان طبيباً كفئاً، استغل اتصالاته في مهنة الطب. على سبيل المثال تم طرد لاعب الراسينج المدافع روبيرتو بيرفيومو Roberto Perfumo لضربه بيلاردو في البطن، ربما لأن بيلاردو قد سَخِرَ منه لقيام زوجته مؤخراً بإزالة دمل.

ربما كانت طرقهم بغيضة، لكن لاعبي إستيديانتس كانوا بلا شك ماهرين، على الأقل في البداية، وكان ذلك كافياً بالنسبة إلى المعلقين للتغاضي عن تجاوزاتهم، رغم ذلك، لقد كانوا بالنسبة إليهم أكثر من مجرد سفاحين. «تمت تنشئتهم بشكل جيد» هكذا قال دلجادو Delgado، الذي لعب ضدهم بعد انتقاله إلى فريق سانتوس «بصرف النظر عن الإمساك (باللاعبين الخصوم)، فقد

كانوا على علم بكيفية اللعب، كان فيرون لاعباً أساسياً. لقد منحهم انسيابية. لم يكن لاعبا منتصف الملعب الأوسطان باتشيم وبيلاردو موهوبين ولكنهما كانا في حقيقة الأمر ذكيين. كان باتشيم مدافعاً بحق، ولم يكن بيلاردو موهوباً لكنه كان ذكياً حقاً. كان بيلاردو أقل الجميع موهبة».

فاز إستيديانتس ببطولة «محرري الأمريكيتين» Libertadores في عام 1968، متغلباً على فريق الراسينج في مباراة ضارية من ثلاثة أشواط في الدور قبل النهائي، وبعد ذلك انطلقوا ليهزموا بالميراس Palmeiras البرازيلي في النهائي الذي شهد مباراة ختامية كانت أيضاً من ثلاثة أشواط. في ذلك الوقت، تم ابتكار مصطلح (المعادون لكرة القدم) لوصف أساليبهم، ولكن ظلت صحيفة الجرافيكو على تأييدها لهم- وهي رغم ذلك- اعترفت بأن أسلوبهم كان «أكثر خشونة من كونه جميلاً».

فيما بعد وفي السنة التي واجهوا فيها مانشستر يونايتد في نهائي كأس القارات في مباراة من شوطين من العنف المتوقع. في مباراة الذهاب الأولى في بيونس آيرس، اشتكى دينس لَو أنه تعرض للجذب من شعره، وتلقى جورج بست ضربة في بطنه، وكان جرح بوبي تشارلتون يتطلب الخياطة بعد المخالفة التي ارتكبها بيلاردو ضده. أصيب نوبي ستايلز بجرح في عينه إثر ضربة بالرأس، وقد تعرض للتحرش طيلة المباراة، تعرض للطرد لإشارته لمراقب الخط بعلامة النصر. في وسط كل ذلك، لعب ماركوس كونيجليارو الكرة بالرأس تجاه فيرون ليمنح إستيديانتس الفوز. لقد تكررت الحادثة نفسها مرة أخرى مع مانشستر، إذ ينص القانون على أربعة غرز في جرح الرجل، وتم إقصاء بست، وجوزيه هوجو ميديانا بعد تبادلهما اللكمات. ألغى ويلي مورجان هدفاً بالرأس لفيرون فيما بعد، ولكن نتيجة التعادل 1-1 منحت إستيديانتس الفوز باللقب.

يقول فيرون: «كانت تلك نقطة التحول». لكن الآخرين كانوا أقل اقتناعاً بالفكرة. فقال لاعب الوسط في مانشستر بادي كريراند عن فريق إستيديانتس: «إنه أكثر الفرق التي لعب ضدها رداءة على الإطلاق»، وكان رد فعل الصحافة لاذعاً. وكان عنوان صحيفة الدايلي ميرور: «ليلة أُذلت فيها الروح الرياضية» بعد مباراة الذهاب الأولى. في حين أن بريان جلانفيل في صحيفة صان تايمز كان يائساً، وكتب يقول: «بعض من تكتيكاتهم جرتنا مرة أخرى لمسألة كيف يمكن لكرة القدم، على أعلى مستوى، البقاء كرياضة. الأخطاء التكتيكية كما نفذها الليلة فريق إستيديانتس، وفريق راسينج في السنة الماضية، وفريق أرجنتينا عام 1966 في ويمبلي، جعلت مزاولة اللعبة ممكنة».

دافع أوزفالدو أرديزون في مقاله بصحيفة الجرافيكو عن إستيديانتس بعد الفوز، موضحا الأمر على أنه نتيجة طبيعية لفوز إنجلترا على الأرجنتين في الدور ربع النهائي لبطولة كأس العالم، وحين فاز فريق إستيديانتس ببطولة ليبرتادوريس، متغلباً على فريق ناسيونال الأوروجوياني في شوطي مباراة النهائي، بدأ يبدو متشككاً، فقال أرديزون: «انطلق إستيديانتس ليدمر ويثور ويرفض العرض..واستخدم كل الحيل غير الشرعية في الكرة..». وقال أوزفالدو: «إذا كان من الجيد أن نفوز.. لا بد أن يكون ذلك بطريقة جيدة».

وأشار ديفيد جولدبلات في صحيفة «ذا بول إذ راون». إلى أن الأحوال كانت تتبدل، وليس ضد إستيديانتس فحسب. فكان اندلاع ثورات ضد النظام العسكري في مدينتي قرطبة وروزاريو سنة 1969، يشي بأن فلسفة «الغاية تبرر الوسيلة» آخذة في التراجع. وكان ثمة أسباب بسيطة تتعلق بكرة القدم وراء رد الفعل العنيف تجاه فريق إستيديانتس. تناول فيرون كيفية أن الفرح بفوز فريق «متواضع» سرعان ما تحول إلى استياء بين الأندية والصحافة من العاصمة، بينما الهزيمتان التي مُنيت بها الأرجنتين خارج أرضها أمام بوليفيا وبيرو في منتصف

1969 أقصتاها من كأس العالم 1970 تماماً.

وفي يوليو من تلك السنة، كان موعد ابتهاج ضحية جديدة مثل شاكاريتا جونيورز، وهو فريق من سان مارتن، أحد ضواحي بيونس آيرس الأرجنتينية، الذي تغلب على ريفَر بليت 4–1 في نهائي بطولة الميتروبوليتانو. وفي صحيفة جرافيكو، تغير موقف جوفينال تغيراً واضحاً، فكتب يقول: «فوز شاكاريتا أكد صحة القيم التي جعلت الكرة الأرجنتينية عظيمة... تلك القيم فيما يبدو نسيتها الكثير من الفرق واللاعبين والمدربين... لأن شاكاريتا ليس بفريق «صغير مُكبَ». يتمتع بأعظم انتصاراته التاريخية عن طريق الجري واللعب الخشن. وعن طريق الإيذاء والشجار، والكد ومواصلة اللعب الخشن، بذل شاكاريتا جهده في الجري والإيذاء.. وكد وأعطى وضحى.. ولعب كرة قدم أيضاً، ويمكن القول إن الفريق أراد اللعب والاهتمام بالكرة في الميدان.. لكن أداءه لم يخل من القتال».

لقد كان الإخفاق في التأهل لكأس العالم في المكسيك ما شغل العقول بحق. وصفت افتتاحية صحيفة الجرافيكو مدرسة كرة القدم الأرجنتينية بأنها ضحية الثورة التي تلت اضطرابات سنة 1958، وقالت: «الرغبة في محو تلك الأهداف الست للتشيك من الذاكرة دفعتنا نحو اللعب الدفاعي، والخوف الأبدي من الهزيمة.. جعلتنا ننسى ضرورة ومتعة إحراز الأهداف أكثر من الخصم وتحقيق الفوز. رغبتنا في التغلب على افتقارنا للسرعة والقوة البدنية أمام الأوروبيين دفعتنا إلى التقليد العشوائي والحط من شأن الموهبة والذكاء».

وسرعان ما منح فريق إستيديانتس منتقديه فرصة أكبر. ففي سبتمبر، خسر الفريق مباراة الذهاب في نهائي القارات 3–0 أمام إيه سي ميلان، ما أثار الشكوك حول فاعلية أسلوبهم. وكانت العودة في بومبونيرا هي ما جعل الرأي الفريق يزداد قسوة. ففاز إستيديانتس 2–1، وكان العنف في اللعب بادياً بشكل

كبير. وقام أجيور سورَز بضرب نيستور كومبين بمرفقه، فكسر عظام وجنته. وقام حارس المرمى البيرتو بوليتي بتسديد لكمة لجياني ريفيرا، وتلا ذلك هجوم إدواردو مانيرا عليه وركله وطرحه أرضاً.

وبدأت موجة من الاشمئزاز تظهر. ويذكر أحد التقارير المنشورة بصحيفة الجرافيكو عن المباراة أن «التليفزيون أخذ الصورة المشوهة للمباراة، وبثها لتبدو حرب عصابات في المدن.. ولم يكن الرئيس الذي يشاهد المباراة راضياً عن ذلك. وقال الرئيس الأرجنتيني أونجانيا: «هذا السلوك المشين يعرض سمعة الأرجنتين الدولية للخطر ويلطخها وقد أثار اشمئزاز البلد». وتم الحكم بالسجن على الثلاثة لاعبين لمدة 30 يوماً لتشويه المظهر العام.

وُبِخَ زبيلديا، وهو الأمر الذي دفع مؤيديه على الفور إلى التذرع بأنه كان يطبق النظام فحسب، وليس الألاعيب. ربما تكون الحجة الأكثر مصداقية للتخفيف من الأمر أن فريقه لم يكن أكثر سوءاً من أي شيء آخر في الأرجنتين آنذاك أكثر فاعلية إلى حد بعيد. «أولئك الذين أضافوا بُعد القيادة الشيطانية فيما يتعلق بالاحتيال. كتب والتر فارجاس في الفوتبول دليفيري، «يتعين علينا أن نعلم في الليلة الحزينة الشهيرة في عام 1969، في بومبونيرا ضد ميلان، لقد نزل إلى الملعب بنفسه في محاولة منه لإيقاف أحداث العنف، بمجرد صدور ذلك منهم، واستنكر فعلهم وحذر لاعبيه. هل يعني ذلك أن 100٪ من أخطاء استيديانتس هي محض خرافات؟ بالطبع لا. لكن ذلك الخطأ الذي يقع على عاتق الريفيرا، وكومبن، وكو كان إلى حد بعيد بمثابة وصمة عار لا تغتفر، الخطأ الذي لا يمكن محوه. بعد ذلك وكما هو معروف أن الفرق الراسينج (في عهد وان جوزيه بيزوتي)، والإندبندينت عام 68، وبوكا في (عهد راتين) وباقي الفرق لم تكن داراً للرهبان».

وعلى الرغم من أن فريق إستيديانتس فاز ببطولة الليبرتادوريس في السنة

التالية، فقد خسر أمام فينورد في نهائي كأس القارات، لم تكن الحالة النفسية في صالحه. ورد في مقالة افتتاحية أخرى في الجرافيكو أن «فريق الإستيديانتس الذي أعجبنا به، وأثنينا عليه، ودافعنا عنه، كان شيئاً مختلفاً تماماً». «حين فوزهم أول مرة بالنهائيات، لم يكن لعبهم ضد كرة القدم، لكن كرة القدم الحقيقية تُقدم من خلال الجهد، والنشاط، والتضحية». ربما كما قال هريرا من الإنتر، لقد اتبعوا سماتهم الشخصية لدرجة أن الأمر انتهى بهم إلى السخرية من أنفسهم.

ونظراً لأن الاعتماد على البدن والاحتيال أصبح أسلوباً قديماً، وظهر توق إلى العصر الفائت للانسترا. بعد مرور ثلاثة أسابيع من مباراة ميلان، صحيفة الجرافيكو طالبت لاماكوينا بهزيمة إستيديانتس. ظهرت الحاجة لأن يكون لديهم فريقاً، يعيد تقديم الأسلوب القديم. وقد ظهر ذلك في روزاريو مع نيوولز أولد بويز تحت إدارة ميجيل أنطونيو واريز. وكان مساعده هو الذي لاقى استحساناً أكبر: سيزار لويس مينوتي.

كان مينوتي شخصية رومانسية بشكل يفوق الوصف. كان نحيلاً كقلم رصاص، ومدخناً شرهاً يتدلى شعره على ياقته، أشيب السوالف، وله نظرة محدقة كصقر، بدا كما لو كان تجسيداً للبوهيمية الأرجنتينية، كان جناحاً أيسر، ومفكراً، وفيلسوفاً، وفناناً. يقول: «أدافع عن فكرة أن الفريق فوق الجميع»، «وأكثر من كونها فكرة فهي بمثابة التزام، وأكثر من كونها التزاماً فهي اعتقاد جلي ينبغي على المدرب أن ينقله للاعبيه للدفاع عن تلك الفكرة».

«لذلك فاهتمامي أننا معشر المدربين لا ندعي لأنفسنا الحق لنزيل من المشهد المرادف لكلمة الابتهاج، لصالح القراءة الفلسفية التي لا يمكن أن يطول بقاؤها، وهي تجنب المخاطرة، وفي كرة القدم هناك مخاطر لأن الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها التغلب على المخاطر في أي لعبة يكون عن

طريق عدم اللعب...».

«وبالنسبة لهؤلاء الذين يقولون أن كل ما يهم هو الفوز، أريد تنبيههم أن شخصاً ما دائماً يفوز. لذلك، في بطولة تجمع 30 فريقاً، هناك 29 فريقاً يجب أن يسألوا أنفسهم: ما الذي تركته في هذا النادي، ما الذي قدمته للاعبين، ما الذي يمكن أن أنميه في اللاعبين؟».

«أبدأ من منطلق أن كرة القدم ذات فاعلية، ألعب لكي أفوز، بالقدر نفسه أو أكثر من أي مغرور يعتقد أنه سيفوز بالطرق الأخرى، أريد أن أفوز بالمباراة، لكني لن أسلم بأن التفكير التكتيكي هو الطريقة الوحيدة للفوز، ولكن بالأحرى أعتقد أن الفاعلية لا تنفصل عن الجمال...»

مع مينوتي، كان يسير الجمال والفاعلية جنباً إلى جنب. في عام 1973، فاز بلقب بطولة الميتروبوليتانو مع هيركن، مقدماً كرة قدم هجومية رائعة. يذكر مقال افتتاحي في صحيفة كلارين «كانت مشاهدتهم يلعبون متعة». «لقد ملأت كرة القدم الساحات الأرجنتينية وأعادت البسمة إلى السكان بعد 45 عاماً على إيقاع التانجو». لقد كانوا بارعين، فحين ألحقوا الهزيمة بروزاريو سنترال 5–0، صفق لهم مشجعو الفريق المنافس، يقول لاعب الهجوم لهم: «كان الفريق متناغماً مع الذوق العام للأرجنتينيين». «كان هناك سيل، تحركات بلمسة واحدة، قبعات عريضة [وهي خدعة تتضمن رفع الكرة فوق رأس الخصم]، استلام وتسليم، رفعات (للكرة)».

بعد كأس العالم 1974، الذي ألحقت فيه هولندا الخزي بالأرجنتين، كان مينوتي مدرباً للمنتخب القومي، والمفارقة، بطبيعة الحال، في القبول الكبير لهذا التحول الإيديولوجي الذي حدث في البيئة السياسية والذي كان هناك خلاف كبير معها. تمت الإطاحة بإيزابيل بيرون في إنقلاب حدث عام 1976 وحل محلها مجلس الجناح الأيمن العسكري الذي قام بقمع المعارضة بوحشية.

ديكتاتورية الجناح الأيمن لأونجانيا أدت إلى ظهور العنف في الرياضة وإهمال المواهب، وكانت العلاقة بين كرة القدم والحكومة العسكرية في أواخر السبعينيات أكثر تعقيداً. وفي هذا، أولى مينوتي اهتماماً بالعودة، على نحو واعٍ بالذات، إلى العصر الذهبي المفقود- «انتصارنا هو بمثابة تكريم للكرة الأرجنتينية القديمة والمجيدة». هذا ما قاله بعد كأس العالم 1978- كان يدافع عن محافظة الجنرالات، وهكذا، بالإضافة إلى حقيقة أنه كان ناجحاً، فقد عوقب على تلك النظرة العالمية التي تعارض كلياً إيديولوجية المجلس العسكري.

الطريقة التي استُغلَ بها فوز عام 1978 بلا شك جعلت مينوتي غير مرتاح، ولقد تناول القضية بالتفصيل في سيرته الذاتية «كرة دون مراوغا». Football without Tricks. ويتساءل ما الذي يتوجب عليه فعله، «لتدريب فرق تلعب بشكل سيئ، هل يعتمد كل شيء على الحيل، هل في ذلك تضليل لأراء الناس، بالطبع لا»، وحاول أن يبرهن أن كرة القدم التي يقدمها حرة ومبدعة، فهي بمثابة تذكرة بالأرجنتين الحرة المبدعة التي كانت موجودة قبل المجلس العسكري.

وفي النهاية، كان ذلك لإضفاء صبغة مثالية على فريقه. والواضح أن إيمانه بالمهارة لم يصل إلى حد منح دييجو مارادونا البالغ من العمر 17عاماً مكاناً في الفريق، ورغم ذلك فقد منحه فرصة الظهور على المستوى الدولي تقريباً قبل عام. ربما تكون المقارنة بفيولا ومعاملته لبيليه قبل 20 عاماً غير عادلة، لكن لا يمكن التغاضي عنها. نعم يعني اللعب بالتشكيل 4–3–3 الهجومية، مع التقدم المباشر لماريو كيمبس، وليوبولدو لوك، وأوسكار أوترز، إضافة إلى حيل أوزفالدو أرديلز، والتألق غير العادي لرينيه هاوسمَن أن كرة القدم التي يقدمونها كانت أحياناً مثيرة، ولكنها لم تكن بطريقة لانسترا.

ذهب أبراهام أبعد ليشير إلى مستوى النفاق على جانب مينوتي، يقول: «ألقى خطبة تقليدية»، «لكن في عام 1978 حبس اللاعبين في مختبر لشهور،

مباراة الأرجنتين وهولندا 2 -1، نهائي كأس العالم، إلمونيومنتال، بينوس آيريس، 25 يونيو 1978.

دون نساء، يتناولون الفيتامينات... [ويلعبون] بوتيرة اللعب حين يذهبون للملعب الريفَر. حتى إن المجريين قالوا إنهم يبدون بائسين. «هُزِمَت المجر 2–1 في المومينتال في مباراة الأرجنتين الأولى في الدورة، لقد أصابهم الإحباط بسبب مجموعة من الأخطاء التي طرد بسببها تيبور نايَلَزي، وأندراس توروكسيك ليثأروا في الثلاث دقائق الأخيرة- تقريباً الشيء الوحيد الذي كان يجمع بين المتنافسين العظيمين في مواصلتهم التقدم. ويواصل أبراهام قائلاً: «قام مينوتي بإعداد اللاعبين بدنياً، بالإضافة إلى التحسينات الفنية»، «لكن حديثه كان كما يلي: الشيء المهم هو الشعور بالكرة، تمريرها، والضغط عليها، وتربيتها.»

قد يكون إضفاء تحسينات على التنظيم الدفاعي والإعداد النفسي ربما على مستوى معين من التوافق بين الجانب العلمي والجانب الفني واقعياً في نهاية الأمر، لكن من الصعب إنكار أن نجاح الأرجنتين تحقق بقدر من الخديعة، الأكثر خزياً، أن هناك مباراة في المرحلة الثانية ضد بيرو. وأشارت التقديرات الخاطئة إلى أن الأرجنتين في حاجة إلى إحراز ثلاثة أهداف، في حين أنهم كانوا في حاجة إلى إحراز أربعة على الأقل للوصول إلى النهائي، لقد فعلوا ذلك وأكثر بفوزهم 6–0 لكن النتيجة كان يشوبها الشك دائماً.

في عام 1986، أوردت صحيفة صن تايمز شهادة أحد الموظفين المدنيين– ولم تذكر اسمه– أن الحكومة الأرجنتينية قامت بشحن 35,000 طن من الحبوب– ومن المحتمل بعض الأسلحة– إلى بيرو، وأن البنك المركزي الأرجنتيني قام بالإفراج عن أصول بيروفية مجمدة تُقدر بـ50 مليون دولار، ولكن من الصعب إثبات ذلك، والحقيقة أن الموضوع نُشِرَ في اليوم الذي واجهت فيه إنجلترا الأرجنتين في كأس العالم في الدور ربع النهائي، ولا يوحي ذلك بأن الموضوع تم بحثه بدقة، وأن الصحافة نزيهة.

والمشكوك فيه أن أي شخص شاهد المباراة مصورة وهو على غير علم بسياق

الموضوع سوف يرى أي شيء غير مرغوب فيه. قام وان جوزيه ميوفيانت بركل الكرة لتصيب عارضة بيرو مبكراً، في حين أن حارس مرماهم رامون كويروجا، الذي وُلِدَ في الأرجنتين والذي سيُلقى عليه اللوم كثيراً فيما بعد، قام بإنقاذ المرمى مرات عديدة، وإذا كانت المباراة متفقاً عليها حقاً، فقد بدا الأمر كما لو أن أحداً لم يخبر بيرو حتى منتصف الشوط الأول. وفقدت بيرو الروح بعد ضربة رأس البيرتو تيرانتيني، التي جعلت النتيجة 2–0 قبل نهاية الشوط الأول. ولم يكن ذلك مستغرباً، فقد كانوا خارج المباراة. ودب صدام بين 37,000 شخص في أرويوتو Arroyito خلق جواً من الرعب، ومرور الأرجنتين كان يُستشعَر من حين إلى آخر. جاء هدف كيمبس عبر قذيفة لتصبح النتيجة 3–0 وهدف لوكس السادس المتأخر بعد رشقات نارية في لعب رائع.

أينما كان هناك سوء تصرف– ألاعيب، غش، أياً كانت الكلمة المستخدمة– كان النهائي ضد هولندا. كانت الحافلة التي تُقِل الفريق الهولندي تتخذ طريقاً غير مباشر عمداً حين تنقلهم من الفندق إلى الاستاد، وتُرِكت الجماهير لتحتشد حوله، وأخذوا بالطرق على النوافذ، والصياح، وقد قاموا بخلق جو من الرعب بشكل عام. تأخر وصول فريق الأرجنتين إلى أرض الملعب قبل ضربة البداية، تاركين الهولنديين واقفين في الملعب، وقد صبَّ عليهم الجمهور جام غضبه تماماً، وحين ظهروا أخيراً، قاموا بالاحتجاج على الجبيرة الموجودة على ذراع رينيه فان ديركيرشوف. وكان يرتديها دون شك طيلة الدورة، لقد كان غرضهم الوحيد هو محاولة تشويش خصومهم. كان الحكم الإيطالي سيرجيو جونيلا ضعيفاً، وفيما يبدو أن الأرجنتينيين قد استفادوا من عدد من القرارات، لكن بعد أن أرتدت كرة روب رينسنبرنك من العارضة في الدقيقة الأخيرة، منحهم هدف كل من كيمبس ودانييل بيرتوني في الوقت الإضافي الفوز باللقب.

الفوز للأرجنتين، الفوز للمجلس العسكري، الفوز لمينوتي، مع تشويه قليل، مع تعديل بسيط للعصر الحديث، والنصر لتصورات لانسترا.

الفصل الثاني عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

الكرة الشاملة

أحياناً يكون العالم مهيأً للابتكار، فكما توصل نيوتن ولايبنتس لنظرية التفاضل والتكامل كل على حدة، في الوقت نفسه تقريباً، توصل رينوس ميشيلز وفاليري لوبانوفسكي على جانبين متقابلين من أوروبا إلى الفكرة ذاتها حول الطريقة التي ينبغي أن تلعب بها كرة القدم. وكانت اللعبة من وجهة نظرهم تتلخص في المساحات وكيفية السيطرة عليها وتوسيعها عند استحواذ الفريق على الكرة حتى يمكن الاحتفاظ بها فترة أطول. وكيف يضيق الفريق المساحات حين يفقد الكرة حتى يجعل احتفاظ المنافس بها مهمة صعبة...

وشجع المدربان اللاعبين على تبادل المراكز، وكلاهما اعتمد على قدرة اللاعبين في تغطية بعضهم. وكلاهما أبدع جوانب جعلت كرة القدم لعبة مبهجة، وكان ذلك هو التطور المنطقي للأسلوب الروسي في الأربعينيات أو المجري في الخمسينيات، ولقد كان كذلك بالتأكيد بالنسبة إلى الأخير، إذ كثيراً ما تقارن الكرة الهولندية بالمجرية، لكن الذي أتاح لأياكس ودينامو فعل ذلك هو تطبيق قوي لمصيدة التسلل، وكان الضغط على الخصم عاملاً أساسياً، لكن لم يعتمد عليه سوى في منتصف الستينيات أو أواخرها.

وبالنسبة إلى لاعبين هواة كان الضغط مستحيلاً، وتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً وحركة مستمرة تقريباً ومستويات شديدة الارتفاع من اللياقة. وبحلول الوقت الذي ظهر فيه ميشيلز ولوبانوفسكي كان العجز الناجم عن سنوات الحرب قد انتهى، والتغذية جيدة والعلوم الرياضية (المشروعة وغير المشروعة) قد تطورت بما يكفي لجعل اللاعبين قادرين على الجري تسعين دقيقة، وكانت

هذه مرحلة من تطور كرة القدم نابعة من تحسن القدرات البدنية بالقدر نفسه الذي تأثرت فيه بتطور النظرية.

ويصعب الآن تخيل كيف كانت أمستردام في سنوات ما بعد الحرب، في ضوء سمعتها الحديثة كمدينة ليبرالية وجامحة، ولا يمكن إنكار حدوث تحول في الطبيعة البوهيمية للمدينة إلى الطابع التجاري، لكن المدينة ما زالت قادرة على احتضان الأفكار الثورية، ولم تكن المدينة كذلك في الخمسينيات. ففي رواية «السقوط» The Fall التي نشرت عام 1955 وصف ألبير كامو مدى ملله من أمستردام حين قال: «على مدى قرون كان مدخنو البايب يشاهدون الأمطار نفسها تتساقط في نفس القناة».

وكانت الكرة الهولندية بالرصانة ذاتها، فالشوارب وتصفيفات الشعر الفيكتورية للاعبي النوادي الأولى التي أغرمت بالنوادي الإنجليزية كانت أموراً ربما قد ولت بحلول الخمسينيات، لكن الأسلوب ظل قديماً، وكانت النتيجة أن المنتخب الوطني الهولندي صار أضحوكة، وبين فوز 1/4 على فنلندا في يونيو 1949 وآخر بـ1/صفر على بلجيكا في أبريل 1955 لعبت هولندا 72 مباراة دولية، ولم تفز سوى في مباراتين، وتواطأ الفريق مرتين للخسارة من النرويج، فعندما سحقت إنجلترا هولندا 2/8 في إستاد هدرسفيلد في 1948، كان المنتخب الهولندي لايزال يستخدم طريقة لعب 2–3–5 رغم أن تشكيل الظهير الثالث (المعروف باسم دبليو إم) كان قد أصبح هو السائد منذ فترة طويلة، مما جعل المهاجم الإنجليزي تومي لاوتون الذي سجل أربعة أهداف في ذلك اليوم يقول: «لم تتح لي هذه المساحات قط».

وكان ظهور قدر محدود من الاحترافية في 1954 هو الحافز الرئيس لصعود كرة القدم الهولندية في الستينيات، لكن ذلك لا يفسر سبب القفزة بهذا الشكل، وساعد على ذلك أن الهولنديين أسقطوا مرحلة اللعب بظهير ثالث

من تطورهم، ويعني هذا أنهم لم يتبعوا قط أسلوب المراقبة الصارمة رجلاً لرجل، وكان من حسن حظهم أيضاً أن أساتذتهم الأوائل أنفسهم كانوا يبدعون خارج ضغوط هيكل الدوري، وربما يجد القارئ المعاصر أن من المدهش أن يكتب براين جلانفيل Brian Glanville عن «شرور الدور». لكن ذلك يفسر ازدهار كرة القدم في كثير من الدول الأوروبية على أيدي المدربين البريطانيين المتنورين، وربما لم يكن الأمر أنهم أنفسهم كانوا سابقين لعصرهم في التفكير على الرغم من حقيقة أنهم كانوا مستعدين للهجرة، ويدل ذلك في حد ذاته على قدر من الفكر المتفتح لكن البيئات الجديدة التي وجدوا أنفسهم فيها أتاحت لهم تنفيذ تجارب كان ينظر إليها في إنجلترا أنها طرق مثالية للغاية لا يمكن تنفيذها.

وكان جاك رينولدز هو الأب المؤسس لكرة القدم الهولندية، وعلى الرغم من أنه كان في أحد الأيام لاعباً احتياطياً في مانشستر سيتي فإنه مثل كثير من المدربين العظماء سعى وراء مستقبل أبعد ما يكون عن النجومية كلاعب، إذ انتقل من جريمسبي تاون إلى شيفيلد وينزداي ثم إلى واتفورد، وفي 1912 انتقل رينولدز إلى سويسرا ليصبح مديراً فنياً لفريق سانت جالين، وكان من المنتظر أن يتولى تدريب المنتخب الألماني عندما اندلعت الحرب في 1914، ولجأ رينولدز إلى هولندا وعين مديراً فنياً لفريق أياكس للمرة الأولى في 1915، وعلى مدار الاثنتين وثلاثين سنة التالية أمضى رينولدز 25 عاماً في أياكس على ثلاث فترات منفصلة، وكان أول رحيل له عن النادي بسبب خلاف مع مجلس الإدارة والثاني بسبب الحرب العالمية الثانية التي احتجز خلالها في معسكر اعتقال توست في سيليزيا العليا وهو مستشفى للأمراض العقلية سابقاً، وهناك مكث رينولدز مع الكاتب بي.جي وودهاوس الذي تم القبض عليه في منتجع لوتوكيه الفرنسي، وقال وودهاوس: «كتب صحفي من إسوشيتد برس جاء لمقابلتي لاحقاً في

مقاله: إن مستشفى توست للأمراض العقلية لم يكن قلعة بلاندينجز، حسناً فبالطبع لم يكن كذلك، لكنه رغم ذلك كان فسيحاً، فإذا كان لديك قطة وأردت أن تلاعبها على أرجوحة فقد تتمكن من فعل هذا بكل سهولة».

وعندما عاد رينولدز إلى أمستردام في 1945 أصبح رئيساً لميشيلز وكانت أوجه الشبه بين أسلوب كل منهما في الإدارة واضحة، وكان رينولدز مؤدباً صارماً ويعتقد بأهمية الأسلوب، وكان يشجع لاعبيه على التدرب بالكرة، كما أنه وضع الأسس لنظام الناشئين في أياكس، وكان من المعتاد أن يعمل 14 ساعة يومياً لضمان أن الفرق في كل المراحل لعبت كرة القدم بالأسلوب نفسه، لقد حول ما كان فريقاً صغيراً إلى فريق ذي أهمية وطنية، وحافظ في الوقت نفسه على الروح الهجومية. وقال في مقابلة عام 1946: «الهجوم من وجهة نظري هو أفضل طريقة للدفاع». وكانت فلسفة أياكس مصبوغة ببيتين شعريين من الثلاثينيات: «مباراة مفتوحة مباراة مفتوحة/ لا يمكنك تجاهل الجناح».

كانت هذه هي البذور، لكنها لم تبدأ الإنبات حتى جاء فكتور بكنجهام Vic Buckingham في 1959– وكان بكنجهام قد لعب في فريق توتنهام هوتسبير مثل آرثر روي وورث– بالأفكار نفسها عن قيمة التمرير والتحرك في كرة القدم والاحتفاظ بالكرة بدلاً من لعب الكرة الطولية. وقال في مقابلة عام 1993 مع ديفيد وينر في كتابه «البرتقالي العبقري»Brilliant Orange: «الاحتفاظ بالكرة هو المهم وليس الركل والجري. والاعتماد على الكرات الطولية شديد الخطورة. وما يجدي غالباً هو المهارات الواعية. فإذا حصلت على الكرة احتفظ بها.. ولن يتمكن المنافس من التسجيل».

واكتشف بكنجهام أن معتقداته الشخصية تبلورت مع ما وجده في أياكس، وقال: «كانت كرة القدم الهولندية جيدة، فلم تكن تعتمد على العقلية الجافة الخشنة التي يتعين عليها الفوز، وكانت تفكيرهم ومهاراتهم مختلفة ولعبوا

كرة قدم جيدة، ولم يتعلموا ذلك مني فقد كان هذا الأسلوب موجوداً من قبل وكان ينتظر فقط من يحركه.. كان الأمر فقط أني أطلب منهم الاحتفاظ بالكرة فترات أطول، وأعتقد دائماً أن الاحتفاظ بالكرة تسعة أعشار اللعبة، وأياكس كان يعتمد على الاحتفاظ بالكرة.. سيطرت عليهم لكنهم واصلوا طريقهم وفعلوا أشياء أكثر مما طلبته جعلتني سعيداً، فعلى سبيل المثال يجري اثنان منهم في الجانب الأيسر من الملعب يمرران الكرة بينهما مسافة 30 ياردة ويأخذان معهما ثلاثة مدافعين لخلق مساحات كبيرة».

وكان بكنجهام مخلصاً لطريقة الظهير الثالث، وكانت هذه- وإن بدت إحدى الاشتقاقات الأكثر سلاسة من طريقة الظهير الثالث التي كانت سائدة في بريطانيا في ذلك الوقت- هي طريقة اللعب التي فاز بها أياكس بلقب الدوري الهولندي في 1960 إذ لعب بأسلوب هجومي وبلغ متوسط التهديف للفريق 3,2 أهداف في كل مباراة، ورحل بكنجهام بعد موسمين لينضم إلى شيفيلد وينزداي، وعندما عاد في 1964 كافح ليعيد نجاحاته السابقة، وبحلول يناير 1965 كان أياكس يكافح قرب منطقة الهبوط، وأقيل بكنجهام وحل محله ميشيلز الذي كان قد درس في الأكاديمية الرياضية بأمستردام بعد اعتزاله اللعب في 1958 وقام بالتدريس في مدرسة محلية قبل أن يصبح مدرباً لفريق الناشئين بنادي يو.أو.إس (JOS) ولدى عودته إلى النادي الذي قضى فيه معظم حياته لاعباً، كانت نظرته قد تغيرت تماماً شأنه في ذلك شأن لوبانوفسكي، ويقول وينر: إن ميشيلز اللاعب كان «فناناً سلساً على أرض الملعب» أما كمدرب فقد كان مختلفاً تماماً كما يقول بوبي هارمس Bobby Haarms الذي شغل منصب مساعد المدرب في أياكس لفترة طويلة. وقال: «كان أهم شيء بالنسبة إليه الآن هو الانضباط؛ الانضباط الرائع، حتى مع مساعدي المدرب كان مثل مدرب الحيوانات».

وأبقي ميشيلز أياكس في الدوري في موسمه الأول وفاز باللقب في الموسم الثاني، وعلى الرغم من أن الفريق لعب كرة جذابة وسهلة فإنه لم يكن هناك حديث بعد عن أسلوب الكرة الشاملة في هذه المرحلة، ولم يسجل ميشيلز كيف وصل للطريقة التي يعتقد أنه ينبغي أن تلعب بها كرة القدم. وقال: «في البداية لا تكون لديك فكرة محددة عن الأهداف التي ستسعى وراءها». كانت مهمته الأولى هي النجاة من الهبوط. وقال: «حتى أفعل ذلك كان أشد ما أحتاجه هو تغيير روح الفريق وكان علي أن أغير الفريق أيضاً من الناحية التكتيكية، بالطبع تطوير روح الفريق وتطوير الجوانب التكتيكية، وقد استمر ذلك».

وغير ميشيلز طبيعة التدريب وأعطى الأولوية للتدريب بالكرة أكثر مما كان رينولدز يفعل، وبذلك وضع الهياكل التي ستنتج المهارة الفنية التي أصبحت السمة الأساسية لأداء أياكس، والأمر الأهم أنه طور إدارة النادي حتى إنه بحلول نهاية موسمه الكامل الثاني مع الفريق كان كل لاعب في الفريق محترفاً تماماً ويستطيع الالتزام بجدول الحصص التدريبية، وكان أول تغيير أجراه من الناحية الفنية هو ترك أسلوب الظهير الثالث واللعب بأسلوب 4–2–4 في ظل وجود بيت كايزر ويوهان كرويف وسجاك سوارت وهنك جروت في الهجوم، وبيني مولر صاحب الأسلوب الدفاعي إلى جانب كلاس نونينجا اللاعب المهاري في وسط الملعب.

ولم يكن هذا في حد ذاته تغييراً جذرياً إلا أنه كان جزءاً من توجه أوسع نطاقاً انتشر في أوروبا في السنوات التي تلت كأس العالم 1958. لكن التغيير الجذري كان قد اقترب. وكانت أمستردام في الستينيات كما يقول البريطاني تشارلز رادكليف «عاصمة تمرد الشباب». وكان تأسيس دولة الرفاه بعد الحرب والرخاء المتنامي في أوروبا قد أديا– كما في مناطق أخرى– إلى اختفاء معالم الفئات التقليدية من المجتمع. وأصبح الفن والثقافة ذوا طابع طليعي

بشكل متزايد. وفي ديسمبر 1962، شهدت أمستردام أول «حدث مهم» وهو الحفل الذي ألقى فيه الشاعر سايمون فينكينوج قصيدة «افتح المقبرة»، وأكد أن «الانتصار على الطرق القديمة يبدأ في أمستردام؛ المركز السحري».

وفي منتصف العقد كان المناخ العام في أمستردام يشع بالسريالية واللاسلطوية وسط مظاهرات منتظمة من حركة البروفو الذين يرتدون الملابس البيضاء ضد الاستهلاكية، وكان أبرز الأمور هو رد فعل الحركة في 1966 على زواج الأميرة بياتركس من كلاوس فون أرنسبرج الأرستقراطي الألماني الذي خدم في الجيش الألماني، وأعلنت الحركة أنها ستحاول إفساد مراسم الزفاف وروجت شائعات عن عدد من الطرق المبتكرة التي ستتبعها للقيام بذلك، وقيل: إنه سيتم وضع عقاقير الهلوسة في إمدادات المياه، وإنه سيتم نشر فضلات الأسود في الشوارع لتخويف الجياد التي تجر عربات موكب الزفاف وإنه سيتم ضخ غاز الضحك في الكنيسة. ولم تسفر الاحتجاجات في النهاية عن أكثر من مجرد إطلاق قنابل دخان في شارع رادهيوستراد، لكن ذلك كان كافياً. وانتاب الذعر الشرطة التي بدأت تضرب عناصر حركة البروفو بالهراوات في رد فعل مبالغ فيه كما كانت عادة الشرطة دائماً عند التعامل مع حملات البروفو. وكانت أحداث مشابهة قد وقعت من قبل، لكنها لم تكن أبداً على هذا النطاق الواسع ولا مذاعة تلفزيونياً على الهواء مباشرة، وذعر المشاهدون، وعندما أدى إضراب احتجاجاً على أجور العطلات بعد ثلاثة أشهر إلى أعمال شغب مشابهة بدأت سلوكيات الجماهير في التغير.

وأدى تحقيق في أعمال الشغب إلى عزل رئيس بلدية المدينة وقائد الشرطة. وقررت السلطات أن أفضل طريقة للتعامل مع الشبان المتمردين هي التسامح، وفي غضون عامين أصبح ميدان «دا» مخيماً للهيبيز الأجانب واشتهرت شرطة أمستردام أنها الأكثر تساهلاً في أوروبا. ولم يكن صدفة اختيار جون لينون

ويوكو أونو فندق هيلتون أمستردام في سنة 1969 للاحتفال بزواجهما باعتصام في السرير لمدة أسبوع.

ومعظم حكايات ميشيلز عن أياكس ترفض الربط بين الثورة الثقافية وثورة كرة القدم. ومن الصعب ألا نتفق مع وينر عندما خلص إلى أن ثمة علاقات بينهما حتى إذا لم تمتد إلى أبعد من الثقة بالنفس، التي جعلت الناس على استعداد للتشكيك في المبادئ التقليدية، ولم تكن الهياكل والتقاليد تقبل وإنما تتحدى.

وفي أثناء ذلك يأتي كرويف الذي اتضح أنه قائد الفريق، فقد أصبح كرويف الشاب المتمرد -الذي لم يكن يخجل من أن يضمن لنفسه الراتب الذي يستحقه (وهذا نتاج انعدام الطبقية الجديد)- رمزاً لحركة الشباب الهولندي المزدهرة في ذلك الوقت. وكما وصفه كارل جابلر Karel Gabler المدرب السابق لفريق الناشئين بنادي أياكس: كان كرويف في هولندا يوازي لينون في بريطانيا. وفي سنة 1997، كتب الصحفي هوبرت سميتس في مجلة «هارد جرا» Hard Gras. بمناسبة عيد ميلاد كرويف الخمسين: «كان كرويف أول لاعب يفهم أنه فنان، وأول من استطاع تنظيم فنون الرياضة كفن جماعي».

ولم يكن كرويف عضواً في جماعة البروفو- وكان تحفظه بشأن أمور مثل القيم الأسرية يتعارض تماماً مع معتقدات البروفو- إلا أنه قاسمهم موقفاً غريباً ولاسلطوياً حباً في استفزاز المؤسسة الرسمية، ومن أشهر قصصه أنه رفض ارتداء قميص أديداس ذي الأشرطة الثلاثة على أكمامه أثناء كأس العالم 1974 احتراماً لعقده مع بوما، إذ أصر على ارتداء قميص خاص يحمل شريطين فقط، ويمضي سميتس قائلاً: «الهولنديون يكونون في أفضل أحوالهم عندما يمكنهم الجمع بين النظام والإبداع الفردي، ويوهان كرويف أبرز رموز هذه الفكرة. لقد صنع دولته بعد الحرب، أعتقد أنه كان الشخص الوحيد الذي فهم فترة الستينيات».

ويقول وينر: فكرة الفردية في إطار النظام هي إحدى سمات هولندا في ذلك الوقت. وكتب المهندس المعماري الدو فان إيك مثلا يقول: «يجب أن تأتلف كل النظم مع بعضها لتتيح إدراك أثرها المشترك وتفاعلها كنظام واحد معقد». وكان فان إيك يقصد الهندسة المعمارية على وجه التحديد. لكن كلماته تصلح لوصف كرة القدم التي كان يقدمها أياكس تحت قيادة ميشيلز.

ولم يظهر مصطلح «الكرة الشاملة» إلا كاستجابة لأداء المنتخب الهولندي في كأس العالم 1974. لكن كلمة «الشاملة» استخدمت في مجموعة كبيرة من المجالات الأخرى. وتحدث مهندس معماري آخر هو جيه بي باكيما JB Bakema الذي كان يكتب لمجلة «فور». الشهيرة عن «التمدن الشامل» و«البيئة الشاملة» و«الطاقة الشاملة». وقال باكيما في محاضرة ألقاها سنة 1974: «لفهم الأشياء عليك أن تفهم العلاقة بينها..في وقت ما كانت أعلى صورة للعلاقات البينية في المجتمع تعبر عنها كلمة «الرب». وأتيح للإنسان استخدام الأرض والمساحة العالمية بشرط أن يعتني بما يستخدمه. وعلينا أن نجعل هذا النوع من الرعاية والاحترام حقيقة، بعدما اقترب الإنسان بوعيه من ظاهرة العلاقات المتداخلة التي تسمى علاقات الذرات. وأصبح الإنسان واعياً بأنه جزء من نظام طاقة شامل». وكما في الهندسة المعمارية- وفي مجموعة كبيرة من المجالات الأخرى حينئذ مثل النظرية الأدبية والسيموطيقية لرونالد بارت Ronald Barthes والنظرية الأنثروبولوجية لكلود ليفي شتروس Claude Levi-Strauss ونظرية التحليل النفسي لجاك لاكان Jacques Lacan- كان الوضع في كرة القدم. ففي داخل نموذج أياكس، كان اللاعب يكتسب معنى ومغزى من علاقاته بسائر اللاعبين. والتلميح إلى أن هذا ما كان ليحدث دون تراجع في الايمان ربما يكون قفزة نظرية بعيدة للغاية، لكن مرة أخرى من الصعب ألا ترى رابطاً بين كرة القدم الهولندية والروح الفكرية في هذه الفترة، وربما

كانت مصادفة محيرة أن يصعد نجم أعظم مثالين للنظام كقوة هجومية وهما أياكس ودينامو كييف في هولندا والاتحاد السوفيتي اللذين يمكن القول إنهما أكثر مجتمعين علمانية في العالم في ذلك الوقت.

وظهرت البوادر الأولى على أن شيئاً له طابع خاص على وشك الظهور في أياكس عام 1966 حينما فاز على ليفربول 1/5 في استاد دي مير بالجولة الثانية من الكأس الأوروبية، وكانت النتيجة مفاجئة لدرجة أن ادعاء بيل شانكلي بأن ليفربول سيفوز 7/صفر في أنفيلد أخذ على محمل الجد، لكن هدفين من كرويف ساعدا أياكس على التعادل بنتيجة مريحة 2/2 في مباراة العودة، بيد أن ضعف الفريق ظهر في الدور ربع النهائي أمام دوكلا براج إذ تعادل أياكس 1/1 على ملعب دي مير ثم هزم 2/1 في تشيكوسلوفاكيا. وحينها أظهر ميشيلز للمرة الأولى قسوته وتم نقل توني برونك Tonny Pronk الذي ارتكب خطأ تسبب في ركلة جزاء في مباراة الذهاب من الدفاع إلى وسط الملعب، بينما بيع قائد الفريق وقلب الدفاع فريتس سويتيكوف الذي أحرز هدفا في مرماه لفريق بي.في.إس إيندهوفن.

وعلى الرغم من أن أياكس اشتهر بأسلوبه الهجومي، بدأ ميشيلز عملية التأسيس من الخلف، وجاء بالظهير الحر المخضرم فيليبور فاسوفيتش من بارتيزان بلجراد ليحل محل سويتيكوف إلى جانب هولشوف. وفاز أياكس بلقب الدوري الهولندي أربع مرات بين عامي 1966 و1970، وخسر أيضاً في نهائي الكأس الأوروبية أمام الميلان الإيطالي في سنة 1969. وكان هذا هو الإنجاز الذي راود مخيلة الجماهير الهولندية، إذ سافر أكثر من 40 ألف مشجع إلى باريس لمشاهدة مباراة فاصلة أمام بنفيكا بعدما عاد أياكس من تأخره 3/1 في المباراة الأولى على أرضه ليتعادل 4/4 في مجموع المباراتين بالدور ربع النهائي.

وكانت طريقة اللعب في هذه المرحلة لاتزال تنويعة معدلة على طريقة

4–2–4، ومع تراجع فاسوفيتش عن باقي المدافعين ثم تقدمه كلاعب ثالث في وسط الملعب، ظلت إمكانية معاناة الفريق من نقص عددي في وسط الملعب قائمة. وبعدما تغلب الأرسنال على أياكس 3/0 في هايبري في نصف نهائي كأس المعارض «فيرز كاي» سنة 1970، وصف بيرتي مي Bertie Mee لاعب الأرسنال أياكس بأنه «فريق هواة». وكان الفريق يتسم بمثالية دفعته إلى حد السذاجة. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر، تعادل أياكس 3/3 مع فينورد، وعندها خلص ميشيلز إلى ما أدركته البرازيل قبل ثماني سنوات وأدركه فيكتور ماسلوف وألف رامسي بعدها بقليل– وهو أن لعب الفريق بأربعة مهاجمين قد يجعل استعادته للكرة مسألة صعبة.

وكان فينورد نفسه في طريقه لكأس أوروبية بقيادة أرنست هابل الذي كان لاعباً في المنتخب النمساوي الذي حل ثالثاً في كأس العالم 1954، وكان هذا الفريق هو آخر من يستخدم لاعب الوسط بنجاح، لكن هابل لم يكن ممن يغرقون في الماضي وكان قد تحول إلى اللعب بطريقة 4–3–3، وكان رينوس إسرائيل ظهيراً حراً شرساً بينما ذهبت الواجبات الإبداعية في وسط الملعب إلى فيم فان هانيجيم وكان يجاوره النمساوي فرانك هازيل وفيم يانسن مع دفعات هجومية قوية من السريع كوين مولين من الجناح الأيسر. وقال ثيو فان دويفينبود الذي لعب في مركز الظهير الأيسر في أياكس عندما خسر الفريق نهائي كأس أوروبا أمام الميلان عام 1969 قبل أن يباع لفينورد؛ لأن ميشيلز اعتبره سهل الاختراق: «كان ميشيلز خبيراً في التخطيط والتكتيك قبل المباراة وإعداد اللاعبين نفسياً وذهنياً، لكن هابل كان يجيد تشريح المباراة، وكان يدرك الأمور بسرعة لدرجة أنه كان يقوم بتغييرات من على دكة البدلاء بعد مرور بضع دقائق فقط من اللعب، لم يكن لدى هابل في فينورد لاعبون متميزون فردياً كما كان لميشيلز في أياكس ولذا كان يركز على تفاصيل تكتيكية أكبر، وأفرز فريقاً أكثر

تعاوناً، وربما لم تكن لديه مواهب كبيرة لكن الفريق كان جماعياً للغاية».

وجعل هذا فينورد فريقاً مملاً لكنه لم يكن كذلك بل كان فقط يلعب بأسلوب أقل سلاسة من أياكس، ورغم كل شيء أقنع هذا التعادل ميشيلز وتحول أياكس من 4–2–4 إلى 4–3–3 مع تقدم فاسوفيتش كلما أمكن لتتحول إلى 3–4–3 الأمر الذي جعله يترك اثنين من المساكين للتعامل مع مهاجمي الخصم بالإضافة إلى لاعب ثالث للتغطية. وقال فاسوفيتش: «لعبت كرجل أخير في الدفاع في مركز الليبرو، وكان ميشيلز يضع خططاً هجومية للغاية، وناقشناها وكنت أنا إلى جانب ميشيلز مهندس أسلوب الدفاع الشرس».

لم يكن فاسوفيتش أبداً ممن يخفون مواهبهم وينبغي التعامل مع مزاعمه بقدر من التشكك لكنه كان رائداً كمدافع يتقدم من الخط الخلفي ليصبح لاعب وسط إضافياً، وهي فكرة ظلت مستمرة في الكرة الهولندية من خلال لاعبين في مركز الظهير الحر مثل هورست بلانكينبرج وأري هان في أواخر أيامه وداني بلايند وكان الخليط بين هذه الفكرة والضغط على الخصم الذي جعل هذا السلاح فعالاً.

ونبع الضغط على الخصم لدى أياكس من يوهان نيسكينز الشرس، فقد كان عادة ما يتولى رقابة صانع ألعاب الفريق المنافس، ووصفه هارمس بأنه «مثل طيار الكاميكاز». عندما كان يلاحقه كثيراً إلى عمق منطقة المنافس، ففي البداية كان باقي لاعبي أياكس يظلون في الخلف، لكن بحلول مطلع السبعينيات أصبح لاعبو أياكس معتادين على اتباع نيسكينز، وكان معنى ذلك أنهم يلعبون بخط دفاع متقدم للغاية مما يضغط المساحات التي يمكن للفريق المنافس اللعب فيها، وانطوى ذلك على مخاطر كبيرة لكن فاسوفيتش كان يتقن التقدم ليقع مهاجمو الخصم في مصيدة التسلل، وقد تطلب ذلك مهارة خاصة، ولقد جرب قلب الدفاع البرازيلي مارينيو بيريز بنفسه مدى الدمار الذي قد تشكله الطريقة

الهولندية في المباراة التي قاد فيها فريق بلاده البرازيل أمام هولندا في كأس العالم 1974 وخسرها صفر/2، إلا أنه رغم ذلك وجد من الصعب تعديل طريقة لعبه بعدما انتقل في 1974 إلى برشلونه، الذي كان يدربه في ذلك الوقت ميشيلز ويلعب في صفوفه كرويف ونيسكينز، وقال بيريز: «المدافعون في البرازيل لا يستطيعون التقدم للأمام بهذه الطريقة أبداً، وعندما ذهبت إلى برشلونة أراد ميشيلز من لاعبي قلب الدفاع التقدم لتشكيل خط التسلل، وكان هذا في البرازيل يعرف باسم خط الحمار؛ لأن الناس كانوا يظنونه سخيفاً، وكانت النظرية هي أنك إذا مررت من مدافع فقد مررت من كل المدافعين». وكانت هذه صفة ملازمة لكرة القدم البرازيلية منذ انفصل لاعبو قلب الدفاع في كأس أمريكا 1919 وظلوا في مفهوم اللاعب الرابع كما طوره ليتو (Lito) في فيلا نوفا: مع تقدم المدافع إلى الكرة يتراجع زميله لتغطيته.

ومضى مارينيو يقول: «ما قاله لي كرويف هو أن هولندا لا يمكنها اللعب أمام البرازيليين أو الأرجنتينيين أصحاب المهارة الكبيرة على ملعب كبير، فقد أراد اللاعبون الهولنديون تقليص المساحات ووضع الجميع في شريط ضيق، وكان منطق مصيدة التسلل يأتي من خنق اللعب، وكان هذا شيئاً جديداً تماماً بالنسبة إلي، ففي البرازيل يظن الناس أن بإمكانك لعب كرة ساقطة للأمام وأن يجري أحدهم ويخترق مصيدة التسلل، لكن الأمر ليس كذلك لأنه ليس لديك وقت».

لكن الضغط على الخصم كان له وظيفتان فهو لم يكن فقط لإحباط محاولات الخصم، يقول مارينيو: «في إحدى الحصص التدريبية تقدمت للأمام ووقع أربعة أو خمسة لاعبين في مصيدة التسلل، وكنت سعيداً لأنه كان مازال أمراً جديداً بالنسبة إلي وكنت أجده صعباً لكن ميشيلز جاء وصرخ في، وما كان يريده هو أن ندعم اللاعب الذي معه الكرة باللاعبين الإضافيين المتوافرين

لدينا؛ لأن بعض لاعبي الخصم كانوا قد خرجوا من اللعب بمصيدة التسلل، فكيف تصبح مصيدة التسلل خطة هجومية؟ إذا لم نستطع عندما نحصل على الكرة بهذا الموقف وخلق فرصة فإن المدافعين يتراجعون، مما يتيح مساحات في الملعب، لقد كان الأمر كله يتعلق بالمساحات».

فالنظرية التي يستعرضها وينر في كتابه Brilliant Orange تقول إن الهولنديين على وجه الخصوص يتقنون التحكم في المساحات؛ لأن الطبيعة الجغرافية المستوية التي كثيراً ما يغرقها الفيضان في بلادهم تجبرهم على التحكم في المساحات كل يوم في حياتهم العادية. وهي نظرية مقنعة ، وكما أن الكتاب الفينيسيين رأوا علاقة بين عبقرية شيندلر وإنتاجهم الأدبي فلا تبدو قفزة كبيرة أن ترى علاقة بين المهارة الدقيقة والباردة لدينيس بيركامب ومهارة بيت موندريان وهذا لا يعني أنهم فكروا في الكرة الشاملة مسبقاً.

وتحدث بكنجهام كيف أن في أيامه كان لاعبو أياكس قادرين على ممارسة ما وصفه بأنه «عادة لعب كرة القدم»: «يجد كل منهم الآخر بالفطرة، ولديهم إيقاع، اذهب من الجانب الأيسر للملعب إلى الأيمن لكن تقدم 30 أو 40 أو 50 ياردة أيضاً». إن ازدهار كرة القدم الهولندية في نهاية المطاف مع أياكس أولاً ثم مع المنتخب الوطني يبدو أنه لم يكن نتيجة أي خطة بقدر ما كان نتيجة الاستفادة من عملية تحدث بشكل طبيعي بين مجموعة من اللاعبين الأذكياء الذين لعب كل منهم بجوار الآخر فترة كافية في كثير من الأحوال لدرجة أن تصبح كرة القدم بالنسبة إليهم عادة، وقال سوارت: «عندما كنت أرى سورباير Suurbier يتقدم إلى الأمام كنت أعرف أن علي أن أعود إلى الخلف، ولم يكن على أحدهم أن يخبرني بذلك وبعد عامين كان كل منا يعرف ما عليه أن يفعله».

ولو قلنا: إن هذا كان يحدث بالصدفة فسنقلل بشكل غير منصف الدور

الذي لعبه كل من كرويف وميشيلز لكنهما كانا يتفاعلان مع الظروف أكثر من أنهما كما قال لوبانوفسكي يفرضان رؤية. حتى تبادل المراكز السريع الذي أصبح السمة المميزة لأداء أياكس، فقد تطور في بادئ الأمر كإجراء للتغلب على الفرق التي تدافع بكثافة في محاولة لمواجهة لعب أياكس الهجومي، وكان هذا إلى حد ما الدرس المستفاد من فوز سيلتك في نهائي كأس أوروبا عام 1967: الهجوم بكثافة هو أفضل وسيلة للتغلب على الدفاع المتكتل، وهو ما يعني أن يتقدم المدافعون لتوفير خيارات هجومية من العمق.

وقال ميشيلز: «في العام الرابع أو الخامس حاولت وضع قواعد رئيسة تعني أنه يمكننا مفاجأة هذه الحوائط قليلاً، وكان علي أن أترك لاعبي الوسط والدفاع يشاركون في بناء الهجمات والهجوم، وهذا أمر يَسهُل قوله، لكنه طريق شاق عند التنفيذ لأن أصعب شيء ليس أن تعلم قلب الدفاع أن يشارك في الهجوم لأن ذلك يروق له، لكن الصعب هو إيجاد لاعب آخر يغطي مكانه، وفي النهاية عندما ترى أن لديهم إمكانية التحرك فإن لعبة المراكز لهذا الفريق تجعل الجميع يتساءل: «هل يمكنني المشاركة أيضاً؟ هذا أمر في غاية السهولة، وعندها تكون قد وصلت إلى قمة التطور».

التحول إلى طريقة 4–3–3 جعل هذا التبادل للمراكز أكثر سهولة؛ لأنه كان يحدث عادة في أحد الجناحين أو في الوسط. ولذا تبادل سوربابير وهان وسوارت مراكزهم في الجناح الأيمن وفاسوفيتش (أو بلانكينبرج أو هولشوف) ونيسكينز وكرويف في الوسط ورود كرول وجيري مورين وكايزر في الجناح الأيسر. وقال هولشوف: «لم يستطع الناس اكتشاف أننا أحياناً كنا نفعل ذلك تلقائياً.. وهي مهارة تتأتى باللعب معا لفترة طويلة. فكرة القدم تصبح أفضل عندما تكون فطرية. هذه إحدى طرق اللعب ونحن تربينا عليها. والكرة الشاملة تعني أن اللاعب المهاجم يمكنه اللعب في الدفاع، وأنت

تخلق مساحات وتذهب إليها. وإذا لم تأت الكرة تترك هذه المساحة، وسيأتي لاعب آخر إليها».

وكان العنصر الثوري في هذا هو جعل تبادل المراكز طولياً وليس جانبياً. ففي نادي دينامو موسكو- الذي انتمى إليه بوريس أركاديف Boris Arkadiev- دخل الجناحان إلى وسط الملعب ولعب المهاجم على الأطراف. وظلت الخطوط الثلاثة- الدفاع والوسط والهجوم- ثابتة بوجه عام. وأزال المجريون العظام الخطوط الفاصلة بسحب رأس الحربة وإضفاء عمق على الشق الأيسر. ومع وصول طريقة 4-2-4، بدأ المدافعون يحصلون على مهام هجومية. لكن أياكس بقيادة ميشيلز كان أول فريق يشجع على تبادل المراكز على نطاق واسع ما أتاح لهم الضغط على الخصم. وفجأة لم يعد وجود مساحة 40 ياردة خلف آخر لاعب في الملعب يمثل ميزة في حد ذاته، لأنه بمجرد تلقي الخصم الكرة، تتم مطاردته بسرعة كبيرة، وهذا يجعل قدرته على التمرير الدقيق مستحيلة.

وقال سوارت: «كان يمكننا اللعب لعباً ضاغطاً مدة 60 دقيقة. ولم أر أي ناد في أي مكان آخر قادراً على ذلك». وفي غضون بضع سنوات كان دينامو بقيادة لوبانوفسكي يستطيع فعل ذلك. ولم يرتق أي ناد آخر إلى هذا المستوى. وهذا يثير تساؤلاً: كيف استطاعوا الحفاظ على هذه الكثافة لتلك الفترة الطويلة؟ فأياكس ودينامو استثمرا بقوة في علم الإعداد والعمل على البرامج الغذائية والتدريبية. لكن كليهما أيضاً تطلع إلى الوسائل الكيميائية.

وفي مقابلة مع مجلة «فريج نيديرلان». Vrij Nederland عام 1973 تحدث هولشوف عن أنه تلقى بعض العقاقير قبل مباراة فريقه مع ريال مدريد قبل ست سنوات. وقال: «أخذنا الحبوب ورشات الشوكولاتة. هذه الحبوب تجعلنا نشعر بأننا أقوياء كالحديد ولا نعاني انقطاع النفس. وعيبها الوحيد أنك تفقد كل لعابك بعد 35 دقيقة من المباراة، وكنت أشعر بأنني سأتقيأ».

وأقر سالو مولر الذي عمل مدلكاً في أياكس بين عامي 1959 و1972 بهذه الأمور في مذكراته التي نشرت سنة 2006 وكشف أن هولشوف وجوني ريب جاءا إليه وعبرا عن تخوفهما من الحبوب التي أعطاها لهما طبيب الفريق جون رولينك. وبعد فترة حصل مولر على الحبوب نفسها التي وزعها رولينك على رياضيين آخرين وحللها، وقال في مذكراته: «لم تكن النتائج مفاجئة لي. فقد تنوعت الحبوب بين المسكنات وحبوب إرخاء العضلات والحبوب المهدئة».

وحتى قبل الانضمام إلى أياكس، كان لرولينج تاريخ مع هذه الأمور. فجاءت أول فضيحة عقاقير ضربت الرياضة الهولندية في دورة الألعاب الأوليمبية بروما سنة 1960 حين أخذت سبّاحة وصفتين طبيتين من حقيبة زميلة لها بالفريق وأعطتهما للصحافة. وقال أحد الأطباء إن واحدة منهما شملت منشطات والأخرى كانت جزءاً من برنامج طبي لاستخدام العقاقير المنشطة. ووجد توقيع لرولينك على واحدة من الوصفتين. ولاحقاً، ترك الطبيب رولينك اتحاد الدراجات الهولندي بعد إقرار قواعد للرقابة على تعاطي المنشطات، وقال: أياكس كان سيرفض الامتثال إذا تم فرض قواعد الرقابة على المنشطات في كرة القدم الهولندية. ووصل الأمر إلى أن اعترف بأنه نفسه كان يتعاطى المنشطات عندما كان يعمل في أوقات متأخرة. وربما كانت برامج العقاقير المنتظمة للكتلة السوفيتية التي اجتذبت الاهتمام الأكبر، لكنها لم تكن الوحيدة.

وكان ميشيلز أبا «الكرة الشاملة» الذي أخذها معه إلى برشلونة. لكن أياكس لم يصل إلى ذروة الأداء إلا بعدما ترك ميشيلز أمستردام. وقال ذات مرة: أياكس استجاب لرحيله بوضع قائمة من 15 اسماً يحل صاحب أحدها محله. وانتهى الأمر بتعيين أرخص البدائل- ستيفان كوفاكس الروماني ذي الأصول المجرية الذي قاد قبلها ستيوا بوخارست للفوز بلقب الدوري مرة واحدة وكأس رومانيا ثلاث مرات في السنوات الأربع السابقة. ولعب كوفاكس فترة

مع نادي شارالیروي البلجيكي لكنه لم يكن قط مشهوراً في هولندا، وتلقى معظم الناس خبر مجيء الرجل الفكاهي القصير الممتلئ صاحب الشعر الرمادي بحيرة وريبة. ويقال إنه اشترى تذكرة ذهاب وعودة إلى أمستردام من رومانيا لأنه لم يكن يصدق أن إقامته في أمستردام ستطول.

ويفترض أن أحد اللاعبين سأل كوفاكس في أول حصة تدريبية: «ما رأيك في طول شعر اللاعبين». وقد رآه هدفاً سائغاً بعد أيام ميشيلز الصارمة، وهو سؤال أجاب عنه كوفاكس حين قال: «تم تعييني مدرباً.. لا مصفف شعر». وبعد بضع دقائق بينما يقف على خط التماس وجد كرة مصوبة تجاهه في ارتفاع الركبة وبحركة واحدة استلمها وردها ونجح في الاختبار. لكن التساؤلات عن طباعه ستظل قائمة أبداً.

قال مورين: «كان كوفاكس مدرباً جيداً لكنه لطيف أكثر من اللازم. وكان ميشيلز أكثر احترافية. وبدا صارماً للغاية مع الجميع بالتساوي. وفي السنة الأولى مع كوفاكس لعبنا أفضل. لأننا كنا لاعبين جيدين وهو من منحنا حريتنا. وبعدها ذهب الانضباط وانتهى كل شيء. ولم تكن لدينا الروح نفسها. كان بإمكاننا أن نظل أبطال أوروبا للأبد لو ظللنا معاً».

ربما كان انهيار الفريق– الذي صار في نهاية الأمر– مبنياً على تركيبته العاطفية. ومن السهل أن يؤدي الاعتياد إلى عدم الرضا ولاسيما في مناخ تميز بمواجهات غير معتادة في غرفة تغيير الملابس في أياكس، واعتقد الآخرون أن انفلات الزمام كان حتمياً بسبب صرامة ميشيلز.

وقال ريب: كان اللاعبون قد ملوا من صرامة وانضباط ميشيلز. وبالمثل ازدهر ليفربول بعدما خلف بوب بايسلي الودود بيل شانكلي صاحب الأسلوب الخشن.

وكان أداء أياكس في موسم 1971–1972 هو الأكثر سلاسة، إذ استبدل

مدرستان في الكرة السوفيتية– إدوارد مالوفيف (يسار) وفاليري لوبانوفسكي (يمين) (إيجور أتوكين).

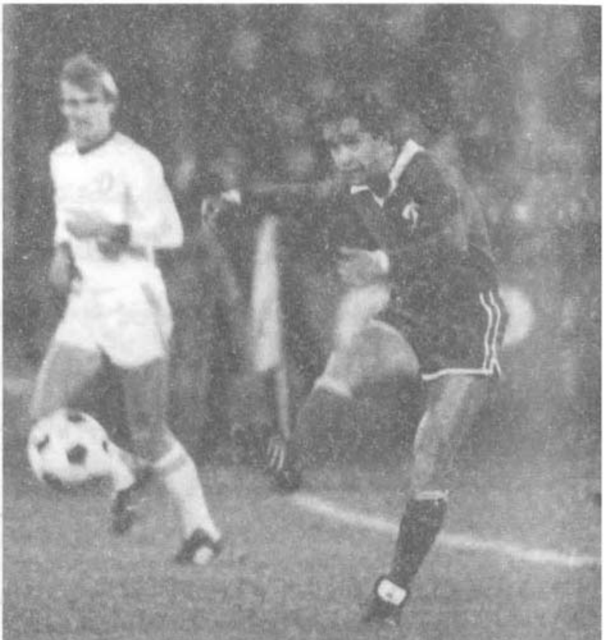

ساشا بروكوبينكو (الصورتان من جمعية دينامو الرياضية)

كوفاكس فاسوفيتش ببلانكينبرج وشجعه هو وسورباير وكرول على التقدم شاعرين بالأمان بمعرفة أن نيسكينز وهان مورين يمكنهم التراجع للتغطية. وأكد فاسوفيتش نفسه أن تأثير كوفاكس كان ضئيلاً. «هؤلاء الذين يقولون: الكرة الشاملة بدأت مع كوفاكس– مخطئون» هكذا قال قبل فترة قصيرة من وفاته سنة 2002. وأضاف حينها: «لم يكن لكوفاكس صلة بها. لقد أخذ ببساطة فريقاً جيداً للغاية– أبطال أوروبا وتركهم يواصلون الطريقة التي لعبوا بها». وكما يقول أنصار كوفاكس أحياناً أصعب شيء على المدير الفني أن يجلس دون أن يفعل شيئاً.

وظلت الشكوك تحاصر كوفاكس دائماً، وكان سجله استثنائياً– كأس أوروبا مرتين وكأس إنتركونتيننتال مرة وكأس السوبر الأوروبي مرتين والدوري الهولندي مرة وكأس هولندا مرة (كل هذا في موسمين)، لكن كان هناك شعور دائم بأنه مدرب مؤقت. وفي أبريل 1972– بعد فترة قصيرة من تأكد صعود الفريق إلى نهائي كأس أوروبا للمرة الثانية على التوالي بعد تعادل سلبي مع بنفيكا في البرتغال– عقد مجلس إدارة أياكس اجتماعاً طارئاً وقرروا فسخ التعاقد مع كوفاكس. عند ذلك كان أياكس متصدراً الدوري بفارق خمس نقاط عن أقرب منافسيه وقد سحق فينورد 1/5 في روتردام وبلغ نهائي الكأس الهولندية. غير أنه كان هناك شعور بأن الفوز على أبطال البرتغال 1/ صفر في مباراتين لم يكن يستحقه أياكس. وقالت الشائعات إن الفريق يعاني من عدم انضباط، وقال المدرب المساعد هان جريزينوت وطبيب الفريق رولينك لمجلس الإدارة إن كوفاكس فقد سيطرته على الفريق.

وإن صح أن كوفاكس قد فقد السيطرة، فيصبح من الواضح أن اللاعبين تمتعوا بالحرية. وقد تمرد اللاعبون وظل كوفاكس في مكانه. وقال كرويف: «النتائج أشارت إلى أن كوفاكس لم يكن مخطئاً. فقد كان فريقنا جاهزاً للمشاركة

في صناعة القرار». وربما لم يكن أداؤهم مثيراً للإعجاب في مباراة نصف النهائي أمام بنفيكا. لكن الفوز 2/صفر على إنترناسيونالي في النهائي بهدفي كرويف أكد تفوق طريقتهم ودق مسماراً جديداً في نعش مدرسة الكاتيناتشو القديمة. وقال تقرير لصحيفة ذي تايمز: « أثبت أياكس أن الهجوم الإبداعي هو العصب الحقيقي للعبة».

وبالفوز بكأس أوروبا مجدداً في العام التالي، أصبح أياكس أول فريق بعد ريال مدريد يحرز ثلاثة ألقاب. وكان الملائم بعد أن سحقوا بايرن ميونيخ 4/صفر في المباراة الأولى من ربع النهائي أن يصبح ريال مدريد الضحية التالية في نصف النهائي. والنتيجة الإجمالية البالغة 1/3 لا توفي أياكس حقه. وأفضل ما يُذكر به التعادل هو احتفاظ مورين بالكرة في الهواء في مباراة العودة باستاد برنابو في لحظة غرور، وهي السمة التي اتسم بها أياكس في عهد كوفاكس. يقول مورين: «كنت أعرف أني سأعطي الكرة إلى كرول. لكن احتجت وقتاً حتى يصل إليّ. وبدأت أنطط الكرة حتى وصل. فلا يمكنك أن تخطط لشيء مثل هذا. ولا تفكر في هذا، فقط تفعله، كانت لحظة تبادل فيها أياكس وريال مدريد المراكز. وقبل ذلك كانت القاعدة أن ريال مدريد هو الكبير وأياكس الصغير. وعندما رأوني أفعل ذلك تغيرت الموازين. فكان لاعبو ريال مدريد ينظرون وكادوا يصفقون. ووقفت جماهير الاستاد على أقدامها. وفي هذه اللحظة تولى فيها أياكس زمام الأمور».

وفي بلجراد تغلب أياكس في المباراة النهائية على اليوفنتوس الإيطالي 1/صفر وأروع ما أمكن حدوثه في هذه المباراة هو انتهاؤها بهدف للاشيء. وبعد أن تقدم أياكس في الدقيقة الرابعة تلاعب الهولنديون بالإيطاليين بكرات طويلة. وبعد مرور عام كامل، حاولت هولندا فعل الشيء نفسه في نهائي كأس العالم بعد التقدم في الدقيقة الأولى لكنها خسرت أمام ألمانيا الغربية.

ويزعم وينر أن نادي أياكس «كان أقرب ما يكون من إدارة فريق كبير لكرة القدم مثلما تدار جمعيات العمال التعاونية» على الرغم من أنه ليس هناك شك في أن هناك شخصاً كبيراً واحداً متداخلاً في ذلك. وقال هارمس: «كان كرويف يتمتع بنفوذ كبير خاصة كلما كبرت سنه وتحدث أكثر وأكثر عن التكتيكات مع اللاعبين الآخرين». وكان كوفاكس قريباً من كرويف، لكن اللاعب لم يكن يخشاه بشكل كامل، ويقال: إنه في إحدى المرات عندما شكا كرويف من ألم في ركبته قبل إحدى المباريات أخذ كوفاكس الذي يعرف عن قائد فريقه حب المال ورقة بألف جيلدر ودلك بها موضع الألم وابتسم كرويف وقال: إنه يشعر بتحسن ولعب المباراة.

لكنه لم يكن صارماً بما يكفي، وحيثما ترقد قسوة تحت حلة بايسلي الرثة يبدو أن من المحتمل أن يكون كوفاكس طيباً بدرجة زائدة عن اللازم، إذ كان يفتقر للقدرة على كبح جماح كرويف الذي حظي بأهمية أكبر في الموسم الثاني، ويتهم ريب كوفاكس بأنه «لم تكن لديه الشجاعة» لإحلاله محل سوارت إلى أن وافق كرويف، وبمرور الوقت بدأ اللاعبون يضيقون ذرعاً بنفوذ كرويف.

ورحل كوفاكس بعد تحقيق كأس أوروبا للمرة الثانية ليتولى تدريب المنتخب الفرنسي، وعندما عقد خليفته جورج نوبل George Knobel اقتراعاً عمن سيكون قائد الفريق في موسم 1973–1974 خسر كرويف الشارة لصالح بيت كايزر، ولعب بعدها كرويف مباراتين فقط مع أياكس قبل أن ينتقل إلى برشلونة. وسرعان ما تفكك الفريق وأقيل نوبل في 1974 بعد وقت قصير من إجراء مقابلة مع صحيفة اتهم فيها لاعبيه بالشرب ومعاقرة النساء، وهو ما اعتبره كثيرون من تأثير أيام كوفاكس التي طالت مع الفريق.

ولم يقترب كوفاكس في مستقبله المهني بعد ذلك من المستويات المرتفعة نفسها التي حققها مع أياكس، واستطاع تحقيق فوز وحيد في الجولة المؤهلة

أياكس 1/2 اليوفنتوس – نهائي كأس أوروبا– بلجراد– 30 مايو 1973.

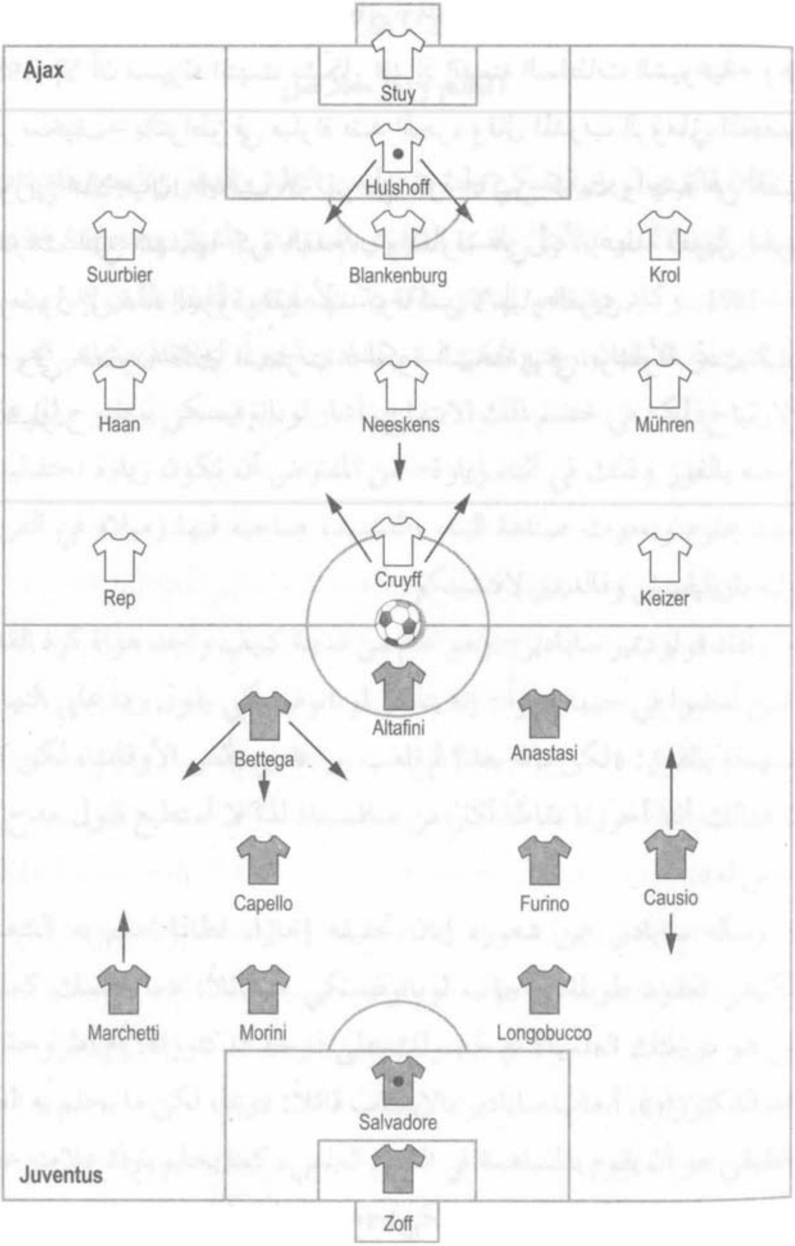

للبطولة الأوروبية عام 1976 وأقيل ليحل محله ميشيل هيدالجو وعلى الرغم من أنه درب بعد ذلك المنتخب الروماني وأشرف على التأهل بهم لكأس العالم 1982، إلا أن مسيرته انتهت بشكل مخز إذ اتهمته السلطات الشيوعية– وهو أمر سخيف– بالتواطؤ في مباراة ضد المجر، وقال المدرب الروماني المخضرم فلورين هالاجيان: «يجب أن نقر بأن فترة أياكس كانت واحدة من أفضل الفترات التي شهدتها كرة القدم». والمفارقة هي أنه بإعطاء الفريق الحرية للوصول إلى هذه الذروة، فقد مهد كوفاكس لانهيار الفريق.

وفي غضون ذلك استمرت «الكرة الشاملة» في برشلونة تحت قيادة ميشيلز.

الفصل الثالث عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

العلم والإخلاص

كان فاليري لوبانوفيسكي جناحاً في سن الثانية والعشرين، حين فاز نادي دينامو كييف للمرة الأولى بلقب الدوري السوفيتي الممتاز Soviet Supreme سنة 1961. وكاد مشجعو النادي يفقدون الأمل في الفوز الذي بدا وشيكاً في كثير من الأحيان، حتى تحقق النصر للنادي أخيراً، لتختلط مشاعر الفرحة بالارتياح، لكن في خضم ذلك الابتهاج، أشار لوبانوفيسكي بوضوح إلى عدم فرحته بالفوز وذلك في أثناء زيارة– من المفترض أن تكون زيارة احتفالية– لمعهد علوم وبحوث صناعة البناء والتشييد، صاحبه فيها زميلاه في الفريق أوليه بازيليفيتش وفالديمير لافتشينكو.

وأفاد فولوديمير سابادير– وهو عالم من مدينة كييف وأحد هواة كرة القدم الذين أمضوا في حبها دهراً– إنه يتذكر لوبانوفيسكي يقول رداً على التهاني المبتهجة بالفوز: «لكن ماذا بعد؟ لم نلعب ببراعة في بعض الأوقات، لكن كل ما هنالك أننا أحرزنا نقاطاً أكثر من منافسينا؛ لذا لا أستطيع قبول مدح لا أساس له».

وسأله سابادير عن شعوره إبان تحقيقه إنجازاً، لطالما حلم به الشعب الكييفي لعقود طويلة، فأجاب لوبانوفيسكي متسائلاً: «ما حلمك كعالم؟ هل هو درجتك العلمية؟ أم حصولك على درجة الدكتوراه؟ أم أطروحة ما بعد الدكتوراه». أجاب سابادير بالإيجاب قائلاً: «ربما، لكن ما يحلم به العالم الحقيقي هو أن يقوم بالمساهمة في التقدم العلمي، كما يحلم بترك علامته على هذه المساهمة». فأجابه لوبانوفيسكي: «ها هي الإجابة عن سؤالك».

كان اللاعب لوبانوفيسكي محباً للفن، وعلى عكس انتقاد ماسلوف اللاذع، فقد تميز بسعيه إلى تحقيق الكمال وبطموحه وذكائه التحليلي منذ البداية. وليس هذا بمفاجأة، إذ كان موهوباً لدرجة أهلته إلى الفوز بالميدالية الذهبية عند إكماله مرحلة التعليم الثانوي، بينما كان الهوس الأكبر في تلك الحقبة الزمنية متوجهاً نحو التقدم العلمي.

ولد لوبانوفيسكي في عام 1939، وكان في سن المراهقة عندما افتتح الاتحاد السوفيتي أول محطة للطاقة النووية وأرسل سبوتنيك Sputnik إلى الفضاء، بينما كانت مدينة كييف في حد ذاتها المعقل السوفيتي لصناعة الكمبيوتر، كما كانت المدينة التي افتتح بها أول معهد سبراني في الاتحاد السوفيتي في عام 1957، وسرعان ما اشتهر رائداً عالمياً في نظم التحكم الآلي والذكاء الاصطناعي والنمذجة الرياضية.

وفي عام 1963 طور أول نموذج مبدئي للكمبيوتر الحديث، وأثناء تلك الفترة درس لوبانوفسكي هندسة التسخين في المعهد الكييفي المتعدد التقنيات Kyivan Polytechnic Institute، وقد بدأت إمكانيات الكمبيوتر وتطبيقاته المحتملة في شتى المجالات والأصعدة في الظهور. وكان هذا التطور قائماً، وكان جديداً، لذا فاندماج لوبانوفيسكي مع موجة التفائل التكنولوجي ليس بالمفاجأة..

ودار داخل لوبانوفيسكي صراع بين كل من الفردية والنظام، فاللاعب داخله أراد أن يراوغ بالكرة، ويبتكر الخدع، ويحرج خصومه؛ بيد أنه اعترف لاحقاً أن تدريبه في المعهد المتعدد التقنيات قد أرشده إلى اتباع المنهج النظامي حتى يحلل كرة القدم إلى عناصرها المكونة. وشرح لوبانوفيسكي أن كرة القدم بالنسبة إليه- في نهاية الأمر- أصبحت عبارة عن نظام مكون من 22 عنصراً، ومن مجموعتين فرعيتين، تتكون كل مجموعة من أحد عشر عنصراً، يتحركون

في نطاق مساحة محددة ألا وهي أرض الملعب، ويخضعون لمجموعة من القيود وهي قوانين اللعبة، وإذا تساوت المجموعتان الفرعيتان فستتعادلان في النتيجة، أما إذا كانت إحداهما أقوى فسيكون الفوز للأقوى.

ويتضح فكر لوبانوفيسكي على الرغم من عدم وضوح معالجته للموضوع، في الجانب الأكثر إبهاراً من وجهة نظره وهو خضوع النظام لخصوصية معينة ألا وهي أن كفاءة النظام الفرعي تعد أكبر من مجموع كفاءات العناصر المكونة له، ما يعني من وجهة نظر لوبانوفيسكي أن كرة القدم تعد أرضاً خصبة لتعليم تطبيق التقنيات السبرانية في المعهد المتعدد التقنيات، كما استنتج أن كرة القدم لا تعنى بالأفراد قدر اهتمامها بالتحالف والترابط بين هؤلاء الأفراد. وكما قال لوبانوفيسكي لاحقاً: «الحياة كلها عبارة عن مجموعة من الأرقام».

استغرق لوبانوفيسكي وقتاً ليس بالقليل ليتوصل إلى هذا الاستنتاج، فبينما حاز نادي دينامو بقيادة مدربه ماسلوف لقبه الثالث على التوالي في عام 1968، أنهى فريق شاختار Shakhtar– الذي كان يلعب لوبانوفيسكي لصالحه– البطولة بحصوله على المركز الرابع عشر مما تسبب في خيبة أمله بشكل كبير، فقرر أن يعتزل كرة القدم كلياً؛ غير أن إحباطه لم يكن بسبب ضعف تكوين الفريق بقدر ما كان بسبب ما وراء ذلك الضعف.

فقد رأى لوبانوفيسكي أن فريقه لعب بأسلوب «كرة القدم المضادة» (آنتي فوتبول) على الرغم من أن هذا التعبير لا يمت بصلة لمصطلح Anti-futbol الذي استخدمه المدرب الكبير «زوبلديا». وكما كتب في مذكراته بعنوان «مباراة بلا نهاية» Endless Match: «من المستحيل الاعتماد على الحظ أو على حادث عارض في كرة القدم الحديثة.. إن تكوين طاقم أو مجموعة من المؤمنين بكرة القدم يكرسون أنفسهم لفكرة اللعب هو مسألة في غاية الأهمية».

وهم لوبانوفيسكي بالعمل مرة أخرى في مجال السباكة، لكنه لم يستطع رفض

العرض الذي قدمه له نادي دنيبرو بيتروفيسك Dnipro Dnipropetrovesk، وكان في ذلك الوقت واحداً من الفرق الأربعة المتوازية في الدرجة الثانية، حين عرض عليه أن يتولى تدريب الفريق في عام 1969. وقتها، بدأ لوبانوفيسكي في تطبيق الأساليب العلمية التي تأصل اقتناعه بأنها تمثل المستقبل. وقال: «يجب أن تنسى أنك لاعب كرة قدم إذا كنت تريد أن تكون مدرباً متمكناً. لم تكن علاقتي بماسلوف جيدة غير أنه كان بارعاً في التكتيك، وعلم لاعبيه كيفية لعب كرة القدم».

في هذه المرحلة، كانت خلافات لوبونافيسكي وموسكوف تنحصر في إطار الخلافات المنهجية ليس أكثر. فقد عمل موسلوف وفقاً لحدسه. أما لوبانوفيسكي فسعى إلى الإثبات والتطبيق. وصعد لوبانوفيسكي بفريقه في موسمه الثالث مع نادي دنيبرو واحتل المركز السادس بالدوري الممتاز بفارق نقطة واحدة عن نادي دينامو. مع ذلك كان عام 1972 ذا أهمية كبيرة، حين التقى لوبانوفيسكي بأناتولي زيلينستوف خبير الطاقة الحيوية، الذي رأى فيه المدرب لوبانوفيسكي حلاً لمشكلته، لأن الأخير قد أصيب بالإحباط بسبب الصعوبات التي واجهها في تقييم الحالة البدنية للاعبيه، والضغوط التي تعرضوا لها بسبب الضغط الذي مارسه عليهم.

قال زيلينتيسوف: «أصبحت أنا ولوبانوفيسكي لا نفترق أبداً.. وقال لي ذات مرة في أثناء حفل عام.. أنا مدين لك بكل الفضل في نجاحي كمدرب. أنت صاحب الفضل في تشكيلي ومعرفتي ومهاراتي وفهمي واستيعابي لكرة القدم». وكانا يلتقيان بصورة منتظمة مع بازيليفيتش الذي تقلد لاحقاً منصب مدرب نادي شاختار. ويقول لوبانوفيسكي: «كنا نحلل طرقنا وأساليبنا في التدريب بالتفصيل. ويبدو أننا كنا بصدد الصعود بعملية التدريب لمستوى جديد تماماً. وفي إحدى المناقشات الحامية– حيث كنا دائما نشك في تصريحات

زيلينتوف ونعتبرها مجرد نظريات– قال شخص ما: «ألا يجدر بكما نقل هذه النقاشات إلى مستوى أعلى في نادي شاختار ودنيبرو؟».

ولم يمر وقت طويل حتى سنحت الفرصة. وبعد إقالة ماسلوف سنة 1970، لجأ نادي دينامو إلى أليكسندر سيفيدوف الذي قضى فترة تدريب طويلة مع نادي دينامومينسك قبل توليه فريق كايرات الماتي الكازاخستاني وقيادته للصعود. ورغم فوزه باللقب في أول موسم كامل في كييف، كان أسلوبه شديد الاختلاف عن أسلوب ماسلوف، وتخلى عن أسلوبي الضغط والتحديد النطاقي.

وفي صحيفة «فول لايف فوتبول» Full-Life Football- كتب أوليه بلوخين Oleh Blokhin الذي برز في فريق الأشبال يقول: «المبادئ الأساسية لنادي دينامو سنة 1971 تتلخص في تزامن أفعال اللاعبين وأفكارهم، بالإضافة إلى اضطراب في النظم Aarhythmia (تتمثل في اندماج اللعب شديد الذكاء بمجموعة مفاجئة من الاندفاعات نحو المرمى) وحدة السلوك الهجومي. وامتنع الفريق تماماً عن ممارسة الضغط البدني والتمريرات العالية نحو منطقة الجزاء، لقد سعينا بكل جهدنا إلى الوصول لتشكيل محكم وخلق فرص غير متوقعة».

وعلى عكس موسلوف العاطفي الصريح، كان سيفيدوف عادة هادئاً كرجل الأعمال حتى في أوقات الهزيمة، ومتعصباً ذا ثقافة راقية، لدرجة أنه فضل أن يكمل لاعبوه تعليمهم، بينما لم يكن موسلوف معنياً بأي شيء إلا كرة القدم، ولم يكن يثني كثيراً على أسلوبه في اللعب، كما اعترف صراحة بأن السبب وراء نجاح نادي دينامو هو أن الفريق الخصم كان يتوقع طريقة لعب مختلفة تماماً. وصرح سيدوف في احتفالية قدم بها نادي دينامو فائزاً بالكأس: «نحتاج إلى عامين أو ثلاثة لنحكم قبضتنا على المركز الأول». وأضاف قائلا:

«يجب أن نقضي الفترة القادمة في ابتكار مجموعات جديدة وغير معتادة وتشكيلها، مع أن قانون أي رياضة يقضي بأن الدفاع والهجوم المضاد أكثر يسراً من الهجوم».

ولم يتمكن سيفيدوف في الموسمين التاليين من أن يستأنف هذا النجاح بما أن نادي دينامو أنهى البطولة كمتأهل فقط كل عام، وسرعان ما فقد أصحاب المراتب العليا للحزب إيمانهم به في نهايات عام 1972، وعرض على لوبانوفيسكي العمل لنادي دينامو، ولم تكن المشكلة الحقيقية أن نادي دينامو حقق المركز الثاني بقدر ما كانت هوية النادي الذي احتل المركز الأول. فاز بالمركز الأول نادي زوريا Zorya من مدينة لوهانسك Luhansk في شرق أوكرانيا (أوفوروشيلوفارد Voroshylovhard كما سُميت في ذلك الوقت) ولم يكن نادي زوريا يمثل أي خطورة أو تهديد بأن يفوز باللقب من قبل أو أن يفوز به لاحقاً، لكن على الرغم من أن فولوديمير شيفشينكو Volodymyr Shevchenko سكرتير الحزب الشيوعي الإقليمي حث المناجم المحلية على تقديم الدعم المالي للنادي، فإن النادي أنهى البطولة بفارق 5 نقاط أقل من نادي دينامو؛ مما تسبب في إحراج ليس بالهين لشيربيتسكي Scherbytskyi وسرعان ما نتج عنه إقالة شيفشينكو الذي كان على وشك أن يقاضى بتهمة إهدار المال. وفي الحال، تدهور نادي زوريا وأنهى البطولة في الموسم التالي في مركز متراجع في نهاية النصف الأخير من الجدول.

وتمت الإطاحة بسيفيدوف قبل نهاية موسم 1973 بثلاث مباريات. ولم يتضح السبب المحدد وراء هذه الإقالة في هذا التوقيت بالذات. لكن نادي دينامو أنهى الموسم في المركز الثاني وصيفاً لنادي أرارات يريفان– ذلك الفريق المحلي الذي لم يمتلك أي تاريخ من النجاحات، لكن ذلك بسبب خسارة دينامو ثلاث نقاط في المباريات الثلاث الأخيرة. وكان السبب الرسمي الذي

أطاح بسيفيدوف هو «تدهور العمل التربوي في الفريق»، ولم يتم الإدلاء بأية تفاصيل أخرى. ويقول أركادي جالينسكي إن شربيتسكي اقتنع بوجهة نظر أحد المديرين في نادي دنيبرو بأن لوبانوفسكي هادئ الطبع، والذي يعتمد عليه هو الرجل المناسب الذي يمكن الاستعانة به في مساعدة ابنه. وحاول فاليري- مشجع الكرة المتعصب- تجاوز مشاكله من خلال معاقرة الخمر. لكن هذا الأمر يبدو أوتلانديش، وحتى إن كان ثمة وجاهة أو حقيقة في هذه القصة، فهي لا تشرح بشكل كاف سبب الإطاحة بسيفيدوف في هذه اللحظة بالذات على الرغم من أنه كان من الممكن أن يتنازل عن مهامه بطريقة أكثر سلاسة بعد أسبوعين من هذا التاريخ.

وأياً كان السبب، فإن لوبانوفيسكي عاد إلى كييف في أواخر سنة 1973 ليصبح أول مدير كييفي لنادي دينامو منذ الإطاحة بالمدرب فيكتور شيلوفسكي واستبداله بخلفه فياشيسلاف سولوفيوف سنة 1958. وعند هذه المرحلة كان لوبانوفيسكي يرى فريق كرة القدم على أنه نظام ديناميكي الهدف منه إنتاج أعلى مستوى ممكن من الطاقة من خلال أفضل نمط متاح. وخلص إلى نتيجة تقول إن حصد الألقاب يتطلب اعتبار الأنشطة التي تتم خارج المستطيل الأخضر من إعداد بدني ولاسيما عملية إعادة التأهيل بأهمية ما يحدث على أرض الملعب نفسها.

ووصل لوبانوفيسكي إلى نادي دينامو كطرف من فريق مكون من أربعة أفراد، وأوكلت إليه مسؤولية تصميم نظام اللعب وتشكيله، ويتلخص التشكيل في أن يكون زيلينتسوف مسؤولاً عن تحضير اللاعبين، أما عن التدريب فقد تولى مهمته بازيليفيتش بعد أن أشاد به نادي شاختار، بينما تكفل ميخايلو أوشيمكوف بما يُعرف بـ «الدعم المعلوماتي» وينحصر في جمع بيانات إحصائية من مباريات سابقة.

تم إعداد كل شيء بدقة متناهية وتقسيم عملية إعداد الفريق إلى ثلاثة مستويات. فحصل اللاعبون على تدريب فني فردي بهدف تزويدهم بالقدرة على تنفيذ المهام التي كلفهم بها لوبانوفسكي في أثناء المباراة، وحددت التكتيكات والمهام المحددة لكل لاعب حسب الخصم، ووضع إستراتيجية للمنافسة بشكل عام، لوضع كل مباراة في سياقها عن طريق الاعتراف بأن الفريق يستحيل أن يحافظ على أفضل مستوياته في كل المباريات لفترة ممتدة. وهكذا كان فريق دينامو يخسر المباريات الأخيرة من كل موسم على الرغم من أنه يكون قد حصد اللقب فعلياً، وأصبحت عادة الفريق قتل مباريات الذهاب لغرض اقتناص التعادل وبالتالي الحفاظ على طاقة الفريق.

وكتب لوبانوفيسكي وزيلينتسوف في كتابهما «الأسس المنهجية لتطوير نماذج التدريب» The Methodological Basis of the Development of Training Models: «تتمثل أولويتنا في السعي لإيجاد مسار عمل جديد يحد من تكيف الفريق الخصم مع أسلوب اللعب الخاص بنا، فإذا استطاع اللاعب أن يتأقلم مع أسلوبنا وتمكن من إيجاد لعبة مضادة لاضطررنا إلى البحث عن إستراتيجية جديدة. وهذه هي معادلة كرة القدم، يجب أن تمضي قدماً بطريقة ما وإلى مدى معين من الاحتمالات الهجومية، مما يضطر الفريق الخصم إلى أن يقع في خطأ ما. وبعبارة أخرى، أن تجبر الخصم على أن يكون في وضع معين أنت الذي تختاره. ومن أهم وسائل تحقيق ذلك هو تغيير مساحة حيز اللعب».

ويستطيع نادي دينامو بقيادة مدربه لوبانوفيسكي- مثله مثل نادي أياكس بقيادة مدربه مايكل- الضغط للحد من حركة الفريق الخصم والرجوع بالكرة إلى أعلى الملعب، كما كان في كامل استطاعته أن يتقدم ويصوب عند الهجوم الدفاعي. وتعرض لوبانوفيسكي لكثير من الضغط لتوضيح فكرته، إلا أن الأمر كان يتوقف على الظروف، وظل هناك أمر رئيسي، ألا وهو ضرورة

الإبقاء على حيز اللعب المفضل كبيراً بقدر الإمكان في أثناء الاستحواذ، بينما يحافظ عليه صغيراً بقدر المستطاع عند فقد الاستحواذ على الكرة.

وأضاف لوبانوفيسكي وزيلينستوف: «بعضهم يرى أن معنى كرة القدم يكمن في الهجوم، مع أن الأقرب للحقيقة أن نعترف بأن الهجوم يتحقق بالاستحواذ على الكرة. ثم نقوم بالدفاع عندما يستحوذ الفريق الخصم على الكرة. واشتقت إستراتيجية الكرة من هذا الأساس: أين ومتى تهاجم أو تدافع؟».

كان الاستحواذ العامل الأساسي، ولم يختلف منهجمهم عن ذلك الذي يشيد به أمثال تشارلز هيوز Charles Hughes وإيجل أولسين Egil Olsen. وترى الكثير من القوائم معلقة على جدران قاعة التدريب الخاصة بنادي دينامو، تلك القوائم تتضمن متطلبات لوبانوفيسكي المفروضة على لاعبيه.

وتتضمن تلك القوائم أربع عشرة مهمة دفاعية، تُعنى أربعة منها بتوزيع الكرة على أرض الملعب وتأسيس مواقع هجومية بمجرد الفوز بالكرة، ولا يوجد أي نية للحصول على الكرة ببساطة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى التخلي عن الاستحواذ وهكذا وضع الفريق في موقف دفاعي، ويُعنى لوبانوفيسكي في قوائمه بثلاثة عشر مطلباً لمهاجميه، بالإضافة إلى سطر يخص الضغط والسعي لإعادة الاستحواذ على الكرة في أعلى الملعب.

وفيما يخص المهاجمين، كتب لوبانوفيسكي في قوائمه: هم محكومون بدعوتهم للتحرك والبحث عن طرق لتناوب الكرة بعيداً عن المناطق المكتظة بكثافات عالية من اللاعبين. وربما لم يكتب أحد هذه القوائم من قبل، والتي لم يكن بمحتواها شيء من الثورية، ورغم التأكيد الشديد على الاستحواذ؛ فإن القائمة التي شملت عشرين بنداً والمعنية بما أطلق عليه لوبانوفيسكي وزيلينتسوف «العمل الائتلاف» كانت أكثر تطرفاً.

واهتمت تلك البنود بكل من التطبيقات الدفاعية مثل الإعداد لفخ التسلل، كما اهتمت بالهجوم كعمل أوفرلاب overlap على حد سواء. ويقول لوبانوفيسكي: «يجب أن تحرم الفريق الخصم من الكرة، كيف يمكن تنفيذ هذا؟ عند الاستعانة بخمسة لاعبين فقط أو باستخدام الأحد عشر لاعبا كلهم؟ إن الشيء الأكثر أهمية في كرة القدم هو: ما الذي يفعله اللاعب عندما لا تكون الكرة في حوزته؟ وليس العكس. لذا فاللاعب الممتاز هو من ينطبق عليه المبدأ التالي: أن موهبته تمثل 1٪ فقط، والنسبة الغالبة الباقية هي للعمل الجاد».

كان لوبانوفيسكي يهدف إلى ما أطلق عليه لفظ «العمومية»، فقد أراد أن يدافع مهاجموه ويهاجم مدافعوه، ولم ير أي تناقضات في توجيهاته؛ لأنه من وجهة نظره لا يرتبط الهجوم والدفاع بالمركز في أرض الملعب، بل يرتبط بالاستحواذ.

قال سيرهي يوران المهاجم الروسي السابق الذي كان قد بدأ حياته المهنية تحت قيادة لوبانوفيسكي: «لم يطالبني أي مدرب غيره بأن أطارد الخصم إلى المرمى الخاص بي». وأضاف: «طلب مني أوليج رومانتسيف مدرب كل من الفريق الوطني ونادي سبارتاك موسكو أن أعمل جاهداً في النصف الخاص بالخصم فقط، أما في المنطقة الخاصة بي، فقد نصحني أن أفعل ما شئت إلا أن أتدخل حيث يلعب الآخرون».

وقال زيلينتسوف: إن الغرض من التدريب على الحركات الثابتة هو تطبيقها– مثلما يناور لاعب الشطرنج– حسب الظروف الراهنة وليس بطريقة ميكانيكية. كانت هذه الفكرة الرئيسة التي تحكم كرة القدم، وقد نجحوا في تنمية إدراك وفهم اللاعبين لهيكلة اللعبة من خلال أساليبهم في التدريب إلى حد المضي قدماً بكرة القدم. والمثال التقليدي لتطبيق هذه المبادئ جاء في نهائي كأس الفائزين لعام 1986 عندما أحرز نادي دينامو هدفه الثاني وفاز بمباراته أمام

نادي أتليتيكو مدريد حين أحرز ثلاثة أهداف مقابل لا شيء.

ففي تلك المباراة تقدم فاسيل راتس Vasil Rats نحو اليسار واستدرج لاعبين ثم لعب الكرة من الداخل إلى إيهور بيلانوف Ihor Belanov. بعدئذ، قام برميتي تماس، وعندما تحرك مهاجم الوسط ليقطع هجمته مرر الكرة بسلاسة في لمحة خاطفة لفاديم يفتوشينكو، ثم تقدم خطوة واحدة مجبراً المهاجم الأيسر للفريق الخصم أن يرجع إلى الداخل لينهي هجمته، حينذاك ركل الكرة ركلة ضعيفة بطريقة غريزية إلى اللاعب أوليه بلوكين Oleh Blokhin الذي جرى في مساره ورفع الكرة لتمر فوق حارس المرمى. كانت خطوة غاية في السرعة والعفوية بحيث لا يمكن صدها، علاوة على ذلك، فقد بدت وكأنها بعيدة كل البعد عن كونها كرة قدم، بل تشبه فريق كرة راجبي يمرر الكرة على طول خط كامل من الظهراء حتى تنفيذ الأوفرلاب.

وكثيراً ما اتهم النقاد لوبانوفيسكي بأنه قد خنق الفردية؛ إلا أن الحقيقة هي أنه ساعد لاعبيه على أن يدركوا أنهم ليسوا بأفراد، بل إن المهارة الفردية لا نفع منها إلا في إطار نظام. وقد أوضح لوبانوفيسكي قائلاً: «لا يتم اختيار التكتيكات لتناسب اللاعب الأفضل، بل على العكس، يجب أن تتناسب مع لعبنا، كما أن على كل لاعب أن يلبي طلبات المدرب أولاً ثم بعدئذ تتاح له الفرصة لممارسة تفوقه الفردي».

وفي كتاب «الأساس المنهجي» Methodological Basis، ضرب لوبانوفيسكي وزيلينتسوف مثالاً لتحضيرهما لمباراة محددة وهي مباراة نصف النهائي للكأس الأوروبية ضد نادي بايرن ميونيخ Bayern Munich في عام 1977. قائلَيْن: «بنيت اللعبة على العمل الهجومي، وبالإضافة إلى التحييد الإجباري للخصم، كان الهدف هو حرمان فريقه من أي مساحة للعب والتصدي للهجمات واسعة المدى التي تميز بها نادي بايرن، وكان التعادل

فرق لوبانوفيسكي الثلاثة العظماء

3 – 0، أمام فيرينكفاروس ، نهائي كأس أبطال الكؤوس، ستاد سانت جاكوب، بازل، 14 مايو 1975.

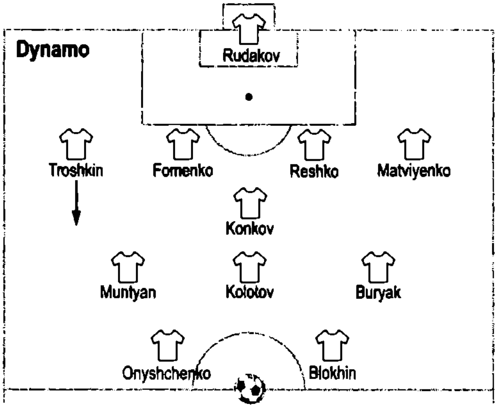

3 – 0 أمام أتليتيكو مدريد – نهائي كأس أبطال الكؤوس ، ستالين جراد، ليون، 2 مايو 1986.

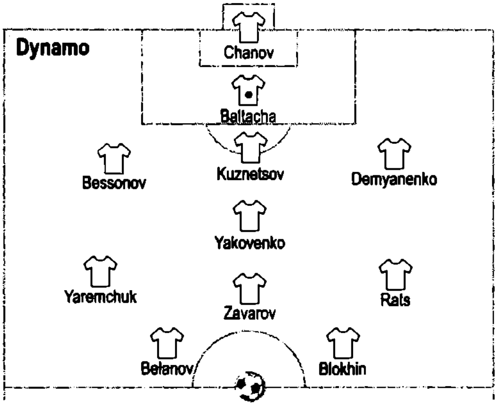

3 – 3 أمام بايرن ميونيخ، نصف نهائي دوري الأبطال (تشامبيونز ليج)، أوليمبسكي، كييف، 4 أبريل 1999.

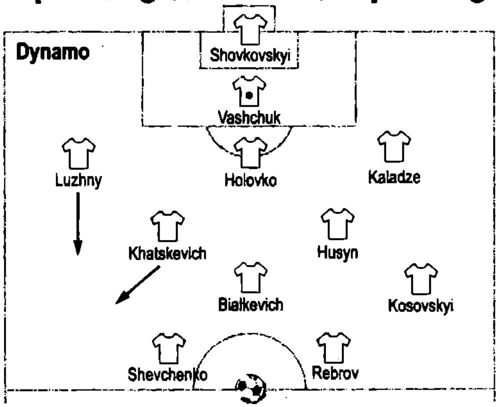

هدفنا، لكننا خسرنا وانتهت المباراة بهدف دون رد لصالح بايرن. وفي مباراة في مدينة كييف، قمنا باختيار نموذج للعب أساسه الضغط في اللعب والقتال من أجل الكرة في نصف الملعب الخاص بالفريق الخصم في محاولة لخلق أفضلية عددية في مناطق مختلفة، وأخيراً فزنا بالمباراة بإحراز فريقنا هدفين مقابل لا شيء».

ومن أعظم ما قدمه لوبانوفيسكي وزيلينتسوف هو الوصول إلى طريقة لتسجيل وتحليل المباريات أكثر تقدماً ودقة من تلك الطريقة القاصرة التي توصل لها تشارلز ريب Charles Reep. وتم تفكيك كل عناصر اللعبة وتحديد الأهداف وفقاً للأسلوب الذي تبناه لوبانوفيسكي واتبعه.

كان إعلان لوبانوفيسكي للتحليل الإحصائي في اليوم التالي للمباراة، ونشره على ألواح الإعلانات في ملعب التدريب يعد ابتكارا أمده بقوة عظيمة، وقال لوبانوفيسكي: «عندما كنت لاعباً، كان من الصعب تقييم اللاعبين، وقد يقول المدرب: إن لاعباً ما لم يكن في المكان الصحيح في الوقت الصحيح، وكان اللاعب يرفض تعليق المدرب ويختلف معه في الرأي. فلم يكن هناك تسجيل بالفيديو، ولا طرق تحليل حقيقية، لذا لا يستطيع اللاعب اليوم أن يعترض، ومن ثم كان اللاعبون يعرفون أن ورقة سوف تعلق في الصباح التالي للمباراة موضحة كل الرموز الممثلة للمباراة والقائمين بها، فعلى سبيل المثال، إذا اتضح أن لاعب الوسط قد نفذ ستين تكنيكاً وتكتيكياً في أثناء المباراة لاستنتج أنه لم يلعب بكل ثقله، إذ كان من المفترض أن ينجز مئة أو أكثر».

وسرعان ما أدى ذلك الأسلوب إلى صراع، وبينما حاز لوبانوفيسكي احترام أغلب اللاعبين وأبرزهم، على الأخص أندري شيفشينكو Andriy Shevchenko الذي أصر على أن لوبانوفيسكي «صنعه كلاعب»، لكنه أشاع بعض المشاعر السلبية. قال بيلانوف: «لم تكن علاقتي مع لوبانوفيسكي عدائية،

الحركة	التحركات المستهدفة في المباراة		
	الضغط (ممارسة الضغط في نصف ملعب الخصم)	الهجوم المضاد (ممارسة الفرق الضغط في نصف ملعبه)	النموذجان معاً
تمريرات قصيرة			
أماميات	130	80	130–30
جانبيات	100	60	100–40
خلفيات	70	40	70–20
تمريرات متوسطة			
أماميات	60	80	90–40
جانبيات	50	25	80–30
خلفيات	25	15	30–10
تمريرات طويلة			
أماميات	30	50	40–15
جانبيات	20	30	30–10
خلفيات	0	0	0
تمريرات بالرأس	40–20	40–20	70–15
الجري بالكرة	140	80	150–70
ضرب الخصم	70	50	70–20
اعتراضات	80	110	140–70
التحامات	50	70	80–30
تسديدات على المرمى	20–10	35–15	35–10
رأسيات باتجاه المرمى	15–10	10–5	15–5
إعادة الكرة للعب	30–10	30–10	40–10
نسبة الخطأ	35–20	30–15	25

لكنها في الوقت نفسه لم تكن ودودة على حد سواء». وأضاف بيلانوف: «علاقتنا تتميز بالمهنية البحتة..لكنه قدم لي الكثير، فقد دعاني للانضمام إلى نادي دينامو وأقنعني بأن ألعب على طريقته، وعلى الرغم من اختلالنا، إلا أن كلينا كان مدركاً أننا نفعل شيئاً عظيماً».

وما يدل على عدم وجود كراهية أو سخط أن بيلانوف أطلق اسم فاليري على ولده.

ويتذكر أوليكساندر كابساليس- الذي لعب في نادي دينامو في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات- أن لوبانوفيسكي كان يصرخ باستمرار رافضاً أي نقد ملحوظ، وقال: «كان من الأفضل ألا تمزح مع لوبانوفيسكي، فإذا أمر بأي إرشادات ورد اللاعب قائلاً: «لكنني أعتقد.». نظر إليه لوبانوفيسكي صارخاً: «لا تعتقد أو تفكر! أنا الذي أقوم بمهمة التفكير، ما عليك إلا أن تلعب فقط!».

كانت نجاحات لوبانوفيسكي مع نادي دينامو عظيمة بمعنى الكلمة. فقاده الفريق للفوز بلقب الدوري السوفيتي ثلاث مرات، بالإضافة إلى الكأس السوفيتية ثلاث مرات، كما فاز بالكأس الأوكرانية ثلاث مرات على حد سواء، علاوة على فوزه بكأس الفائزين الأوروبية مرتين، وأخيراً فقد عرف لوبانوفيسكي كرة القدم الأوكرانية وأبرزها، لكن على الرغم من قيام لوبانوفيسكي بكل تلك المهام مع الاتحاد السوفيتي؛ فإن نجاحه لم يدم طويلاً، ففي عام 1975، في مباراتين في العام نفسه إحداهما ضد تركيا والأخرى ضد جمهورية أيرلندا، وأدى مطلب لوبانوفيسكي الملِح في تكوين «الفريق النجم» فضلاً عن أن يكون «فريق النجوم» إلى تدريبه لفريق وطني أغلب أعضائه من لاعبي نادي دينامو، وبالمثل، فإن الفريق الذي قاده إلى أولمبياد عام 1976 في مونتريال هيمن عليه نادي دينامو.

وعلى الرغم من فوز نادي دينامو ببطولات متتالية، ليصبح بلا شك أحد أفضل الفرق في أوروبا، فإن لوبانوفيسكي لم يرض بهذا الإنجاز، وهكذا أضاف المزيد إلى برنامج التدريب الخاص بلاعبيه مما أثار ضيق اللاعبين وروعهم، وأدى إلى شكواهم بأنهم كانوا في شدة الإرهاق لدرجة عدم قدرتهم على بذل قصارى جهدهم في اللعب، وتفاقمت الأزمة ووصلت إلى ذروتها في مباراة ما قبل النهائي حينما قدم الفريق السوفيتي عرضاً ضعيفاً وخسر مباراته أمام فريق ألمانيا الشرقية. ووجه اللاعبون اللوم إلى لوبانوفيسكي وأعلنوا الإضراب عن اللعب. وتم التكتم على الحادثة وتوصل أخيراً إلى اتفاق وهو تنحي لوبانوفيسكي عن تدريب الفريق الوطني. وبرر زيلينتسوف قائلاً: «تكمن المشكلة في أننا كنا نطبق أساليب علمية على لاعبين شبه هاوين؛ مما أدى إلى حدوث تضارب».

وأدرك لوبانوفيسكي من خلال هذا الخلاف أن الإكثار في التدريب لا يصنع بالضرورة لاعبين أقدر وأفضل، وحينئذ نبغ زيلينتسوف، عندما طور برنامجاً تدريبياً تمكن من خلاله أن يوازن بين الحاجة الازدواجية والمتضاربة في نفس الوقت للسرعة والقدرة على التحمل.

ويدعي زيلينتسوف أن إيطاليا قد استعانت بالنموذج الخاص به عند فوزهم بكأس العالم 1982، وعلاوة على ذلك، فقد استخدم الكمبيوتر في تحليله للمباريات مما ساعدهم على تغيير اللعبة بصورة جذرية.

وقال زيلينتسوف: «نقوم في معملي بتقييم استعداد الأداء، ونحاول الوصول إلى كيفية إدراك إمكانية اللاعبين لاستيعابها إلى أقصى حد». وأضاف زيلينتسوف: «نحاول التأثير في لاعبينا بطريقة طبيعية ونشكلهم وفقاً للأفضلية العلمية، وبالاستعانة بالنمذجة، نقوم بجمع الحجارة لبناء هيكل الفريق، وحقيقة لا يصلح كل لاعب لأن يكون جزءاً من نظام دينامو؛ لذا لا

نقوم بإعطاء النصيحة كمدربين فقط، لكننا نبررها بترجمتها إلى أرقام، فنحن نحث على أن يرتكز تشكيل برنامج تدريبي، وتقييم اللاعبين، وإدراك أفعالهم على أرض الملعب على أساس علمي بحت بعيداً كل البعد عن المشاعر».

أصبح تصور لوبانوفيسكي وفكره سبب النجاح الذي حققه، وكان سبب هذا النجاح أيضاً شخصية لوبانوفيسكي المستبدة. ولا ننكر أيضاً أن فكرته كانت صحيحة. ورغم اعتراض اللاعبين حينئذ على تلك الصورة النمطية، فإن الفلسفة كانت متأصلة في الفريق.

قد لا يكون هناك وجود للفكرة التي أطلق عليها جوستاف سيبيس Gustav Sebes بعفوية اسم «كرة القدم الاشتراكية» إلا أن أسلوب فريق لوبانوفيسكي في اللعب كان يعد تطوراً لـ «اللعب الجماعي» الذي تحدث عنه ميخائيل ياكوشين Mikhil Yakushin في أثناء جولة نادي دينامو موسكو في بريطانيا في عام 1945. وكان ثمة صراع داخلي استمر حتى السنوات الأولى من الثمانينيات، إذ كانت كرة القدم السوفيتية مشتتة بين فلسفتين مختلفتين جذرياً فيما يخص كيفية لعب كرة القدم.

بينما كان لوبانوفيسكي قليل الكلام بارعاً في التحليل، وكثيراً ما يثور لرغبته في أن يتكيف لاعبوه مع نظامه، إلا أن إدوارد مالوفيف Eduard Malofeev كان ثرثاراً شديد الحماس. قال عنه جينادي أبروموفيتش– الذي لعب مع مالوفيف في نادي دينامو مينسك ثم عمل معه جنباً إلى جنب كمساعد مدرب: «لا أحد في روسيا البيضاء يملك طاقته وتفاؤله».

وفي أواخر التسعينيات، قام التليفزيون باستضافة مالوفيف في برنامج وصفه إبراموفيتش بتكبر أنه «برنامج نسائي». وعند سؤاله عما يفعله كل صباح، أجاب قائلاً: إنه يشكر الله على أنه أنعم عليه بالحياة، ثم ينهض من فراشه ليقفز مهللاً فرحاً؛ لذلك كان أسلوب لعبه لكرة القدم مبهجاً بالمثل.

وأصبح مالوفيف مهاجماً لمدة 12 موسماً مع نادي دينامو مينسك، فاز خلالها بأربعين كأساً للاتحاد السوفيتي، كما لعب في كأس العالم 1966، بالإضافة إلى اعتلائه للوحة الأهداف في الدوري السوفيتي لعام 1971، بيد أن حياته المهنية قد انتهت إثر إصابة في الغضروف، ولاحقاً تدرج ليصبح مدرباً في عام 1975 بعد عمله لفترة وجيزة في كرة القدم للأشبال، ليتقلد منصب مدير لنادي دينامو مينسك في عام 1978.

قاد مالوفيف فريقه للصعود في موسمه الأول، ثم احتل الفريق المركز السادس في موسمه الثاني. وتحققت كل تلك الإنجازات عن طريق اللعب بما أطلق عليه مالوفيف لفظ «كرة القدم النزيهة». وقد أوضح إبراموفيتش قائلاً: «كان أسلوبه نزيهاً في لعب كرة القدم، يخلو من التسبب في أي إصابات أو تصادمات أو مداخلات، لم يتضمن اللعب سوى ركل الكرة فحسب، لم يدفع قط رشاوى للحكام، كان يلعب كرة قدم خالصة وهجومية، كرة قدم من القلب وليست من العقل».

وتكمن نقاط قوى أخرى لمالوفيف في قدرته على التعامل مع اللاعبين وإبراز أفضل ما يملكون من براعة. وكمزيد من التوضيح، تعامل لوبانوفيسكي مع لاعبيه كأدوات يجب اسغلالها، إلا أن مالوفيف اهتم بالفردية والتعبير عن الذات.

وقال ميخائيل فيرجينكو Mikhail Vergeenko حارس مرمى دينامو مينسك في أوائل الثمانينيات: «ما يميز مالوفيف هو نفسيته. فقد يمتد اجتماعه مع الفريق أكثر من ثلاث ساعات قبل كل مباراة. وكان ينظر لكل لاعب في عينيه مباشرة. وكان دائم النظر والمراقبة بحثاً عن اكتشاف ما. مثله مثل الطبيب، يحلل لاعبيه ويدرك نقاط قوتهم وضعفهم. وكان مالوفيف قادراً على الوصول لقلبك وروحك معاً. ويستطيع التواصل مع الناس وتبادل أطراف الحديث معهم».

وأرجع فيرجينكو فشل مالوفيف مع نادي هآرتس Hearts سنة 2006 إلى غياب مترجم كفء. فإحصائياً، كان مالوفيف المدير الأسوأ للنادي، ولم يحرز سوى نقطتين فقط على مدار أربع مباريات في أثناء توليه منصبه مديراً للنادي. وسرعان ما بدأت المقارنات مع ما كان يجري على بعد 270 ميلاً جنوبي غرب البلاد. فقد أشار فيرجينكو إليها قائلاً: «التنافس بين مينسك وكييف هو تنافس بين عقليتين. كان لوبانوفيسكي مدرباً معتنقاً للرياضيات كمنهج له. أما مالوفيف فكان أكثر رومانسية ولا يسعى إلى هدف أكثر من أن يعبر لاعبوه عن أنفسهم على أرض الملعب. معتقداً كما يقول: «سيحبك مشجعوك إذا بذلت قصارى جهدك»».

وكان أليكسندر بروكوبينكو Alexander Prokopenko هو اللاعب الأكثر جماهيرية الذي منعه نمط حياته من الاقتراب من فريق لوبانوفيسكي، فقد كان لاعب الوسط المثير للحسرة، كان عبقرياً ذا موهبة حرة مثلها مثل قدرته على شرب الخمر، كان بروكوبينكو خجولاً بشكل موجع، فقد انزعج بدرجة ليست بالهينة إثر خطاب عصيب لدرجة أنه أدى إلى رفضه إجراء أي مقابلات صحفية مطلقاً؛ إلا أن ذلك لم يعن شيئاً، إذ إن مشجعي نادي دينامو يعلمون تمام العلم بم يفكر؛ لأنهم يحتسون الخمر معاً، علاوة على ذلك، فقد كان واحداً منهم، مجرد عامل من مينسك لا يختلف عنهم في أي شيء سوى أنه لاعب كرة قدم بارع بالفطرة ويجتهد ملياً في هذا.

وكتب الصحفي فاسيلي ساريتشيف في كتابه «اللحظة والقدر». The Moment and the Destiny الذي مجد من خلاله أفضل رياضيين في روسيا البيضاء: «قد يفضل أن يموت عاجلاً على أن يكف عن حركته في أرض الملعب بسبب تعب أو كسل».

تسبب شربه للخمر في أثناء لعبه لصالح فريق الاتحاد السوفيتي الذي أنهى

أولمبياد عام 1980 باحتلاله المركز الثالث إلى أن فاتته نهاية الموسم، لكنه عاد بمجد محرزاً هدفه المبدع في بطولة عام 1982 بركلة بمؤخرة كعبه ضد فريق دينامو كييف. بينما تدهور تشكيل نادي دينامو في وسط الثمانينيات، وساءت حالة بروكوبينك وتفاقم إدمانه للخمر، ومن ثم أجبر على قضاء فترة في LTP (مصحة معالجة العاملين Labour Treatment Pansionate) وهي عيادة لإعادة التأهيل مدعومة من الدولة.

ووفقاً لتعليمات الحزب الاشتراكي المحلي رفض النادي أن يعيد تعيينه، إلا أن إبراموفيتش– الذي كان قد صار أباً ثانياً له– تمكن من إقناع دنيبر موجيلف مدير فريق الدرجة الثانية بأن يعينه في الفريق، ثم انتقل إلى أذربيجان مع نيفتشي باكو بعد موسم واحد ليلعب ضد نادي دينامو ويحرز هدفاً في مباراة فاز بها ضد نادي سبارتاك.

مع ذلك، لم يمر وقت طويل حتى عاد مرة أخرى لاحتساء الخمر، ومن ثم أعيد بروكوبينكو لعيادة إعادة التأهيل LTP مرة أخرى في عام 1989؛ إلا أنه قد توفي بعد شهرين فقط ولم يتجاوز الـ35 من عمره. ووصفه ساريتشيف بقوله: «لاحقته رائحة عشب أرض الملعب وجلد اللاعبين، وفرحة الفوز وعبوات المشروبات الفارغة». وأضاف ساريتشيف: «مات الحافز الذي ولد ليحققه بانتهاء كرة القدم بالنسبة إليه».

كان بروكوبينكو مثالاً للاعب الكرة المتشبع بمنهج مالوفيف، فقد كان بارعاً، لكن لا يمكن التنبؤ به، فأخفت عيوبه وراء سحر لعبه وبراعته، وكان من المتوقع أن ينظر لوبانوفيسكي بسخط إلى مثالية مالوفيف، كما أشار لوبانوفيسكي لكل مشجعي نادي دينامو مينسك الذين تحمسوا لكرة بروكوبينكو التي لعبها بمؤخر كعبه وأغرقوها بالإطراء، إلا أن المباراة انتهت بالتعادل وبإحراز نادي دينامو نقطة ذات قيمة في مباراة الذهاب.

وتذكر إبراموفيتش قائلاً: «لطم لوبانوفيسكي رأسه عندما أثار أحدهم الموضوع في حضوره قائلاً: شهدت الكثير في حياتي، لكنني لم أر أبداً كرة قدم نزيهة». ولموسم واحد على أقل تقدير، نجح مبدأ كرة القدم النزيهة. وكتب سيرجي ألينيكوف Sergei Aleinikov لاعب الوسط في مذكراته: «يرجع الفضل لما حدث في نادي دينامو عام 1982 إلى التوافق بين الشباب والخبرة». وأضاف: «كلٌ كان يلعب كل مباراة وكأنها آخر مباراة في حياته المهنية، سواء كان لاعباً محنكاً أو مبتدئاً، لكن الشيء الأهم هو أن مالوفيف كان رأس الفريق، وكان قائده الوحيد والأوحد، وكان ذلك بمثابة فوز له وانتصار لمبادئه وإدراكه لكرة القدم».

وفي هذا العام، آتت كل لعبة ابتكرها مالوفيف ثمارها. ويتذكر فيرجينكو تحديداً مباراة الذهاب مع نادي باختاكور تاشكينت، الذي أنهى البطولة في هذا الموسم باحتلاله المركز السادس قائلاً: «كانت الحرارة 40 درجة مئوية في الظل، وكان ميعاد المباراة في الساعة السادسة مساء، إلا أن مالوفيف في وقت الظهيرة قال: «هيا بنا لنتمرن»، مما أثار دهشة الجميع، حتى إن الحرارة في الفندق تعدت الـ35 درجة مساء دون وجود مكيف للهواء، ولك أن تتخيل ما يدور في خاطرنا حول كيفية التخلص من الحرارة الحارقة، لنجد مالوفيف يقول: سنتدرب وقت الظهيرة. ستتدربون ثلاثين دقيقة فقط. ويتصبب منكم العرق، لكن ستعلمون بعد ذلك أنكم في الوضع الصحيح».

تدربنا ثلاثين دقيقة، وذهل العاملون في الملعب الذين جلسوا يشربون الماء تحت الحرارة المحرقة، حين وجدوا مالوفيف وقد أحضر فريقه للتدريب. لكننا تحملنا الحرارة وفزنا بالمباراة التي انتهت بثلاثة أهداف مقابل لا شيء رغم براعة الخصم».

وكانت المحادثات التي تدور بين أفراد الفريق لا تقل غرابة. وذهب نادي

تشكيلة فريق دينامو مينسك 1982.

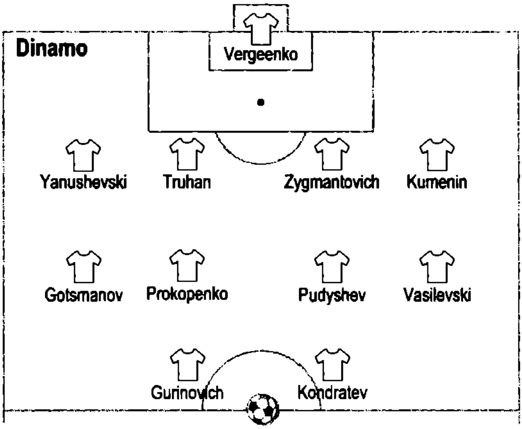

دينامو للعب مباراة الذهاب النهائية للبطولة مع نادي سبارتاك موسكو Spartak Moscow وهو في أمس حاجة للحصول على اللقب. وكان في روسيا البيضاء قبل تسعة وعشرين عاماً اعتقاد شائع بأن نادي سبارتاك خدع دينامو وأخرجه من المركز الثاني بالبطولة عن طريق التلاعب في نتائج مباراة نهاية الموسم. وكان تكرارهم لهذا التلاعب ليعطوا اللقب لنادي دينامو أكثر ما يخشونه، وأدرك مالوفيف أنه يجب أن يسحق غطرسة فريقه حتى يتمكن من إقناعهم بأنه لا مفر من الهزيمة، لذا ابتكر أمراً يبدو في ظاهره مثل المسودة المرفوضة لقصة «هكذا فقط».

ويتذكر فيرجينكو حديثاً مع مالوفيف في غرفة تبديل الملابس، حين قال له مالوفيف: «تخيل مجموعة من القردة يعبرون حقلاً. وتكمن في الجهة المقابلة لهم مجموعة من الأسود، ويصبحون أمام عدة احتمالات. قد تهجم عليهم الأسود وتقطعهم أشلاء. وقد يعبر قرد واحد ليشتت انتباه الأسود ويضحي بنفسه كي يعيش الباقون. اليوم نحن كالقردة يجب أن نضحي بأنفسنا من أجل الفوز».

واستكمل فيرجينكو حديثه قائلاً: «فكرت أنني حارس مرمى وقد أصيب، لكن الأهم هو أن يفوز الفريق. وقد فزنا بالمباراة بإحرازنا النتيجة النموذجية وفوزنا بأربعة أهداف مقابل ثلاثة. وكان هناك من استقبلنا بالورود والقبلات والحب. ولم يكن أمراً منظماً. بل مجرد حب».

سافر مالوفيف فوراً إلى موسكو ليتولى عمله مع الفريق الأوليمبي السوفيتي، مما جعل وضعه مثالياً ليتقدم وقت انتهاء الفترة الثانية لتولي لوبانوفيسكي تدريب الفريق المحلي الرئيس، فكل شيء كان يتقدم على نحو جيد، وبخاصة بعد سحق البرتغال في موسكو بانتهاء المباراة خمسة أهداف مقابل لا شيء في تأهلها لبطولة الأمم الأوروبية لكرة القدم لعام 1984 بعيداً في مدينة ليشبونة، ورغم أن لوبانوفيسكي، كعادته في المباريات الصعبة، خطط للتعادل؛ فإن ذلك تبدل عندما نفذ أحمق ضربة جزاء احتسبت لصالحه على الرغم من أنها كانت بلا شك خارج منطقة الجزاء، وفازت البرتغال بالمباراة بإحرازها هدفاً مقابل لا شيء، وهكذا أخفق الاتحاد السوفيتي في التأهل، ومن ثم أقيل لوبانوفيسكي ملاماً على منهجه العلمي.

لم يحظ لوبانوفيسكي بحظ أسوأ من ذلك قط، ولولا تدخل شيربيتسكي شخصياً لما عاد لوبانوفيسكي مرة أخرى إلى عمله في نادي دينامو، حتى ذلك قد بدا وكأنه خطأ عندما أنهى لوبانوفيسكي موسم عام 1984 باحتلال فريقه المركز العاشر، إلا أنه تمسك بأسلحته بلا استسلام وقال: «يجب ألا يغير المنهج في أثناء النهار وإبان الليل وخلال الفجر». وحقق نادي دينامو ضعف إنجازاته في الموسم التالي قبل فوزه بكأس الاتحاد الأوروبي للأندية أبطال الكؤوس.

وفي غضون ذلك، كان مالوفيف يتداعى، فقد فاز الاتحاد السوفيتي على فريق واحد فقط من ضمن الخمسة المتأهلين لكأس العالم في المكسيك، غير أنه أنقذ مكاناً له في النهائيات بفوزه بالثلاث مباريات الأخيرة، وكتب ألينيكوف

Aleinikov في سيرته الذاتية: «أصبح مالوفيف شديد العصبية والتوتر، وأصبح لعبنا لكرة القدم خالياً من أي أسلوب، لكن المكسيك كانت متأهبة». واستطرد: «هاجم الإعلام اللاعبين والمدربين على حد سواء، وكان التعادل السلبي في مباراة ودية مع فينلندا في استاد لوزنيكي يمثل القشة التي قصمت ظهر البعير، وقد شاع أنه قد يتم استبدال مالوفيف في حين فاز لوبانوفيسكي بكأس الاتحاد الأوروبي للأندية أبطال الكؤوس، إلا أنني لم أصدق قط أن يحدث ذلك حقاً قبل بدء كأس العالم».

وقد حدث بالفعل، ولم يعد مالوفيف بعد استدعائه من معسكر تدريب في مدينة نوفوجورسك Novogorsk. وأكمل ألينيكوف: «كان يخيم شعور عام غريب في الفريق، فقد أيد اللاعبون الكيفانيون القرار؛ لأن أغلبهم لم يفضل أفكار مالوفيف، ومن ناحية أخرى، كان هناك اللاعبون الذين أدركوا ألا مكان لهم في الفريق تحت قيادة لوبانوفيسكي، وكانوا على أتم استعداد للذهاب إلى المكسيك؛ إلا أنهم عرفوا أن ذلك قد لا يتحقق».

وأضاف ألينيكوف: «جعلنا لوبانوفيسكي نبذل مجهوداً أكبر في التدريب، وإذا اشتكى أحد اعتبر ذلك خطأ، ولم أتطلع في المساء إلا للخلود للنوم بأسرع وقت ممكن، فقد كانت اللعبة بالنسبة إلى لوبانوفيسكي تدور حول النتيجة، وليس اللهو والمرح، كان لا بد أن تكون كرة القدم عقلانية، وكان يرى أن هدفاً للاشيء أفضل من خمسة أهداف مقابل أربعة».

ورداً على كل الشكوك، برئ لوبانوفيسكي في الحال حينما قام فريقه بسحق الفريق الهنجاري المبجل في مباراة فاز بها بإحرازه ستة أهداف مقابل لاشيء، إلا أن الاتحاد السوفيتي قد أحبط في الدورة الثانية بسبب رداءة الحكم، بالإضافة إلى الأداء المفجع الذي قام به المدافع أندري بال Andriy Bal، فقد خسر المباراة التي انتهت بأربعة أهداف مقابل ثلاثة لصالح بلجيكا في واحدة

من أعظم المباريات التي شهدتها كأس العالم.

وقال لوبانوفيسكي: «لا تستطيع كمدرب أن تبرر الأخطاء الفردية للآخرين أو أن تفسر الأخطاء الفادحة في التحكيم». مما يعتبر اعترافاً بوجود عوامل تفوق السيطرة، حتى إن نظاماً علمياً كنظام لوبانوفيسكي لا يستطيع التحكم بها.

وبعد عامين وفي أثناء البطولة الأوروبية التي أقيمت في ألمانيا الغربية، اقترب الاتحاد السوفيتي من المجد أكثر من أي وقت مضى تحت قيادة لوبانوفيسكي، وفاز على هولندا وإنجلترا في الدور الأول. ثم تفوق على إيطاليا في مباراة ما قبل النهائي. وكان إينزو بيرزوت Enzo Bearzot المدرب السابق لإيطاليا منبهراً بفوز الاتحاد السوفيتي بهدفين مقابل لاشيء، لدرجة أنه بحث عن لوبانوفيسكي فور سماعه صافرة الحكم بانتهاء المباراة وقال له: «أدركت مرة أخرى أنكم فريق عظيم. أنتم تلعبون كرة قدم حديثة بسرعة 100 كيلومتر في الساعة. والضغط الذي مارسته اليوم يدل على التمكن التام. والواضح أن اللياقة البدنية التي تمتع بها اللاعبون السوفيت جاءت نتيجة للتضحية بالنفس والاحتراف العظيم».

كانت المراهنات التي جمعها القشاش أوليه كوزنيفسوف Oleh Kuznetsov هي العلة الوحيدة في هذا الأداء الرائع التي تسببت في إقصائه من المباراة النهائية ضد هولندا. وتساءل زيلينتسوف قائلاً: «هل رأيت كيف يطير النحل؟ تكون خلية النحل في السماء ويكون هناك قائد، إذا اتجه القائد نحو اليمين يتبعونه، وإذا توجه يساراً توجهوا يساراً، وكرة القدم لا تختلف عن خلية النحل، فالقائد في كرة القدم يتخذ قراراً بالتحرك في اتجاه ما، فيحول كل الفريق مساره ليتبع القائد، ولكل فريق لاعبون يكونون مجموعات تتحرك في أرض الملعب، وهناك آخرون يدمرون لك المجموعات ومهمتهم تدمير الحركات

الجماعية التي يقوم بها الفريق الخصم». ومن ثم، فإن الاتحاد السوفيتي قد خسر ضربة جزاء بسبب افتقادهم لقائدهم، وعانى من لعب ماركو باستين Marco Basten الأخرق للكرة الطائرة، وخسروا المباراة بهدفين دون رد.

ترك لوبانوفيسكي فريق الاتحاد السوفيتي بعد بطولة كأس العالم المحبطة في عام 1990 وانتقل إلى الشرق الأوسط، إلا أنه تم إقناعه بالعودة مرة أخرى إلى نادي دينامو في عام 1996 جزئياً عن طريق إغرائه بثروات مقدمة من مستثمرين، لكن السبب الرئيس وراء اقتناعه بالعودة إلى نادي دينامو هو الإمكانيات الكامنة في جيل مكون من شيفشينكو Shevchenko، وأوليه لوزني Oleh Luzhny، وسيري ريبروف Serhiy Rebrov، وفياتشيسلاف فاتشوك Vyacheslav Vashchuk. وقد أثر فيهم وقادهم إلى الدور قبل النهائي لدوري الأبطال لعام 1999، وأعد الفريق الثالث الأعظم للوبانوفيسكي، إلا أنه إبان وفاته إثر جلطة في عام 2002، دارت الشكوك حول أنه كان يكافح، حيث إنه كان مجبراً على بيع أغلب لاعبيه المتميزين، مما اضطره إلى اللجوء للاعبين المستوردين. ووفقاً لسيري بولكوفيسكي الرئيس الأسبق لنادي دينامو، فقد كان جلياً في الشهور الأخيرة أن لوبانوفيسكي كان يلاقي صعوبة في التعامل مع اللاعبين المحليين الذين لم ينشأوا في ظل الاشتراكية. وقال بولكوفيسكي: «في الماضي لم يكن يحتاج إلا لكلمة أو نظرة ليفرض سلطته ويعبر عما يريده مما قد يكون السمة المميزة للنظام الاشتراكي، لكن اللاعبين الآن يتمتعون بقدر هائل من الحرية والفردية».

وظلت أسطورة لوبانوفيسكي محكمة وباقية، إذ يقول مارشيللو ليبي Marcello Lippi المدرب الذي قاد نادي يوفنتس إلى دوري الأبطال، كما قاد إيطاليا إلى كأس العالم: «الكل يتبع الآن سياسة الضغط في لعب كرة القدم».

الفصل الرابع عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

خذني إلى القمر!

وصلت بطولة كأس العالم في المكسيك سنة 1970 إلى حد الأسطورة، وعرضت ذروة كرة القدم في حينها. لقد مثلت في الوجدان الشعبي مهرجاناً للكرة الهجومية، وأصبح يُنظر إلى الفريق البرازيلي الذي حاز اللقب (بيليه وتوستاو وجريسون وريفيلينو ورفاقهم) أنه نموذج لا يتكرر، وأنه أعظم فريق عرفه العالم. واتفق الجميع على أن أسلوب لعب البرازيل يستحيل تكراره، وأن إنجازه كان إنجازاً للكرة القديمة قبل أن يستولي النظام على كل شيء.

وفي إطار الاستعداد للبطولة، خاض الفريق البرازيلي برنامجاً تدريبياً في ناسا، وهو حدث لاحظ الجميع مغزاه المجازي، حتى صحيفة «جورنال دو برازي». المعروفة بأسلوبها الصارم نشرت يوم 22 يونيو 1970 ملاحظة جريئة إلى حد الدهشة قالت فيها: «انتصار البرازيل في كرة القدم يوازي غزو الأمريكيين للقمر».

وبدت المقارنة غريبة في بادئ الأمر لكن كان هناك قدر من الحقيقة في ذلك. أولاً: هناك استخدام المصطلحات المجردة «نصر في كرة القدم... غزو للقمر». هزم الأمريكيون السوفيت في سباق الفضاء، وهزمت البرازيل إيطاليا في نهائي كأس العالم. ولم يتم ذكر الخصمين. وتم اعتبار الانتصارين- اللذين فصل بينهما أقل من عام- مجهوداً عظيماً ونصراً ليس على مجرد خصم تقليدي أو مادي، وإنما على عناصر كونية لا بشرية، وكأن لعب كرة القدم بهذا المستوى الفاخر أصبح انتصاراً للبشر أجمعين.

ومن اللافت أن اللحظات الأكثر التصاقاً بالذاكرة في كأس العالم 1970

ليست لحظات تنافسية على الإطلاق. خذ مثلا كرة بيليه الساقطة عند خط المنتصف باتجاه المرمى التشيكوسلوفاكي التي لم تسكن الشباك، واللقطة التي مر فيها ببراعة من حارس الأوروجواي لاديسلاو مازوركيفيتز Ladislao Mazurkiewicz ثم أخطأت كرته المرمى المفتوح على مصراعيه. وهدف كارلوس ألبرتو توريس Carlos Alberto Torres الشهير في المباراة النهائية الذي جاء قبل النهاية بأربع دقائق حين كانت النتيجة قد تحددت فعلياً.

هذا هو فن الكرة بكل ما في الكلمة من معان- هي احتفال ليس بأحداث تحدد النتائج، وإنما بمقاطع من اللعب تتعدى السياق المباشر للمباريات. على الرغم من أنه لو لم تفز البرازيل بتلك البطولة، ربما تذكر كثيرون الفريق بالإسراف في الإبهار الذي أتى بنتائج عكسية. وكون الهبوط على القمر أعظم إنجاز تكنولوجي في القرن العشرين أو فوز البرازيل بكأس العالم 1970 هو أكبر إنجاز رياضي- هي مسألة محل نظر. لكن المؤكد أنه ليس هناك حدث آخر في هذين المجالين حظي بهذا الأثر المباشر والأهمية الرمزية العالمية- والفضل في ذلك للتليفزيون.

وأصبحت خطوة رائد الفضاء نيل أرمسترونج على القمر وهجمة كارلوس ألبرتو العاصفة رمزين لملايين المشاهدين حول العالم، وقدر لهما إعادة الإنتاج عدة مرات في صيغ متعددة. هذان الحدثان أصبحا الأكبر والأهم في عصر التلفزيون حينئذ. وفي لفتة رمزية حدث الهبوط الثاني على سطح القمر في اليوم نفسه الذي سجل فيه بيليه هدفه رقم ألف (في مشواره الكروي) من ركلة جزاء لفريقة سانتوس في شباك فاسكو دا جاما.

وساعد على ذلك لعب البرازيل بقميص أصفر فاقع وسروال قصير أزرق كوبالت، وكانا لونين مثاليين لعصر التليفزيون الملون تحت نور شمس المكسيك الحارة، بدا أن هذين اللونين هما المستقبل- لامع ومشرق. ولم يحافظ الفريق

البرازيلي على نظافة شباكه سوى في مباراة واحدة. لكن هذا لم يكن مهماً، فقد كانت قابلية الفريق للسقوط أحد عوامل الجذب، وتمتع الفريق بسذاجة أعطته جاذبية عالمية إلى جانب الأرجنتين.

فكتب هيو مكيلفاني Hugh McIlvanney في تقريره عن المباراة النهائية: «الدقائق الأخيرة كانت بمثابة خلاصة كرة القدم بجمالها وحماسها وفرحتها التي لم تخب لحظة. فهناك فرق أخرى تشعل الإثارة داخلنا وتجعلنا نحترمها، لكن البرازيليين في أبهى صورهم منحونا الشعور بالمتعة بشكل طبيعي وعميق وكأنها تجربة مادية زاهية. كنا نرى الصفات التي تجعل كرة القدم أكثر اللعبات الجماعية رشاقة وإثارة للمشاعر. فالبرازيليون فخورون بقدراتهم الفريدة. وكان من السهل أن تصدقهم وهم يحاولون قول شيء عن اللعبة وعن أنفسهم. لا يستطيع أحد أن يصبح الأفضل في العالم في لعبة دون أن يحبها. وقد شعرنا جميعاً ونحن نجلس مفعمين بالإثارة في مدرجات استاد أزتيكا أننا نشاهد أمارات على هذا العشق للكرة».

كان الهبوط على سطح القمر ثمرة مشروع ركزت فيه الولايات المتحدة مواردها العلمية والتكنولوجية والمالية والعاطفية، وبمجرد أن أقر الرئيس كينيدي Kennedy بدء سباق غزو الفضاء سنة 1962، أصبح امتطاء القمر الهدف الأعظم للولايات المتحدة. وفي سنة 1962 فازت البرازيل بكأس العالم للمرة الثانية في تاريخها، وبدأت توجه مواردها إلى الفوز بها مرة ثالثة. وفي سنة 1970– حينما أصبحت الحكومة العسكرية مشاركة في كرة القدم– خضع اللاعبون لبرامج إعداد على درجة من التطور لم يتصورها أحد. وقال جيرسون Gerson: «كنا نعرف أننا نحتاج إلى فعل شيء لتطوير قدراتنا البدنية. في ذلك الجانب أحرزت الدول الأوروبية تقدمها. وفي سنة 1966، كانت حالتنا البدنية جيدة لكن ليست مثل مستواهم».

وذهب كل لاعب برازيلي إلى المكسيك ومعه زوج من الأحذية المصنوعة يدوياً بمقاس فردي، وبدؤوا قبل الرحيل بأسبوعين الحياة على التوقيت المكسيكي واتباع برنامج صارم للغذاء والنوم، حتى ملابسهم جرى إعادة تصميمها حتى لا تزداد وزناً بالعرق. وكان انتصار البرازيل انتصاراً للخيال والتلقائية، مدعوماً بالعلم والإعداد والحالة الاقتصادية.

وخلقت الطفرة الاقتصادية الطويلة الأمد– التي استمرت من نهاية الحرب الكورية إلى منتصف السبعينيات، ومولت فعلياً البرنامج الفضائي الأمريكي– سوقاً أوسع للمواد الخام البرازيلية؛ ما أدى إلى توفير الوظائف وزيادة الأجور في خمسينيات القرن الماضي. وأدى ذلك إلى زيادة الاستهلاك بين الطبقات العاملة وظهور طبقة وسطى بالمدن، لكن الفجوة بين المدينة والريف اتسعت؛ ما حفز تدفق المهاجرين وتزايد الأحياء الفقيرة. لكن الأوضاع كانت مثالية لكرة القدم، وكما يقول ديفيد جولدبلات David Goldblatt في كتابه «الكرة مستديرة» The Ball is Round: «في ظل ثروة ضئيلة لا يمكن الحفاظ على البنية التحتية لكرة القدم. وفي أجواء الثروات الطائلة المبالغ فيها لا يمكن الاحتفاظ بخطوط الإنتاج الاجتماعي للأوغاد والصبية».

وكان الفريق قد تقدم به العمر في كأس العالم 1966 في إنجلترا ولم يساعده التحكيم المتراخي الذي سمح للمنافسين بطرح بيليه خارج المباريات. فاعتزل بيليه اللعب الدولي لسخطه الشديد ولم يعد لفريقه الوطني قبل عامين من هذا التاريخ، وقال في مذكراته: «رأيت العنف وانعدام الروح الرياضية يحطمان المعنويات تماماً مثل سوء التحكيم الذي سمح لهما بالاستمرار دون عقاب».

وحتى في البرازيل أصبحت كرة القدم تتسم بالعنف المتزايد، وهذه كانت الحال في مجتمع مضطرب تشن فيه جماعات غير نظامية هجمات على النظام العسكري، وتتعرض لحملات انتقامية في المقابل. وعندما تولى

الجنرال ميديتشي Medici السلطة في أكتوبر 1969 أصبح لكرة القدم حليف في السلطة. وأدرك الجنرال- وهو مشجع مخلص لفريق فلامنجو- أن كرة القدم قد تمنحه الشرعية الشعبية التي يحتاجها. وكانت هذه أنباء جيدة لكرة القدم البرازيلية بوجه عام، لأنه ضمن وجود استثمار جيد في حملة البلاد لكأس العالم 1970. لكنه كان نبأ سيئاً للمدرب الوطني خواو سالدانها Joao Saldanha الذي كان عضواً بالحزب الشيوعي في شبابه، ومنعته صراحته من كتمان معارضته الأيديولوجية للنظام الحاكم.

كان سالدانها قد لعب لنادي بوتافوجو وأصبح صحفياً بعدما اعتزل الكرة ولقب «بخواو الذي لا يخا» لأسلوبه الصريح، فقد اعتاد نقد ناديه السابق وعين مديراً فنياً سنة 1957، فقاد فريقه إلى بطولة كاريوكا. وعلى الرغم من أنه لم يستطع الحفاظ على نجاحه وكان مرشحاً بقوة للعودة إلى الصحافة من جديد، فقد حصل على وظيفة مدرب المنتخب الوطني سنة 1969. وقال عنه بيليه: «كان ذكياً وذا لسان حاد.. جلب شعوراً جديداً بالصراحة إلى وظيفة المدرب الوطني».

وأصبح رفضه دخول اللعبة الدبلوماسية سبب سقوطه، على الرغم من أنه أهداه شعبية كبيرة كصحفي. لكن مشكلة تكتيكية عجلت بنهايته. وصال فريق سالدانها وجال في تصفيات كأس العالم محرزاً 23 هدفاً في ست مباريات فاز بها جميعاً أمام كولومبيا وفنزويلا وباراجواي سنة 1969. في تلك الأثناء أعلن المدرب بكل فخر: «الأهداف هي كل ما أريده». لكنه ذهب في رحلة استكشافية إلى أوروبا في أكتوبر من ذلك العام، وأزعجته كرة القدم الدفاعية العنيفة و«اللعب القاسي والحكام المتساهلون» الذين رآهم هناك، فقال- بعدما وضعت القرعة البرازيل مع إنجلترا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا- «النهائيات ستتحول إلى معركة إذا لم نتيقظ. وستفوز بها المنتخبات الأوروبية صاحبة

أفضل ملاكمين ومصارعين».

وعلى الرغم من أنه بطبعه لا يقبل السلبية، أدرك سالدانها أن إيماناً ساذجاً بالارتجالية في كرة القدم هو الذي أدى إلى تراجع أداء البرازيل في الثلاثينيات. وتملكه الخوف من أن يكرر الخطأ نفسه مرة أخرى. وبعد عودته حاول أن يجعل البرازيل قادرة على التعامل مع منافسين يعتمدون على القوة البدنية بشكل متزايد. وعمد لتغيير اختياراته بهدف زيادة متوسط كتلة لاعبي الدفاع خمسة أرطال وأطوالهم ثلاث بوصات. وقال بيليه: «لم يستطع تحمل النقد، وتدهورت علاقته بزملائه القدامى في الصحافة، فقد كان يحب الشراب وبدأ يتصرف بشكل متقلب».

تفاقمت الأمور في مارس 1970 حين واجهت البرازيل مباريات استعدادية متعاقبة أمام الأرجنتين، واستبعد داريو Dario المهاجم الذي جاء انتقاله من أتليتكو مينيرو إلى فلامنجو بتخطيط من مديتشي. وربما لم يكن ذلك ليُحدث فرقاً لولا أن سأله صحفي إن كان يعرف أن داريو من اللاعبين المفضلين لدى الجنرال أم لا؟ فقال سالدانها: «لا أختار وزراء للرئيس، وهو لا يختار خط هجومي».

وشعر مديتشي بالاستياء من رفض سالدانهو تعديل جدول التدريب ليسمح للاعبين بالحضور إلى مأدبة في القصر الرئاسي، ومنذ تلك اللحظة أصبح المدرب يلعب في الوقت الضائع. فدفعته الهزيمة على أرضه أمام الأرجنتين– التي أخفقت في التأهل لنهائيات كأس العالم في المكسيك– إلى حافة الهاوية، وبخاصة عندما وصف المدافع الأرجنتيني روبرتو برفومو Roberto Perfumo الفريق بأنه «أضعف منتخب برازيلي لعبت أمامه».

وكان ويلسون بياتزا Wilson Piazza وجرسون قد تعطلا في وسط الملعب، وهو ما ألقى سالدانها باللوم فيه على بيليه واتهمه بعدم تنفيذ التعليمات بالعودة

إلى الخلف والمساعدة، واعتبر هذا جنوناً، فقد كان يكفيه إساءة أن ينتقد بيليه، ولكن أن يطالبه بالدفاع فهذا ضرب من الهرطقة.

وساءت الأمور بسبب عصبية سالدانها، وفي 1967 أطلق النيران مرتين في الهواء بعد مواجهة مع مانجا Manga حارس مرمى بانجو الذي اتهمه سالدانها بالتلاعب في نتائج المباريات، ووصل إلى مدى مماثل عندما وصفه يوستريتش Yustrich– مدرب فلامنجو– بالجبان في مقابلة إذاعية، فاندفع إلى بهو فندق ريو– حيث كان يقيم يوستريتش– شاهراً مسدساً محشواً بالرصاص، لكن لحسن حظه لم يكن يوستريتش موجوداً بالمكان.

لكن وسط هذا الجنون استطاع سالدانها بطريقة ما أن يسيطر على الموقف في المباراة الثانية وجلب كولدوالدو Coldoaldo ذا التسعة عشر عاماً من سانتوس إلى بياتزا، وأعطى اللاعب على الفور حيوية وقوة لوسط الملعب وسجل بيليه هدف الفوز في آخر الوقت، إلا أن سالدانها كان مازال يشعر بأن بيليه لم يقم بواجبه الدفاعي كما ينبغي، وأقر علناً أنه يفكر في استبعاده. وتمت إقالة سالدانها على الفور وسط اتهامات بعدم الاستقرار العاطفي، وكان التعاطف الجماهيري محدوداً، وفقد المدرب القليل الذي تبقى من هذا التعاطف برد فعله الذي كان عبارة عن انفجار غريب زعم فيه أن جرسون لديه مشاكل عقلية، وبيليه لديه قصر نظر يعوقه عن اللعب، وإميرسون لياو Emerson Leao الحارس الاحتياطي لديه ذراعان قصيران.

وبعدما رفض دينو ساني Dino Sani وأوتو جلوريا Oto Gloria عرض تدريب المنتخب، عين ماريو زاجالو الجناح الأيسر المكوكي في 1958 و1962 ليحل محل سالدانها، وكان زاجالو تلميذ سالدانها في بوتافوجو، لكن الأهم هو أنه كان يعتبر يداً آمنة؛ إذ لا يحمل أي معتقدات سياسية يسارية خطيرة، ولم يبد اعتراضاً عندما عينت الحكومة العسكرية كلاوديو كوتينهو للعمل

معه كمدرب أحمال، وكان هو الذي ذهب في مهمة تقصي الحقائق إلى ناسا وأضافت الأدميرال خيرونيمو باستوس للبعثة؛ إلا أنه لم يضم داريو إلى الفريق.

والواقع أن زاجالو واجه قرارين مهمين فقط عند اختيار اللاعبين. وقال بيليه: إنه بحلول موعد قدوم المدرب «كان أفراد الفريق قد تم اختيارهم تقريباً، لكن كان هناك بعض التعديلات للقيام بها».

وكان الفريق الذي اختاره سالدانها يعتمد على فريقي سانتوس وبوتافوجو ويعمل بنفس المنطق الذي يستخدمه فيتوريو بوتزو Vittorio Pozzo وجوستاف سيبيز Gustav Sebes وهو أن اللاعبين الذين يلعبون معاً بشكل دائم يتمتعون بتفاهم أكبر؛ إلا أن زاجالو ضم روبرت ريفلينو من كورينثيانز وأكد أهمية توستاو لاعب كروزيرو، وعندما لمح منتقدوه أنهما يشبهان إلى حد كبير جرسون وبيليه، رد زاجالو: «ما يحتاجه هذا الفريق هو لاعبون عظام وأذكياء، دعونا نمضي قدماً في ذلك ونرى إلى أين سيأخذنا».

وقد أخذهم إلى قمة ربما مازال لم يتفوق عليها أحد، وقال جرسون: «كان فريقنا الأفضل، من شاهده فقد شاهده، أما الذين لم يشاهدوه فلن يروا مثله مرة أخرى».

وكان النهائي أمام إيطاليا ينظر إليه باعتباره معركة على روح كرة القدم بين فن كرة القدم الذي يقدمه البرازيليون وكرة النتائج– بوصف البرازيليين– التي يقدمها المنتخب الإيطالي. وفاز الفن، لكن فريقاً لن يتمتع أبداً بهذا النجاح بمجرد الدفع بأفضل لاعبيه إلى الملعب ومطالبتهم باللعب.

ولم يكن الأمر بالطبع بهذه البساطة على الرغم من أنه من الصعب أن تعرف مدى مركزية زاجالو، وشكل جرسون وبيليه وكارلوس ألبرتو لجنة فرعية من اللاعبين الكبار– الثعابين كما أطلق عليهم– وكانت هي التي اقترحت التشكيل على زاجالو بعد مباراة استعدادية أمام أتليتكو مينييرو انتهت بتوبيخهم بعد

فوز 1/3 بأداء بلا روح، وكان رباعي الدفاع صريحاً من بياتزا، وكذلك كان اختيار جرسون أيضاً؛ صانع اللعب الرشيق الذي يعطي عمقاً، والذي يلعب بأسلوب يصفه الإيطاليون بأسلوب المدير، وكان يحتاج إلى حماية، لذا لعب بجواره كلودو الدو- الذي لم يكن يستطيع أحد المساس به بعد مباراة الأرجنتين الثانية- كمدافع قوي البنية، وربما يكون أفضل ما يتذكره به المرء هو دوره في آخر أهداف البرازيل في النهائي؛ إذ راوغ بهدوء ثلاثة من لاعبي المنتخب الإيطالي في نصف ملعب البرازيل، لكن ذلك لم يكن من سمات لعبه على الإطلاق.

لكن ماذا بعد؟ هل كان بإمكان بيليه وتوستاو فعلاً اللعب معاً؟

قال المؤرخ إيفان سوتر Ivan Soter: «لم يكن توستاو مهاجماً بالمعنى التقليدي، بل كان رأس حربة مثل بيليه، ولذا كان يتراجع ويصبح بيليه هو المهاجم، وكان الأمر يسير بسلاسة شديدة». وكان الخطر حينئذ هو أنه لن يكون هناك أحد في منطقة الجزاء لاستغلال أسلوبهم الجذاب في اللعب، لكن خفف من ذلك وجود جايرزينهو Jairzinho الجناح الأيمن السريع (ولقد كان لقب الإعصار الذي حصل عليه يناسبه تماماً) يتقن اقتناص الأهداف، وكانت هجمته أمام إنجلترا مثالية؛ إذ اندفع في وقت متأخر إلى منطقة الجزاء لينهي الهجمة في مرمى جوردون بانكس Gordon Banks بعدما أهداه بيليه عرضية توستاو، وبنهاية البطولة كان اللاعب الوحيد الذي سجل في كل مباراة في مشوار النهائيات، وأنفق جرسون ساعات في التدريب على إرسال كرات أمامية عرضية ليجري عليها جايرزينهو، وهو ما كان فعلياً تدريباً لقدمه اليسرى، ويجري تعديلات لتناسب الأجواء المكسيكية.

وترك تقدم جايرزينهو إلى الأمام مساحات خلفه، لكن ذلك لم يكن مشكلة؛ لأن كارلوس ألبرتو كان ظهيراً أيسر مهاجماً على غرار نيلتون سانتوس، وكان

اللاعب يتقدم ويتغير تشكيل الدفاع من خلفه. وكانت لاتزال هناك مشكلتان رئيستان هما من سيلعب على الجانب الأيسر؟ وأين سيلعب ريفلينو؟ فقد كان هو الآخر لاعباً يفضل دور رأس الحربة، لكن مستوى لياقته كان يثير علامات استفهام، وكان إيفرالدو Everadlo ظهيراً ذا عقلية أكثر دفاعية، وهو ما خلق توازناً بين رباعي الدفاع، لكن كان معنى ذلك أن اختيار جناح أيسر طائر– مثل إيدو Edu لاعب سانتوس– قد يؤدي إلى ترك مساحات مدمرة على ذلك الجانب، وهي نقطة الضعف نفسها التي استغلها السايد غيجيا Alcide Ghiggia في نهائي 1950، وأصبح للمشكلتين حل واحد؛ إذ تم وضع ريفلينو مائلاً إلى اليسار على الرغم من أنه كان يضم للداخل في كثير من الأحوال، وطلب منه أن يشكل توازناً مع تقدم جايرزينهو، وتم تشجيعه على التسديد بقدمه اليسرى كلما أمكن.

هل كانت طريقة 4–4–2 أم 4–3–3 أم 4–2–4 أم 4–5–1؟ كان أسلوب اللعب يعتمد على كل هذه الخطة، ولم يكن تنفيذاً لواحدة منها بعينها، بل كان مجرد مجموعة من اللاعبين في الملعب يكمل كل منهم الآخر تماماً. بلغة اليوم ربما أمكن وصف أسلوب اللعب بأنه 4–2–3–1، لكن هذا الدهاء الفكري لم يكن له أي معنى في ذلك الوقت.

وفي تلك الأثناء لم يكن فيروتشيو فالكاريجي Ferruccio Valcareggi يجرؤ على الدفع بصانعي اللعب العظيمين: ساندرو مازولا وجياني ريفيرا Gianni Rivera في الوقت نفسه، ولذا فكر في حل وسط لم يكن ناجحاً، هو إشراكهما بالتتابع، حيث كان أحدهما يلعب في الشوط الأول والآخر في الشوط الثاني. وقد بلغ الفارق في الأداء مستوى غير مسبوق.

وأكملت البرازيل انتصارها بهدف رائع، ولم يكن أحدهم يفكر في تقدمهم بثلاثة أهداف مقابل هدف، ولم يحاول أحدهم تضييع الوقت، بل ظل الفريق

البرازيلي يلعب وأحرز هدفاً مازال يحصل باستمرار على المركز الأول في أي تصويت على أفضل هدف في تاريخ كرة القدم، وكان بمثابة هدية النهاية الرائعة من فريق رائع في بطولة رائعة.

وكانت بداية الهدف بمراوغة كولدوالدو غير المتوقعة داخل نصف ملعبه، ثم الكعب الأرعن الذي كلفته لعبة مشابهة قبل 49 دقيقة هدف تعادل إيطالي، وهي ذكرى يبدو أنها غابت عن مخيلته في ذلك الوقت، ونقل الكرة إلى جايرزينهو الذي كان على اليسار الآن، وبينما يلاحقه جياكينتو فاتشيتي Giacinto Facchetti تحول الجناح إلى داخل الملعب ومرر الكرة إلى بيليه وانتظر، وبالدقة المتراخية نفسها التي أثمرت أهدافاً أمام إنجلترا وأوروجواي في وقت سابق من البطولة أرسل الكرة إلى كارلوس ألبرتو المدافع والقائد الذي صوبها عبر الفراغ الذي تركه جايرزينهو لتسكن الزاوية الأرضية للمرمى في تسديدة على مرة واحدة.

وكان الأمر مثيراً ورائعاً، ولم تغمر السعادة البرازيل فقط، لكنها كانت نهاية لعصر البراءة في كرة القدم. في النوادي الأوروبية- على الأقل- كانت هذه الفترة قد انتهت قبل ذلك بكثير، لكن في المكسيك اجتمعت الحرارة وارتفاع الأرض عن سطح البحر لتجعل الضغط أو أي شكل آخر من أشكال تضييق الخناق على الخصم مستحيلاً، ولآخر مرة في بطولة رئيسة كانت هناك مساحات، وكان لدى البرازيل فريق جاهز تماماً لاستغلال تلك المساحات أفضل استغلال، وما كان يبدو- كما نقلته الأقمار الصناعية بالألوان حول العالم- أنه بداية عالم جديد رائع، كان فعلياً الرسالة الأخيرة لعالم كرة القدم القديمة، وربما كان ذلك هو خط التوازي الأخير بين فوز البرازيل والهبوط على القمر، وهو الطبيعة المراوغة للمستقبل الجريء الذي بدا أن الحدث يبشر به، وكما أنه لا توجد مستوطنات بشرية في الفضاء الخارجي وجدت كرة القدم

البرازيل 4 – 1 إيطاليا في نهائي كأس العالم على استاد أزتيك مكسيكو سيتي – يوم 21 يونيو 1970.

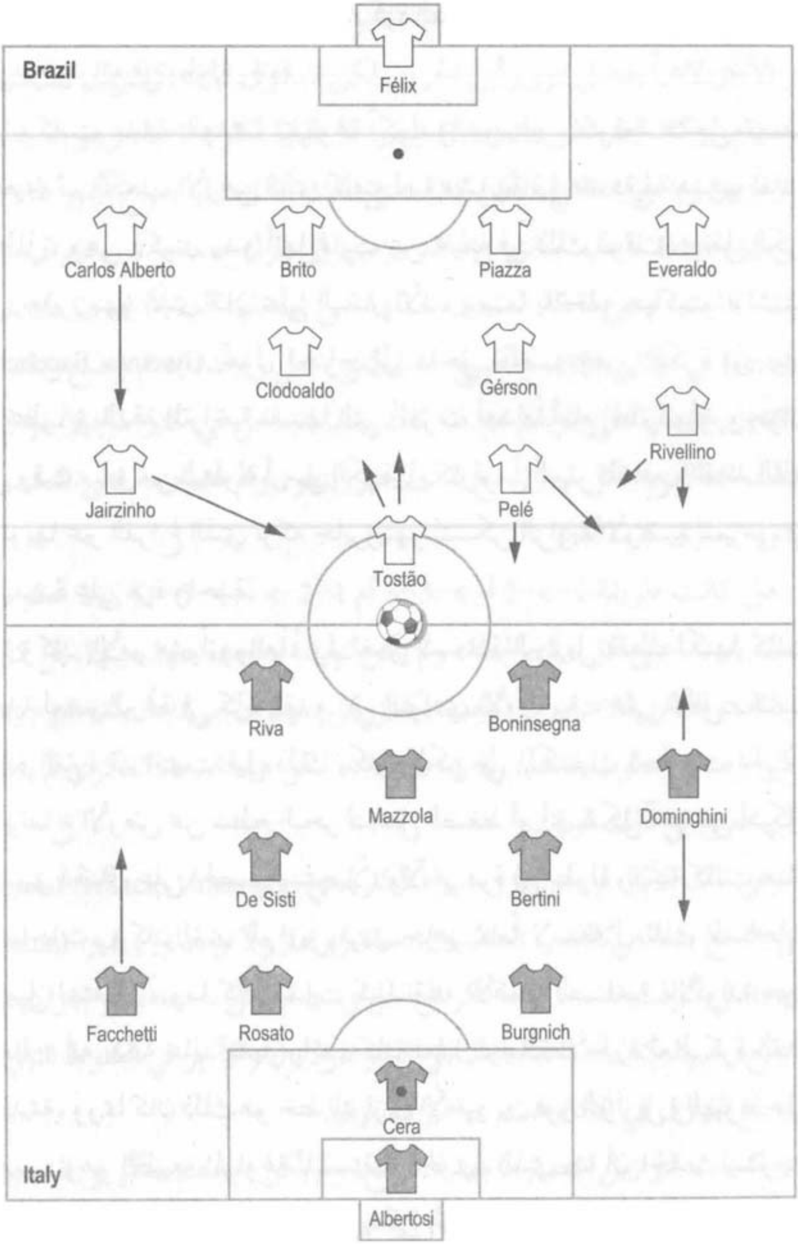

نفسها مقيدة بمخاوف أرضية.

حتى البرازيليون أنفسهم يقرون فيما يبدو بأن سنة 1970 كانت ذروة لن تتكرر. وربما كلفه ذلك وظيفته، لكن تقييم سالدانها لتوجه كرة القدم كان صحيحاً إلى حد كبير، لكنه كان سابقاً لأوانه باثني عشر شهراً تقريباً، وعلى الرغم من أن السمات الفكرية والجمالية للفرق الهولندية التي هيمنت على كرة القدم في مطلع السبعينيات لم يكن إنكارها ممكناً، فقد كانت تلك الفرق قوية بدنياً أيضاً وأكثر وعياً بمتطلبات النظام مما كانت عليه البرازيل في 1970.

ولم يكن فريق البرازيل في 1974 يشبه منتخب 1970 في شيء. وهو أمر استقبل عليه زاجالو لوما على نطاق واسع. وعلى الرغم من أن الانسحابات لم تساعده، وكان بيليه قد اعتزل، بينما عانى توستاو وجرسون وكلودوالدو جميعهم من إصابات.. كانت هناك مسحة من الخبث في لعب الفريق لم يكن يعرفها قبل أربعة أعوام. وهو ما تجلى في أوضح صوره أمام هولندا في المرحلة الثانية من دور المجموعات، حين طرح اللاعب مارينهو بيريز منافسه يوهان نيسكينز أرضاً، وحصل لويس بيريرا في نهاية الأمر على البطاقة الحمراء بسبب لعبة شديدة الخشونة مع اللاعب نفسه. وقدم الهولنديون عرضاً من أفضل ما يكون، وفازوا 0/2 دون عناء، وحلت البرازيل رابعاً. ويبدو أن ذلك أرضى غرورهم.

وبحلول سنة 1978، أصبح المنتخب البرازيلي في يدي كوتينهو (النقيب بالجيش) الذي عمل مع زاجالو في سنة 1970، وأصر على أن هدفه هو التكافؤ المتعدد– وهو ما يبدو أنه كان يقصد به الكرة الشاملة. واستدعى فرانسيسكو مارينهو Francisco Marinho الظهير الأيسر المغامر في المباريات المؤهلة، وهو اختيار انطوى على بعض الأمانة. وبحلول موعد معسكر التدريب قبل النهائيات فضل المدرب العودة لما يعرفه حق المعرفة وهو الإعداد البدني. ولم

يكن فريقه أكثر سلاسة أو أقل قوة من فريق زاجالو قبل أربع سنوات. وكانت علاقة كوتينهو بزيكو Zico متوترة، ولم يكن ريفلينو لائقاً. وانتهى الأمر بلعب توتينهو الظهير الأيمن في الجناح الأيمن، وترنح الفريق بعض الشيء لينهي البطولة في المركز الثالث.

ولم يستعد المنتخب البرازيلي حريته مجدداً حتى عام 1982، وربما كان ذلك في حرارة إسبانيا القائظة، ولم يبدأ فالكاو Falcao سوى المباراة الافتتاحية للمنتخب البرازيلي أمام الاتحاد السوفيتي؛ لأن كيريثو كان موقوفاً، لكنه قدم مستوى راقياً جعله يحصل على مكان أساسي؛ مما جعل المدرب تيلي سانتانا يتبع سياسة زاجالو في 1970 ويترك للاعبيه فقط حرية اللعب، وفي وجود زيكو وسقراط أيضاً في الفريق كان لدى البرازيل أربعة لاعبين مبدعين ومهرة في خط الوسط، لكن لم يكن لديها جناح بهذا المستوى سوى إيدر Eder ولهذا حول كيريثو وفالكاو مجدداً نقطة الضعف إلى ميزة، وكلاهما من صناع اللعب ذوي العمق، إذ تمركزا خلف زيكو وسقراط- السلاحين- بينما تم توظيف إيدر مهاجم وسط مساعداً يلعب بجوار سرجينهو Serginho المتهور الذي لم يكن ليستعان به في الجناح- بالتأكيد- لو كان رينالدو أو كاريكا لائقاً.

وكانت طريقة اللعب هكذا هي 4-2-2-2 في ظل وجود عمود قوي في المنتصف بجواره لياندرو وجونيور وهما مدافعان يغيران على الخصم، وفي سياق أوروبي كان سينظر إلى ذلك باعتبار أنه يفتقر للانتشار العرضي، لكن هذا كان فريقاً يلعب بطلاقة واتزان عند امتلاك الكرة، لدرجة أنه يخلق الانتشار العرضي بتحركاته. وكان نظاماً لم ينتشر قط- أخفقت محاولات المدرب البرازيلي فانديرلي لوكسمبورجو Vanderlei Luxembourgo في إطلاق ما أسماه المربع السحري في ريال مدريد عام 2005 وسط حيرة عامة- لكنه بدا مناسباً للعقلية البرازيلية ولاعبي الوسط اللذين يتمركزان في العمق

(بحلول 1994 عندما شغل دونجا Donga وماريو سيلفا Mario Silva المركزين كانا هما الحلقة التي تربط اللاعبين) مما وفر منصة لأربعة لاعبين مهاجمين، وهما اثنان من الوسط المهاجم ورأسا حربة، بينما سمح للاعبي الدفاع في الوقت نفسه بالتحرك بحرية على الجانبين كما كان يفعل الفريق البرازيلي أيام نيلتون سانتوس.

وقدم فريق البرازيل في 1982 أمتع كرة قدم عرفتها كأس العالم منذ 1970، وفاز على الاتحاد السوفيتي 1/2، وسحق أسكتلندا 1/4، ونيوزيلندا 0/4 بأقل مجهود، وكانت مبارياتهم سلسة ومليئة بالتمريرات ذات الزوايا الممتعة والتصويبات بعيدة المدى، وفي المرحلة الثانية من دور المجموعات فازت البرازيل بسهولة على الأرجنتين بطلة العالم لتصبح بحاجة إلى مجرد التعادل مع إيطاليا لبلوغ الدور قبل النهائي، وكانت المباراة تحصيل حاصل.

وكانت إيطاليا في مرحلة اللعب بأسلوب اللعبة الإيطالية «il gioco all Italian». المعهود عنها قبل دخول مرحلة الكاتناتشيو، لكنها كانت ما زالت تلعب بأسلوب دفاعي ملحوظ، وكما في استاد أزتيكا عام 1970 كان اللقاء مع البرازيل في استاد ساريا يعتبر لقاء رمزياً، وفي محاولة لتخفيف العجز في خط الوسط الذي سببته رؤية هريرا للكاتناتشيو اتبعت إيطاليا نهج هولندا وألمانيا في كرة القدم بمنح الليبرو مزيداً من الحرية للتحول إلى مهاجم من الخلف مثل بيرلويجي سيرا أو جايتانو شيريا، وليس للدفاع مثل إيفانو بلاسون أو أرماندو بيتشي، وجعله قادراً على التقدم من الخلف والقيام بدور لاعب الوسط الإضافي عندما يستحوذ فريقه على الكرة.

وبدأت إيطاليا البطولة بأداء ضعيف وتأهلت عن المجموعة الأولى– بعدما تعادلت في مبارياتها الثلاث– بفارق هدف واحد فقط عن الكاميرون التي تعادلت في جميع مبارياتها هي الأخرى، وبدا باولو روسي Paolo Rossi–

العائد من الإيقاف بسبب دوره في فضيحة تلاعب بنتائج المباريات– بعيداً عن أفضل مستوياته، لكن الفوز 1/2 على الأرجنتين بث فيهم الأمل وأثار شكوكاً بين البرازيليين، وقبل المباراة اعترف والدير بيريز Waldir Peres الأحدث في سلسلة طويلة من الحراس البرازيليين قليلي الحظ بأن أكبر ما يقلقه هو عودة روسي فجأة لمستواه، وأثبت بذلك أن قدراته على التنبؤ أفضل كثيراً منها على حراسة المرمى.

هل كانت هذه أعظم مباراة في تاريخ كأس العالم على الإطلاق؟ ربما. على الرغم من أن انتصار المجر في 1954 على الأوروجواي سيظل له محبوه على الدوام. وكان للمباراة شعور ملحمي دعمه ازدحام أكثر من 44 ألف متفرج هم السعة الرسمية للاستاد. ولو كانت البرازيل سجلت هدفاً مبكراً ربما استطاعت هزيمة إيطاليا بسهولة. فنظام وعقلية لاعبي إيطاليا ليسا معدين لمطاردة مباراة حتى النهاية. لكن الإيطاليين هم الذين استحوذوا على الصدارة بعد خمس دقائق فقط عندما ضم برونو كونتي Bruno Conti لداخل الملعب بعدما ترك يتقدم نحو 40 ياردة من ناحية اليمين، وأطلق الظهير الأيسر المهاجم أنطونيو كابريني Antonio Cabrini الذي أرسل عرضية لروسي ليكافئ مدربه إنزو بيرزوت Enzo Bearzot برأسية رائعة.

وهكذا بدأت المباراة تسير على نمط هجوم برازيلي ودفاع إيطالي. وخلال سبع دقائق تعادل المنتخب البرازيلي؛ إذ تبادل سقراط وزيكو الكرة، وتقدم سقراط ليودع الكرة في شباك دينو زوف Dino Zoff في الزاوية الضيقة، وبدا حينها أن البرازيل ستنطلق للفوز، وربما كان بإمكانهم ذلك لولا خطأ فظيع من سيريزو بعد 25 دقيقة؛ إذ أرسل تمريرة عرضية في اتجاه جونيور ليخطفها روسي الذي دب فيه النشاط مجددا ويسكنها شباك والدير، واستمر التقدم الإيطالي هذه المرة، وأصبح المنتخب البرازيلي على الحافة، وأخطأت كرة روسي المرمى

حينما لاحت له فرصة تعزيز النتيجة إلى 1/3 في منتصف الشوط الثاني، وبعدها بدقيقتين تعادلت البرازيل عن طريق هجمة شرسة لفالكاو ليبدو بعدها مجددا أن المنتخب البرازيلي سيتسيد الموقف.

ربما كان على المنتخب البرازيلي- الذي يحتاج للتعادل فقط للتقدم إلى الدور التالي- أن يشدد رقابته ويحافظ على النتيجة، لكن تلك لم تكن سمة البرازيليين، وواصلت البرازيل الهجوم ودفعت الثمن.

ونجح الدفاع البرازيلي في إبعاد الخطورة بعض الشيء من ركلة ركنية نفذها كونتي لتصل الكرة إلى ماركو تارديلي الذي سدد من حدود زاوية منطقة الجزاء ليودعها روسي تحت رقابة جونيور في مرمى والدير، وكانت كما قال جلانفيل Glanville- «المباراة التي وضع فيها خط وسط البرازيل الرائع موضع الاختبار ولم يستطع أن يعوض أوجه القصور الموجودة خلفه وأمامه».

كانت المباراة أحد أخطاء التاريخ. فعلى عكس ما حدث سنة 1970، أصبح النصر في كرة القدم ملك من ينتصر في الأسلوب وليس في التشكيل. ووصف زيكو هذا اليوم بأنه «يوم انتهاء كرة القدم». هذا التعبير يصف الحدث من وجهة نظر لاعب برازيلي شديد الرومانسية. وفي هذا اليوم انتهى أسلوب ساذج في لعب كرة القدم، ولم يعد ممكناً بعده اختيار مجموعة من اللاعبين المميزين وترك مسار المباراة لتقديرهم. وكان يوماً فاز فيه النظام. وظل هناك مكان للمواهب الهجومية الفردية التي أصبحت مطالبة بتحقيق الاندماج والحصول على الحماية والتغطية.

والمفارقة أن الأسلوب الإيطالي نفسه كان في مرحلة الذبول. وقال لودوفيتشو مارادي: «كان فعالاً لفترة، وبحلول نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات كان الكل في إيطاليا يلعب به، لكنه أصبح مدمراً، فقد كان الجميع يلعب بالنظام نفسه وكان ذلك ينعكس بشكل كبير على الأرقام التي يرتديها

إيطاليا 3– 2 البرازيل، مباراة المرحلة الثانية من دور المجموعات بكأس العالم على استاد ساريا في برشلونة يوم 5 يوليو 1982.

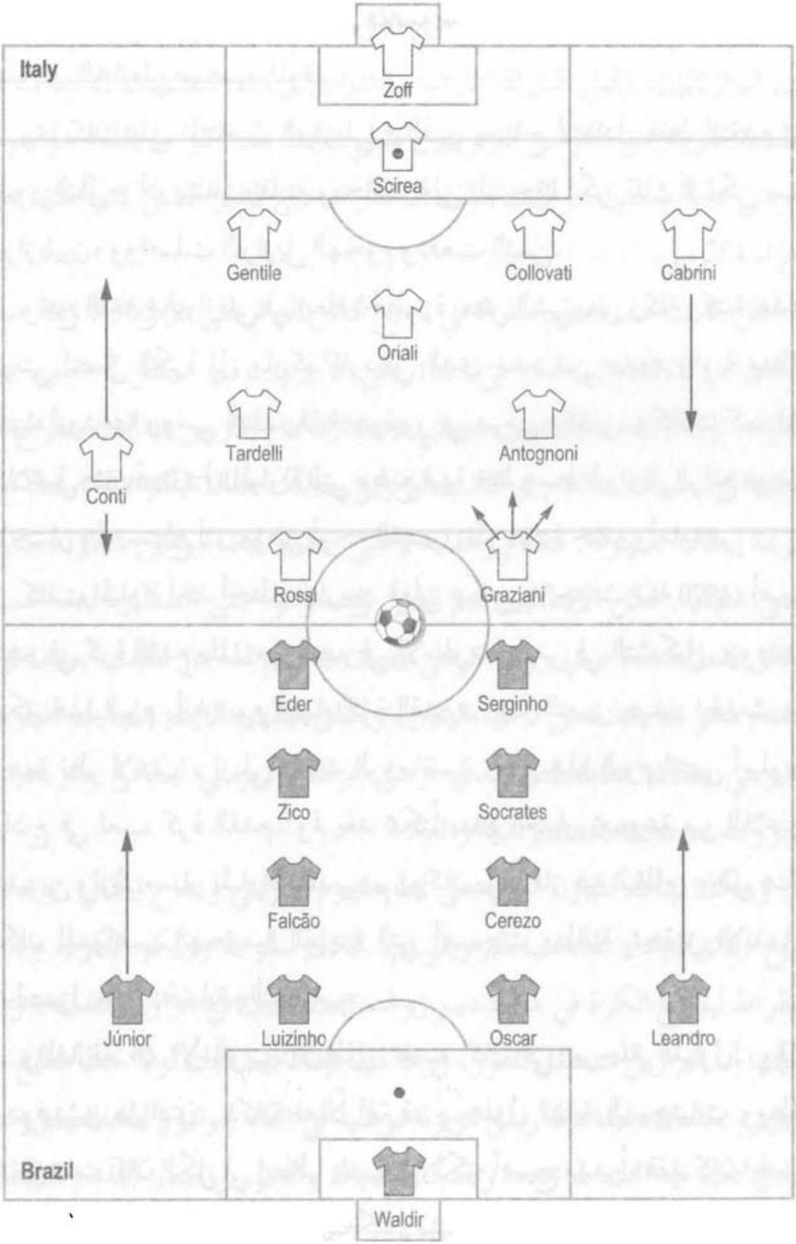

اللاعبون، فالقميص رقم 9 هو المهاجم، والقميص رقم 11 هو المهاجم الثاني الذي يأتي دائماً من اليسار، ورقم 7 هو العائد إلى اليمين، والقميص رقم 4 هو لاعب الوسط في العمق، ورقم 10 هو الوسط المهاجم، ورقم 8 هو حلقة الوصل، وعادة ما يكون في الوسط يميل إلى اليسار ليترك المساحة للاعب رقم 3 الظهير الأيسر للتقدم. وكان الجميع يلعب بأسلوب الرقابة رجلاً لرجل، لدرجة أنه أصبح ممكناً التوقع بما سيحدث: «رقم 2 يراقب 11 و3 مع 7 و4 مع 10 و5 مع 9 و6 هو الظهير الحر و7 مع 3 و8 مع 8 و10 مع 4 و9 مع 5 و11 مع 2».

وجاءت المباراة التي انكشف فيها عوار طريقة اللعب الإيطالية بعد أقل من عام من فوز المنتخب الإيطالي على البرازيل، حينما خسر اليوفينتوس نهائي الكأس الأوروبية عام 1983 أمام هامبورج الألماني. وكان ثلاثة من رباعي خط ظهر اليوفينتوس يلعبون للمنتخب الإيطالي في برشلونة مع كلاوديو جنتيل وكابريني ظهيري خلف، وشيريا كظهير حر، وكان الفارق الوحيد هو وجود سرجيو بريو في مركز المساك، واعتاد هامبورج اللعب بمهاجمين هما هورست روبيش والدانماركي لارس باستروب الذي يلعب عادة متأخراً عنه جهة اليسار، وكان ذلك مناسباً لأسلوب لعب اليوفينتوس؛ لأنه يعني أنه يمكن لجنتيل أن يراقبه، بينما يصبح كابريني حراً من الواجبات الدفاعية ليهاجم من الناحية اليسرى.

لكن إرنست هابل مدرب هامبورج أدرك ذلك فحول باستروب إلى اليمين ليضعه أمام كابريني، وكان هذا شيئاً لم يسمع به من قبل تقريباً في الكرة الإيطالية، وكان النظام التناظري الذي تتبعه الفرق الإيطالية ناجحاً؛ لأن الجميع كان يتبع الأسلوب نفسه، وكانت الواجبات الرقابية محددة كما كانت في طريقة الظهير الثالث، وقرر جيوفاني تراباتوني التمسك برقابة رجل لرجل، وانتقل جنتيل إلى اليسار لرقابة باستروب، وترك هذا بالطبع ثغرة في الناحية اليمنى التي كان

هامبورج 1–0 اليوفينتوس. نهائي كأس أوروبا، استاد أوليمبياكو أثينا 25 مايو 1983.

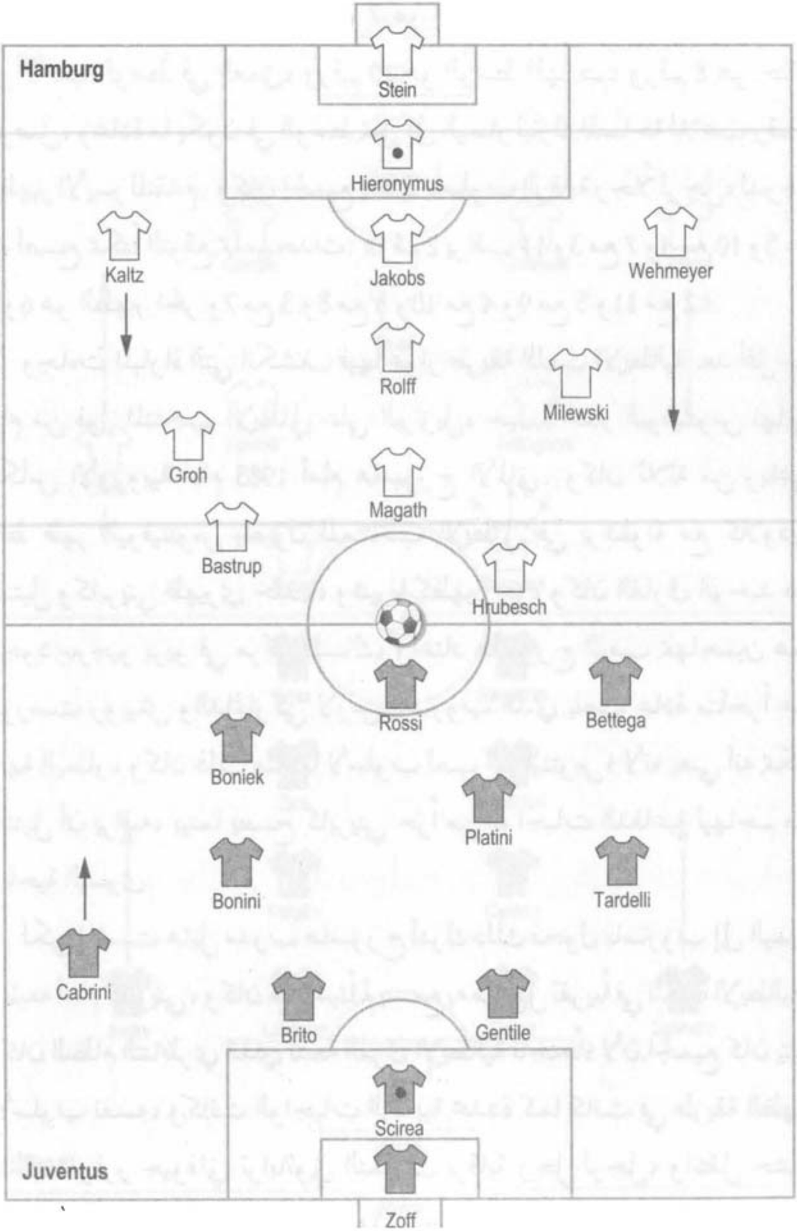

من المفترض أن يعود ماركو تارديلي للوراء ليغطيها، لكن من الناحية العملية كان تارديلي قد تم تحييده كقوة مهاجمة، وأخفق في تقديم التغطية الكافية لتلك الثغرة التي اخترقها فليكس ماجاث ليسجل هدف المباراة الوحيد.

كيف يمكن إذاً وضع صانعي اللعب في نظام؟ غيرت فرنسا بقيادة ميشيل هيدالجو Michel Hidalgo –وفي وجود فريق يملك مهارات المنتخب البرازيلي تقريباً– شكل اللعب وفقاً للخصم؛ إذ كان ميشيل بلاتيني Michel Platini يلعب أحياناً مهاجماً صريحاً، وقد كان بلاتيني لاعباً استثنائياً، واستخدمه هيدالجو بأسلوب فريد، لكن الأمر المهم هو أنه طلب من صانع اللعب أن يعدل أسلوبه وفقاً لمتطلبات النظام بدلاً من بناء الفريق كله حول مهاراته. وينبغي القول في هذا الشأن بأنه كان مدعوماً بجودة اللاعبين من حوله، إذ كان ألان جريس Alain Giresse وجان تيجانا Jean Tigana صانعي لعب من طراز عالمي في حد ذاتهما، وكانت مهمة هيدالجو ببساطة إيجاد التوازن المثالي بين الإبداع والتشكيل، وكان يمكنه بسهولة توقع مجيء الفرص.

وفي منتخب الأرجنتين عام 1986 لم يكن لدى كارلوس بيلاردو مثل هذه الرفاهية. وفي ضوء أنه تربى في ظل أوسفالدو زوبيلديا، لم يكن مفاجئاً أن يتبع أسلوباً أكثر عملية. وكان بيلاردو يقول: أي فريق يحتاج لسبعة لاعبين في الدفاع وثلاثة في الهجوم. ونجح ذلك عندما كان أحد الثلاثة لاعبين هو دييجو مارادونا. ذلك لأن ظهور أكثر مدربي العالم التزاماً وانتظاماً مع لاعب يمكن وصفه بأفضل اللاعبين في تاريخ الكرة (مارادونا) كان أحد المفارقات الكبيرة في كرة القدم. وكما اتضح فيما بعد، فقد ألهم ذلك بيلاردو بالقيام بآخر تغيير كبير في أسلوب اللعب على الرغم من أنه يزعم أنه جربه للمرة الأولى مع فريق إستوديانتس عام 1982.

وكان الاتجاه على مر التاريخ هو إضافة مدافعين من اثنين في التشكيل

الهرمي إلى ثلاثة في طريقة الظهير الثالث إلى أربعة في جميع الطرق المتبعة تقريباً بعد سنة 1958. لكن بيلاردو استبعد واحداً، أو على الأقل زعم أنه فعل ذلك. وقال: إن كان لم يعد هناك لاعبو جناح، فلماذا ننزعج من المدافعين؟ منذ نيلتون سانتوس، أصبح لاعبو الدفاع أكثر ميلاً للهجوم. لماذا إذاً لا نعيد توظيفهم كلاعبي وسط ونلعب بهم في مراكز متقدمة من الميدان؟ وهكذا ولدت طريقة 3–5–2، فعند اللعب بلاعبي وسط في الأجناب وتقدم لاعبي الدفاع للهجوم– كما فعلت ألمانيا الغربية على سبيل المثال في 1990 مع ستيفان رويتر وأندرياس بريمه أو كرواتيا في 1998 مع ماريو ستانيتش وروبرت ياريني– كان الأسلوب دفاعياً بعض الشيء. أما عند اللعب بلاعبي دفاع تقليديين فكانت– رغم نفي المدربين لذلك– تتحول إلى 5–3–2، وكان الهرم قد قلب رأساً على عقب.

اعتزل بيلاردو اللعب سنة 1970 وخلف زوبيلديا في تدريب فريق إستوديانتس في العام التالي، وفي أثناء عمله بالتدريب شارك أيضاً في إدارة أعمال والده في نشاط تجارة الأثاث ومارس الطب كطبيب لأمراض النساء ولم يعتزل الطب حتى 1976 حينما انتقل إلى ديبورتيفو كالي في كولومبيا، ثم قضى فترة بعد ذلك مع فريق سان لورينزو والفريق الوطني الكولومبي واستوديانتس قبل أن يعين خلفاً لسيزار لويس مينوتي بعد كأس العالم 1982، وظلت علاقة الاثنين ودية بشكل نسبي في هذه المرحلة رغم وضوح أن كلاً منهما يمثل فلسفة متعارضة تماماً لفلسفة الآخر.

على الأقل في بادئ الأمر كان بيلاردو يتحدث بحماس عن أداء الأرجنتين حينما فازت بكأس العالم 1978، وبعدما تلا الفريق خلفا لمينوتي التقى الاثنان في فندق أرينا في إشبيلية في مارس 1983، وأبلغه مينوتي حينها أن إستوديانتس هو سبب تأخر الكرة الأرجنتينية عشر سنوات، لكنهما افترقا من دون خصومة؛

إلا أن بيلاردو تجاهل وصية سلفه واستبعد ألبرتو تارانتيني Alberto Tarantini وهوجو جاتي Hugo Gatti من الفريق في مباراته الأولى، وكانت مباراة ودية مع تشيلي، وهو ما رد عليه مينوتي بكتابة مقالة انتقد فيها بيلاردو انتقاداً لاذعاً في صحيفة «كلاري». وبعد انتهاء الهدنة أصبح الاثنان عدوين لدودين.

وبينما كان مينوتي يعيد النظر في رؤاه بشأن أسلوب la nuestra مضى بيلاردو في الفوز. وقال: «أحب أن أكون الأول، عليك أن تفكر في أن تصبح الأول؛ لأن الثاني لا خير فيه، فاحتلال المركز الثاني يعني الفشل، بالنسبة إلي فمن الجيد أن تشعر بالسوء عندما تخسر، يمكنك التعبير عن ذلك بالبكاء إن أردت أو بالعزلة أو هبوط المعنويات؛ لأنه لا يمكنك أن تخذل الناس (الجماهير والجميع والشخص الذي وقع معك) سأشعر بسوء بالغ إذا خسرنا مباراة، وأن أشاهد تلك الليلة في مطعم ما أتناول العشاء بنفس مطمئنة، لا يمكنني أن أسمح بذلك، فكرة القدم تُلعب من أجل الفوز، فالعروض مكانها السينما والمسرح، وكرة القدم شيء آخر، لكن بعض الناس يخلطون الأمور».

في الجزء الأول من فترة توليه لتدريب الفريق كان بيلاردو نفسه ينظر إليه باعتبار أنه متخبط، وسجل بداية أشبه بالكارثة؛ إذ فازت الأرجنتين بثلاث مباريات فقط من أول 15 مباراة لعبتها تحت قيادته، وشملت هذه المسيرة خروجاً مهيناً من كأس أمريكا الجنوبية (كوبا-أمريكا) وهزيمة من الصين في بطولة مصغرة في الهند، وبحلول الوقت الذي بدأت فيه الأرجنتين جولة أوروبية في سبتمبر 1984 كان منصب بيلاردو يتعرض إلى خطر كبير، وقال بيلاردو: «كنا في المطار على وشك المغادرة عندما جاءني جوزيه ماريا مونوز Jose Maria Munoz المعلق في راديو ريفادا، وقال لي: لا تقلق، فسيعود الهدوء مجدداً إذا فزنا بهذه المباريات الثلاث».

غير أن ذلك بدا غير مرجح على الإطلاق، وعندما قرأ بيلاردو أسماء

اللاعبين الذين اختارهم لمواجهة سويسرا في أولى مباريات الجولة كانت سمعته قد تدهورت، لدرجة أنه كان يفترض على نطاق واسع أنه قد ارتكب خطأ، وقال: «أخبروني أنني كنت مخطئاً وأنني اخترت ثلاثة لاعبين في مركز قلب الدفاع، لكنني قلت لهم: إنني لا أشعر بالتخبط ولا ينبغي لهم الانزعاج وإن كل شيء على ما يرام. وكنا سنستخدم ثلاثة مدافعين وخمسة لاعبين في وسط الملعب ومهاجمين اثنين، فقد تدربنا على ذلك على مدى عامين، والآن كنت سأطبق ذلك عملياً في مباريات صعبة».

فازت الأرجنتين على سويسرا 2/0 وبنفس النتيجة على بلجيكا ثم تغلبت على ألمانيا الغربية 3/1، وقال بيلاردو: «نجح النظام واستخدمناه فيما بعد في كأس العالم 1986، حيث شاهده العالم كله، وعندما ذهبنا للعب بهذه الطريقة فاجأنا العالم كله؛ لأن أحداً لم يكن مطلعاً على تفاصيل النظام».

وربما قرر بيلاردو أن يفعل ما فعله ألف رامسي سنة 1966، ويحمي خطة لعبه الجديدة عمداً من أعين المتجسسين. وربما كانت الحقيقة أن إنجازه ليس في أي خطة لعب عظيمة بقدر ما هو في تغيير الإستراتيجية تبعاً للموقف (كما كان يفعل رامسي إلى حد ما).

على أي حال، لم تذهب الأرجنتين إلى المكسيك محاطة بهالة كبيرة من التفاؤل. فالأرجنتين رغم فوزها في آخر مباراتين تمهيديتين على إسرائيل 2/7، لم تعرف الفوز على مدار سبع مباريات سابقة. وكما قال مارادونا في مذكراته: كان الجمهور يشاهد مباراتهم الأولى في البطولة أمام كوريا الجنوبية «وأعينهم نصف مغلقة» خشية الهزيمة المهينة التي وقعت في نهاية الأمر على يد الكاميرون بعد أربع سنوات». وأضاف مارادونا: «لم يكونوا على علم بأسماء اللاعبين المشاركين. وكان دانييل باساريلا قد غادر. وانضم خورخي لويس براون وخوزيه لويس كوكيوفو وهكتور إنريكي إلى الفريق. وكنا نشعر بالثقة.

لكننا لم نكن حققنا حتى ذلك الوقت نتيجة إيجابية واحدة نبني عليها. فكل خطط بيلاردو الدقيقة وتكتيكاته واهتمامه الشديد بالمراكز...كل شيء سار على أكمل وجه».

وبيد أن كوكيوفو وإنريكي لم يلعبا المباراة الأولى. وبدأت الأرجنتين بخطة 4–4–2 مع وجود براون كليبرو وراء نستور كلوسين وأوسكار روجيري وأوسكار جاري وبيدرو باسكولي بجوار خورخي فالدانو في مركز متقدم. وفازت الأرجنتين بالمباراة بسهولة. لكن أمام إيطاليا قرر بيلاردو أن اللاعب كوكيوفو أكثر استعداداً للتعامل مع المهاجم الإيطالي المندفع جوزيبي جالدريزي، وتولى روجيري رقابة أليساندرو ألتوبيلي. وحسب الطريقة الإيطالية المعهودة ترك الظهير الأيسر جاري حراً ليتقدم لمنتصف الملعب. وطبق المدرب أسلوب اللعب نفسه في المباراة الثالثة في دور المجموعات أمام بلغاريا، وفي انتصار الدور الثاني على الأوروجواي.

ولم يستقر بيلاردو على التشكيل الذي سيفوز على بليجكا في نصف النهائي وألمانيا الغربية في النهائي حتى مباراة إنجلترا في الدور ربع النهائي (بالطبع استقر رامسي على التشكيلة النهائية في مباراة ربع النهائي أمام الأرجنتين). وفي براون، لعب بلاعب ليبرو فيما بدا ارتداداً لأيام الظهير الحر الذي لعب دوراً بسيطاً واشتهر لاعبون مثل بيشي في هذا المركز، وأمامه مساكان روجيري وكوكيوفو لرقابة رأس حربة الخصم. ولعب سرخيو باتيستا أمامهما، وخوليو أولارتيكوتشيا– المفضل لجاري ذي العقلية الدفاعية– وريكاردو جيوستي على الجناحين.

وكان لخورخي بروتشاجا– كحلقة وصل بين خطي الوسط والهجوم– مركزه الثابت مثلما كان فالدانو ومارادونا، وهو ما ترك مركزاً واحداً فقط شاغراً، وكان باسكولي قد سجل هدف الفوز أمام الأوروجواي في الجولة

السابقة، لكن بيلاردو قرر استبعاده وإشراك إنريكي بدلاً منه، وقال: «لا يمكنك اللعب أمام إنجلترا برأس حربة صريح، فسيبتلعونه، كما أن الرجل الإضافي في خط الوسط سيعطي مارادونا مساحة أكبر».

وهكذا لعب مارادونا اسماً كمهاجم ثان ولكنه مُنح حرية الحركة في أي مكان يراه مناسباً بفضل القاعدة الدفاعية الموجودة خلفه، وكان هدفه الأول بعد 51 دقيقة من اللعب مثالاً على الحيوية في أسوأ صورها، أما هدفه الثاني بعدها بأربع دقائق فقد كان رائعاً بمعنى الكلمة، ودفع بوبي روبسون الذي حثه تأخره بهدفين على الهجوم بجناحيه جون بارنز وكريس وادل وهو ما كشف على الفور نقاط الضعف الدفاعية في نظام بيلاردو، وحول جاري لينيكر عرضية بارنز في الشباك مسجلاً هدفاً لإنجلترا، وكاد يكرر ذلك في الثواني الأخيرة من اللقاء.

هل كان ممكناً لفريق يلعب بجناحين أن يتغلب على الأرجنتين؟

ربما. يمكن القول إن خط الوسط المكون من ثلاثة لاعبين هم باتيستا وإنريكي وبروتشاجا كان سيستحوذ على الكرة، لكنهم أخفقوا في قطع الإمدادات إلى بارنز ووادل حتى أمام خط وسط مكون من لاعبين اثنين فقط يفتقران للشراسة مثل جلين هودل وستيف هودج، وحل كارلوس تابيا محل بروتشاجا ذي النزعة الهجومية الأكبر قبل النهاية بخمس عشرة دقيقة، لكن بارنز واصل مشاغباته.

بيد أن الأمور لم تفرق كثيراً، فبلجيكا لم يكن لديها لاعبو أجنحة من أي نوع، ومن كان يقول: إنه ستواتي المنتخب البلجيكي الشجاعة للعب بأجنحة حتى لو كانوا متوافرين لديه؟ وحصرت المواجهة في نصف النهائي في شكل معركة في منتصف الملعب لتخسر بسبب مزيد من التألق من مارادونا.

وفي النهائي التقت الأرجنتين بألمانيا الغربية أثناء مرورها بفترة انتقالية

مضطربة للعب بنظام جناح مدافع، وكانت عمليات التطور مختلفة رغم الاعتراف بأن جميع احتمالات طريقة لعب 3–5–2 يبدو أنها حدثت بشكل متواز مع الانتقال إلى طريقة 4–2–4 في أوروبا وأمريكا الجنوبية على الرغم من أن النتيجة كانت متشابهة.

كانت كرة القدم الألمانية الغربية قد تحولت بعد الهزيمة في نهائي كأس العالم 1966 تدريجياً إلى اللعب بليبرو بالأسلوب نفسه الذي يطبقه الهولنديون، ورسخ فرانز بيكنباور بحلول 1974 مكانه كظهير حر له واجبات هجومية في خطة لعب 1–3–3–3، وكان قد لعب الدور نفسه في بايرن ميونيخ في أواخر الستينيات بتشجيع من مدربه اليوغوسلافي زلاتكو كايكوفسكي الذي نشأ في بيئة أدركت قيمة قلب الدفاع الذي يجيد تمرير الكرة، ولم يكن من قبيل المصادفة أن أول ليبرو عظيم في تاريخ أياكس فيليبور فاسوفيتش نشأ في البيئة نفسها، فبيكنباور نفسه كان يؤكد دائماً أن أسلوبه الهجومي نجم عن لعبه في وسط الملعب مع منتخب ألمانيا الغربية، حيث ظل فيلي شولز في مركز الليبرو، وهو ما كان معناه أنه أقل عرضة للشعور بعدم الراحة الذي يساور المدافعين دائماً عند التقدم بالكرة.

وأياً كانت أصولها فقد أصبحت طريقة 1–3–3–3 مع اتباع أسلوب الرقابة رجلاً لرجل وتحرير الليبرو تماماً هي الأسلوب المعتاد في كرة القدم الألمانية، ومع تعديل بسيط هو سحب أحد المهاجمين ليقوم بدور صانع اللعب كانت هذه مازالت هي في الأساس النظام الذي اتبعه بيكنباور عند تدريب المنتخب الألماني الغربي في المكسيك في 1986، وفي الدور ربع النهائي على سبيل المثال عندما تغلب منتخب ألمانيا الغربية على البلد المضيف بركلات الترجيح لعب ديتمار جاكوبس Ditmar Jakobs كظهير حر مع من اليمن لليسار أندرياس بريمه وكارل هاينز فورستر وهانز بيتر بريجل أمامه.

وتألف خط الوسط من توماس برثولد ولوثار ماتايوس ونوربرت إيدر، وقام فيلكس ماجاث بدور صانع اللعب خلف كارل هاينز رومينيجي وكلاوس الوفس.

بيد أنه في مباراة نصف النهائي أمام فرنسا والتي فازت بها ألمانيا الغربية 0/2 اعتمد المنتخب الألماني أيضاً على ثلاثة لاعبي قلب دفاع؛ إذ تراجع إيدر إلى جانب فورستر ودخل فولفجانج رولف في خط المنتصف ليؤدي الرقابة رجلاً لرجل على ميشيل بلاتيني، وطلب بيكنباور من فورستر أن يظل في العمق، وهكذا كما قال المدافع: «انتهى بنا الأمر إلى أن نلعب بأسلوب رقابة المنطقة كأسلوب أساسي بالنسبة إلينا تقريباً». ولم يثر الجدل في الكرة الألمانية حتى مرور عشر سنوات أخرى تقريباً.

ومع انتظار رولف عودة بيرثولد من الإيقاف تولى ماتايوس مهمة رقابة مارادونا في المباراة النهائية، وتعلقت ألمانيا الغربية بأسلوب 3–5–2 وظل مارادونا تحت السيطرة نسبياً، لكنه حيد أيضاً ماتايوس؛ إذ جذبه معه في العمق لدرجة أنه كان يعتقد أن لألمانيا أربعة لاعبين في قلب الدفاع، وفي وجود اثنين مسّاكين أمام الخط الخلفي لم يترك لهم حرية الإبداع وأدى إلى عزل ماجاث، وكانت النتيجة هي أنه لم يشارك في أي لعبة تقريباً.

وكان تخلي لاعبي ألمانيا الغربية عن الأجناب– ولم يكن النظام الذي يتبعونه يسمح حتى للمدافعين بالتقدم– هو ما تريده الأرجنتين، ووضعهم براون في المقدمة برأسية بعدما توغل شوماخر عند الركنية، وعندما أضاف فالدانو بهدوء الهدف الثاني بعد 11 دقيقة من الشوط الثاني بدا أن المباراة قد انتهت، وعندها فقط تحرر ماتايوس من واجباته الدفاعية، وعندها فقط بدأت ألمانيا الغربية اللعب؛ مما كشف نقطة ضعف كانت وبالاً على بيلاردو، وكان من المفترض أن تكون الجمل التكتيكية تخصصه، لكنه كان قلقاً للغاية بشأن قدرة

فريقه على الدفاع عنها، لدرجة أنه في الرابعة من صباح يوم المباراة النهائية اندفع إلى غرفة روجيري وقفز على المدافع المرتبك وهو نصف نائم وسأله: من يراقب الركنيات؟ وجاءت الإجابة فورية: «رومينيجي» التي اعتبرها بيلاردو دليلاً على أن روجيري لديه ما يكفي من التركيز.

وقبل 16 دقيقة من النهاية وبينما يعالج براون كسراً في كتفه أرسل رودي فولر ركنية إلى رومينيجي ليسجل الهدف الأول، وبعد ثماني دقائق هيأ بيرثولد برأسه ركنية أخرى عبر المرمى وتعادل فولر، وربما بعد أن حققت ذلك كان من المفترض أن تعود ألمانيا إلى السلبية التي كان يتطلبها النظام المتبع في الفريق على ما يبدو، ولكن هذا لم يحدث، وكانت قوة الدفع في صالحهم، وفي النهاية تركوا مساحة خلف دفاعاتهم، ولم يستغرق الأمر من مارادونا سوى ثلاث دقائق لاستغلال تلك الساحة ووضع تمريرة من وراء بريجل إلى بروتشاجا لينطلق بها ويسجل هدف الفوز.

وباسترجاع ما حدث يبدو نجاح الفريق غريباً تقريباً، وفي حين أنه ليس من الإنصاف وصف الفريق بأنه يعتمد على لاعب واحد فإن مخاطر الاعتماد الشديد على مارادونا كانت ظاهرة؛ إذ فازت الأرجنتين بست مباريات فقط من 31 مباراة لعبتها بين نهاية كأس العالم لهذه السنة والكأس التي تلتها، ومضى الفريق بشكل أو بآخر ليصل إلى النهائي، ولم يفز بيلاردو بمباريات كثيرة كمدرب للفريق الوطني، لكنه اعتاد الفوز بالمباريات المهمة، علاوة على ذلك فقد أصبح تفكيره بدهياً، وبمجيء كأس العالم في إيطاليا عام 1990 كان المعتاد هو وجود ثلاثة في خط الظهر.

طبقت ألمانيا الغربية حاملة اللقب التشكيلة من خلال اللاعبين كلاوس أوجينثالر وجويدو بوشوالد وواحد من اللاعبين بيرثولد أو يورجن كوهلر، وكان هذا الثلاثي يلعب كقاعدة لثلاثي الوسط الذي تكون من اللاعب

الأرجنتين 3 – 2 ألمانيا الغربية ، نهائي كأس العالم، استاد أزتيكا مكسيكو سيتي، 29 يونيو 1986.

ماتايوس الأساسي ولاعبين اثنين يتم اختيارهم من كل من بوشوالد وتوماس هاسلر وأوفي بين وبيير ليتبارسكي وأولاف ثون. وكان هذا جمال النظام، فقد سمح بإجراء تعديلات تحدث ببساطة دون تغيير كبير في شكل الفريق. وفي مباراة هولندا بالجولة الثانية مثلاً لعب بوشوالد– وهو مدافع في العادة– في الوسط للمعاونة في قطع تمريرات المنتخب الهولندي.

ولم يتطلب الأمر سوى تعديلات بسيطة لملاقاة البرازيل، فواحد من المساكين الاثنين في أسلوب 4–2–2–2 يصبح قلب دفاع ثالثاً على الرغم من أنهم لم يبد أبداً أن لديهم كثيراً من الثقة في طريقة اللعب هذه، ولم يكن أداؤهم جيداً بشكل عام؛ إذ خسروا بهدف للاشيء أمام الأرجنتين في الجولة الثانية.

والمثير للدهشة بصورة أكبر هو أنه حتى إنجلترا تبنت أسلوب اللعب بظهير حر، وذلك كملاذ أخير تقريباً بعدما بدأ الفريق المنافسة بتعادل 1/1 مع أيرلندا وهو أمر سيئ لدرجة أن مجلة «جازيتا ديلا سبورت» نقلت الخبر تحت عنوان «رجاء، لا كرة قدم، فنحن بريطانيون».

ومع وجود مارك رايت كظهير حر يجاوره تيري بوتشر وديس ووكر، شعر الفريق الإنجليزي أن بإمكانه توظيف المهارات الهجومية لكريس وادل وديفيد بلات وبول جاسكوين في خط المنتصف ذاته، وربما صادفهم الحظ في بعض الأوقات، لكن النتيجة كانت– في مفارقة بدا أنها كفَّت بصر الجمهور الإنجليزي عن حقائق أخرى أكبر في البطولة– أن الفريق لعب بمغامرة أكبر مما لعب به على مدى سنوات، وبلغ الدور قبل النهائي للمرة الأولى منذ 1966، وهناك كانوا نداً جيداً بما فيه الكفاية لألمانيا الغربية قبل أن يخسروا بركلات الترجيح.

غير أن مسابقة كأس العالم لم تكن جيدة هذه المرة، فقد تراجع عدد الأهداف إلى معدل منخفض غير مسبوق بلغ 2,21 هدف في المباراة، وارتفع عدد

البطاقات الحمراء لمستوى قياسي بلغ 16 بطاقة، حتى ألمانيا الغربية– التي كانت الفريق الأفضل في البطولة بلا منازع– سجلت ثلاثة أهداف فقط في آخر ثلاث مباريات بالبطولة، اثنان منهما من ركلات جزاء وهدف من ركلة حرة.

وكان الفريق الألماني مبنياً في الغالب على عنصر القوة، وهو أمر بدا أن أسلوب لعب 3–5–2 يشجع عليه. وأصاب هذا الأسلوب يوهان كرويف بالإحباط، ووصف فيما بعد استبدال الجناح بظهير أنه «انتهاء كرة القدم».

وكانت هذه نتيجة الوجه الآخر لمنطق بيلاردو.. أن المكان الأفضل لصانع اللعب ربما لا يكون وسط الملعب وإنما مركز المهاجم الثاني. وربما كان بيلاردو مبالغاً في إصراره على اللعب بثلاثة لاعبين وسبعة عدائين، لكن التوازن كان يميل إلى هذا الاتجاه. حتى هولندا في 1988 وظفت في نهاية الأمر رود خوليت Ruud Gullit كمهاجم ثان خلف ماركو فان باستن Marco van Basten في أسلوب لعب 4–4–1–1.

ولما اكتسب اللاعبون لياقة أكبر وأصبح النظام أكثر ترتيباً، باتت الدفاعات أقوى، وتبددت المثالية البرازيلية وتحول المهاجم الثاني صانع اللعب إلى لاعب وسط خامس. وبعد العقم الذي شهدته كأس العالم 1990 جاء المستوى الأدنى في البطولة الأوروبية 1992 حين بلغ معدل التهديف هدفين و 13من المئة في المباراة. وحين غير الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) القواعد في خطوة يائسة منه لحظر إمساك حارس المرمى الكرة إذا تلقاها من أحد زملائه والعرقلة من الخلف، بدت كرة القدم تبتعد إلى الأبد عن الجماليات. ومع انتشار التحليل الجيد والفهم العميق للعبة ووجود الإستراتيجيات الدفاعية الصارمة، أصبح السؤال المطروح في مطلع تسعينيات القرن الماضي: هل عاد للجماليات مكان في اللعبة؟

الفصل الخامس عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

واقعية الإنجليز (2)

بدأ التقدم- كالعادة- بانكسار، فجاء هدف كريس لاولر في مباراة الذهاب- التي انتهت بهزيمة ليفربول في ماركانا 2-1- ليمنح ليفربول أمل التغلب على ريد ستار بلجراد في مباراة العودة، والوصول إلى ربع نهائي كأس أوروبا موسم 1973-1974، لكن في ملعب أنفيلد لعب ريد ستار- بقيادة ميليجان ميلجانيتش- مباراة رائعة معتمداً على الهجمة المرتدة ليحرز هدفين قبل الاستراحة عن طريق فوجين لازاريفيتش وسلوبدان يانكوفيتش، ويفوز 4-2 في مجموع المباراتين.

وفي اليوم التالي (5 نوفمبر 1973) في غرفة ضيقة بلا نوافذ قرب الردهة المؤدية إلى غرفة تغيير الملابس باستاد أنفيلد، أعطى ستة رجال إشارة البدء للنقلة الأسلوبية التي أدت إلى سيطرة الأندية الإنجليزية على بطولات أوروبا في أواخر سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن الماضي. ولم تكن «غرفة الأحذية»- كما سيعرفها التاريخ لاحقاً- توحي بأنها قد تشهد التخطيط لثورة كروية، فكانت ضيقة، سجادها بال معلق من طرف واحد، وبها مشاجب لتعليق أحذية اللاعبين. وتزين جدرانها صورٌ للفريق وتقويمات عليها صور عارية. واخترع جو فاجان- مدرب الفريق الأول- تحت قيادة بيل شانكلي تقليد عقد مناقشات بعد المباراة في الغرفة. فملأ الغرفة بسلال الخمر- التي قدمها رئيس مجلس إدارة شركة جينيس للصادرات Guinness Exports. وفي البداية، لم يلتق إلا ببوب بيسلي- أخصائي العلاج الطبيعي بالفريق آنذاك. وبالتدريج بدأ أفراد آخرون يتوافدون إلى الغرفة من الغرفة الخلفية للنادي.

ويقول بيسلي: «كنا نعقد في غرفة الأحذية مناقشات أوسع من التي تعقدونها في غرفة الاجتماعات. وما يجري في الغرفة يظل حبيس جدرانها الأربعة. وكان للمكان سحر خفي». ووُجهت الدعوة إلى المديرين الفنيين للمنافسين- الذين رغبوا في الإدلاء بمعلومات عن اللاعبين وآراء حولهم، وزار الغرفة إلتون جون Elton John خلال رئاسته مجلس إدارة نادي واتفورد. وتروي الأسطورة المنسوجة عن ملعب أنفيلد أنه عندما عرض على جين قرنفلي أن يطلب شراباً يحتسيه، تم تقديم البيرة له.

وتدريجيا زادت أهمية غرفة الأحذية، فتحولت فعلياً إلى مكتبة يستطيع فيها المدربون الرجوع إلى مراجع مدونة بها تفاصيل التدريبات وخطط اللعب والمباريات، وفي كتاب Winners and Lossers: The Business Strategy of Football، ادعى أخصائي الاقتصاد ستيفان زيمانسكي والمستشار التجاري تيم كويبرز أن نجاح ليفربول في السبعينيات والثمانينيات جاء نتيجة لهيكله التنظيمي- الذي كانت غرفة الأحذية المفتاح الرئيس في بنائه- فكتبا يقولان: «تبدو غرفة الأحذية وكأنها قاعدة بيانات للنادي، لا تحتوي فقط على حقائق وأرقام، وإنما تشمل أيضاً سجلاً عن معنويات الفريق ومواقفه وفلسفته». لكن في ليلة البون فاير عام 1973، لم يكن الجزء الأكبر من هذا النجاح قد ظهر بعد، وبدا ليفربول وكأنه قد وصل إلى طريق مسدود. ففريق ريد ستار- الذي وصل إلى الدور قبل النهائي في عام 1970 كان بلا جدال فريقاً جيداً، لكن طريقة انتصاره كانت تشير إلى عيب جوهري بالمنافس أكثر من إشارتها إلى تمتع لاعبيه بمستوى غير عادي، ولذلك عقد اجتماع ضم شانكلي وفاجان وبيسلي وانضم إليهم في غرفة الأحذية روني موران، مدرب الاحتياطي، وتوم ساندرز، رئيس قطاع الناشئين، وروبين بينيت، المدرب الأسكتلندي الكبير- الذي كان يتميز بالانضباط الصارم واشتهر بأنه كان يطلب من اللاعبين

المصابين أن يعالجوا إصاباتهم بدعك موضع الإصابة بفرشاة من السلك أو بوضع الملح عليها– ولم تكن هذه المناقشات بالتحديد مناقشات حاسمة، لكن الموضوعات التي تناولوها بالمناقشة كانت جوهرية وتلخصت في السؤال التالي: لماذا يبدو ليفربول– رغم سيادته على المستوى المحلي– هشاً للغاية على مستوى أوروبا؟ ورغم ما عُرف عن الإنجليز من عجز عن تنفيذ المتوقع منهم، كان إدراك وجود خلل دليلاً على مثالية شانكلي. ورغم هذا، شهد الموسم السابق فوز ليفربول بكأس الاتحاد الأوروبي بعد تغلبه على فريق بروسيا مونشنجلادباخ 3–2 في مجموع مباراتي النهائي. على الرغم من أن السنوات التي سبقت هذا الانتصار شهدت خروج ليفربول من بطولة أوروبا على يد فرق مثل فرنكفاروس، وأتليتك بلباو، وفيتوريا سيتوبال. ولم تكن تلك الفرق صغيرة بالمعنى الحرفي. لكنها لم تكن من أندية القمة في أوروبا. وإذا كان الفوز بكأس الاتحاد الأوروبي يوهم بأن ليفربول وصل إلى حل، جاءت هزيمته من ريد ستار لتمحو هذه الأوهام تماماً.

يقول شانكلي: «إنهم فريق جيد حتى وإن كنت لن تجد في نفوس جماهيرنا إقبالاً على مشاهدة أسلوبهم في اللعب». ورغم ذلك، جاء استعدادهم للاستحواذ على الكرة وتصدير الإحباط إلى منافسيهم ليعلم ليفربول درساً مهماً. يقول بيسلي: «أدركنا أنه من غير المجدي أن تحصل على الكرة إذا كنت لن تستطيع التقدم بها من المنطقة الخلفية. فتعلمنا من عمالقة أوروبا كيفية اختراق الحائط الدفاعي اختراقاً فعالاً. فكانت سرعة تحركهم تتحدد من خلال التمريرة الأولى. فكان علينا أن نتعلم التأني والتفكير في التحركات القادمة عند امتلاكنا الكرة سواء أكانا تحركين أم ثلاثة».

ومن غرفة الأحذية خرج القرار بانتهاء المفهوم القديم لمدافع الوسط الذي يوقف الهجمات فقط، فكان من الضروري أن يكون لديك مدافعون

يستطيعون المحاورة. كان لاري لويد وقتذاك أحد اللاعبين الذين تنطبق عليهم تماماً مواصفات مدافع الوسط الذي أعلنت الغرفة إلغاء مركزه– رغم ازدهاره غير المتوقع فيما بعد في نادي نوتنجهام فورست– مصاباً بتمزق في العضلة الخلفية، فتم إرجاع فيل طومسون– وكان يشغل بالأساس مركز لاعب الوسط– إلى خط الظهر ليلعب بجوار إيملين هيوز في قلب الدفاع، ويوضح شانكلي ذلك فيقول: «أظهر الأوروبيون أن بناء اللعب من خط الظهر هو الأسلوب الوحيد الذي يمكن به لعب كرة القدم، وبدأ هذا الأسلوب في أوروبا ثم اقتبسناه منهم وأدخلناه في طريقة لعبنا في ليفربول، وقد كان أسلوب الأداء يتسم دائماً بالجماعية، لكن عندما انضم فيل طومسون إلى زميله هيوز، أصبح الأسلوب أكثر سلاسة، بل وربما أصبح من الصعب كشفه أيضاً، وكان هذا النمط الذي انتهجه طومسون وآلان هانسن (Alan Hansen) في السنوات التالية». ويضيف: «أدركنا في ليفربول أنه لا يمكنك تسجيل الأهداف كلما كانت الكرة بحوزتك، وهذا ما تعلمناه من أوروبا ومن الشعوب اللاتينية، فعندما يلعبون الكرة من خط الظهر، فهم يلعبونها في مجموعات صغيرة، ويسهم ذلك في تغير تمركز لاعبي الفريق المنافس مع تغير تمركزهم، وهذا يخلف مساحة تسمح للاعبين من أمثال راي كينيدي (Ray Kennedy) وتيري ماكدرموت (Terry McDermott)– اللذين لعبا لليفربول بعد أن تركته– بالتسلل إليها لاستلام التمريرة الأخيرة، فكانت اللعبة تشهد كر وفر لفترة في انتظار ظهور المساحة قبل تمرير الكرة الأخيرة إليها، وبذلك كانت الطريقة بسيطة وفعالة... واستغرق المشاهدون وقتاً للتكيف معها».

ولم يكن شانكلي بارعاً في وضع التكتيك، إذ كان يميل لترك هذا الجانب إلى بيسلي، وشعر بالملل الشديد عندما حضر دورة تدريب لمدة أسبوع في ليليشول Lilleshall لدرجة أنه غادر يوم الثلاثاء– لكن من لحظة وصوله إلى ليفربول،

تولد لديه إحساس واضح بالأسلوب العام الذي يريد تطبيقه في الملعب، وعن ذلك تقول مقالة منشورة في مطبوعة Liverpool Echo في شهر ديسمبر 1959: «شانكي تلميذ للطريقة الأوروبية في اللعب، فهو يعتقد أن اللاعب غير المستحوذ على الكرة له أهمية تعادل أهمية اللاعب المستحوذ عليها، وكرة القدم الأوروبية تتسم بأسلوب لا يتسع لوجود اللاعب الخامل. ويهدف شانكلي إلى تطبيق التحركات الأمامية الحادة التي يخترق بها الأوروبيون الدفاع «المغلق» طبقاً للمعايير البريطانية، ولذلك سيجعل لاعبيه يتعلمون قتل الكرة وتحريكها في حركة واحدة... سيجعلهم يبرعون براعة كاملة في التحكم في الكرة».

وربما يكون هذا من باب المبالغة، لكن المؤكد أن شانكلي كان يؤمن بقيمة التحكم بقدر ما كان جيمي هوجان (Jimmy Hogan) يؤمن بها. فوضع أربع لوحات في ملعب ميلوود للتدريب في شكل مربع، ووقف أحد اللاعبين في الوسط، وكان عليه عند مناداته ركل الكرة–القادمة إليه من الأركان الأربعة– من مرة واحدة أو امتصاصها.

يقول شانكلي: «قبل كل شيء، كان الهدف الرئيس أن يتمكن جميع اللاعبين من التحكم في الكرة وتأدية المهارات الأساسية بالكرة. فاعتمد هذا الأسلوب على السيطرة على الكرة ثم تمريرها... ثم يتكرر ذلك طوال الوقت، فأنت في الخط الخلفي تبحث عن لاعب يمكنه السيطرة على الكرة عند وصولها إليه مباشرة ثم يمررها إلى المهاجم، وهذا يمنحهم زمناً أطول لالتقاط الأنفاس، فإذا تأخر اللاعب، سيضغط عليه كل لاعبي الفريق المنافس، وبالطبع، فإن هذه الطريقة طريقة سهلة وموفرة. في ليفربول ليس لدينا لاعب يركض في المساحة الخالية، أو يركض بالكرة من نصف ملعبنا إلى نصف ملعب الخصم، فنحن لا نشجع هذا الأسلوب مطلقاً فهو أسلوب عقيم، وإذا كنت لاعباً في ليفربول

وتسلمت الكرة فلا بد أن يكون أمامك مجموعة من الخيارات... فستحتاج أن يتوافر أمامك لاعبين على الأقل لتمرير الكرة إليهما، بل وربما تحتاج ثلاثة أو أكثر، أي أن اللاعب يحصل على الكرة فيمررها بسرعة فتذهب إلى لاعب آخر وهكذا تدور الكرة بين أفراد الفريق، وقد لا يؤدي ذلك إلى تقدم اللاعبين لمسافة كبيرة، لكن تمركز لاعبي الخصم سيتغير باستمرار، وفي النهاية سينجح أحد اللاعبين في التسلل إلى مساحة خالية في دفاعات الخصوم».

وكان الفريق الذي فاز ببطولة 1964 يلعب بطريقة دبليو إم بشكلها التقليدي، لكن شانكلي كان مستعداً لإدخال تغييرات على هذه الطريقة. ففي الموسم التالي، واجه ليفربول نادي أندرلخت في الجولة الثانية لكأس أوروبا، بعد فترة قصيرة من المواجهة الودية بين المنتخبين الإنجليزي والبلجيكي الذي كان يضم سبعة من لاعبي أندرلخت، وحضر شانكلي إلى استاد ويمبلي لمشاهدة المباراة، وأدرك الخطورة الهجومية المتمثلة في لاعبين أمثال بول فان هيمست (Paul van Himst) وجيف جوزيون (Jef Jurion)، واتخذ قراره بلعب المباراة بالشورتات الحمراء- وهي أول مرة يرتدي فيها ليفربول طقماً كاملاً أحمر اللون- واستحوذ هذا التحول في الملابس على معظم الاهتمام، لكنه أجرى تحولاً على نفس القدر من الأهمية عندما طبق حيلة سحب أحد مهاجمي الطرف ليلعب بتومي سميث (Tommy Smith) كمدافع وسط إضافي، ليكون ليفربول أحد أوائل الفرق الإنجليزية التي استخدمت أربعة لاعبين في خط الظهر.

وأوحى ذلك بمرونة هذه الطريقة، وبتنامي الوعي بأن الأسلوب الإنجليزي ليس هو الأسلوب الوحيد للعب كرة القدم، ويقول بيسلي معترفاً: «كان أسلوبنا عنيفاً، فكنا نتعامل مع أي مباراة على أنها حرب، فقوة الكرة الإنجليزية تكمن في التدخل لقطع الكرة، لكن الأوروبيين حرمونا من هذه الميزة عن

مباراة ليفربول بوروسيا مونشينجلادباش 3 – 1، أليمبيكو، روما، 25 مايو 1977.

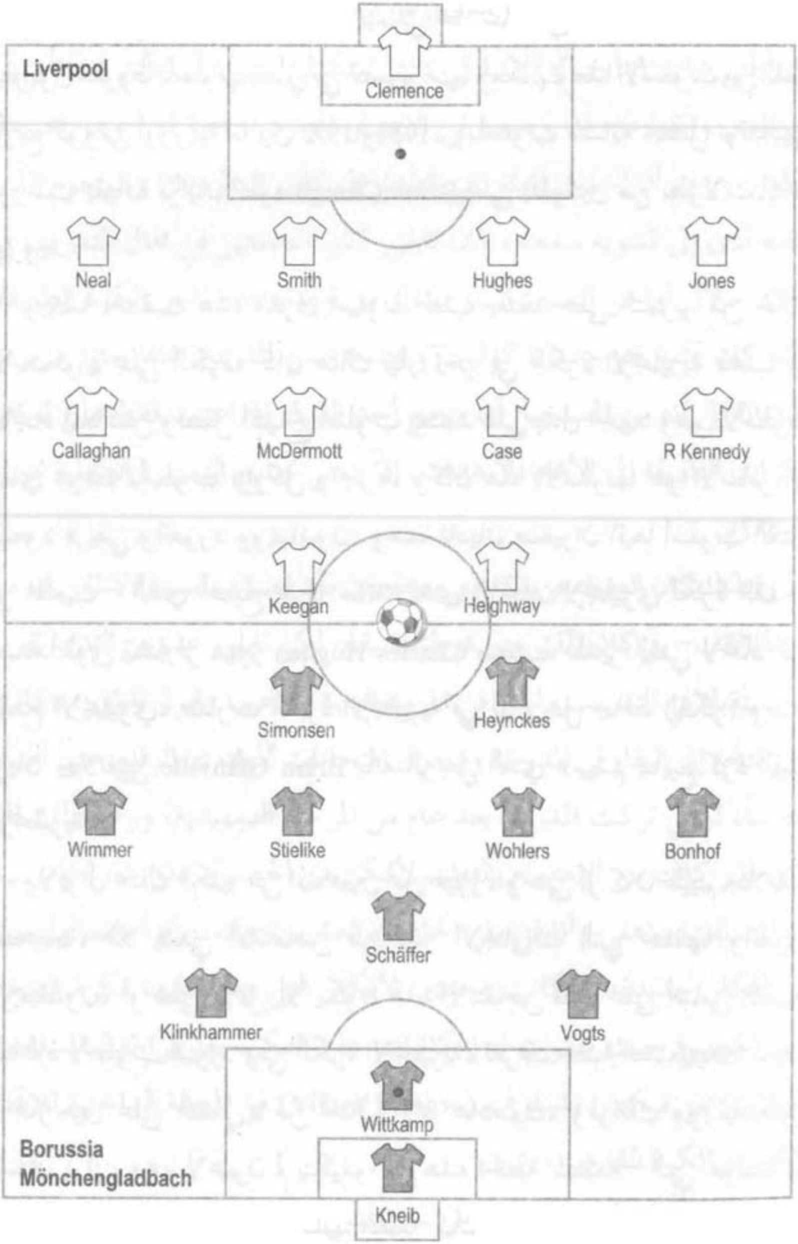

طريق تعلم كيفية قطع الكرة». وكان هذا هو الخطأ الذي صححته ثورة البون فاير نايت عام 1973، وبعد أن حل بيسلي محل شانكلي عام 1974، أصبح فريق ليفربول معروفاً بأسلوب التأني في التمريرات، ومكنهم هذا الأسلوب من الفوز بأربع كؤوس أوروبية ما بين 1977 و1984، وبأسلوب مشابه حصل نوتنجهام فورست بقيادة برايان كلوه Brian Clough على بطولتين من بطولات كأس أوروبا.

وبينما اعتنقت هذه الفرق أسلوب لعب يعتمد على التمرير من خلال الاستحواذ على الكرة، كان هناك تيار آخر في الكرة الإنجليزية ذهب في الاتجاه المعاكس وفضل انتهاج أسلوب يعتمد على بذل الجهد وهو الأسلوب الذي عرف بأسلوب «اركل واجر»، وكان هذا الأسلوب هو الأساس في صعود فريقي واتفورد وويمبلدون، وهما ناديان صغيران اتبعا أسلوب القتال في الملعب-- الذي أصبح عرفاً سائداً لدى الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم- فعندما تولى تشارلز هيوز Charles Hughes منصب المدير الفني لاتحاد كرة القدم الإنجليزي، صارت الكرة الإنجليزية في يد رجل جامد الفكر، وصفه بريان جلانفيل Brian Glanville بأنه الرجل الذي «سمم ينابيع كرة القدم الإنجليزية».

ولايزال هناك الكثير من المدافعين عن هيوز، وحتى لو كان تقييم جلانفيل صحيحاً، فلا ينبغي الانتقاص من قدر الإنجازات التي حققها واتفورد وويمبلدون، أو على الأقل ألا يكون هذا الانتقاص فقط على أساس الطبيعة المباشرة لأسلوب هيوز. وفي الكرة الإنجليزية، تعرف حقبة السبعينيات بحقبة «الخارجين على التقالي» من أمثال آلان هادسون، وفرانك وورثينجتون وستان بولز، وهم لاعبون لم يتكيفوا مع هذه الخطة المنظمة- التي تحولت إلى موضة منذ نجاح رامسي في كأس العالم- لكن الصفة الأهم التي ميزت هذه

الحقبة كانت نشأة الضغط على الخصم.

وجاءت نشأة الضغط على الخصم من مصدر عجيب، حيث نشأت على يد مدير فني شاب بدأ حياته المهنية في نادي لينكولن سيتي، ثم حقق نجاحاً مبهراً في نادي واتفورد– إذا وضعنا في الاعتبار الموارد المتاحة له– وهو جراهام تايلور. ورغم أن إخفاق إنجلترا في التأهل إلى كأس العالم 1994 والهجوم الذي أعقبه أدى إلى تشويه سمعته، كان تايلور أكبر المجددين في مجال التدريب في البلاد خلال أواخر السبعينيات، فهناك من وصفه بأنه تاجر الكرة الطويلة، لكنه كان يشير هو وستان كوليس ومجموعة من المدربين تمتد حتى هربرت تشابمان إلى أنه من المستحيل أن ينجح أحد الفرق إذا اعتمد فقط على توجيه الكرات الطويلة إلى الأمام بلا هدف. إذاً «متى تصبح التمريرة الطولية تمريرة طويلة؟».

وقتذاك كان العديد من المدربين ينجحون بعد قضائهم مسيرة لا تقل نجومية في الملاعب– بل كان ذلك يعتبر شرطاً مسبقاً– لكن تايلور علم من البداية تقريباً أن مستقبله في التدريب وليس في ممارسة اللعبة كلاعب. يقول تايلور: «كانت نيتي تتجه إلى البقاء في المدرسة ودخول امتحانات المستوى الرفيع حتى أصبح مدرساً، لكنني تركت المدرسة بعد عام من المرحلة التمهيدية، ورغم ذلك ظل لدي قدر كاف من الاهتمام بالتعليم لأتمكن من الحصول على شارة المدرب، ولذلك نلت مؤهلي وأنا في سن الحادية والعشرين، وكنت أقرأ دائماً وأبحث عن أفكار جديدة». فكانت إحدى الأفكار التي وقع عليها فكرة الضغط على الخصم؛ حيث ظهرت له إمكانيات هذه الفكرة بعد قراءته لسلسلة من المقالات عن فيكتور ماسلوف (Viktor Maslov) في المجلة الداخلية للاتحاد الإنجليزي لكرة القدم.

وقضى تايلور أربعة سنوات في جريمسبي تاون (Grimsby Town)، قبل

أن ينتقل إلى لينكولن سيتي. وفي سن السابعة والعشرين، أكمل تايلور تأهيله ليصبح مدرباً معتمداً من الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم، فكان أصغر مدرب يكمل تأهيله، وبعد أن تعرض لإصابة في الورك أنهت مشواره داخل المستطيل الأخضر، بدأ حياته التدريبية وهو في سن الثامنة والعشرين عام 1972، بعدها بأربع سنوات، قاد تايلور لينكولن للقب القسم الرابع محققاً أرقاماً قياسية جديدة لأكبر عدد من النقاط وأكثر عدد من الانتصارات، وبالتالي أقل عدد من الهزائم.

لكن الانطلاقة الحقيقية لم تحدث إلا بعد أن عينه إلتون جون مديراً فنياً لواتفورد عام 1977. وعرض على تايلور إبرام عقد لمدة خمس سنوات، لكنه قبل أن يوافق على العقد سأل رئيس مجلس إدارة النادي عما يتوقع تحقيقه هذا العام. يقول تايلور عن ذلك: «كان واتفورد حينئذ في القسم الرابع، وسبق للفريق اللعب لمدة ثلاث سنوات فقط في تاريخه في القسم الثاني، لذلك اعتقدت أنه سيقول إنه يريد الصعود إلى القسم الثاني، لكنه قال إنه يريدنا أن نلعب في أوروبا. فكان هذا المطرب– الذي بلغ القمة في مسيرته الفنية– يعرض علي عقداً لمدة خمس سنوات ويطلب مني الوصول بواتفورد إلى أوروبا وكان له ما أراد بعد خمس سنوات».

وحتى مع ما تميزت به السبعينيات من تقلب في المعايير، كان صعود واتفورد غير عادي. فصعد الفريق إلى الدرجة الأعلى سنة 1978، وصعد مرة أخرى سنة 1979 و1982. وفي الموسم التالي، حقق الفريق المركز الثاني في الدوري الممتاز. وبعدها بعام، خسر نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي. ويقر تايلور بأن الأسلوب الذي لعب به فريقه كانت به نقاط ضعف. وهذا ليس عذراً. ويقول تايلور: «قام أسلوبنا على الضغط على حامل الكرة أينما ذهب. وكنا نضغط على الظهير الأيمن حتى وهو في نصف ملعب فريقه. كنا نلعب بإيقاع سريع.

وهو ما يتطلب لياقة بدنية عالية. فإذا ظل التعادل السلبي سيد الموقف ولم يتبق سوى ثلاث أو أربع دقائق من المباراة، فماذا يفعل اللاعبون؟ يمررون الكرة إلى الأمام، وكانت وجهة نظري أن اللاعبين سينطلقون بحثاً عن الكرة. وإذا استطاعوا فعل ذلك في الدقائق الخمس الأخيرة، فلماذا لا يفعلون ذلك من البداية؟ هذا ما حاولنا فعله في ظل امتلاكنا فريقاً يتمتع بلياقة بدنية عالية. كنا نهاجم دائماً. فقد علمت أننا لا نستطيع الاعتماد على الدفاع خلال مسيرتنا في أوروبا».

وأصبحت المباريات التي تنتهي بعدد وافر من الأهداف هي السمة السائدة: ففي موسمين متتاليين، تعادل واتفورد 4–4 على ملعبه مع إيفرتون، وانهزم 5–4. وفاز الفريق مرتين 5–3 على نوتس كاونتي، وهزم سندرلاند 8–0. وفي موسم 1982–1983، خسر واتفورد 6–1 في نورويتش، وانهزم 7–3 أمام نوتنجهام فورست في كأس رابطة المحترفين. وفي آخر ثلاث مباريات من موسم 1984–1985، هزم الفريق توتنهام ومانشستر يونايتد 5–1، ثم خسر أمام ليفربول 4–3. كانت الخطة مجنونة ومتهورة لكنها نجحت بشكل عام. ففي الفترة بين موسمي 1982–1983 و1986–1987– وهي الفترة التي رحل بعدها تايلور إلى أستون فيلا– لم يحصل واتفورد قط على مركز أقل من المركز الثاني عشر، فيما يعد إنجازاً لفريق كهذا.

وكان الشكل أقل أهمية من الأسلوب. فعلى الرغم من أن 4–4–2 كان هو الشكل المعتاد، مع السماح بتقدم المساكين مثل ويلف روسترون ودافيد برادسلي، ومع التمركز الأمامي للجناحين من أمثال نايجل كالاجان وجون بيرنز، كانت التشكيلة تشبه أحياناً طريقة 4–2–4 التي لعب بها البرازيليون في كأس العالم 1958، ولعب الفريق أحياناً في موسم 1982–1983 بطريقة 3–4–3. يقول تايلور: «ولأننا كنا نتقدم إلى الأمام باستمرار، كان الفريق المنافس يتراجع

إلى الخلف باستمرار، وكان على لاعبي الطرفين في خط الوسط إما ملاحقتهم والضغط عليهم أو تركهم. فكلما تقدمت إلى الأمام، تتوقع أن تضع الفرق خطة لمواجهة ذلك، لكنهم عادة لا يفعلون».

وشعر أنصار جماليات الأداء بالانزعاج، لكن تايلور أصر أن معظم الغضب كان نابعاً من جهلهم أو تكبرهم. فيقول عن ذلك: «كثير من الذين يشتكون من الكرات الطويلة ينظرون إلى الفريق واللاعب الذي يلعبها، فإذا لعب جلين هودل كرة طويلة يعتبرونها تمريرة طولية، أما إذا لعبها إيان بولتون (Ian Bolton) فهي كرة طويلة لأنه يلعب لواتفورد، ولأنه لاعب غير مشهور يلعب في مركز قلب الدفاع وأحياناً في خط الوسط. صحيح أن هودل كان أفضل، لكن من حيث دقة تمريراته الطولية فأنا أفضل بولتون عليه».

وبالنسبة إلى المتمسكين بالتقاليد، صارت الأمور إلى الأسوأ، فالمدافعون عن ويمبلدون كانوا يتكلمون عن صعود الفريق أنه يشبه قصة خيالية، تفتقر إلى عنصر السحر. وعن قصة الفريق، كتب ستيفان كرابتري في كتابه The Dons- The Amazing Journey أنها: «ستبدو غير معقولة حتى لو ظهرت في مجلة أطفال... لكنها تحققت رغم قلة الدعم المالي، وضعف الدعم الجماهيري، وعدم امتلاك الفريق لملعب يتوافق مع مقاييس الدوري الممتاز، وعدم امتلاكه للاعبين مشهورين»، وربما كان الأمر كذلك في البداية، حين وقع الاختيار على الفريق للانضمام إلى الدوري عام 1977، ثم فاز الفريق بتذكرة الصعود للقسم الثالث تحت قيادة داريو جرادي- الذي اشتهر بأسلوب تبادل التمريرات في أثناء تدريبه لفرق بمدينة كريوي Crewe- لكن الفريق هبط في الموسم نفسه، فتركه جرادي وذهب لتدريب كريستال بالاس في شهر فبراير عام 1981، فصعد الفريق مرة أخرى تحت قيادة مديره الفني الجديد ديف باسيت Dave Bassett، ثم هبط على الفور. فكان هذا الموسم في القسم الرابع بمثابة نقطة

مباراة إيفرتون وواتفورد 2 - 0، نهائي كأس الاتحاد، استاد ويمبلي، لندن، 19 مايو 1984.

تحول للفريق؛ حيث بدأ الفريق بداية واعدة، لكن مع تراجع النتائج في شهر نوفمبر، غير باسيت من أسلوبه. عن ذلك قال باسيت في فبراير من ذلك العام: «بدأنا الموسم بلاعب في مركز الليبرو خلف خط الظهر، فكان الأداء على ما يرام، لكننا غيرنا طريقة لعبنا الآن للصعود بالكرة إلى المنطقة الأمامية بسرعة، وهذه الطريقة تناسب الفريق».

ورفض باسيت الادعاءات– التي تزعم أن أداء الفريق كان رديئاً– وقال عنها: «المسألة تتوقف على معنى الأداء الجذاب. فالجماهير تستطيع الاستمتاع بعدد مرات وصولنا إلى منطقة المرمى..وهو ما يختلف من مباراة إلى مباراة.. الجماهير تستطيع وصف الأداء كما يحلو لها.. لكن عليهم أن يعلموا أننا هنا لنفوز بالمباريات ونتأهل إلى الدور الأعلى».

ويظهر أن عبارة «الوصول إلى منطقة المرمى» هي الملاذ الأخير التي يلجأ إليها المدربون لإيجاد عذر للأداء غير الجذاب. ولو توقف الأمر عند إرسال التمريرات الأمامية السهلة، لكان فريق ويمبلدون معذوراً، لكن أداء الفريق منذ البداية كان مشوباً بالقبح. فبعد أسبوع من فوز الفريق خارج أرضه 3–1 في ستوكبورت كاونتي Stockport County، تساءل برنامج ستوكبورت: «لماذا يلجأ الفريق إلى التدخلات العنيفة وتكتيكات إضاعة الوقت...يبدو أنه لن يتمكن أحد من إيقاف هذا الفريق قبل تحقيق هدفه— التأهل بأي ثمن».

ورغم نجاح الفريق كانت الجماهير محجمة عن حضور مبارياته. وقال باسيت عن ذلك: «لقد حاولنا عمل كل شيء لتقديم كرة قدم جميلة، لكن الفتور الذي لاقيناه من ويمبلدون والمنطقة المحيطة كان لا يصدق». لكنهم بالطبع لم يقدموا كرة قدم جميلة؛ وإنما قدموا أداء يمكنهم من الفوز بالمباريات، وليس بالضرورة أن يتساوى الاثنان، وربما وجد في يأسه من حضور الجماهير مبرراً ذاتياً له، فإذا لم تكن الجماهير تحضر لتشجع، فلماذا تلعب كرة دفاعية

عنيفة، بعيدة عن الخلق والابتكار- وربما أحرز الفريق أهدافاً- لكن كان أداؤه خالياً من الحس الكروي، ومفتقراً إلى الجماليات.

صحيح كان الأداء رديئاً، لكن ويمبلدون صعد متنقلاً من قسم إلى آخر أعلى منه، متجاوزاً المنافسين المبهوتين من أدائه. وعن ويمبلدون، قال نايجل باتش Nigel Batch؛ حارس مرمى فريق جريمبسي تاون بعد تعادل فريقه مع ويمبلدون 1-1 في بلوف لين Plough Lane عام 1984: «كان لاعبو الفريق مثل تلاميذ المدارس يركضون خلف الكرة بشكل جماعي في وقت واحد». فكان الوضع بالنسبة إليهم مماثلاً لوضع واتفورد، بل أسوأ، وهو ما اتضح في كلام جون فينيكومبي John Vinicombe، الذي وصفهم أنهم: «يصبحون نسخة مشوهة من واتفورد عندما يقوم لاعبو الخط الأمامي الأربعة بالمناورة سعياً لالتقاط الكرات العالية القادمة إليهم من الخلف».

وفي عام 1987 حقق الفريق المركز السادس في الدوري الممتاز، ثم فاز في العام التالي بكأس الاتحاد الإنجليزي بعد أن حل بوبي جاولد (Bobby Gould) محل ديف باسيت. وتذمر جورج كيرتس (George Curtis)؛ المدير الفني لكوفنتري سيتي قائلاً: «ويمبلدون لا يلعب كرة القدم، فعندما تصل إليهم الكرة يركلونها». وربما يكون هذا التعليق جائراً بعض الشيء، لأن لاعبي ويمبلدون كانوا- على الأقل- يركلون الكرة باتجاه جون فاشانو (John Fashanu)- الذي كان متهوراً لا يمتلك المهارة، لكنه كان فاعلاً على المرمى- بينما دينيس وايز (Dennis Wise) مع كل عيوبه، كان يمتلك المهارة، ولم يجتذب الفريق معجبين. ووجد لاعبو ويمبلدون متعة بالغة في طريقة الأداء التي لا تتوافق مع روح العصر، ومارسوا طقوسهم في بداية المباريات- التي تشمل عموماً تمزيق قمصان اللاعبين- ووجدوا متعة بالغة في طريقة لعبهم التي تعتمد على العنف البدني. فكان الخطأ العنيف الذي ارتكبه فيني جونز ضد ستيف ماكماهون في

الدقيقة الأولى عنصراً رئيساً في فوز ويمبلدون على ليفربول في ويمبلي عام 1988 كما يزعم أغلب لاعبي الفريق: فبعد الخطأ، خاف لاعبو ليفربول من التعرض إلى الإصابة.

ومثل كل الدخلاء على اللعبة، أرجع المدافعون عن ويمبلدون عدم شعبية الفريق إلى «التكبر»– يستخدم كرابتري هذه الكلمة مراراً– لكن أرقام الحضور الجماهيري في مبارياتهم تنبئ بحقيقة الأمر. فليس هناك أحد يريد مشاهدة هذا الأداء. وربما اضطرتهم ميزانية الفريق إلى هذا الأسلوب، لكن هذا لا يبرر العنف الكامن في نفوس اللاعبين، فلم يكن أداء الفريق يتسم بالواقعية فقط، وإنما كان يتسم أيضاً بانعدام القيم.

وبالمقارنة، كان تايلور ينتهج فكراً عملياً فقط، فكان مسلماً بأن طريقة لعبه بها نقاط ضعف، واعترف بأنه كان يتوقع في كل مرحلة أن يكتشف فريقه أنه يؤدي بطريقة خاطئة. وعندما ذهب إلى أستون فيلا، وحصل على ميزانية مناسبة، أدخل تحسينات على أسلوبه الذي ظل أسلوباً مباشراً رغم ذلك. وبالنسبة إلى ويمبلدون، كان من الممكن للاعب مثل توني دالي أن ينضم إلى الفريق وقتذاك، لكن كان من الصعب تصور انضمام لاعب مثقف مثل جوردون كوانس إلى الفريق.

وحتى موسمه الأول في بطولة أوروبا مع واتفورد، لم يبدأ تايلور في الإحساس بأن الخصوم وجدوا نوعاً من الحلول لأسلوبه المباشر وهو ما توقع حدوثه قبل ذلك بكثير. ويوضح تايلور ذلك فيقول: «كنا نلاعب فرقاً مستعدة للتقهقر إلى الخلف ولعب تمريرات قصيرة، والاستحواذ على الكرة وحرماننا منها ولم تكن لديهم جماهير تطالبهم بلعب الكرة إلى الأمام. وحوّل واتفورد تأخره 3–1 في مباراة الذهاب بتحقيق انتصار بنتيجة 3–0 على كايزرسلاوترن في فيكاراج رود في الجولة الأولى من كأس الاتحاد الأوروبي، وانهزم الفريق

بفارق ضئيل أمام ليفسكي صوفيا في الجولة الثانية، لكنه لقي هزيمة ساحقة أمام سبارتا براغ في الجولة الثالثة بنتيجة 7–2 في مجموع المباراتين. يقول تايلور: «كان الأمر أشبه بمواجهة بين الرجال والصبيان، فعندما تعطيهم الكرة لا يعيدونها إليك».

وهنا بالتحديد تكمن مشكلة الأسلوب المباشر الذي يعتمد على الضغط على الخصم، فكل الأمور تسير على ما يرام حتى تلاقي فريقاً يتمتع بكفاءة فنية كافية تمكنه من الاحتفاظ بالكرة تحت ضغط، وعندما تجعل الظروف الجوية– كما يشير تايلور– الحفاظ على الإيقاع السريع مستحيلاً وكذلك الضغط المستمر، تظهر عيوب الطريقة بوضوح. وهذا بالطبع قد يفسر بعض الشيء الإخفاق المستمر لإنجلترا في دورات كبرى تقام دائماً في ظروف مناخية أكثر سخونة مما اعتاد عليه اللاعبون الإنجليز في وطنهم.

وتحدث تايلور باستفاضة– في إطار سعيه لتوسيع معارفه– إلى كل من ستان كوليس وبيلي رايت قائد فريق وولفرهامبتون في الخمسينيات، وتأثيرهما عليه واضح لا يقبل الجدل. لكن تايلور تعرض للربط بينه وبين تشارلز هيوز وهو ربط غير دقيق. ويرفض تايلور أي إشارة إلى تأثره بهيوز، ويزعم أنه لو كان هناك أي تأثير نابع من توليه تدريب ناشئي إنجلترا تحت 18 عاماً لفترة قصيرة عندما كان هيوز مديراً فنياً لقطاع الناشئين، فإن هيوز هو من تأثر به. وعندئذ توترت العلاقات بين تايلور وهيوز وتشارلز ريب.

ويعتبر أول كتابين لهيوز Football: Tactics and Teamwork المنشور سنة 1973 وكتاب Soccer Tactics and Skills المنشور سنة 1980، دليلين عمليين يقدمان إرشادات في أمور مثل التعامل مع الركلات الركنية على القائم القريب، أو مدى الاقتراب اللازم توافره بين اللاعب واللاعب الخصم المكلف برقابته، فكان الكتابان يتسمان بالعموم والتشابه في المضمون، على الرغم

من أن الكتاب الثاني يولي قدراً أكبر قليلاً من التركيز للفرد، ولم يبشر أحدهما بفلسفة معينة للعب كرة القدم، فقد يكون هناك إفراط في الواقعية بعض الشيء في الكتابين، لكنهما بوجه عام لا يثيران الاعتراض.

وعقد تايلور في عام 1981– أو 1982– اجتماعاً بين هيوز وريب في منزله لأن هيوز– إن صحت قصة خطاب ريب للمدرب النرويجي إيجل أولسن (Egil Olsen) عام 1993– أراد أن تتدرب سكرتيرته ماندي بريموس على أساليب اختصاراته. وكان ريب في البداية راغباً في المساعدة، لكن ملأه الشك عندما نشر هيوز مقالاً ألمح فيه أنه وريب يعملان معاً. والأسوأ، أن ريب ادعى في هذا الخطاب– رغم صعوبة التأكد من صحة هذه الدعوى– أن هيوز كتب عن بعض أسرار أسلوب أداء واتفورد– التي لم يكن ريب أو نادي واتفورد يرغبان في إذاعتها– وهذا على ما يبدو دليل على تأثير ريب في سلسلة المحاضرات التي ألقاها هيوز في عام 1984. ففي إحداها، صرح هيوز قائلاً: «خلال العامين الماضيين، كان الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم يسعى لتحسين خطة التدريب وإضفاء قدر أكبر من الموضوعية والنجاح عليها، ولتحقيق هذه الأهداف، شارك الاتحاد مشاركة مكثفة إلى حد ما في دراسة عن تحليل الأداء خلال المباراة».

وهذه العبارة الأخيرة– «تحليل الأداء خلال المباراة»– كانت من بين المصطلحات الدارجة على لسان ريب منذ الخمسينيات، وهي عبارة لا تظهر في أول كتابين لهيوز. فهذا المصطلح مفصل على نحو غريب– وكذلك كانت طبيعة مصطلحات ريب– فهو يستخدم ثلاث كلمات، بينما كان يكفي استخدام كلمتين، ولا يحتمل أن يكون هيوز وقع على هذا المصطلح دون أن يسمعه من ريب أو يقرأه في كتاباته، وغضب ريب بالتأكيد، فعاد هيوز إلى استخدام العبارة الأوضح الذي وضعها بنفسه مسقطاً كلمة «الأداء».

وامتلأت نفس ريب بقدر أكبر من الفخر عندما قدم ريتشارد بيت (Richard Bate)، كبير المدربين في نوتس كاونتي، بحثاً كان في جوهره مراجعة لنظريات ريب في منتدى العلوم وكرة القدم بليفربول عام 1987، لكنه أرجع لهيوز الفضل في مساعدته.

وكان هيوز حريصاً على التأكيد في مقدمته لكتاب (The Winning Formula) على توصله إلى استنتاجاته وحده دون مساعدة، فكتب يقول: «خبرتي في تحليل المباريات، بدأت في يناير 1964 عندما انضممت إلى فريق عمل الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم... ففي مقر الاتحاد بلانكستر جيت (Lancaster Gate) كانت هناك مكتبة لأفلام 16 ملم لنهائيات كأس الاتحاد الإنجليزي والمباريات الدولية، وبين عامي 1964 و1967، شاهدت جميع هذه المباريات واستخلصت منها كل الأهداف، ثم حللت الأهداف بدقة أكبر لاكتشاف العوامل الرئيسة لإحراز الأهداف والفوز بالمباريات، «واستخدمت نتائج هذا التحليل في طريقة لعب المنتخبات القومية التي أدرتها بين عامي 1964 و1974، أي في إجمالي 77 مباراة، ونشر محتوى هذا التحليل في عام 1973 في كتاب بعنوان (Tactics and Teamwork)، وفي 11 فيلماً كلهم بنفس العنوان».

وربما كانت النتائج جيدة لكن التحليل كان مفتقراً للإحصائيات ولم يشر بفلسفة موحدة، ومن الصعب التأكد من صحة كلام الاثنين، لكن من السهل إدراك سبب تشكك ريب، وكما يشير الأكاديمي النرويجي أويفيند لارسون (Oyvind Larson)، فإن «أسلوب اللعب الموصى به تحول مباشرة من أسلوب عام في طبيعته إلى أسلوب يعتمد على الاختراق بوجه خاص». فكان هيوز مدرباً واقعياً عادياً، ثم أصبح «متعصباً لأفكاره»، كما وصفه هاوارد ويلكينسون (Howard Wilkinson)– الذي تولى منصب المدير الفني للاتحاد الإنجليزي خلفاً له– وكانت هناك اختلافات في المصطلحات والتقييم، إذ حدد

هيوز خمس تمريرات أو أقل بدلاً من ثلاثة، لكن ريب ادعى في خطابه لأولسن أن ذلك كان بسبب عدم دراية هيوز ببعض الحسابات التي يجريها.

ويواصل هيوز كلامه فيقول: «ومن وقتها استمر العمل في تحليل مباريات كرة القدم. ففي الشطر الأول من سنة 1982 [يقول ريب إن ذلك كان في عام 1981؛ بينما لا يتذكر تايلور التاريخ] سعدت بلقاء رجل رائع اسمه تشارلز ريب، الذي ظل يحلل مباريات كرة القدم لمدة 30 عاماً، ونجح في توجيه النصائح لعدد من أندية الدوري».

ويدعي هيوز أنه بعدها جاء بريموس ليبدأ في تحليل المباريات باستخدام مهاراتها في الكتابة المختصرة: «كان منهج التحليل نفسه- الذي وضعته خلال الـ25 عاماً الماضية- مختلفاً عن منهج تشارلز ريب... وعلى الرغم من أني وتشارلز ريب انتهجنا طرقاً مختلفة في فلسفتنا الإستراتيجية، لم يكن بيننا خلاف في النتيجة النهائية».

ورغم هذا الكلام، كان من بين هذه الشخصيات الثلاث تعارض واضح: تايلور أنكر تأثير هيوز الذي أنكر بدوره تأثير ريب الذي لام عليه ذلك. وبالنسبة إلى تشارلز ريب وتايلور، فهم يعتبرون أن هيوز استغل أفكارهما وبنى عليها استنتاجاته، ليكتسب شهرة ويبيع كتبه وفيديوهاته. وربما تكون هذه حكاية مألوفة عن النميمة التي تسود غرف اتحاد الكرة، وعن استحالة حماية الأفكار، لكنها تعني أن علاقة تايلور بهيوز وقت توليه المنتخب الإنجليزي عام 1990 وصلت إلى طريق مسدود. ولا يساعدنا أيضاً غضب هيوز عندما خسر أمام جراهام كيلي في معركة خلافة تيد كروكر Ted Corker في رئاسة الاتحاد الإنجليزي سنة 1989.

وكتب ريب إلى تايلور يوم 4 أغسطس 1980- وكان عمره حينئذ 75 عاماً- يوضح له نظريته أن «الأهداف تأتي بطريقة عشوائية في إطار من

الاحتمالات». وبعدها التقى الاثنان في هذا الشهر نفسه في اجتماع لمدة ساعتين، بعده، كتب ريب في مقال له في مجلة «ذي بونت». The Punter الأسكتلندية المتخصصة في كرة القدم. وقال: «إذا رغب تايلور في الاتصال بي في أي وقت لمعرفة مزيد من التفاصيل عن الأسلوب والأداء، سأكون مستعداً للحديث معه في أي وقت يحدده. ونحن أجرينا عدة حوارات تعليمية مطولة، غطينا خلالها عدة جوانب دون حاجة إلى لقائنا مرة أخرى». ولم ير ريب واتفورد وهو يلعب هذا الموسم، لكنه يقول إنه التقى تايلور مرة أخرى يوم 11 مارس 1981 في منزل ريب.

وبعد تلقي ريب لتقارير من ريتشارد بولارد، أحد مشجعي واتفورد الذي اشترك مع ريب في كتابة إحدى المقالات القديمة، استنتج أن واتفورد يحرز «هدفاً واحداً من بين كل خمسة أهداف من تناقل الكرة بالتمرير لأكثر من ثلاث تمريرات». وبعبارة أخرى، كانت أهداف واتفورد تتناسب مع النمط الذي ظل ريب يعرضه طوال 30 عاماً– وهو أن 80٪ من الأهداف تأتي من تناقل الكرة في ثلاث تمريرات أو أقل (وهي نسبة تقل بالطبع عن 91,5 التي أظهر أنها تتكون من ثلاثة تمريرات أو أقل).

وبقي أحد الثوابت الأخرى لريب صحيحاً، وهو أن الهدف يأتي بعد زهاء تسع تصويبات. وبقناعته بذلك، احتفظ بتسجيلات لعدد الأهداف– التي سجلها واتفورد ومنافسيه– ومدى «زيادته» أو «نقصانه» عن هذا المعدل (فإذا صوب الفريق تسعين تصويبة، فمن المتوقع أن يحرز 10 أهداف؛ فإذا تمكن من إحراز 8 فقط، فهو ينقص عن المعدل بهدفين؛ أما إذا سجل 12 هدفاً، فهو يزيد عن المعدل بهدفين). وفي مواجهة الذهاب في الجولة الثانية لكأس رابطة الأندية المحترفة التي أقيمت في ساوثهامبتون، خسر واتفورد 4–0. فكتب ريب إلى تايلور– بعد أن لاحظ قبل مباراة العودة أن معدل واتفورد

ينقص عن المعدل بواقع هدفين ونصف، بينما يزيد الفريق المنافس عن المعدل بواقع أربعة أهداف– ينصحه بأنه يمكنه التعادل في مباراة واحدة ولذلك ينبغي أن يتبع واتفورد منهجاً هجومياً.

وبالطبع، يعد هذا سخفاً؛ إذ من المفترض أن تايلور استنتج بنفسه أنه كي يعادل تأخره بأربعة أهداف يجب على فريقه أن يهاجم. وهاجم الفريق، فتقدم 5–1 في الوقت الأصلي ثم أضاف هدفين في الوقت الإضافي. فكتب ريب يقول: «لا أجد سعادة أكبر من التفكير في أنه في أول مرة يحاول أحد فرقي استغلال الوضع الحسابي فيما يتعلق بـ «الأهداف الناقصة عن المعدل»، و«الأهداف الزائدة عن المعدل»، ينجح نجاحاً مبهراً، مع الاعتراف بالطبع بأن الاختيار العشوائي لم يقدم لنا خدمة كبيرة. وكما كان متوقعاً، تسبب الاختيار العشوائي في عقاب واتفورد بهزيمته 1–2 في المباراة التالية».

وبذلك ظهر افتقار بحث ريب إلى الأساس الحسابي. «فالفرصة العشوائية» ليست إلهاً يمنح الأهداف أو يمنعها لتحقيق بعض التوازن الكوني، وإنما هي مجرد فرصة عشوائية، ويمكنك إلقاء عملة معدنية في الهواء مائة مرة، فإذا جاءت المحاولات التسعة والتسعين الأولى بأحد وجهي العملة، فإن احتمالات أن تأتي المحاولة المائة بالوجه الآخر للعملة تساوي احتمالاً واحداً من أصل احتمالين. فلو أن هناك حقاً فرصة للتسجيل من أصل تسعة بأي تصويبة بغض النظر عن الظروف المحيطة، فإن فرصة تسجيل المهاجم أو إخفاقه في المحاولة العاشرة تبقى واحدة من أصل تسعة، هذا على فرض أن العملة محايدة بالطبع، فإذا ظلت العملة تسقط على وجه واحد فذلك قد يكون بسبب زيادة وزن العملة؛ وإذا ظل المهاجم يهدر الفرص فقد يكون ذلك بسبب عدم براعته.

ورغم ذلك قرر تايلور قبل موسم 1981–1982 الاستعانة بأحد المتدربين على يد ريب وهو خريج كلية الآثار من جامعة لانكستر اسمه سايمون هارتلي،

الذي أعجب بأفكار ريب بعدما رآه يسجل ملاحظاته في أحد الأيام ببلاي ماوث. ولم يتحدث ريب إلى تايلور هاتفياً في هذا الموسم، لكنه كتب إليه ثلاث خطابات، أحدها يتناول عدم إحراز واتفورد لأهداف من الجناح الأيمن (بينما سجل جون بارنيز 13 هدفاً من اليسار) وألمح إلى خطته- التي تشمل الكيفية التي ينبغي أن يلعب بها الجناحان- لكنه لم يكشفها بالكامل. ومع صعود واتفورد في هذا الموسم، جاء 93,4 من أهداف الفريق من تحركات تشتمل على ثلاث تمريرات أو أقل. ووصف ريب هذا الأمر بـ«المتميز»، على الرغم من أنه إذا ظل عدد التحركات التي تشتمل على ثلاث تمريرات أو أقل ثابتاً عند نسبة 91,5٪، فبالطبع، يكون الرقم أعلى بكثير من المتوقع إذا كان عدد التمريرات في التحرك الواحد لا يصنع فارقاً. وإذا أخذنا في الاعتبار أن واتفورد كان فريقاً مباشراً، فمن المرجح أنه يقوم بنسبة أكبر من التحركات المشتملة على ثلاث تمريرات أو أقل، وبعبارة أخرى، ليس هناك دليل يذكر على فاعلية الكرة المباشرة.

ويدعي ريب أنه كان يتقاضى هو وهارتلي مكافأة قدرها6,000 جنيه إسترليني، لكنه اختلف مع تايلور حول أتعابه عن الموسم الجديد. أما تايلور فيتذكر أنهما اختلفا حول نقطة غامضة في الإحصاءات. فكان ريب مهووساً بـ«التمريرات الموصلة» وهي التمريرات التي تصل إلى الثلث الأخير من الملعب. وكان متوسط هذه التمريرات لدى واتفورد 156 في المباراة، رغم تحقيقه رقماً قياسياً يصل إلى 202 تمريرة في المباراة التي فاز فيها على تشيلسي بهدف نظيف يوم 6 فبراير 1982. وتمكن فريق وولفرهامبتون بقيادة ستان كوليس من تحقيق معدل 180 تمريرة في المباراة، فحث ريب تايلور على محاولة رفع معدل واتفورد إلى هذا المستوى. فأشار تايلور إلى أن قوة فريقه الأساسية تكمن في تمكنه من استخلاص الكرة وإعادتها بانتظام إلى الثلث الأخير من الملعب- لا يعد

ذلك تمريرة موصلة في نظام ريب- واقترح أن تعكس الأرقام ذلك. ورفض ريب تغيير نظامه، ورغم أن هارتلي استمر لموسم آخر، فإن ارتباطه الشخصي بواتفورد انتهى. يقول تايلور: «مع ريب، إما أن تأخذ كل كلامه كما هو، أو لا تأخذ شيئاً، فلا مجال للحلول الوسط».

وربما لم يكن ريب يحب هيوز، لكن هيوز- بوصفه مديراً للتعليم والتدريب في الاتحاد الإنجليزي في الفترة بين 1983 و1994، هو الشخص الذي ضمن الحفاظ على مبادئه- أو على الأقل نسخة هيوز منها التي سجلها في كتابه (The Winning Formula)- على أعلى المستويات.

وتلقى هذا الكتاب تمويلاً من وكالة الفضاء البريطانية، في رابطة تعجب لها الكتاب الساخرون، ويؤكد هيوز في مقدمته أن «إستراتيجية اللعب المباشر، مفضلة إلى حد بعيد عن إستراتيجية الاستحواذ على الكرة، فهذه الحقائق لا يمكن دحضها والأدلة عليها دامغة»، وقد يقول بعضهم أن سجل فريق إنجليزي مشكل بوجه عام بهذه الفلسفة يعتبر في حد ذاته دحضاً لهذه الحقائق، لكن لاعبي الكرة في هذه الحالة معرضون للخطأ، أما الإحصائيات فلا، وبعد أن لاحظ هيوز انخفاض معدل الأهداف في مباريات كأس العالم من 5,4 أهداف في المباراة عام 1954 إلى هدفين ونصف في المباراة في عام 1986، استنتج مباشرة أن «كرة القدم لم تعد جميلة كما كانت»، ومن العجيب أن يذهب رجل يستمد صلاحيته من العقل والمنطق هذا المذهب البعيد، فتحديد جودة الأداء يعود بالضرورة إلى الآراء الشخصية، فهناك مباريات سيئة انتهت 4-3- وهو ما يدل على أن الإثارة لا تترادف مع الجودة- كما أن هناك مباريات متميزة انتهت بالتعادل السلبي، فإذا كانت الأهداف وحدها هي عنوان التميز، لاصطف الآلاف لمشاهدة مباريات كرة القدم في المدارس الابتدائية.

ويواصل هيوز كلامه عن السبب في تراجع عدد الأهداف فيقول: «لا

يكمن في ظهور إستراتيجيات دفاعية فعالة جديدة، وإنما في ظهور إستراتيجية هجوم مضللة، وهي إستراتيجية امتلاك الكرة». وليس هناك ارتباط ضروري- كما يزعم تشايمان وكما يتبين من إلقاء نظرة على إحصائيات أي مباريات مقامة في العطلة الأسبوعية في إطار مباريات الدوري الممتاز- بين انتشار الاستحواذ على الكرة والفوز بالمباريات، لكن هذا لا يعني أن الاستحواذ شيء سيئ. لكن هيوز- الذي أعاد نشر كلمة «دامغة» مرة أخرى- يزعم أنه «كلما استغرق الفريق وقتاً في بناء الهجمة والكرة في حوزته...منح ذلك الفريق المدافع وقتاً أطول للتراجع وتنظيم صفوفه».

وفي كتاب (The Winning Formula)، يستدل هيوز بـ109 مباراة بين عامي 1966 و1986 سُجل خلالها 202 هدف. وتجدر الإشارة إلى أن هذه العينة ليست عينة كبيرة، وبخاصة بالنسبة إلى شخص يبني عليها ادعاءه بأن «كرة القدم العالمية تسير في الاتجاه الإستراتيجي الخاطئ خلال 30 عاماً بأكملها تقريباً». وهو ما يغري أيضاً بتأمل أهمية الحقيقة التي تشير إلى أنه بينما كان هيوز يشكو من أن معدل الأهداف في إحدى بطولات كأس العالم وصل إلى هدفين ونصف في المباراة، كان المعدل في المباريات التي شملتها عينته 1,85 فقط. لكن تظل نتائج العينة مثيرة للاهتمام؛ فقد جرى تنقيحها- ربما لتقف في طريق أمثال تايلور الذين يزعمون بأن الكرة المباشرة غير فعالة في المستويات العليا- لتشمل الفرق الناجحة فقط مثل: ليفربول والمنتخب الإنجليزي تحت 16 عاماً وتحت 21 عاماً، وأيضاً مباريات كأس العالم أو بطولة أوروبا التي يكون أطرافها من منتخبات الأرجنتين، البرازيل، إنجلترا، هولندا، إيطاليا، وألمانيا الغربية.

وجاء 53 هدفاً من أصل الـ202 هدفاً من تحركات لا تشمل تمريرات مستلمة، و29 هدفاً من تمريرة واحدة و35 من تمريرتين و26 من ثلاث. وفي المجموع، جاءت نسبة 87٪ من الأهداف من تحركات تشمل 5 تمريرات أو أقل، بينما

جاء أقل من 3٪ من تحركات تشمل 10 تمريرات أو أكثر (وإذا صحت إحصائية ريب بأن 91,5٪ من التحركات تشتمل على 3 تمريرات أو أقل، فلن يكون ذلك بالطبع عامل تأييد للكرة المباشرة). ثم تأتي مسألة كم هدفاً من هذه الأهداف المسجلة من ثلاث تمريرات أو أقل جاء نتيجة لانهيارات في الدفاع نتيجة النقلات الأطول. ويتوقع هيوز هذا السؤال ويقدم أرقامه بإحساس خاطئ بالانتصار. فمن بين الأهداف الـ90 التي لم تتخللها أي تمريرات– وهي الأهداف التي جاءت من ضربات جزاء أو ضربات حرة أو من تصويبة لكرة مرتدة من الحارس، أو بعد قطع الكرة أو تمريرة خاطئة من الفريق المدافع– التي حللها هيوز خلال 16 مباراة للمنتخبات الإنجليزية، جاء 12 هدفاً فقط من ثلاث تمريرات أو أقل– بنسبة 63٪، وهي نسبة تقل كثيراً عن نسبة ريب البالغة 91,5. وعندئذ لا يكون السؤال: هل هيوز على صواب أم على خطأ؟ وإنما كيف استطاع أن يخفي هذا الأمر لمدة طويلة جداً؟

وربما لم يكن مفاجئاً أن المنتخب البرازيلي كان هو الفريق الذي يسجل بعد سلسلة طويلة من التمريرات؛ حيث أحرزت البرازيل 32٪ من أهدافها من ست تمريرات أو أكثر، تليها ألمانيا الغربية بنسبة 25٪– ومع الوضع في الاعتبار، إحراز المنتخبين وقتذاك لست بطولات من بين 13 بطولة من بطولات كأس العالم، فيمكن أن يكون ذلك حجة في صالح أسلوب الاستحواذ على الكرة– ومن غير المعقول تقريباً، أنه لا يوجد هدف من بين الأهداف الهولندية العشرة قيد الدراسة جاء نتيجة لست تمريرات أو أكثر، وهذا ما أطلق أجراس الإنذار لدينا: فلماذا لا يوجد بالعينة سوى عشرة أهداف هولندية فقط على الرغم من أنهم سجلوا 15 هدفاً في نهائيات كأس العالم 1974وحدها؟ ومن هنا يتضح أن العينة لم تكن صغيرة فحسب، وإنما كانت انتقائية أيضاً– كما قال هيوز: «لقد استخلصنا 109 مباراة من المباريات التي تم تحليلها»– ولا يوجد في كتاب (The

Winning Formula) شرح لعملية الانتقاء هذه.

وحتى لو افترضنا عدم وجود نية سيئة وراء ذلك، فإن هيوز- على الأقل- ارتكب جريمة تعريف العرض وليس السبب. فيقول في استنتاجه الأخير: «الهدف الرئيس هو الوصول إلى الثلث الهجومي من الملعب أكثر من المنافسين، والهدف النهائي هو تسديد 10 تسديدات على المرمى كحد أدنى كل مباراة... وإذا جرى تبني الإستراتيجيات التي نطرحها وتحققت أهدافها الفنية، فإن فرص الفوز تكون جيدة للغاية- تتجاوز نسبة 85٪- كما أن فرص عدم الخسارة تكون أفضل، فلم نسجل أي مباراة سدد فيها الفريق 10 تسديدات على المرمى ثم خسر». صحيح، لكن هل التسديدات هي السبب في ذلك؟ أم أنها نتيجة طبيعية لتفوق الفريق؟ فهل تفوز الفرق بالمباريات بسبب تسديداتها أم أن لاعبيها يسددون لأنهم يفوزون بالمباريات؟

وتمثل أصوب الآراء التي ذكرها هيوز في كتابه في تأييده للضغط على الخصم. فقد حقق تشابمان وهيلينيو هيريرا نجاحاً باهراً عن طريق إصدار تعليمات بتراجع فرقهما إلى الخلف، لكن الضغط أصبح ظاهرة عالمية تقريباً في الكرة الحديثة. يقول هيوز: «إذا تمكن الفريق من زيادة عدد مرات امتلاك الكرة في الثلث الهجومي، فسيسجل المزيد من الأهداف». وتظهر إحصائياته أن 52٪ من الأهداف سجلت عند امتلاك الكرة في الثلث الهجومي، مقارنة بـ 18٪ عند امتلاكها في الثلث الدفاعي، وأن احتمال تمخض التحركات التي تبدأ عند استعادة الكرة في الثلث الهجومي عن أهداف يفوق بسبعة أضعاف احتمال تمخض الحيازة في الثلث الدفاعي عن أهداف. وهذه الأرقام يشوبها عدم الدقة بسبب الأوقات التي تنقطع فيها التحركات في الثلث الهجومي وتصل فيه الكرات الشاردة إلى الفريق المهاجم، وهي تدل دلالة صريحة على أهمية الضغط، فالضغط بالطبع له ميزة إضافية وهو إفساد أي هجوم من المنافس

قبل أن يبدأ. وهذا هو أساس الخلاف بين تايلور وريب. فالضغط إجراء قد يساعد الفريق على الفوز بالمباراة؛ ويترتب على ذلك إيصال الكرة إلى مناطق الخطورة.

ويواصل هيوز زعمه بأن الفريق ينبغي أن يسدد حينما تكون الفرصة مواتية أمامه، مشيراً إلى أن «نصف التسديدات يضيع حتى في المستويات العليا، فيجب على اللاعبين ألا يحجموا عن التسديد خوفاً من الإخفاق في التسديدة». فهل يجب على اللاعب أن يسدد حتى وإن كان زميله في وضع أفضل منه؟ وهل يجب عليه التسديد من 20 ياردة؟ أم من 30 ياردة؟ أم من 40؟ ويزعم هيوز أن التسديدات الخاطئة يمكنها أن تخلق فرصاً للتسجيل، وهو أمر صحيح، لكن لماذا نحول الأمر إلى قرعة للسؤال عما إذا كانت التمريرة المتقنة تزيد بشكل كبير من فرص التسديدة المبدئية، وعندما يتم تسلمها تصبح تمريرة مهمة؟ ورغم ذلك، كان هناك عدم ثقة في الأسلوب، خوفاً من أن إضافة عنصر إضافي لتحرك الفريق، تزيد من فرص حدوث خلل في النظام إلى مستوى يجعل الأفضلية للاعتماد على ضربة حظ أو الانحراف عن المسار، ولم يكن ألن ويد– المدير الفني للاتحاد الإنجليزي بين عامي 1963 و1983، من أنصار جماليات الأداء، لكنه فزع من عقيدة خليفته، وقال: «هذا الأسلوب المتهور سيقضي على كرة القدم». «فكرة القدم التي يخضع فيها اللاعبون لسيطرة الحواة من خارج الملعب، مدعومين بمجموعات من الإحصائيين والمحللين، لن يكون لها جاذبية اللعبة التي أطلق عليها بيليه اللعبة الجميلة».

وربما يكون في ذلك إيماءة لأيام الفيكتوريين التي تميزت بطريقة الجري دون رفع الرأس: فبينما قاد جنون الاضطهاد الإيطاليين إلى طريقة الكاتيناتشو والإيمان بالإستراتيجية أكثر من المهارة، قاد عدم الأمان الإنجليز إلى أسلوب لا يثق في المهارة بل يفضل عليها القوة البدنية دون إعمال الفكر– التي كانت شعاراتها الثلاثة استمر في القتال، استمر في الجري، استمر في المحاولة– كما

ذكر ذلك الصحفي الألماني رافائيل هونجيستين Raphael Honigstein بسخرية في عنوان كتابه عن الكرة الإنجليزية، «أقسى، وأحسن، وأسرع، وأقوى». لكن ليس أكثر مهارة.

ورغم تأييد هيوز لزيادة التدريب على التسديد لتحسين درجة الدقة– وهو يعرض نجاحه في هذا المجال مع منتخب إنجلترا للناشئين تحت 16 سنة، على الرغم من أن عينته لم تشمل سوى أربع مباريات فقط– وكان هذا النوع من الحجج السبب في فزع جيمي هوجان Jimmy Hogan في القرن السابق في فولهام: اشتروا تذاكر كافية وستربحون اليانصيب في النهاية.

وبعيداً عن ذلك كان عمل هيوز يفتقد إلى الإتقان، فهو يدعي أن الفريق الذي يطبق «طريقته»– التي يزعم أنها أفضل من طريقة الخصم على أي حال– سيكون لديه فرصة لتحقيق الفوز تتجاوز الـ85٪. والسؤال هو: هل هناك نموذج للـ15٪ الباقية؟ وما لا تظهره إحصائيات هيوز هو الاحتمال الذي سلم به تايلور، الاحتمال الذي تشعر بالفطرة أنه احتمال صحيح، وهو أن الكرة المباشرة يمكنها أن تقطع بالفريق شوطاً بعيداً، ثم يأتي مستوى معين يستطيع المنافس فيه الاحتفاظ بالكرة وإحكام السيطرة عليها، فتفقد الطريقة فاعليتها أمام هذا النوع من المنافسين. وكان برايان كلوه صريحاً عندما قال: « أود أن أثبت بلا أي شك أن تشارلز هيوز مخطئ تماماً في منهجه في كرة القدم، فهو يعتقد أن كرة القدم ينبغي أن تلعب ببرود».

صحيح أن هذا من باب المبالغة، لكن العيوب كانت واضحة وضوحاً كافياً، فطريقة تشابمان المباشرة نجحت لأنه أغرى الفرق المنافسة بالتقدم وشجعهم على ترك مساحة خلفهم ليستغلها فريقه. وكان فريق واتفورد تحت قيادة تايلور– بأسلوب الضغط سريع الإيقاع– معرضاً لهذا النوع من الهجوم. ولا تفرق طريقة هيوز بين طرق اللعب المختلفة للمنافسين. ومع الوضع في الاعتبار انهيار أسلوب تايلور المباشر أمام فريق سبارتا براغ الذي برع في

الاحتفاظ بالكرة وشن هجمات مضادة ماكرة، فهل كان أسلوب هيوز سيلقى المصير نفسه؟ فتايلور اكتشف أن التنظيم والنشاط يقطعان بالفريق شوطاً طويلاً لكنهما يتوقفان به عند هذا الحد.

ومن سخرية القدر أنه بينما كان تايلور على دراية كافية بعيوب الطريقة، كان هو من تحمل حصادها المر بعد أن أعلن هيوز تطبيق مبادئ ريب كسياسة للاتحاد الإنجليزي. نعم كان هناك لاعبون غائبون للإصابة، لكن هل أرسلت إنجلترا فريقاً إلى بطولة كبرى أضعف من ذلك الفريق الذي خسر من السويد 2–1 في آخر مباريات المجموعة في كأس أوروبا عام 1992، وضم وودز وباتي وكيون ووكر وبيرس ودالي وويب وبالمر وسينتون وبلات ولينكر؟ ومما يزيد الطين بلة، أنه عندما أخفقت إنجلترا وقتها في التأهل إلى نهائيات كأس العالم 1994 كان خروجها على يد النرويج، وهو فريق يطبق نموذج ريب بحذافيره.

وكانت الروابط دائماً قوية بين كرة القدم البريطانية وكرة القدم الإسكندينافية، فقد دخلت كرة القدم إلى السويد من خلال الطريق المعتاد للبحارة البريطانيين، بمساعدة بسيطة من الدنمركيين المحبين للإنجليز. وعندما قرر الاتحاد السويدي لكرة القدم تعيين أول مدرب محترف بعد الحرب العالمية الثانية، طلب النصيحة من الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم، وعين جورج راينور الذي كان مدرباً للفريق الاحتياطي في ألدرشوت. وبتوجيهاته فازت السويد التي استفادت من حياديتها في زمن الحرب، بذهبية أولمبياد لندن 1984، وحققت المركز الثالث في كأس العالم 1950، ثم وصلت للنهائي في عام 1958. وفي كأس العالم، كانوا يلعبون بطريقة دبليو إم التقليدية مع وضع رقابة على لاعبي المنافس، وربما يعود السبب في ذلك بوجه عام إلى أن روح الهواية في الاتحاد السويدي لكرة القدم لم تتغير حتى أواخر الستينيات. وأخيراً، تم إقرار الاحتراف في عام 1967، وفي أعقاب إخفاق السويد في التأهل لكأس العالم 1970، عين لارس أرنيسون أحد كبار معلمي التدريب ليعمل مع المدير الفني

الوطني جيورج أبي أريكسون. وحلم أرنيسون بفرض أسلوب لعب موحد في كرة القدم السويدية، وقرر أن أسلوب اللعب ينبغي أن يكون مثل أسلوب اللعب الألماني باستخدام الليبرو، وثبت صحة هذا التوجه في كأس العالم 1974، عندما حلت السويد في المركز الثالث في مجموعتها في المرحلة الثانية، أي المركز الخامس في البطولة، ورغم أنه لم يكن هناك ما يكفي من الوقت لظهور أثر فكرته عن توحيد الفكر التدريبي في جميع مستويات التدريب، أثبت هذا النجاح أن السويد يمكنها أن تنافس عالمياً بهذا النظام. وعلى الفور، بدأت حركة مضادة في الظهور عندما قرر إيريك بيرسون، المستبد العجوز- الذي كان يرأس مجلس إدارة نادي مالمو إف إف ويدربه- التنحي عن مهامه للسماح بمساحة أكبر من التخصص في أدوار الإدارة بالنادي. فعين هانز كافالي بيوركمان أحد المصرفيين الكبار رئيساً لمجلس الإدارة، وفي منصب المدير الفني لجأ النادي- لإحساسه بأن المدربين المحليين مفرطون في تحفظهم- إلى شاب إنجليزي عمره 27 عاماً هو بوبي هاوتون.

ولعب هاوتون في برايتون وفولهام، لكنه قرر في سن مبكرة أن يصبح مدرباً، فاجتاز دورة ويد التدريبية في الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم بأعلى الدرجات، وعين في موسم 1971-1972، لاعباً ومديراً فنياً في ميدستون يونايتد. وهناك وقع له زميل دراسته السابق روي هودجسون- الذي أظهر موهبة واعدة في دورات ويد للتدريب- ليصبح لاعباً ومدرباً للفريق، وكان ويد قوة دافعة للتجديد، فعارض مراراً تدريبات المدربين التي لا ترتبط مباشرة بأوضاع المباريات، ولم يكن اهتمامه الرئيس منصباً على المهارات الفردية بقدر ما كان منصباً على الشكل وتوزيع اللاعبين في الملعب. وكانت هذه الأفكار هي الأفكار التي أسس لها هاوتون في مالمو، وعندما جاء بهودجسون في هالمستادز بي كيه بعد ذلك بسنتين، نشب الانقسام بين مدرستهم الإنجليزية الحديثة وبين المؤيدين لطريقة الليبرو.

وطبق هاوتون وهودجسون دفاع المنطقة والضغط القوي على منافسيهم وتقدم خط الدفاع لمسافة كبيرة كاشفاً مصيدة التسلل، ولعبا على الهجمة المرتدة، بطريقة لا تشبه طريقة الهولنديين ولا دينامو كييف، لكنها تعتمد على إرسال تمريرات طويلة خلف دفاع المنافس. ووفقاً للأكاديمي السويدي توماس بيترسون (Tomas Peterson)، «طور الاثنان معاً عدداً من المبادئ- التي يمكن استخدامها في سلسلة من التركيبات والتوليفات- ووضعوها في قالب لتتحول إلى وحدة عضوية متكاملة، أي مشروع لا يمكن تجزئته يدور حول كيفية لعب كرة القدم، فلكل لحظة من المباراة وُضعت نظريات وحفظت كدرس عملي في مجال تدريس التدريب، ونظر إليها نظرة مجملة». وهذا- وفقاً لأرنيسون- «يقيد من عملية المبادرة ويحول اللاعبين إلى آليين»، وكما وصف النقاد الأسلوب الإنجليزي بأنه «مجرد من الإنسانية»، ظهر في السويد أيضاً الجدل حول المزايا النسبية لجمال الأداء والنجاح. ويشبه بيترسون هذا الأمر بالاستماع لتشارلي باركر بعد جلين ميلر، أو رؤية لوحة بيكاسو بعد مناظر طبيعية كلاسيكية، فكتب يقول: «التغيير لا يكمن فقط في استيعاب الأسلوب الجمالي». «فالتنظيم الحقيقي للفن والموسيقى يحدث على مستوى أكثر تطوراً». فقد ذهب عهد السذاجة وجاء عهد آخر للأنظمة المعقدة.

وحقق هاوتون وهودجسون النجاح بالتأكيد، ففازوا بخمس بطولات دوري من أصل ست، بينما صعد هاوتون بمالمو لنهائي كأس أوروبا عام 1979، الذي شهد خسارته بصعوبة أمام نوتنجهام فورست تحت قيادة كلوه. ورغم ذلك شهد كأس العالم 1978 احتلال السويد للمركز الأخير في مجموعتها في المرحلة الأولى وهي المجموعة- التي ضمت أستراليا والبرازيل وأسبانيا- وتعود أسباب العرض السيئ إلى التأثير المتآكل للأسلوب الإنجليزي (بل إن منتخب إنجلترا نفسه عجز عن التأهل).

وعندما أخفقت السويد في الوصول إلى نهائيات كأس الأمم الأوروبية

عام 1980، اضطر الاتحاد السويدي إلى التدخل، فأعلن رسمياً يوم 11 ديسمبر 1980، بألا يلعب المنتخب الوطني بالأسلوب الإنجليزي، وألا يدرس الأسلوب الإنجليزي في أي مؤسسة قومية. ومع رحيل هاوتون وهودجسون ليتولوا قيادة فريق بريستول سيتي، بدا أن طريقة الليبرو قد تسود الملاعب، لكن تأثيرهم تواصل على يد سيفن جوران أريكسون– الذي كان يضع عينه خلال فترة تعلمه فن التدريب– على بوبي روبسون في إيبسويتش تاون، وبوب بيسلي في ليفربول.

وعمل إريكسون مدرساً للتربية البدنية في أوريبرو، ولعب في مركز الظهير الأيمن لنادي بي كيه كارلسكوجا BK Karlskoga، وهو فريق محلي من فرق القسم الثاني. وهناك تأثر فكره الكروي بشدة بمدربه تورد جريب، الذي اقتنع نفسه بمزايا الأسلوب الإنجليزي. وبعد اعتزاله اللعب، أصبح جريب مديراً فنياً لأوريبرو قبل أن ينتقل إلى ديجيرفورس آي إف. وفي سن الثامنة والعشرين أصيب إريكسون إصابة عنيفة، فطلب منه جريب الانضمام إليه في منصب المدرب المساعد. وسرعان ما عين جريب مساعداً لجورج إريكسون في المنتخب الأول، تاركاً قيادة فريق ديجيرفورس لإريكسون في عام 1976.

وقادهم إريكسون مرتين إلى لعب مباراة فاصلة، ثم نجحوا أخيراً في الحصول على تذكرة الترقي إلى القسم الثاني في عام 1979، الذي شهد مفاجأة صارخة بتعيين إريكسون مديراً فنياً لفريق آي إف كيه جوتنبرج. ويقول المدافع جلين هايسن عن ذلك: «تولى الفريق هذا الرجل الخجول حقاً– الذي كان مدرباً لفريق صغير اسمه ديجيرفورس، والآن وجد نفسه فجأة على رأس أكبر الأندية في البلاد– ولم نسمع عنه قط، لاعباً أو مدرباً، واستغرقنا فترة حتى نعتاد عليه ونحترمه».

وخسر جوتنبرج أول ثلاث مباريات له تحت قيادة إريكسون، وعندها عرض تقديم استقالته، لكن اللاعبين شجعوه على البقاء، وتحسن مستواهم

ليحتل جوتنبرج المركز الثاني في الدوري ويفوز بالكأس. لكن ذلك لم يجعله شهيراً. وعن ذلك كتب الصحفي فرانك سيومان Frank Sjoman يقول: «كان إريكسون بعيداً عن طموحات الجماهير لأنه– مثله مثل معظم المدربين– كان مهتماً بالنتائج على حساب أي شيء آخر»، ويضيف: «أنه تمكن في فترة قصيرة من إدخال المزيد من الوعي التكتيكي، ومعدل الجهد، كما وضع قيوداً على أسلوب العنتريات القديم. وكانت النتيجة أن جوتنبرج– بعد أن أصبحت هزيمته أصعب– أصبح من الصعب متابعة مبارياته»، فانخفض متوسط عدد المشاهدين بمقدار 3000 متفرج ليصبح الباقي 13,320. وكان إريكسون مثل ويد منشغلاً بشكل الفريق. يقول لاعب وسط الفريق جلين شيلر Glenn Schiller: «كان سفين ينظمنا مثل قطع الشطرنج في ملعب التدريب. فكان يقول: «أنت قف هنا وأنت اذهب إلى هناك» وما إلى ذلك...لكن المشكلة الكبرى كانت تنظيم جميع القطع معاً وجعلهم يتحركون في تناغم، وكان الجانب الدفاعي هو مفتاح ذلك كله، فعندما كنا نهاجم، كان يمنحنا قدراً كافياً من الحرية للتعبير عن أنفسنا، أما في الدفاع فكان علينا أن ندافع من مواقع محددة بدقة في منطقة نصف ملعبنا».

وفي عام 1981، حقق جوتنبرج المركز الثاني أيضاً، لكنه حسم الجدل في العام التالي، بفوزه بثنائية الدوري والكأس، وكأس الاتحاد الأوروبي في مفاجأة مدوية. ورغم رحيل إريكسون سريعاً إلى بنفيكا، فإن طريقة 4–4–2 الإنجليزية رسخت وجودها بشدة.

وفي النرويج، كان الجدل أقل حدة، وكان الواقعيون هم الفائز الأكبر من هذا الجدل. وسبق لويد وهيوز زيارة النرويج مرات عديدة في الستينيات والسبعينيات، وأصبح كتاب ويد (The FA Guide to Training and Coaching) دليلاً محورياً للتدريب والفكر النرويجي، كما يتضح في كتيب «فهم الكرة» Understanding of Football وهو كتيب صغير كتبه أندرياس موريسبك–

المدير الفني للاتحاد النرويجي لكرة القدم عام 1978.

وتأسست الجامعة النرويجية للتعليم البدني والرياضي عام 1968، وفي عام 1981، حلل أحد المحاضرين في الجامعة هو إيجل أولسن– الذي مثل بلاده في 16 استدعاء دولي– نموذج ويد وطرحت نسخة منقحة له. فزعم أولسن أن ويد كان يضع الاحتفاظ بالكرة على رأس أولوياته؛ حيث كان يعتقد أن الحصول على الكرة يجب أن يكون هدف المدافعين، وأن استخدام الكرة لإحراز الأهداف يجب أن يكون هدفاً لخط الهجوم، وربما كان ذلك واضحاً، لكن التوضيح الدلالي البسيط الذي قدمه كانت له تأثيرات جذرية، فكان يشعر أن نموذج ويد لا يولي اهتماماً يذكر للاختراق، وأن تجاوز الخصم على المستوى الطولي أكثر أهمية من الاحتفاظ بالكرة.

وجاء كتابه حين انتقل الجدل السويدي بين النظام والجماليات إلى النرويج، وكان سبب ذلك نجاح فريق فاليرينجا آي إف Valerenga IF في إحراز اللقب عام 1983 بقيادة المدرب السويدي جاندر بينجتسون، الذي اقتنع بأساليب هاوتون وهودجسون. وتبعه في فريقي فاليرينجا وإف كيه لين مدرب سويدي آخر اسمه أوليه نوردين كانت الجماهير تسخر منه بعبارة «اذهب يا أوليه» بعد كأس العالم 1990، وكانت أبرز مشاهده هزيمة السويد في جميع مبارياتها بنفس النتيجة: 1–2، 1–2، 1–2– ثم أصبح جريب مديراً فنياً للمنتخب.

وبدأ أولسن وزملاؤه في الجامعة النرويجية للتعليم البدني والرياضي في تحليل المباريات إحصائياً، وأدت نتائج هذا التحليل إلى توصل أولسن إلى مجموعة من الاستنتاجات لخصها في رسالة الماجستير الخاصة به، وكان أهم ما يجذب الانتباه فيها هو احتمال التسجيل قبل توقف اللعب، إذ تفوق نسبة حدوث هذا الاحتمال عندما تكون الكرة مع حارس مرمى المنافس نسبة حدوثه إذا كانت الكرة مع حارس مرماك، وهذا بدوره جعله يفترض أن موقع الكرة أهم بكثير من الاحتفاظ بها.

وفي عام 1987، قدم أولسن بحثاً في مؤتمر العلوم وكرة القدم في ليفربول. وبينما هو هناك، إذا به يلتقي جورج ويلكينسون الذي كان يحلل المباريات لصالح هاوارد ويلكنسون، الذي كان حينئذ يشغل منصب المدير الفني لليدز. ومن خلالهما، تمكن أولسن من الاطلاع على أعمال ريب، الذي رسخ في ذهنه نظرياته عن دور الفرصة في كرة القدم وعدم جدوى الاستحواذ على الكرة. والتقى أولسن بريب عام 1993، واحتفظ الاثنان بعلاقة صداقة وثيقة جداً لدرجة أن أولسن عين مديراً فنياً لويمبلدون عام 1999، وعرض عليه ريب الذي كان يبلغ من العمر 95 عاماً حينذاك أن يعمل معه محللاً.

وأصبح أولسن مدرباً للمنتخب القومي النرويجي عام 1990، فطبق طريقة 4–5–1، حيث كان يلعب غالباً برأس حربة واحد هو جوستين فلو يتقدم ويهاجم خط الظهر، حيث من المفترض أن يمنحه طوله التفوق على المشاكين الذين سيفرضون رقابتهم عليه. والمثير للاهتمام أن تايلور فعل شيئاً مشابهاً مع آيان أورموندرويد في أستون فيلا، وكانت النظرية– ولو جزئياً على الأقل– وراء اختيار إيميل هيسكي Emile Heskey ليلعب في اليسار خلف جيرارد هوليير Gerard Houlier في ليفربول وفي منتخب إنجلترا بقيادة إريكسون. وطالب أولسن الذي كان معروفاً وهو لاعب بلقب «دريل». بسبب مهاراته في المراوغة، بإرسال الكرات إلى «الغرفة الخلفية»– المنطقة الواقعة خلف خط دفاع المنافس، حتى يتابعها فريقه بالجري لشن الهجوم. وأصبحت عبارة (a vare best uten ball) «الأفضل أن تجري والكرة ليست معك»– وهي العبارة التي التصقت في البداية بأوفيند ليونهاردسن– بمثابة التوقيع الشخصي للفريق، ونجح أولسن نجاحاً مذهلاً. فالنرويج لم يحالفها الحظ للوصول إلى كأس العالم منذ عام 1938، لكنه قاد المنتخب ليتأهل في كأسي عالم متتالين 1994 و1998، ليحتل الفريق مؤقتاً المركز الثاني في التصنيف العالمي للفيفا.

وربما لاقت فلسفة أولسن قبولاً واسعاً في النرويج أكثر من أي مكان آخر

مباراة إنجلترا والنرويج 1 – 1، استاد ويمبلي، التصفيات المؤهلة لكأس العالم، 14 أكتوبر 1992.

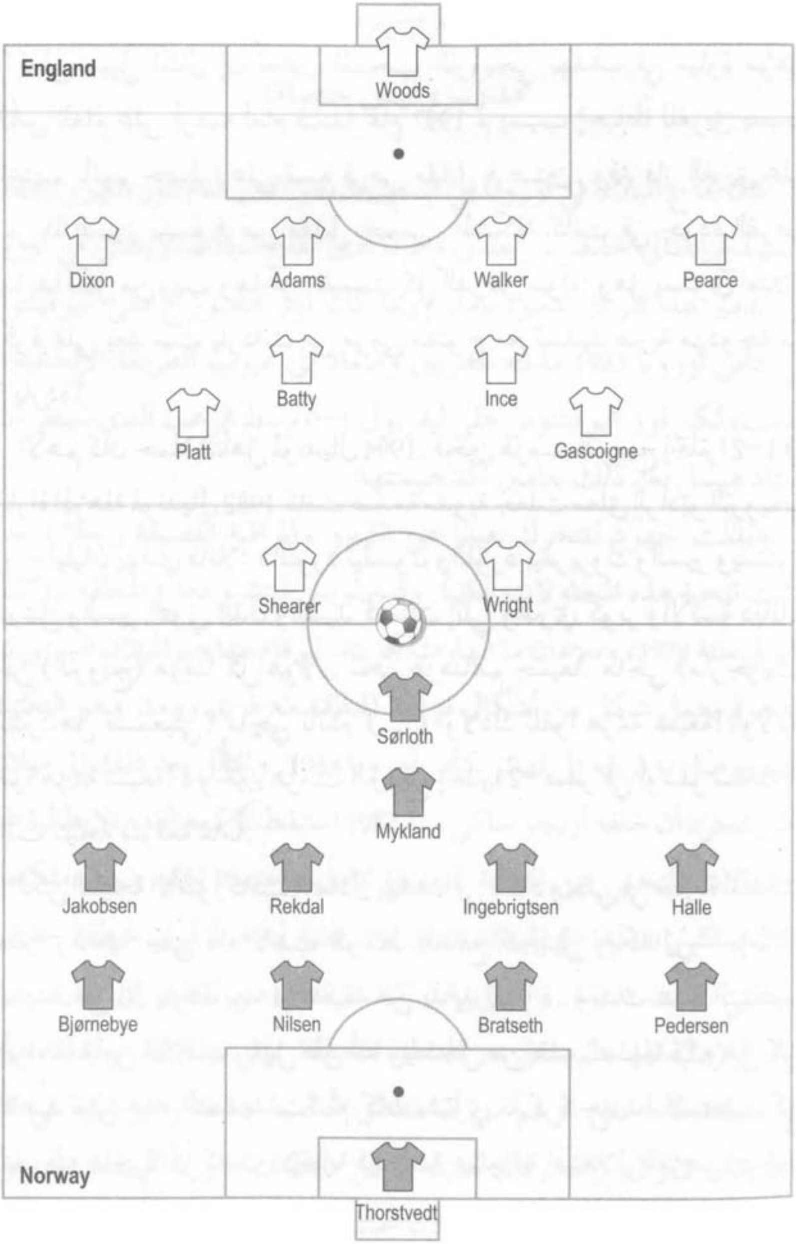

بسبب عدم نجاح النرويج تاريخياً كما يشير لارسون الذي أصبح الجمهور في ظل قيادته مهتماً بفرص التهديف.

فعلى سبيل المثال إن تعادل المنتخب النرويجي بهدف في مبارة مؤهلة لكأس العالم على أرضه أمام فنلندا عام 1997 لم يسبب إحباطاً للفريق بسبب قناعتهم بأنهم حصلوا على تسع فرص مقابل فرصتين. وقد فاز الفريق على نفس المنافسين بسبع فرص مقابل خمس. المشكلة كانت في جودة الفرص كما بدا لكل من ريب وهاجز. فليست كل الفرص سواء: وهل يستوي امتلاك الكرة على بعد ست ياردات من مرمى مفتوح مع تسديد ضربة مزدوجة من 30 ياردة؟

الأهم كان حملة التأهل لمونديال 1994. فحين هزمت النرويج إنجلترا 2–1 في المباراة المؤهلة لمونديال 1982 كانت صدمة مدوية جعلت معلق الراديو النرويجي بورج ليليان يهذي قائلاً: «اللورد نيلسون واللورد بيفربروك والسير وينستون تشرشل والسير انتوني ايدن والسيد كلمنت إتلي وهنري كوبر والآنسة ديانا.. نحن (النرويج) هزمنا كل هؤلاء. نحن هزمناهم جميعاً. ماجي (مارجريت) تاتشر: هل تسمعيني؟ ماجي تاتشر (...) أولادك تلقوا هزيمة شنيعة! أولادك تلقوا هزيمة شنيعة!» وحين هزمت النرويج إنجلترا 2–صفر في أوسلو سنة 1993 كانت نتيجة متوقعة تماماً.

لكن النتيجة الأسوأ كانت التعادل بهدف في استاد ويمبلي في مباراة امتلكت إنجلترا زمامها حتى قام لاعب الوسط المدافع كجيتيل ريكدال— بإطلاق تسديدة من 30 ياردة بعد 14 دقيقة من بداية المباراة. وبدت هذه التسديدة كإبراء ذمة من اللاعب. فهل ظن أنه سيسجل من هذه التسديدة؟ وهل كرر اللاعب مثل هذه التسديدات؟ أم كان يشتري تذكرة جديدة للسحب كما طلب منه هاجز؟ أياً كانت الإجابة فإن لعنة عشوائية استغلال الفرص أصابت تايلو كما ظن ريب.

الفصل السادس عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

مدرب وليس حصاناً

كان نجاح الميلان في أوروبا في الستينيات هو الذي قدم دور الليبرو Libero كنموذج إيطالي خالص، وبعد ربع قرن أدى نجاح الميلان الإيطالي في أوروبا إلى تدمير هذا المركز تدميراً تاماً. وربما كان فوز هامبورج على اليوفينتوس في كأس أوروبا 1983 ما نبه المدربين والنقاد إلى عيوب الطريقة الإيطالية في اللعب، لكن فوز اليوفينتوس على ليفربول 1–0 وسط الرعب الذي سيطر على استاد هيسل بعد ذلك بعامين أكد هيمنتها.

وبُذلت جهود للتحرك بعيداً عن الليبرو والمراقبة اللصيقة رجلاً لرجل، وتمت تنحية هذه المحاولات جانباً. وقدم لويس فينشيو دفاع المنطقة مع نادي نابولي سنة 1974، وسرعان ما انهارت تجربته. ثم قام مهاجم الميلان السابق نيلز ليدهولم بعمل شكل من أشكال مراقبة المنطقة مع فريق روما. وهو التكتيك الذي وصل به فريقه إلى نهائي كأس أوروبا 1984. وانتقل بعد ذلك إلى ميلان. لكن بمجرد أن خلفه أريجو ساكي سنة 1987 استيقظت كرة القدم الإيطالية على احتمالات التخلي عن المراقبة اللصيقة تماماً، واعتماد نظام ضغط متكامل. وقال ساكي: «(دفاع) المنطقة الذي كان يعنيه ليدهولم ليس منطقة حقيقية. منطقتي كانت مختلفة. والتمريرات كانت تنتقل من لاعب إلى آخر، حيث كان اللاعب المهاجم يتنقل عبر المناطق المختلفة. وفي نظام ليدهولم، إذا بدأت في منطقة ما– على الرغم من أن مناطق الملعب مختلطة وغير مميزة في هذه الطريقة– لاتزال مراقَباً رقابة لصيقة داخل منطقتك». وربما لم يلعب أي فريق دفاع المنطقة بشكل جيد مثل الميلان تحت قيادة مدربه ساكي. وخلال ثلاث

سنوات، قاد ساكي الميلان إلى كأسيْن أوروبيتيْن، على الرغم من أن الرجل بدا مغموراً حين تولى المسؤولية. وبدا النادي في حالة ركود.

وُلد ساكي في فوسيجنانو، وهي منطقة تضم 7000 نسمة في مقاطعة رافينا، وأحب ساكي كرة القدم، لكنه لم يستطع أن يلعبها. بدأ العمل بائعاً في مصنع للأحذية كان يمتلكه والده، وأصبح واضحاً أنه لم يكن جيداً بما فيه الكفاية في ناديه المحلي براكو لوكو، فاتجه إلى تدريبه، وهنا واجه أزمة المصداقية، وإن لم تكن الأخيرة، يقول: «كنت في السادسة والعشرين من العمر، وحارس المرمى كان في التاسعة والثلاثين ولاعب قلب الهجوم كان في الثانية والثلاثين؛ فكان عليّ أن أكسبهم إلى جانبي».

في تلك المرحلة، وبسبب الشكوك التي واجهها، كانت لساكي أفكار واضحة جداً عن طرق اللعب النموذجية، وهو يقول عن ذلك: «عندما كنت طفلاً كنت أحب الفرق الكبيرة. ولما صرت صبياً يافعاً، أحببت نادي هونفيد ثم ريال مدريد ثم البرازيل وجميع الفرق كبيرة. وأبهرتني هولندا في السبعينيات، وكانت لغزاً بالنسبة إلي. وكان التلفزيون أيضاً صغيراً. فشعرت وكأني بحاجة إلى رؤية الملعب بأكمله حتى أفهم طريقة لعبهم».

تألقت هذه الفرق الأربعة في التمريرات، وقامت أساليبها على التحرك والتفاعل بين اللاعبين. وقادت فرق هونفيد وريال مدريد ومنتخب البرازيل– بدرجات متفاوتة من الوعي الذاتي– التطور نحو النظام، أما هولندا تحت قيادة رينوس ميشيلز فكانت واحدة من فريقين عظيمين من أوائل الداعين إلى إمكانياتها. وعندما شاهدهم الشاب ساكي لم يرد أن يرى مجرد الرِجل على الكرة، ولا مجرد ما يعتقده أغلب الناس بأنه مركز الحركة، وإنما بقية أفراد الفريق أيضاً؛ فوصل إلى النتيجة التي وصل إليها فاليري لوبنوفسكي: أن اللاعب دون كرة لا يقل أهمية عن اللاعب الذي يستحوذ عليها، فكرة القدم لا تتمحور

حول 11 فرداً ولكن حول نظام ديناميكي مكون من هؤلاء الأفراد.

وببساطة أكثر، كان ساكي مهتماً ومتحمساً للفرق المهاجمة. وكان ذلك وحده كافياً لتنحيته جانباً عن التيار السائد لثقافة كرة القدم المشروطة بتركة جيبو فياني Gipo Viani، ونيريو روكو Nereo Rocco، وهيلينيو هيريرا Helenio Herrera. عن ذلك يقول ساكي: «عندما بدأت، كان معظم الاهتمام منصباً على المرحلة الدفاعية. وكان لدينا الليبرو ولاعبو الرقابة اللصيقة، ثم أتت مرحلة الهجوم التي تأثرت بالذكاء الفردي والحس السليم للأفراد وإبداع [اللاعب] رقم عشرة، وكان لإيطاليا ثقافتها الدفاعية، ليس في كرة القدم فحسب؛ فعلى مدى قرون، كان كل إنسان يغزو بلادنا».

هذا ما حدا بجياني بريرا إلى الحديث عن «الضعف» الإيطالي، قائلاً: «الحيطة الدفاعية كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تزدهر على أيديهم»، وهي الفكرة التي دعمتها الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الثانية، والتي فضحت عدم الوثوق بالعسكرية التي أكدت نجاح فيتوريو بوتسو في عهد موسوليني. وتساءل ساكي عن سبب هذه الانهزامية حين لحق بوالده في رحلات عمل إلى ألمانيا وفرنسا وسويسرا وهولندا، فقال: «لقد فتحت ذهني. اعتاد بريرا القول إن على الأندية الإيطالية التركيز على الدفاع بسبب حِمْيتنا الغذائية، لكني كنت أرى أننا في الرياضات الأخرى استطعنا أن نتفوق، ونجاحنا أثبت أننا لم نعان من ضعف بدني. ولذلك أنا على قناعة بأن المشكلة الحقيقية هي عقليتنا الدفاعية الكسولة».

وأضاف ساكي: «حتى عندما جاء المدراء الأجانب إلى إيطاليا، لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم تكيفوا مع الطريقة الإيطالية في إنجاز الأمور. ربما كانت اللغة، وربما كانت الانتهازية. وحتى هيريرا، عندما وصل أول مرة، لعب كرة هجومية، ثم تغيرت بعد ذلك. ومازلت أتذكر مباراة ضد فريق بادوفا بقيادة

روكو، حين هيمن إنترناسيونالي على المباراة، أما بادوفا فقد عبر خط المنتصف ثلاث مرات وسجل مرتين إضافة إلى كرة في العارضة. وصُلب هيريرا بعدها في وسائل الإعلام؛ فماذا فعل؟ بدأ اللعب بليبرو، اسمه [لويس] سواريز لتأمين العمق وإرسال الكرات الطويلة، وبدأ في لعب كرة قدم تعتمد على الهجمات المرتدة. بالنسبة إلي، امتلك الإنتر الكبير La Grande Inter لاعبين كباراً، لكنه كان الفريق الذي له هدف واحد فحسب ألا وهو الفوز، لكن إذا كنت تريد أن تذهب بعيداً في التاريخ فأنت لست بحاجة إلى الفوز فحسب، وإنما عليك أن تقوم بالترفيه كذلك».

وأصبح هذا مبدأ مُلزماً، ويبدو أن ساكي بدأ في وقت مبكر جداً في مراقبة الأجيال القادمة، أو على الأقل كان له مفهوم عن العظمة يقاس بشيء أكثر من مجرد الميداليات والجوائز، يقول ساكي: «كان لدى الأندية الكبرى شيء واحد مشترك على مر التاريخ، بغض النظر عن العصر والتكتيكات؛ فهم قد امتلكوا الملعب وامتلكوا الكرة، وهذا يعني أنه عندما تمتلك ناصية الكرة ستُملي (طريقة) اللعب، وعندما تدافع يمكنك التحكم في المساحة».

وأضاف: «اعتاد ماركو فان باستن أن يسألني لماذا علينا أن نفوز وأن يكون الفوز مقنعاً أيضاً؟ وقبل بضع سنوات، أعلنت مجلة فرانس فوتبول عن قائمتها بأعظم عشرة فرق في التاريخ، وكان فريق الميلان بقيادتي ضمن هذه القائمة. وهكذا فعلت مجلة وورلد سوكر: حيث احتل الميلان بقيادتي المركز الرابع، وكانت المراكز الثلاث الأولى لمنتخبات وطنية– هي المجر 1954، والبرازيل 1970، وهولندا 1974، ثم فريقي. فأخذت هذه المجلات وقلت لماركو: «هذا هو السبب في أنك بحاجة للفوز وبحاجة لأن تكون مقنعاً، وأنا لم أفعل ذلك لأنني أردت أن أكتب التاريخ، بل فعلت ذلك لأنني أردت أن أعطي الناس تسعين دقيقة من الابتهاج، وأردت ألا يأتي هذا الابتهاج من الفوز، بل من

كونك مستمتعاً، ومن كونك تشهد شيئاً استثنائياً، ما فعلته كان نابعاً من عاطفتي، وليس لأنني أردت أن أدير الميلان أو أفوز بكأس أوروبا، لم أكن سوى شخص يمتلك أفكاراً وأنا أحب أُعَلِّم، والمدير الجيد هو كاتب سيناريو ومخرج على السواء، وعلى الفريق أن يعكس مديره».

يتفق خورخي فالدانو Jorge Valdano– وهو هذه الأيام الأمير الفيلسوف البليغ في كرة القدم الجمالية– تمام الاتفاق مع هذه العاطفة. يقول فالدانو: «أصبح المدربون يشاهدون المباريات كسلسلة من التهديدات، وهكذا لوث الخوف أفكارهم. فكل تهديد وهمي يحاولون إبطاله يؤدي بهم إلى اتخاذ قرار قمعي يفسد جوانب كرة القدم مثل السعادة والحرية والإبداع. ففي قلب قوة كرة القدم كبيرة الإغرائية تكمن مشاعر معينة أبدية، فما يشعر به المشجع اليوم من التفكير في اللعبة هو في قلب ما شعر به المشجعون منذ 50 أو حتى 80 عاماً مضت. وبالمثل، ما يفكر فيه رونالدو عندما يستلم الكرة هو نفس ما شعر به بيليه، الذي بدوره يشبه ما شعر به دي ستيفانو، وبهذا المعنى، لم يتغير الكثير، والجاذبية مازالت كما هي».

أشار جابريل ماركوتي في مقال له في مجلة التايمز، إلى أن هذه الجاذبية بالنسبة لفالدانو متجذرة في العاطفة. يقول: «كثيراً ما يقول الناس إن النتائج لها أهمية قصوى، فمنذ عشر سنوات مضت ظلت النتيجة هي الشيء الوحيد الذي يُذكر، ولكن هذا ليس صحيحاً». وأضاف فالدانو: «ما يبقى في ذاكرة الناس هو البحث عن العظمة والمشاعر التي تولدها. فمازلنا نتذكر فريق الميلان بقيادة أريجو ساكي أكثر مما نتذكر فريق إيه سي ميلان بقيادة فابيو كابيلو، على الرغم من أن الميلان بقيادة كابيلو كان أكثر نجاحاً وحداثة، وبالمثل، فإن الفرق الهولندية التي كانت تلعب الكرة الشاملة في السبعينيات كانت أسطورية، أكثر بكثير من ألمانيا الغربية، التي تغلبت على هولندا في نهائي كأس العالم 1974، أو

الأرجنتين التي انتصرت عليها أيضاً في نهائي كأس العالم 1978. فمدار الأمر هو البحث عن الكمال، ونحن نعلم أنه لا وجود له، ولكن هذا واجبنا تجاه كرة القدم، وربما من أجل الإنسانية التي تسعى جاهدة من أجله، وهذا ما علينا أن نتذكره، وهذا هو الاستثنائي في الأمر».

ورغم دخول ساكي الثلاثينيات من العمر، كان بحثه عن الكمال لايزال في بدايته. فمن باراكو لوتشو- وانتقل قبله إلى بيلاريا- عام 1979، انضم إلى تشيزينا ثم إلى دوري الدرجة الثانية، حيث عمل مع فريق الشباب. وكانت هذه خطوة جريئة قال عنها ساكي: «كنت لاأزال أعمل في شركة والدي. وكان ذلك خياراً حقيقياً لأسلوب الحياة. كنت أتقاضى 5000 جنيه إسترليني في السنة، وهو تقريباً ما كنت أتقاضاه في شهر كمدير لشركة والدي. لكن بالطريقة التي حررتني، لم أقم بعمل قط من أجل المال، لأنه لحسن الحظ لم أفكر في ذلك مطلقاً»، كان ذلك بمثابة مقامرة القصد منها العائد السريع، ولا مجال للتفكير في جدواها.

بعد تشيزينا، تولى ساكي تدريب فريق ريميني في الدرجة الثالثة-1، ما أدى تقريباً إلى الحصول على اللقب، ثم حصل على اختراق كبير حيث تولى تدريب فيورنتينا، النادي الإيطالي الذي وصل أخيراً إلى الدرجة الأولى، حيث أعطاه إيطالو أللودي- الذي كان ذات مرة السكرتير الغامض لنادي الإنتر ونادي اليوفينتوس- دور المدير الفني للشباب، وقادته إنجازاته هناك إلى الحصول على وظيفة المدير الفني لنادي بارما، الذي كان يلعب آنذاك في الدرجة الثالثة-1، وفاز بالترقي في الموسم الأول له- الذي تلق شباكه فيه 14 هدفاً في 34 مباراة خاضها- وكانت تُعزا مبادئه الهجومية دائماً إلى الدفاع السليم، وفي السنة التالية قاده إلى مركز متقدم كانت تفرقه فيه ثلاث نقاط عن دوري الدرجة الأولى. والأهم لساكي فوق ذلك، أن بارما فاز على الميلان 1-0 في مرحلة

المجموعات من كأس إيطاليا، ثم تغلب عليه مرة أخرى 1–0 في مجموع المباراتين، عندما تواجها في الدور الأول بنظام خروج المغلوب. وربما لعب ضد أتالانتا ذهاباً في الدور ربع النهائي، وربما لم يفز في مباراة واحدة خارج ملعبه في الدوري ذاك الموسم، لكن سيلفيو برلسكوني– الذي اشترى الميلان في وقت سابق من هذا العام– كان معجباً بما رآه، فهو أيضاً كان يحلم بالعظمة، ويبدو كذلك أنه آمن بمثالية ساكي. وقال ساكي: «المدير يمكن أن يُحدث فارقاً فقط إذا كان لديه ناد يدعمه، وهذا ما يعطي الثقة للاعبين..وهذا هو الاستعداد للقيام بعمل طويل الأجل. وفي حالتي الشخصية، أنا لا أريد مجرد الفوز.. بل أريد الفوز باقتناع..ثم إنك تريد لاعبين بهذه العقلية. في بداية عملي في الميلان ساعدني رود خوليت Ruud Gullit كثيراً، لأن عقليته كانت على هذه الشاكلة».

لاتزال مشكلة المصداقية مستمرة، واعترف ساكي أنه بالكاد يعتقد أنه كان هناك، لكنه رد بشكل لاذع على أولئك الذين قالوا إن الشخص الذي لم يكن مطلقاً لاعباً محترفاً للكرة– فربما كان برلسكوني، الذي لعب كرة القدم كهاو إلى مستوى معقول، لاعباً أفضل– عاجزاً عن النجاح كمدرب، «فالفارس»– كما يقول– «ليس بالضرورة قد وُلِدَ حصاناً».

عالج ساكي المسألة فوراً حين قال لفريقه في جلسة التدريب الأولى: «ربما أكون آتياً من فوسيجنانو Fusignano، لكن ما الفوز الذي حققتموه؟ قد يكون تجميع الفريق باهظ التكلفة، لكن الجواب لم يكن وافراً، فميلان رفع درع الدوري Scudetto مرة واحدة فقط في السنوات العشرين السابقة، وكان لايزال يكافح لإعادة تأسيس نفسه بعد هبوطه لدوري الدرجة الثانية Serie B في عام 1980 كجزء من فضيحة التلاعب بنتائج المباريات المعروفة باسم «فضيحة توتونيرو» Totonero، وأنهى الموسم السابق محتلاً المركز الخامس، وفاز على

سامبدوريا وحصل على بطاقة التأهل الأخيرة لكأس الاتحاد الأوروبي بعد خوض الفريقين مباراة فاصلة.

وتم تعزيز موارد ساكي بوصول خوليت من أيندهوفن وماركو فان باستن من أياكس مقابل زهاء سبعة ملايين جنيه إسترليني لكليهما، لكن لم تكن هناك توقعات كبيرة، وخصوصاً لفان باستن الذي عانى سلسلة من الإصابات استلزمت التدخل الجراحي، وانتهى به المطاف باللعب 11 مباراة فقط في الدوري، معظمها كان في نهاية الموسم. وخسر الفريق مباراته الثانية في البطولة 2–0 على أرضه أمام فيورنتينا، لكن كانت هذه الهزيمة واحدة من هزيمتين اثنتين فحسب نالهما في ذاك الموسم، حين فاز بلقب الدوري الإيطالي بفارق ثلاث نقاط.

في ذلك الصيف، أصبح فرانك ريكارد اللاعب الهولندي الثالث الذي انضم للنادي بعد أن ترك أياكس في الموسم السابق، إذ اختلف مع المدير الفني يوهان كرويف وانضم إلى سبورتينج في لشبونة، لكن توقيعه كان في وقت متأخر جداً لدرجة أنه لم يكن مؤهلاً إلى الانضمام إليه، فتمت إعارته إلى ريال سرقسطة؛ وعندما أصر ساكي على التعاقد معه، كان هناك عنصر متميز من المخاطرة، لاسيما أن برلسكوني كان على قناعة بأن الخيار الأفضل هو محاولة إعادة إحياء مهمة المهاجم الأرجنتيني كلاوديو بورجي Claudio Borghi، الذي كان على قائمة حجوزات النادي لكنه أُعيرَ إلى نادي كومو. أثبت ساكي صحة خياراته بشكل قاطع، حين ساعد ذكاء ريكارد وقوته البدنية الميلان على الحصول على اللقب الأوروبي للمرة الأولى منذ 20 عاماً.

يوضح ساكي الفكرة بقوله: «مفتاح كل شيء هو الفريق القصير»، ويعني أن على فريقه أن يضغط المسافة بين خطي الدفاع والهجوم، كما أن استخدام مصيدة التسلل بطريقة شديدة كان يعني أنه من الصعب على الفرق أن تلعب

الكرة وراءهم، في حين أن الفرق التي تتطلع إلى اللعب عليها كسر الحواجز الثلاثة في تتابع سريع. ويضيف ساكي: «هذا ما أتاح لنا ألا نبذل الكثير من الطاقة، حتى نصل إلى الكرة أولاً ولا نتعب، وقد اعتدت أن أقول للاعبي فريقي: إذا لعبنا في 25 متراً بداية من المدافع الأخير حتى لاعب قلب الهجوم، نظراً لقدرتنا، فلا يستطيع أحد أن يهزمنا، وهكذا، كان على الفريق أن ينتقل كوحدة واحدة تقدماً وتراجعاً في الملعب، وكذلك من اليسار إلى اليمين».

ولم يكن هناك دفاع رغم كثرة الابتكارات، أما أولئك الذين سعوا إلى استنساخ النظام فقد أصبحوا كذلك أحياناً. يقول ساكي: «لقد طالبت دائماً، عندما نستحوذ على الكرة، أن يكون هناك خمسة لاعبين قبل الكرة، وأن يكون هناك دائماً لاعب يستعرض جهة اليمين وآخر يستعرض جهة اليسار، لكن لا يمكن ألا يكون هناك أي لاعب، ولم يكونوا دائماً اللاعبين أنفسهم».

وانتهت تجربة ساكي الأولى في المنافسة الأوروبية بهزيمة محرجة أمام إسبانيول في الجولة الثانية من كأس الاتحاد الأوروبي، لكن أوروبا هي التي ستثبت أعظم مرحلة في حياته، فبحلول موعد نهائي كأس أوروبا عام 1989، بدا الميلان كما لو أنه لا يمكن وقفه، لكنه- كما يشير الذين يُحطون من شأن ساكي دائماً- صادف ضربة حظ كبيرة في الجولة الثانية؛ حين تغلب على فيتوشا البلغاري- النادي الذي يحمل الآن اسم ليفسكي 7–2 في مجموع المباراتين، لكن رد ستار بلجراد Red Star Belgrade كان منافساً أصعب بكثير، وأوقع الميلان في فخ التعادل 1–1 على استاد سان سيرو، وفاز رد ستار في المباراة الثانية في المراكانا 1–0 عن طريق هدف ديان سافيسفتش Dejan Savicevic. وبعد أن أصبح الميلان يلعب بتسعة لاعبين بعد طرد بيترو باولو فيرديس وكارلو انشيلوتي، بدا رد ستار أنه من المؤكد ماض في طريقه إلى النهاية، ورغم ذلك بدأ الضباب يتكاثر حيث يلتقي نهر الدانوب بنهر سافا، ثم ازداد كثافة في الشوط الثاني

فكان القرار بتأجيل المباراة 57 دقيقة.

وعاد الفريقان في اليوم التالي، وتبادل فان باستن ودراجان ستويكوفيتش الأهداف، لكن طغت على المباراة الإصابة المروعة لروبرتو دونادوني Roberto Donadoni إثر عرقلة من جوران فاسيليفتش، وسقط دونادوني على أرض الملعب فاقد الوعي ولم ينقذ حياته إلا التفكير السريع من طبيب رد ستار الذي قام بكسر فكه لعمل ممر للأكسجين للوصول إلى رئتيه، وأصر خوليت- الذي كان لايزال بعيداً عن لياقته بعد عملية جراحية في الركبة، لكنه كان موجوداً على مقاعد البدلاء- على أن ينزل مكانه. وكان الميلان قريباً من الفوز عندما أبعد فاسيليفتش الكرة من فوق خط مرماه، لكن الحكم ومساعده لم يحتسبا الهدف، وانتهت المباراة بركلات الترجيح.

كما كانت مباراته في ربع النهائي ضد فيردر بريمن Verder Bremen مثيرة للجدل أيضاً. ففي المباراة الأولى في ألمانيا، أُلغِيَ هدف لفيردر بريمن بسبب مخالفة واضحة على حارس المرمى جيوفاني جالي، في حين لم يلتفت مرة أخرى إلى الميلان الذي كان يشير إلى تصويبة يبدو أنها قد عبرت خط المرمى دون أن تُحْتسب هدفاً، وشعر الفريق أنه كان ينبغي أن تُحتسب له ركلتا جزاء. في المباراة الثانية، كانت هناك ضربة جزاء مثيرة للجدل حولها ماركو فان باستن إلى المرمى بعد أن تراجع دونادوني- العائد من العطلة الشتوية- تحت تحد من جونار زاور Gunnar Sauer الذي منح الميلان الفوز 1–0 في مجموع المباراتين، في تلك المرحلة بدا الميلان محظوظاً، لكن ما حدث في الدور نصف النهائي أكد تألقه.

ريال مدريد البائس، مرت 23 عاماً منذ آخر انتصار أوروبي له، وبدأ يشعر بأنه موجود فقط لتثبت الفرق الأخرى تفوقها ضده، فبنفيكا أخذ منه اللقب في نهائي 1962؛ وأياكس أكد أنه كان أفضل فريق في أوروبا عندما سحقه

مباراة إيه سي ميلان وريال مدريد 5 – 0، نصف نهائي كأس أوروبا، سان سيرو (ميلان)، 19 أبريل 1989.

في الدور نصف النهائي عام 1973؛ وكذلك الميلان بقيادة ساكي أعطى بالمثل إشعاراً بالصعود إلى صف العظماء بالأداء الفائق والفوز عليه 5—0. وربما يرجع الأمر إلى سمعتهم التي تلهم الأدعياء ضده؛ لكن ربما أيضاً كان إصراره التاريخي على الفرد يجعل منه عرضة للتدمير على يد الفرق المُعَدة إعداداً جيداً، فظهرت إمكانات قوته الضاربة المتمثلة في اميليو بوتراجينيو وهوجو سانشيز- كان هناك خلل في خط الوسط- مع وصول بيرند شوستر من برشلونة، ما أجبر ميشيل إلى التراجع أكثر في العمق.

وكان الميلان الأفضل في مباراته الأولى في برنابيو لكن تلقت شباكه هدفاً في وقت متأخر من المباراة لتنتهي بالتعادل 1—1. في المباراة الثانية اختار مدرب ريال مدريد، الهولندي ليو بينهاكر، الدفع بباكو لورينتي من بداية المباراة، وهو جناح أيمن سريع- الذي كان عادة ما يستخدم كبديل- وكانت الفكرة تفترض أن سرعته يمكن أن تقلق الميلان في نهاية الشوط الأول، لكن التأثير كان بالأحرى أن يُضعف خط الوسط. ولم يكن شوستر سريعاً بما يكفي لعمل أي انطباع عند لاعبي قلب وسط الميلان ريكارد وانشيلوتي، أما بوتراجينيو فقد انتهى به الحال إلى الانجرار لدعم الجهة اليمنى، ليعطل شريكه مع سانشيز.

بالنسبة إلى بينهاكر، ربما حسبها خطأ، لكن هذا لا ينتقص من تفوق فريق ساكي. وكتب برايان جلانفيل يقول: «الأداء في ميلانو كان مُرَكّباً، فشمل التفوق الفني والسرعة الديناميية والتحرك الملهَم. ولم يسبق لخوليت- الذي لعب إلى جانب فان باستن- أن ظهر بمستوى أفضل من ذلك، ونادراً ما قدم هذا اللاعب هذا المزيج من القوة والمهارة وحسن استغلال الفرص».

حصل أنشيلوتي على الهدف الأول بعد 18 دقيقة، إذ أتاح لنفسه مساحة ثم تحرك خطوتين أنيقتين قبل أن يسدد ركلة قوية من 30 ياردة في الزاوية العليا. وحتى وجوده في الفريق، ناهيك عن الهدف، كان دفاعاً عن أساليب ساكي،

وعندما وصل من روما سنة 1987 كان عمره 28 عاماً، واستغرق وقتاً للتكيف مع نهج المدرب الجديد. يقول ساكي عن ذلك: «إنه عانى في البداية، وقال برلسكوني: كان لدينا مدير أوركسترا لم يتمكن من قراءة النوتة الموسيقية، فقلت له: إنني سأعلمه الغناء في تناغم مع الأوركسترا الخاصة بنا، وكنت كل يوم أجعله يأتي ساعة قبل التدريب مع بعض الأطفال من فريق الشباب ونتمرن على كل شيء. وفي النهاية أصبح يغني في تناغم تام»، لكن ليس أفضل أبداً مما كان عليه في الدور نصف النهائي.

حوَّل ريكارد عرضية يمينية من ماورو تسوتي ليحرز الهدف الثاني، ثم يضيف خوليت الثالث قبل نهاية الشوط الأول بضربة رأس مميزة من ضربة لدونادوني من الجهة اليسرى، واجتمع الهولنديون الثلاثة لإحراز الهدف الرابع بعد أربعة دقائق من نهاية الشوط الأول، حيث أخلى خوليت تمريرة من ريكارد لتصل إلى فان باستن لتستقر في الزاوية العليا، وأتم دونادوني إذلال ريال مدريد بتسجيل الهدف الخامس، حين اندفع نحو القائم القريب من حافة منطقة الجزاء. يقول فرانكو باريزي: «من الصعب أن تلعب بهذه الطريقة، لكن عندما نفعل ذلك فنحن لا نُهزَم».

لم يظهر فريق ستيوا بوخارست الروماني مقاومة تذكر في المباراة النهائية التي انتهت بخسارته 4–0، فأحرز كل من خوليت وفان باستن هدفاً. وقال سيلفيو لونغ حارس مرمى ستيوا: «أصبحت مرهقاً بحلول نهاية المباراة، أنا في حياتي لم أتعامل مع كل هذا الكم من التصويبات».

قال ساكي: هذا كان أقرب ما وصل إليه من الكمال الذي كان ينشده، والأقرب إلى تحقيقه: «في صباح اليوم التالي بعد أن فزنا على ستيوا بوخارست، استيقظت ولدي شعور لم يسبق لي أن أحسست به من قبل. أحسست بمذاق حلو فريد في فمي. وأدركت أنه كان التمجيد لحياتي العملية».

بعد عقد من تركه مصنع الأحذية الذي يملكه والده، وبعد اثنين من العروض الكبيرة، رأى ساكي أن رؤيته تجسدت لحماً ودماً، ويقول عن ذلك: «يعتقد الكثيرون أن كرة القدم تتمحور حول تعبير اللاعبين عن أنفسهم، لكن ليست هذه هي الحال، أو بالأحرى ليست قضية في حد ذاتها أو عنها، علماً أن اللاعب يجب أن يعبر عن نفسه في إطار المعايير التي يضعها المدير الفني، وهذا هو السبب في أن المدير الفني عليه ملء رأسه بالعديد من السيناريوهات، والأدوات والتحركات، مع أكبر قدر من المعلومات الممكنة، ثم يأتي بعد ذلك دور اللاعب في أن يجعل منها أساساً لقراراته، وهي- كرة القدم- تتمحور كذلك حول كونك لاعباً، ليس مجرد كونك ماهراً أو كونك رياضياً. أنا لا أريد روبوتات أو أنانيين، كل ما أردته لاعبين ذوي ذكاء حتى يفهموني، وكذلك الروح التي تجعل هذا الذكاء في خدمة الفريق، باختصار، أردت لاعبين يعرفون كيف يلعبون كرة القدم».

وفي ذلك، فهو يختلف عن فالدانو- الذي تتصف رومانسيته بأنها أقل برجماتية- يقول فالدانو: «هناك متسع لجميع النظريات، لكن التعبير الفردي على أرض الملعب هو شيء لا أعتقد أننا يمكن أن نتخلى عنه، فدماغ مدير فني واحد لا يمكن أن ينافس إمكانيات لا حصر لها من 11 دماغاً مفكراً في الملعب، وفي نهاية المطاف، وفي حين أن مفهوم الفريق مهم جداً، فإنك بحاجة إلى الأفراد حتى تنتقل إلى المستوى التالي».

وبالنسبة إلى ساكي، فالنظام هو أهم شيء، ويقول في ذلك: «كرة القدم تسير وفق سيناريو. ويمكن للممثلين، إذا كانوا عظماء، أن يفسروا السيناريو وكذلك خطوطهم وفقا لقدراتهم الإبداعية، لكنهم مازال يتعين عليهم متابعة السيناريو»، ليس هناك شك أنه وفقاً لتصوره فإن كاتب السيناريو هو المدير الفني، ويتعين تأويل أو تفسير النص لا ارتجاله، ويضيف: «كنت الوحيد الذي

يمكنه أن يرشدهم ويحثهم على تطوير لعبة جماعية تعظم قدراتهم كوحدة واحدة. وقامت فلسفتي على تمكين اللاعبين- بقدر ما أستطيع- من معرفة المزيد والمزيد، لأن هذا يساعدهم في اتخاذ القرار الصحيح وتنفيذه بسرعة حسبما يتطلبه السيناريو المحتمل على أرضية الملعب».

هناك إحساس بأن انتصاره العظيم كان يقنع اللاعبين العظام والأنا العظيمة لكل منهم في فريقه الميلان بذلك. قال ساكي: «أقنعت خوليت وفان باستن بأن خمسة لاعبين منظمين يمكنهم هزيمة عشرة غير منظمين، وأثبت ذلك لهم. أخذت خمسة لاعبين: جيوفاني جالي في حراسة المرمى وتاسوتي ومالديني وكوستاكورتا وباريزي، وهم كان لديهم عشرة لاعبين: خوليت وفان باستن وريكارد وفيرديس وإيفاني وانشيلوتي وكولومبو ودونادوني ولانتجنوتي، وكان لديهم 15 دقيقة ليسجلوا ضد لاعبيّ الخمسة، وكانت القاعدة الوحيدة هي أنه إذا فزنا بالاستحواذ على الكرة أو إذا هم فقدوا الكرة، فسيتعين عليهم البدء من جديد من بُعد عشرة أمتار داخل منتصف ملعبهم، وقد فعلت هذا في كل الوقت، ولم يستطيعوا التسجيل، ليس مرة واحدة فحسب، وإنما مطلقاً».

وكان الضغط هو المفتاح، ولكن لم يكن هناك إحساس بمطاردة اللاعب المستحوذ على الكرة كما فعل دينامو كييف أو أياكس. قال ساكي: «أشياء كثيرة أثرت فيّ، منها كرة القدم الهولندية، لكن أعتقد أنها كانت تختلف عنا، إلا أنها كانت تعتمد أكثر على اللياقة البدنية؛ وكنا نعتمد أكثر على التكتيكات، فكان على كل لاعب أن يكون في المكان المناسب. وفي المرحلة الدفاعية، كان لجميع لاعبينا دائماً أربع نقاط مرجعية: الكرة، والمساحة، والخصم وزملاء الفريق، وكان لكل تحرك وظيفة من تلك النقاط المرجعية الأربع، وكان على كل لاعب أن يقرر أي من النقاط المرجعية الأربع ينبغي أن تحدد حركته».

ويضيف: «الضغط لا يعني الجري وليس معناه العمل الشاق، إنه يدور

حول التحكم في المساحات، وقد أردت من لاعبي فريقي أن يشعروا بالقوة وأن يشعر الخصم بالضعف، وإذا تركنا الخصم يلعب بالطريقة التي اعتاد عليها، فستزداد ثقته، لكن إذا أوقفناه، فإن ذلك سيلحق الضرر بثقته. هذا هو السر: فالضغط لدينا نفسي بقدر ما هو بدني، والضغط لدينا كان دائماً جماعياً، فقد أردت أن أجعل جميع اللاعبين الأحد عشر أن يكونوا في وضع «نشط»، ويؤثرون على الخصم عندما لا تكون الكرة بين أرجل لاعبينا، كل حركة لا بد أن تكون متآزرة ومنسجمة مع الهدف الجماعي».

وقال: «الجميع ينتقل في انسجام تام. إذا تحرك الظهير إلى الأمام، ينضبط الأحد عشر بأكملهم. يظن الناس أن لدينا مثل هؤلاء اللاعبين الضخام الأقوياء، لكن لدينا لاعبين مثل [ألبريجو] إيفاني ودونادوني، وهما ضئيلا الحجم، لا، بل أصبحا لاعبيْن ضخمين قويين بسبب تمركزهما وحركتهما، وهذا ما جعلهما يبدوان ضخمين».

وأضاف: «كان لدينا عدة أنواع من الضغط، وكنا ننوّع تطبيقها طوال المباراة، فكان هناك الضغط الجزئي، وكان يتركز أساساً على المناورات: وكان هناك الضغط الكلي الذي يتركز أساساً على الفوز بالكرة؛ وكان هناك الضغط الوهمي، عندما كنا نتظاهر بأننا نقوم بالضغط، ولكن في الواقع، كنا نستخدم الوقت للتعافي».

واعتمد هذا على رباعي خط الظهر الذي كان يلعب أساساً لإيطاليا، وليس معهم ليبرو، ولكن كانوا يلعبون على خط واحد- وهو قوس منزلق يكون مُسطحاً فقط عندما تكون الكرة في وسط الملعب- وكان الضغط يُمارَس بلا هوادة، كلما احتاجوا إلى ذلك. قال باولو مالديني عن ذلك: «قبل مجيئه إلى الميلان، كان الصدام بين لاعبين اثنين دائماً هو المفتاح، لكن بعد مجيئه أصبح ذلك يتمحور حول التحرك بغير كرة، وبتلك الطريقة فزنا بالمباريات التي

خضناها، وبدا كل لاعب مهماً في الدفاع بقدر أهميته في الهجوم، لقد كان فريقاً، حيث اللاعبون هم المفتاح وليست المراكز».

وكان التفاهم المتبادل حاسماً بين اللاعبين، فعندما أعطى ساكي- الذي كان مديراً فنياً للمنتخب الايطالي- يومَ راحة في بطولة كأس العالم 1994، فطالب باريزي بحصة تدريبية حتى لا تتأثر عملية التكامل.

وكان أحد الأجزاء الرئيسة في ذلك هو لعب الظل، وهو أمر شاع في إنجلترا الستينيات، إلا أن ذلك كان ثورياً في أوروبا بعيداً عن إنجلترا. قال ساكي: «في أيام المباريات، في الصباح، تكون لدينا حصة تدريبية خاصة. قال لي بوتراجينيو إنه قبل الدور نصف النهائي ضد ريال مدريد أرسلوا كشافاً لمشاهدة حصتنا التدريبية، ثم عاد الكشاف بالخبر قائلاً: «لقد لعبوا مباراة من 11 لاعباً بالتمام على ملعب كامل الحجم ضد لا أحد ودون كرة»، كنا نصطف في تشكيلنا، وكنت أقول للاعبين أين تكون الكرة الوهمية وأين سيتحرك اللاعبون وفقاً لذلك، وكان تمرير الكرة الوهمية والتحرك مثل آلية [حركة] الساعة حول الملعب، استناداً إلى ردود فعل اللاعبين».

ولأن خوليت عانى سلسلة من الإصابات في الركبة وخضع لسلسلة من العمليات، لم يحقق الميلان القمم نفسها مرة أخرى تحت قيادة ساكي، على الرغم من أنه احتفظ بكأس الاتحاد الأوروبي في الموسم التالي. ومرة أخرى فاز على ريال مدريد، وهذه المرة في الجولة الثانية، عندما كانت فاعلية مصيدة التسلل التي تولى تنظيمها باريزي، واضحة بشكل خاص.

وتم التغلب على فريق ميشلين من بلجيكا على نحو غير مقنع في الدور ربع النهائي 2–0 في الوقت الإضافي من مباراة الإياب بعد طرد دونادوني لرد فعله الانتقامي، فاحتاج الفريق وقتاً إضافياً في نصف النهائي أيضاً عندما فاز على بايرن ميونيخ على قاعدة احتساب الهدف خارج الأرض، فكانت

المباراة النهائية ضد بنفيكا الذي أقصى مرسيليا بطريقة مستغربة وغير مستحقة في نصف النهائي، ويعود الفضل في ذلك- بدرجة ليست بالقليلة- إلى هدف لمس فيه فاتا جارسيا الكرة على الخط. لم يتكرر العرض لعام، وانتهت المباراة بالفوز بهدف واحد، أتى بشكل أنيق بقدم ريكارد اليمنى.

واحتفظ الميلان بكأس أوروبا، وهو إنجاز نادر على نحو متزايد، إلا أنه أصبح أقل إقناعاً من العام السابق، ثم واجه ساكي مزيداً من الصعوبات في الموسم التالي؛ إذ اختلف مع فان باستن، ولم يُخفِ الاتحاد الإيطالي رغبته في تعيينه مدرباً للمنتخب الوطني، فقد تم تعيين الإيطالي فابيو كابيلو للعمل معه. فحل الميلان ثانياً في الدوري الإيطالي في الموسم الثاني، لكن الانطباع الأكثر استدامة جاء بعد خروجه المخزي من مسابقة كأس الاتحاد الأوروبي؛ فبعد أن تعادل في ذهاب دور الثمانية ضد مرسيليا 1–1، كان الميلان متقدماً 1–0 عندما انطفأت الأضواء الكاشفة قبل دقيقتين من نهاية المباراة الثانية، فخرج اللاعبون وعادت الأضواء الكاشفة غير أن الميلان رفض العودة إلى الملعب، فتم احتساب المباراة 3–0 ضد الميلان، ومنع من الاشتراك في المنافسة الأوروبية لموسم واحد.

وكالمتوقع، ترك ساكي فريق الميلان ليتولى مسؤولية المنتخب الوطني، لكن حياته المهنية بعد صعود مذهل، بلغت ذروتها. ومثل لوبانوفسكي، وجد إيقاع تدريب الفريق الوطني صعباً، لأنه لا يمكن أن يقضي كل دقيقة من كل يوم لتعليم لاعبيه والعمل على إفهامهم. ويقول عن ذلك: «إنه المستحيل». إضافة إلى هذا، فإن إصراره على أن لاعبي كرة القدم الجيدين ليسوا بالضرورة لاعبين جيدين، كان يعني علاقة مضطربة مع بعض لاعبي المنتخب الإيطالي الأكثر حوزاً للثناء على نحو غير مقبول، وأبرزهم روبرتو باجيو.

وجاءت القضيتان معاً في مباراة إيطاليا الثانية في نهائيات كأس العالم 1994،

فبعد خسارتها في أولى مبارياتها أمام جمهورية أيرلندا 0–1، أجرى ساكي ثلاثة تغييرات على الفريق، كان أبرزها استبدال تاسوتي بانطونيو بناريفو، ويوضح ساكي ذلك بقوله: «هاجم باريزي وكوستاكورتا قلب هجوم النرويج، ولم يتابعهما بناريفو، الذي لم يعتد على اللعب معنا. حتى إنه جعل واحداً من الفريق المنافس يلعب بجانبه، مما اضطر حارس المرمى جانلوكا باليوكا أن يخرج ويرتكب خطأ خارج منطقة الجزاء، فعرّض نفسه للطرد». فكان على ساكي التضحية بلاعب حتى يتمكن من إنزال حارس المرمى البديل لوكا ماركيجياني Luca Marchegiani، ومما أثار الدهشة العامة أنه اختار تغيير باجيو. وبدا باجيو نفسه على شاشة التلفزيون ينظر مذعوراً عندما أشار إليه ساكي بالخروج، فتساءل بشكل واضح: «هل جُنَّ جنونه؟».

الفوز المثير للجدل 1–0 لم يفعل شيئاً يُذكر لتسوية النزاع في أي من الاتجاهين، لكنه أوضح بجلاء موقف ساكي من اللاعبين، وهو الأمر الذي ظل ثابتاً خلال حياته المهنية. قال ساكي: «عندما كنت مديراً فنياً للكرة في ريال مدريد كان علي تقييم اللاعبين القادمين من صفوف الشباب، وكان لدينا بعض لاعبي كرة القدم الجيدين جداً؛ إذ كان لديهم التكنيك واللياقة البدنية ولديهم الحافز وكانوا متعطشين إلى ذلك، لكنهم كانوا يفتقرون إلى معرفة ما اسميه «كيفية لعب كرة القدم»، كانوا يفتقرون إلى صنع القرار، كانوا يفتقرون إلى التمركز، لم يكن لديهم هذه الحساسية الخفية لكرة القدم: فكيف للاعب أن يتحرك في إطار جماعي بالنسبة للكثيرين، لم أكن على يقين من أنهم كانوا في طريقهم للتعلم. ألا ترى أن القوة والعاطفة والفنيات واللياقة البدنية جميعها مهمة جداً، لكنها وسيلة لتحقيق غاية وليست غاية في حد ذاتها، هي تساعدك على الوصول إلى هدفك، وهو وضع موهبتك في خدمة الفريق، وإذا قمت بذلك تصبح أنت والفريق أعظم، لذلك وفي حالات من هذا القبيل، لا بد لي

فقط أن أقول: إنه لاعب كرة قدم عظيم، لكن ربما ليس لاعباً عظيماً».

وصلت إيطاليا إلى المباراة النهائية لهذه البطولة، وخسرت بركلات الترجيح أمام البرازيل. لكن ذلك لم يكن كافياً لوقف الانتقادات، وعندما خرج الفريق من بطولة اليورو 96 من دور المجموعات، تقرر مصير ساكي فعاد إلى الميلان. لكنه لم يستطع تكرار نجاحه السابق، واستمر موسماً واحداً فقط. وتولى تدريب أتلتيكو مدريد فترة وجيزة، حيث ناضل ضد تدخل رئيس النادي سيئ السمعة خيسوس جيل Jesus Gil، وتولى تدريب بارما لمدة 23 يوماً فقط خاض خلالها ثلاث مباريات قبل أن يستقيل متعللاً بالإجهاد. ويقول ساكي عن هذه الفترة: «الفرق بين الميلان وغيره أنك في الميلان لديك لاعبون متميزون. أما في أندية أخرى فهم غير ذلك. ويمكنك أن تفعل ذلك إن كان ناد كبير يقف وراءك. وما لم يساندني برلسكوني، أمام الرأي العام واللاعبين معاً، فلا أعتقد أن بإمكاني النجاح. ولا أعرف إن كان اللاعبون سيستمعون إلي أم لا. فعندما يحاول الإنسان عمل شيء جيد أو شيء مختلف يكون بحاجة إلى دعم هائل».

ومن السهل تماماً الاعتقاد بأن ساكي بعد أن حقق هذا المجد بسرعة، وجد أن من المستحيل- مثل فيكتور ماسلوف- استجماع الطاقة العاطفية لفرض رؤيته مرة أخرى. ربما لأنه أيضاً في نهاية الفترة الأولى لتوليه تدريب الميلان، توافر عنصر من عناصر قاعدة «الأعوام الثلاثة» الخاصة ببيلا جوتمان: «طول التدريب وكثرة تكراره يجعلان التدريبات الشاقة شيئاً محتملاً».

وأثبت الميلان بعد ذلك بقليل أنه ليس على شفا الموت، كما ظن ساكي عندما ترك الفريق، يقول: «اعتقدت أنه كان فريقاً عظيماً على مشارف الغروب، يصل إلى نهاية دورة غير مكررة من النجاح. والواضح أني كنت مخطئاً. فقد استطاع الميلان بقيادة كابيلو الفوز بدوري أبطال أوروبا وبطولة الدوري أربع مرات في خمس سنوات- واحدة منها مرت دون هزيمة واحدة».

مباراة إيه سي ميلان وبرشلونة 4 – 0، نهائي دوري الأبطال، ستاد سبيروس لويس ، أثينا، 18 مايو 1994.

بالطبع، لا بد أن يُسند شيء من الفضل في ذلك لساكي الذي وضع الأسس. لكن الميلان كان مختلفاً إلى حد كبير تحت قيادة كابيلو. فعلى الرغم من أن طريقة 4–4–2 بقيت على حالها، ورغم مواصلته الضغط، فإن الميلان بقيادة كابيلو كان أقل تدفقاً وأكثر دفاعاً، ولعب غالباً بمسّاك صريح مثل مارسيل دوسايي في الجزء الخلفي من خط الوسط. وهو ما كان لعنة على مبدأ ساكي القائل بالشمولية. وبلغ هذا الاتجاه ذروته حين حصل الميلان على هاتريك من لاعبه سكوديتي سنة 1994، على الرغم من أن الفريق سجل 36 هدفاً فقط في 34 مباراة. وبقيت قوة الميلان في الرباعي الدفاعي: تاسوتي وكوستاكورتا وباريزي ومالديني– فلم يدخل مرمى الفريق سوى خمسة عشر هدفاً.

وفي هذا الموسم قدم الميلان أيضاً واحدة من العروض الأوروبية التي لا تمحى، ويمكن القول إنها الأعظم في المباريات النهائية منذ فوز ريال مدريد على إينتراخت فرانكفورت 7–3 عام 1960. فقد سحق الميلان برشلونة بقيادة يوهان كرويف 4–0 في أثينا، وكانت مباراة مختلفة تماماً عما سواها في هذا الموسم– لشيء واحد هو أن ديان سافيسفتش شارك في المباراة– وكان تألقه الفردي لا يتماشى مع طريقة ساكي ومبادئه المتمثلة في التركيز على الفريق ومع كابيلو وطريقته البراجماتية– ولسبب آخر أن باريزي وكوستاكورتا، الموقوفيْن، لم يلعبا.

وُصِفت المباراة بأنها قصة رمزية: فهجوم برشلونة بقيادة يوهان كرويف، مع كل تراث برشلونة الكروي وقوته الهجومية الضاربة المتمثلة في روماريو وخريستو ستويشكوف Hristo Stoichkov، ضد دفاع الميلان. وكان برشلونة قد فاز بلقب الدوري الأسباني للمرة الرابعة على التوالي في ذلك العام، لكنه كان كاليائس الفاقد الأمل أمام تفوق الميلان– الذي اعتلى القمة بتقدمه في الدقيقة الثانية والعشرين، حين اخترق سافيسفتش بجوار ميجيل أنخيل نادال

ومرر عرضية إلى دانيال ماسارو الذي صوبها في المرمى. والهدف الثاني كان جماعياً، حيث قام سافيسفتش وبوبان وكريستيان بانوتشي بلعب الكرة لدونادوني، الذي مررها إلى الوراء من حدود الملعب إلى مسارو ليسددها الأخير في الزاوية البعيدة. ثم رفع سافيسفتش كرة ساقطة رائعة اصطدمت بالقائم وعبرت خط المرمى. ثم من كرة أخرى شبيهة ارتطمت بالقائم ثم ارتدت إلى دوسايي الذي اخترق دفاع برشلونة وأحرز هدفاً رابعاً رائعاً. وقال حارس مرمى برشلونة اندوني زوبيزاريتا يومها: «الميلان بلغ حد الكمال».

وقال مالديني: «الصحافة- وخصوصاً وسائل الإعلام الأجنبية- لم تعطنا أي أمل. برشلونة كان فريقاً جيداً بالتأكيد. لكننا عرفنا نقاط ضعفهم وكيفية استغلالها وهاجمناهم دون رحمة..لعبنا مباراة هي الأقرب للكمال، وخنقنا منافساً صعباً ولم نعطهم تقريباً أي شيء».

ساكي، رغم ذلك، لم يكن مقتنعاً، واعترف مالديني بأن فريق 1989 كان الأفضل في التاريخ. وقال ساكي: «كرة القدم تولد في الدماغ وليس في الجسم. مايكل أنجلو قال إنه كان يرسم بعقله، وليس بيديه. لذلك أحتاج إلى لاعبين أذكياء، وتلك كانت فلسفتنا في ميلان. لم أكن أريد عازفين منفردين؛ بل أردت اوركسترا، إن أعظم مجاملة تلقيتها عندما قال الناس إن كرة القدم التي أقدمها كانت مثل الموسيقى».

الفصل السابع عشر

△▽△▽△▽△▽△▽

العالم يتغير.

انتهي عصر لاعبي الأجنحة الكلاسيكية إلى غير رجعة في ستينيات القرن الماضي على يد فيكتور ماسلوف، وآلف رامسي وأوزفالدو زولبلديا. وفي منتصف التسعينيات، بدا أن كل رؤوس الحربة ستذهب إلى الطريق نفسه، وسيتم التضحية بهم قبل وصول المخيف الكبير فيلي ميسيل ومعه الولع بالسرعة. وربما وجد أريجو ساكي نظاماً جمالياً، لكن بشكل عام تأثير الضغط يخنق الإبداع، كما حدث دائماً على مر التاريخ، فبعد هيربرت تشابمان، وهيلينيو هيريرا، وآلف رامسي، تأصلت العناصر الدفاعية المبتكرة بسهولة أكثر بكثير من الهجوم، وأصبحت طريقة وجود خمسة لاعبين في منتصف الملعب شائعة، وأصبح الاهتمام باللياقة البدنية أكثر من المهارة؛ فسقطت اللعبة الجمالية أمام اللعبة الواقعية. ففوز ألمانيا الغربية غير الملهم في نهائيات كأس العالم 1990 تلاه نصر للدانمارك بطريقة وظيفية ساحقة في نهائيات كأس الأمم الأوروبية 1992. وفازت البرازيل في كأس العالم 1994 بأقل الأساليب البرازيلية- ركلات الترجيح بعد التعادل السلبي- وبفريق أبرز لاعبي الوسط المدافعيْن دونجا، وماورو سيلفا، وبدا المستقبل بعدها سلبياً، حتى أتى منعطف كرة القدم في مطلع الألفية الثالثة، فعادت كرة القدم هجومية كما كانت قبل عقدين.

ويمكن القول إن بطولة اليورو 2000 كانت أفضل بطولة في العصر الحديث. فألمانيا الخدرة جسمانياً التي عفا عليها الزمن، عادت أدراجها ولم تتمكن من الفوز في مباراة واحدة؛ وبدت إنجلترا بطيئة وأخفقت في الصعود من مرحلة المجموعات، رغم الضغط الذي شكله ستيف ماكماناman وبول سكولز وديفيد

بيكهام في خط الوسط، وعلى الرغم من أن إيطاليا أثبتت سلامة دفاعها فإنها لم تنسلخ عن هذه الطريقة، إذ قاتلت بطريقة 3–4–1–2 لتصل إلى المباراة النهائية تقريباً رغماً عنها، وكان هناك الكثير مما يبعث على السرور.

نزل فريق فرنسا البطل إلى أرض الملعب ليس فقط بتييري هنري كلاعب وسط مهاجم رشيق وغير عادي، ولكن بيوري دجوركاييف Youri Djorkaeff وزين الدين زيدان وكريستوف دوجاري. وكان الخاسران في الدور قبل النهائي تقريباً مباركيْن. فهولندا جهزت بودوين زندن ودينيس بيركامب ومارك اوفرمارس خلف باتريك كلويفرت، في حين وجدت البرتغال مساحة للثلاثي لويس فيجو ومانويل روي كوستا وسيرجيو كونسيكاو وجواو بينتو خلف نونو جوميز. وكانت هناك مباراتان أخيرتان لاثنين من كبار اللاعبين المبدعين في العقد السابق، هما جورجي هاجي ودراجان ستويكوفيتش، رغم أن كليهما كان أبطأ، وكانا يلعبان في العمق أكثر مما كانا عليه في ذروة أدائهما في الملاعب. قارن ذلك بفريق ألمانيا الذي فاز ببطولة 1996 بخمسة مدافعين يحميهم ديتر آيلتس، وكان هذا التباين مدهشاً، ولم يكن الأمر أنه قد تم الاحتفاظ بصانعي الألعاب فحسب؛ فعلى مدى أربع سنوات بُعِثت الأجنحة كذلك من جديد.

هذا يعني أن الدفاع الكبير في كرة القدم قاد إلى دعوة اللاعبين القادرين على خلخلة دفاعات الخصم، وهم الذين كانت تُسند إليهم غالباً مسؤولية دفاعية قليلة جداً. كان هذا صحيحاً بشكل خاص في إيطاليا– حيث كانت طريقة 3–4–1–2 هي التي اعتمدوها في نهائيات كأس الأمم الأوروبية 2000– حيث تم تطوير ما كان يعرف بـ «الفريق المكسور» Broken Team؛ فسيكون ثلاثة بالهجوم (ينضم إليهم في بعض الوقت أحد أجنحة المدافعين أو أحد لاعبي الوسط)، إضافة إلى سبعة مدافعين. فقد لعب الإيطالي البرتو زاكيروني

مباراة منتخب ألمانيا مع جمهورية التشيك 1996، 2 – 1 (انتهت المباراة بالهدف الذهبي)، نهائي كأس أوروبا 1996، استاد ويمبلي لندن.

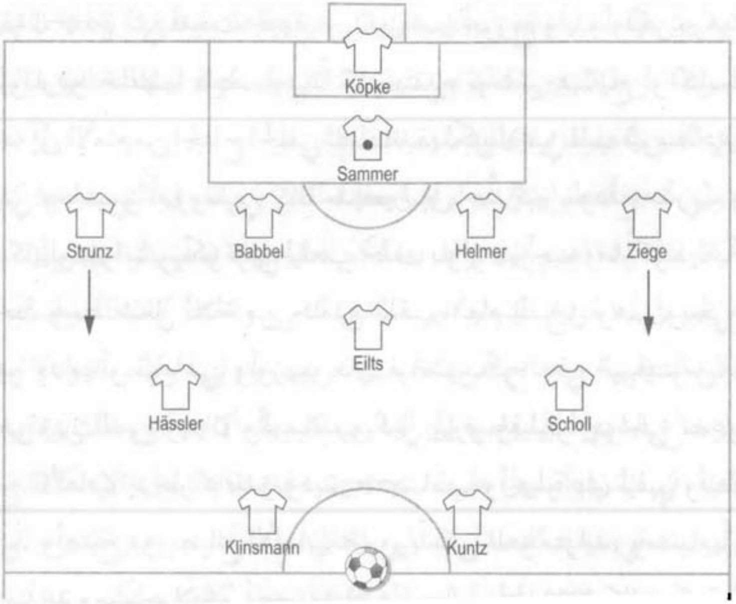

مباراة فرنسا 2000 مع إيطاليا، 2 – 1 (انتهت المباراة بالهدف الذهبي)، نهائي كأس أوروبا 2000، ديل كويب، روتردام.

الفائز بلقب الدوري الإيطالي مع إيه سي ميلان في موسم 1997–1998، مثلاً، بطريقة 3–4–3 التي قدمت جبهة من اثنين هما جورج وايا وأوليفر بيرهوف، مع ليوناردو خلفهما فقط. أحياناً كان يتقدم توماس هيلفيج أو كريستيان تسيجه إلى الأمام من الجناح الخلفي للمساندة، لكن لاعبيْ قلب الوسط ديميتريو البرتيني وماسيمو أمبروسيني كانا مدافعين إلى حدٍّ كبير. ودفعَ مدربُ روما فابيو كابيلو بفرانشيسكو توتي ليلعب خلف باولو سيرجيو وماركو ديلفيكيو، مع خط وسط شمل ثلاثة من حاملي اللقب العام السابق وهم لويجي دي بياجيو وداميانو توماسي وأوزيبيو دي فرانشيسكو؛ وفي اليوفينتوس، كان كل من زين الدين زيدان وأليساندرو ديل بييرو وفيليبو إينزاجي مدعومين بصانع الألعاب إدجار دافيدز وديدييه ديشامب وأنجيلو دي ليفيو وأنطونيو كونتي. وأصبح دور صانع الألعاب ضرورياً على نحو متزايد، ومتسامياً على نحو متزايد ومستحيلاً على نحو متزايد؛ وبحلول عام 2000 كانت كرة القدم الإيطالية متجهة إلى أسفل نحو طريق مسدود، يمكن القول إنها لم تخرج منه حتى تمكن كارلو أنشيلوتي، في نادي ميلانو، من إعطاء صانع الألعاب أندريا بيرلو عمقاً في خط الوسط.

وردت بلدان أخرى على السلبية بمغامرة أكبر، حيث دفعت بما يصل إلى ثلاثة رؤوس حربة. وقبلت الفيفا هذا الفضل لأجل تغيير القواعد التي تلت كأس العالم 1990– مثل إلغاء تمرير اللاعب الكرة لحارس مرماه وكذلك حظر العرقلة من الخلف– لكن الأمر لم يكن سهلاً بهذه البساطة، فهؤلاء الفنانون ليسوا مثل قدامى الفنانين. كما أشار أدولفو بدرنارا في بداية عهد الضغط وهيمنة النظام، في هذا العهد لم يكن ثمة مكان للبوهيميين [غير التقليدين]. ومع ذلك، فمن الواضح أن هناك مكاناً للفن، لكن لا يمكن ألا يكون كله عن الجهد البدني والتمركز الدفاعي. قال سيزار لويس مينوتي: «لعب كرة القدم

بالجناح الأيمن يوحي بأن الحياة مثل الصراع، تتطلب التضحيات، وهكذا علينا أن نكون من الصلب ونفوز بأي وسيلة...هي طاعة ووظيفة، وهذا ما يطلبه أهل السلطة من اللاعبين، هذه هي الطريقة التي يصنعون بها المتخلفين، البلهاء المفيدين الذين يفعلون ما يطلبه منهم النظام».

مينوتي لديه أسطوانة إيديولوجية معينة للفوز، والفرق التي دربها كانت دائماً أكثر نظاماً مما اهتم أن يعترف به، لكن هنا حقيقة (على الرغم من أن ثنائية الجناح اليمين / الجناح اليسار غير مفيدة: لشيء واحد، كان للسوفيت كرة قدم عالية التنظيم- «جناح أيمن» حسب تعريف مينوتي؛ ولأمر آخر ألا وهو، إذا تم إرجاع الشروط السياسية إلى أساليب كروية، ألا يعكس ذلك ديمقراطية اجتماعية في المساواة بين طريقة 4–4–2 الخاصة بالدول الإسكندنافية). جياني بريرا، في سعيه للتعادل السلبي المثالي، ربما أعرب عن تقديره لفكرة وجود فريق دون هذه المظهريات المعرضة للخطأ كالفن، لكن ربما أرادت ذلك قلة قليلة أخرى: حتى إن زوبلديا كان لديه اللاعب خوان رامون فيرون. وهيلينيو هيريرا كان يمتلك ساندرا مازولا. بينما كارلوس بيلاردو امتلك دييجو مارادونا. ربما كان الوصول إلى حل وسط بين الاثنين ضرورياً. كما قال مارسيلو بيلسا- مدرب الأرجنتين بين عامي 1998 و2004- وهو رومانسي عنيد: «الفرق الميكنة لا فائدة منها. لأنها تضيع إن فقدت الكتاب. أنا لا أحب أياً منهما تلك التي تعيش فقط على إلهام العازفين المنفردين، لأنهم إذا لم يُشغِّلهم الربُّ يصبحون تحت رحمة خصمهم».

يصبح السؤال بعد ذلك كيف يتم دمج هذا الفن في نظام، دون أن يصبح ممنهجاً إلى درجة القدرة على التنبؤ. نشب هذا النقاش في الأرجنتين- ربما لأن الصراع الأبدي بين المؤيدين لبيلاردو والمؤيدين لمينوتي يجعل القضايا تطفو على السطح- وأصبح الأكثر شراسة. هناك، يتم تبجيل صانع الألعاب، الذي

يرتدي رقم عشرة، كما هي الحال في أي مكان خارج منطقة البلقان. الإيطاليون يقسمون صانعي الألعاب إلى لاعب «ثلاثة أرباع» Trequaristas، الذي يلعب في الفجوة وراء الهجوم (توتي مثلاً)، وصانع الألعاب المتمركز أكثر في العمق (بيرلو)، في الأرجنتين، يُطلق على صانع الألعاب لقب Enganche– الذي يعني حرفياً «الخُطّاف»– الذي يعمل دائماً بين خطي الوسط والهجوم.

روَّج خوان كارلوس لورنزو لشعبية هذا المركز في طريقة 4–3–1–2 التي طبقها مع المنتخب الوطني في نهائيات كأس العالم 1966، حين جعل إرمندو أونيجا يلعب هذا الدور. وفي ذلك مفارقة معينة، نظراً لسمعته كرجل براجماتي، ما يدل على مدى أهمية التغييرات التي تلت التحول إلى أربعة لاعبين في الخلف. رأى لورنزو أن الفن أصبح له مكان، فأدرجه ضمن نظامه وكان ينظر إليه على أنه يتعارض مع الرومانسية؛ الرومانسيون اليوم في الأرجنتين يطلبون الحفاظ على تشكيلته.

آخرون ساروا على خطى لورنزو– وحتى بعد عقدين من نجاح بيلاردو مع طريقة 3–5–2– ظلت طريقة 4–3–1–2 التشكيل الأكثر شيوعاً في كرة القدم الأرجنتينية المحلية. كان ميجيل روسو (Miguel Russo) جزءاً من فريق إستوديانتس تحت قيادة بيلاردو في السبعينيات ويميل مزاجه إلى طريقته الخاصة في تسيير الأمور، لكن في عصره كمدرب لبوكا جونيورز، الذي انتهى في ديسمبر عام 2007، شعر أنه غير قادر على الاستغناء عن الخُطّاف. قال: «فريق بوكا لديه تقاليد خاصة، ولديه هيكله الخاص به، وأنت لا تغير الأشياء عندما فازوا كثيراً، وحتى لو أردت تغييره فلا بد لي من القيام بذلك على نحو بطيء».

قد يكون أونيجا أول لاعب ينتشر في الفجوة الواقعة خلف رأسي الحربة– وهو تطور لمركز قلب الهجوم– لكنه لم يكن صانع الألعاب الأول، ولا حتى

في الأرجنتين. يمكن القول إن ريفر بلايت في أيام لا ماكوينا La Máquina كان يلعب بخمسة، رغم بيع ألفريدو دي ستيفانو. وذاعت شهرة إندبندينتي بسببهم. كان هناك ميجيل جياتشيلو، ونوربرتو أوتيس وجوزيه بيركوداني، الذين شكلوا قلب الفريق الذي فاز على إنتركونتيننتال في عام 1984؛ قبلهم كان هناك ريكاردو بوتشيني، الذي وصفه الصحفي هوجو آش بأنه: «القزم، غير منتظم الخطى، الهادئ، الذي يفتقر القوة في التسديد بقدمه ورأسه، وليس عنده كاريزما»، إلا أنه لايزال لاعباً خيالياً رائعاً؛ في مكان آخر، وبطريقة مذهلة، كان هناك دييجو مارادونا، وبعده جاء مجموعة من المارادونات الجديدة: أرييل أورتيجا، وبابلو أيمار وخافيير سافيولا وأندريس داليساندرو وخوان رومان ريكيلمي وكارلوس تيفيز وليو ميسي.

هل هؤلاء اللاعبون يناسبون اللعبة الحديثة؟ بالطبع هم كذلك، أو بالأحرى، بالطبع تيفيز وميسي كذلك. وإن كان أي منهما ليس بصانع ألعاب بالمعنى التقليدي للمصطلح، فتيفيز يساند المهاجم- بل حتى يجد نفسه لفترة وجيزة مدفوعاً به إلى مركز الجناح في وست هام- أما ميسي فإنه يميل إلى أن يُستخدم في مركز الجناح في برشلونة، قاطعاً إلى الداخل في طريقة 4–3–3. أما ريكيلمي، ذو التصرف الحزين، والحركة الرشيقة والمهارة في اللمس، فإنه أفضل من يجسد الطراز القديم من مركز الخُطّاف. وعندما قارن إدواردو جاليانو بين فناني كرة القدم ودراويش أندية الميلونجا[1] Milonga الأرجنتينية، كان يشير إلى لاعبين من أمثال ريكيلمي، وعليه تركز النقاش حول مستقبل اللاعبين أمثاله. وأصبح ريكيلمي أقلّ كلاعب منه كشفرة إيديولوجية.

في مقاله بصحيفة لا ناسيون La Nacion- كتب حزقيال فرنانديز موريس نقلاً عن عبارة شائعة في تقاليد البلوز في الأرجنتين: «ليس هناك أي موسيقى–

(1) الميلونجا: هي مصطلح يشير إلى أي مكان أو احتفالية تُعزف فيها موسيقى التانجو.

لكن الوقفة تساعد على عمل الموسيقى». ومضى يحكي حكاية عن المشي، فتشارلز مينجوس يمشي «إلى بار ليرى طبالاً شاباً متهوراً يحاول عمل لحن منفرد بطريقة محمومة مفعمة بالحركة. فقال موسيقار الجاز العظيم: لا. إنها ليست من هذا القبيل، عليك أن تعزف ببطء، عليك أن تقول مرحباً للناس، وتقدم نفسك، أنت لا تدخل أبداً غرفة وتبدأ بالصراخ، والشيء نفسه ينطبق على الموسيقى».

لكن هل ينطبق هذا على كرة القدم أيضاً؟ يود التواقون إلى الماضي والرومانسيون أن يصدقوا ذلك، لكن موريس حاول أن يبرهن على أن ريكيلمي كان يجب عليه التغيير، وتعلم اللعب المباشر– مثل ميسي. فهل يمكن للمباراة اليوم أن تتناسب مع لاعب لا يهاجم ولا يدفع بخشونة ولا يطارد، وينأى بنفسه عن الهرج والمرج. وهي النقطة التي لا تزال في عالم دائم الانعطاف– تفضيل الخيال على القوة البدنية؟ قال خورخي فالدانو: «أدمغة ريكيلمي تحفظ ذاكرة كرة القدم دائماً... فهو اللاعب المناسب للحياة البطيئة حين نأخذ الكراسي إلى الشوارع ونلعب مع الجيران». وربما كان سلوكه الكئيب يعكس معرفته أنه ولد خارج زمانه، وربما بسبب افتقاره للسرعة وجد نفسه خارج العصر الذي لعب فيه: فهو ليس نموذجاً للنقاش النظري، وإنما فرد لديه العديد من المواهب العظيمة ونقطة ضعف شديدة الوضوح.

وفي الأرجنتين، يحظى ريكيلمي بالعشق والاحتقار بالقدر ذاته، فعمق الشعور الذي يثيره يدل على مدى أهمية صانع الألعاب في مفاهيم كرة القدم الأرجنتينية. فالخُطّاف، كما كتب آش في عموده في صحيفة بيرفيل Perfil في عام 2007، هو «اختراع جد أرجنتيني، يكاد يكون ضرورة». وتابع يقول: «صانع الألعاب هو فنان، ومن حيث التعريف فهو حقاً روح صعبة يُساء فهمها، ولن يبدو الأمر حقاً، إذا كان عباقرتنا هادئين ويتعاملون بيسر مع

المواقف الصعبة»؛ بل هم يبدون كما لو كان عليهم دفع ثمن لمواهبهم، يجب عليهم أن يصارعوا باستمرار لمراقبتهم وتوجيههم. هذا المعنى هو ما رمى إليه ريكيلمي، الذي أحبط في نهاية المطاف مدرب فياريال مانويل بلجرينو إلى الحد الذي جعله ينفيه من النادي.

كتب آش يقول: «نحن لا نتحدث بالضرورة عن قائد. كان القادة هم راتن روجيري وباساريلا أو برفومو، الذين كانوا يُرعبون الناس. لا. رجلنا هو بطل رومانسي..شاعر وعبقري يُساء فهمه ومصيره أسطورة... وريكيلمي العينة الأخيرة من هذا النوع يشارك بوتشيني الحزن واليقين.. أنه يعمل فقط تحت الحماية والمأوى... وفي بيئة تحميه من شرور هذا العالم. ربما كان الأجدر به ألا يترك نادي بوكا أبداً».

ربما ذلك صحيح. لكن الأمر ليس لأن ريكيلمي لا يزدهر بعيداً عن النادي الذي عشقه كل العشق. وقد سعى اللاعب جاهداً مع برشلونة، لكنه كان السبب الرئيس في وصول فياريال إلى نصف نهائي أبطال الدوري 2005–2006. وكان ذكاؤه محورياً في تقدم الأرجنتين الرائع إلى ربع نهائي كأس العالم في وقت لاحق في ذلك الصيف. إلا أنه كان مسؤولاً عن خروج فريقيه من المسابقتين معاً. فقد أضاع ريكيلمي ركلة جزاء أمام الأرسنال في دوري أبطال أوروبا، وتم سحبه بعد 72 دقيقة باهتة في مباراة ألمانيا. بعضهم نقل عن ريكيلمي ميله لخسارة المباريات الكبرى. لكن ما يلفت النظر أن المدرب جوزيه بيكرمان لم يستبدل به رأس حربة مماثل، رغم وجود ميسي وسافيولا على القائمة. واستبدل به إستبان كامبياسو اللاعب الأكثر ميلاً للدفاع، فتحول الفريق إلى 4–4–2 مباشرة. وقرر أن تورستن فرينجز– الأكثر دفاعاً بين اثنين من مدافعي الوسط الألماني في طريقة 4–4–2، سيحصل على أفضل صانع ألعاب لعبَ به، أو– كما زعم كثيرون– أنه فقد أعصابه تماماً وفقد الايمان

بالتشكيل بسبب عدم فعالية ريكيلمي. ليس أقل عجباً أن يعلق ريكيلمي– كحقيقة وليس بسبب المرارة التي يستشعرها– قائلاً إن فريقه عندما يخسر تقع المسؤولية دائماً عليه.

وتلك هي مشكلة صانع الألعاب المكلف: إذ يصبح مركزياً أكثر من اللازم. فإذا امتلك الفريق المقابل مخرجاً واحداً يسهل تقييده. خاصة لأن النظم الحديثة تسمح لمتّاكيْ الوسط الاثنين ألا يخسروا فرص ممارسة التهديد الهجومي. وهذا صحيح في طريقة 4–3–1–2، وابنة عمها «تشكيلة الماسة» Diamond، وطريقة 3–4–1–2. هذه الطرق الثلاث تصبح عرضة للاختراق لأنها تفتقر إلى العمق. وتحت قيادة بيلسا Bielsa لم يحظَ ريكيلمي بكثير من الرعاية. فلعبت الأرجنتين أحياناً بطريقة هجومية هي 3–3–1–3، وهو تشكيل فريد. وكان بيلسا قد جرب طريقة 3–3–2–2، باستخدام خوان سيباستيان فيرون وأورتيجا خلف أرييل جابرييل باتيستوتا وكلاوديو لوبيز، مع خافيير زانيتي وخوان بابلو سورين كجناحيْ دفاع، وديیجو سيميوني لاعب وسط متّاك أمام ثلاثة مدافعين. وهو تنويع على طريقة 3–4–1–2 مع تكليف واحد من لاعبي الوسط بمهمة «الثلاثة أرباع» Trequartista، لكنه كان عرضة لانعدام العمق. وعلى الرغم من أن تحويل أحد مهاجميْ الوسط وأحد لاعبي مركز «الثلاثة أرباع» إلى جناحيْن خفف من ذلك، وتمت مساندة صانع الألعاب بمجموعة كبيرة من خيارات التمريرات، أصبح التشكيل غير عادي وبات الهجوم المضاد صعباً جداً.

وكتب المدرب الأرجنتيني كريستيان لوفرينسفيتش في إفدبورتيس يقول: «في المرحلة الدفاعية، تم اعتماد أسلوب الضغط الجماعي، حين تقوم كل الخطوط بدفع المهاجمين لاسترداد الكرة في أقرب مكان ممكن لمرمى الخصم. وهي في جوهرها مشابهة جداً لكرة القدم الهولندية الشاملة. وفي المرحلة

مباراة يوغوسلافيا وفنلندا، 2– 0، التصفيات المؤهلة لكأس أوروبا 2004، مراكانا، بلجراد، 16 أكتوبر 2002.

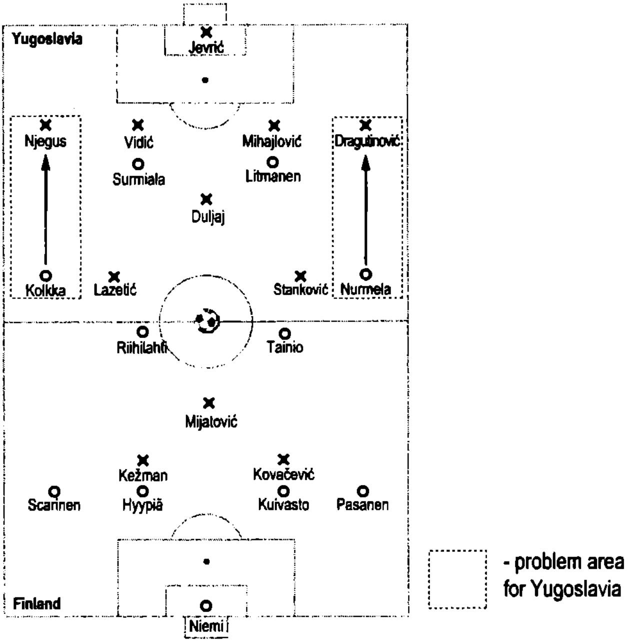

Second Half

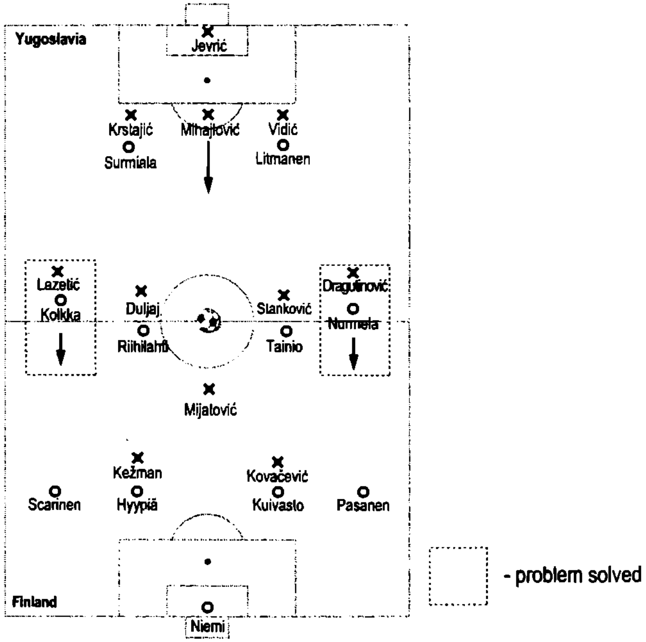

شختر دونستك 2007– 2008.

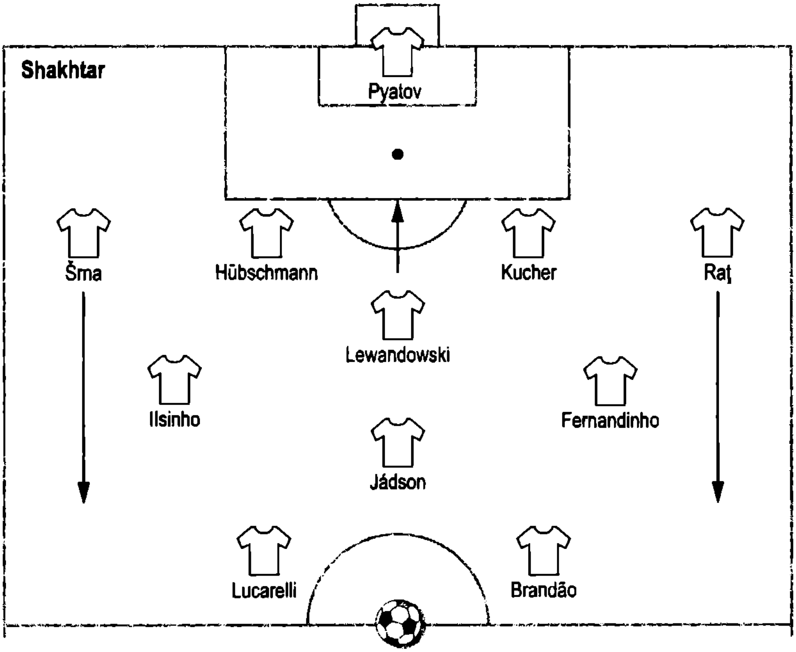

الهجومية، بمجرد استعادة الكرة، يحاول الفريق أن يلعب بعمق ويتجنب التأخيرات غير الضرورية والكرات الجانبية في اللعب، وفي الهجوم يشارك خمسة أو ستة لاعبين؛ ولا يوجد سوى أربعة مراكز دفاعية– المدافعين الثلاثة ولاعب قلب الوسط».

ومشكلة التنويعتين أنه بمجرد أن يفقد الفريق الاستحواذ على الكرة تصبح استعادتها صعبة، ويصبح الفريق عرضة للاختراق بالهجمة المضادة. وقد لعبت الأرجنتين بطريقة 3–3–2–2 في نهائيات كأس العالم 2002، بعد دور المجموعات، وامتلكت أكبر وقت استحواذ، وخلقت الكثير من الفرص وحصلت على ركنيات أكثر من أي فريق آخر. لكن الفريق للأسف أحرز هدفين وأربع نقاط فقط من ثلاث مباريات، ما أثار تساؤلات حول كل نقاط الضعف

في دفاعه ونوعية الفرص التي خلقها الفريق لنفسه. فعندما تتركز الهجمات في منطقة وسط الميدان، يستطيع الدفاع أن يستريح في العمق ويراقب بهدوء الفريق المنافس وهو يمرر الكرة بمناطق العمق وينحصر اللعب في الجهود طويلة المدى. أما في طريقة 4–3–1–2 أو 3–4–1–2، يمكن مساندة العمق بالتحرك الجيد من المهاجمين أو من ظهيري الوسط المهاجميْن (أو مَكّوكي الوسط)، أو من خلال الهجوم بكامل الدفاع. لكن عندما يذهب النظام في الاتجاه الخاطئ، تميل المشكلة إلى أن تكون إما بسبب عدم وجود عرض (كثافة) للهجوم، أو وجود فجوات باقية في الدفاع رغم محاولات ملئها.

وهذا لا يعني أن التشكيلين محكوم عليهما بالفشل حتماً، بل هما مقيدان في التطبيق. ففي أكتوبر 2002، مثلاً، في التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس الأمم الأوروبية 2004 في نابولي، لعبت يوغوسلافيا بطريقة الماسة في محاولة لإحباط إيطاليا. وتمركز جوران تروبوك Goran Trobok أمام رباعي خط الظهر، مع وجود سينيسا ميهايلوفيتش عن يساره، ونيكولا لازيدتش عن يمينه، وديان ستانكوفيتش كلاعب في مركز «الثلاثة أرباع»، مع وجود بريدراج مياتوفيتش ليأخذ مكان ماتيا كزرنان Mateja Kezrnan، وحيث لعب الفريق بطريقة دفاعية. نجحت الخطة حين وجد أليساندرو دل بييرو لنفسه مساحة محدودة. ويمكن القول إن يوغوسلافيا أحرزت أفضل نتيجة بالتعادل الإيجابي 1–1، وحينما لعب الفريق على أرضه في بلجراد ضد فنلندا بعد أربعة أيام، اعتمدت يوغوسلافيا على نظام مماثل وكافحت لتحقيق هدفها. ومع العبء الذي وقع عليهم، بدلاً من الاعتماد على الاندفاعات، كانوا يفتقرون إلى عرض الهجوم، وصارعوا على الجبهة الدفاعية حيث تم عزل المدافعين مراراً في مواجهة ميكا نورميلا Mika Nurmela وجوناس كولكا Noonas Kolkka، وهما اللاعبان المتمركزان في عرض الملعب في طريقة 4–4–2 التي لعبت بها

فنلندا. انتهى الشوط الأول بالتعادل السلبي 0—0، وفي استراحة بين الشوطين غيرت يوغوسلافيا طريقتها إلى 3—4—1—2، حيث تحرك ميهايلوفيتش من ثلاثي خط الظهر وأصبح لاعب وسط إضافي. ووجد نورميلا وكولكا نفسيهما فجأة مضطرين إلى التعامل مع أجنحة الظهير، ما أعطاهما مسؤولية دفاعية وقلص المساحة التي كانا يسارعان فيها قبل ملاقاة أي مدافع. أما يوغوسلافيا فبدأت في الاستحواذ على الكرة، ولعبت بلاعب احتياط في الوسط والدفاع ومنتصف الملعب، وبدأت في السيطرة والاستحواذ وانتهت المباراة بفوز مريح 2—0.

وربما كان هذا السبب الرئيس في أن تشكيلة الماسة في طريقها لأن تصبح طرازاً قديماً. فمن ثلثي الفرق التي وصلت إلى دوري أبطال أوروبا موسم 2007—2008، كان ميرسيا لوسيسكو مدرب شاختار دونيتسك فحسب هو الذي طبقها بشكلها الكلاسيكي، فواجه بالتالي المشاكل الكلاسيكية. وبالأخص في المباراة الافتتاحية، ليس فقط في مباراة مضيفه سيلتك، ولكن أيضاً في المباراة الثانية مع بنفيكا، فقد كانوا رائعين، إذ انطلق كل من رازفان رات وداريو سرنا من الخلف إلى الأمام مع تراجع لاعب الوسط المتّاك ماريوس يفاندوفسكي لحمايتهم (فأصبحت طريقة الماسة فعلياً 3—4—1—2)، ومع وجود البرازيلي جادسون بشكل طفيف باعتباره صانع ألعاب خلف اثنين من الجبهة. وفي المباراتين التاليتين ضد الميلان الإيطالي، انكشف ضعفهم الظاهر في مناطق واسعة من أرض الملعب، فتلقوا الهزيمة في كلا اللقاءين وتضاءلت الثقة، وانتهى الأمر إلى الإخفاق في التأهل حتى لكأس الاتحاد الأوروبي.

نجح التحول إلى طريقة 3—4—1—2 مع يوغوسلافيا ضد فنلندا إلى حد كبير. هذه التشكيلة أبطلت تأثير جناحي الفريق المنافس، لكن من عيوبها أنها جعلت الفريق أحادي البعد. هذا ما فعلته كرواتيا في نهائيات مونديال 2006 التي ظلت

لفترة طويلة تلعب بثلاثة مدافعين بعد أن تخلت بقية أوروبا عن ذلك. وعندما احتلت كرواتيا المركز الثالث في نهائيات كأس العالم 1998، استطاع اللاعب سيرو بلازيفيتش Ciro Blazevic أحياناً الضغط على صانعي الألعاب الثلاثة وضغطهم. وكان الدفع باللاعب زفونيمير بوبان وروبرت بروسينكي وأليوسا أسانوفيتش في وسط الملعب ضد المنطق، ورغم ذلك قال سلافن بيليتش: «خط الوسط الذي شكله هؤلاء اللاعبون هو الأكثر إبداعاً تاريخياً». ونجح خط الوسط بطريقة ما. وعلى الرغم من أنها كانت تشكيلة لمباراة واحدة، ساعدها أن ثلاثي خط الدفاع شمل لاعبين اثنين في مركز المسّاك Stoppers تمتعا بيقظة مميزة— هما داريو سيرنتش وزفونيمير سولدو- وكلاهما تميز بإمكانيات لاعب الوسط. وكان فوز كرواتيا 3–0 أيضاً في ربع النهائي على ألمانيا أفضل أداء للفريق في البطولة، وتحقق في غياب اللاعب بروسينكي الذي ترك سولدو في مركز المسَّاك بوسط الملعب على تشكيلة 3–3–2–2- وهي إحدى تنويعات تشكيلة 3–5–2.

بحلول موعد نهائيات كأس العالم 2006 كان المدرب زلاتكو كرانيكار قد قرر في أواخر التسعينيات أن يلعب بصانع ألعاب صريح هو ابنه نيكو كرانيكار، وكان من الضروري تعزيز خط الوسط بلاعبيْن اثنين مسّاكين- وهي تشكيلة لا تشبه تلك التي اعتمد عليها منتخب ألمانيا الغربية في «المراحل الأخيرة من البطولة عام 1986. لكن مع وجود جناحين خلفيين جادين وهما سرنا وماركو بابيتش Marko Babic- حيث لم يمكن إخفاء حقيقة أنه مع إيجور تيودور ظهير اليوفنتوس، ونيكو كوفاتش كلاعب الوسط المتأخر، وإن كانت إبداعيته آخذة في التراجع- فكانوا يلعبون بسبعة مدافعين.

كان ذلك كافياً لهزيمة البرازيل في معركة كروية انتهت 1–0، لكن عندما أخذت كرواتيا زمام المبادرة، تماماً كما فعلت ضد اليابان وأستراليا في مباريات

1998 (3 – 0 أمام ألمانيا، ربع نهائي كأس العالم، ستيد جيرلاند، ليون، 4 يوليو 1998).

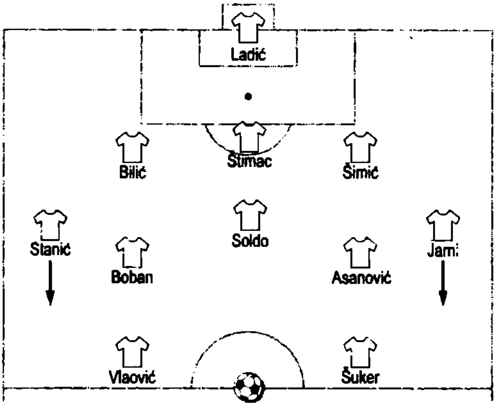

2006 (2 – 2 أمام أستراليا، دور المجموعات في كأس العالم - ستاد جوتليب ديملر، شتوت جارت، 22 يونيو 2006).

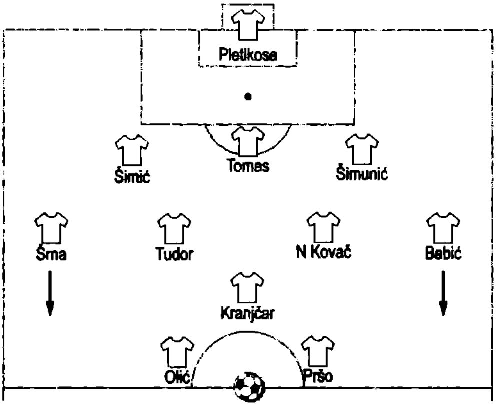

2007 (2 – 0 أمام إستونيا، التصفيات المؤهلة لبطولة أوروبا، ماكسمير، زغرب، 8 سبتمبر 2007).

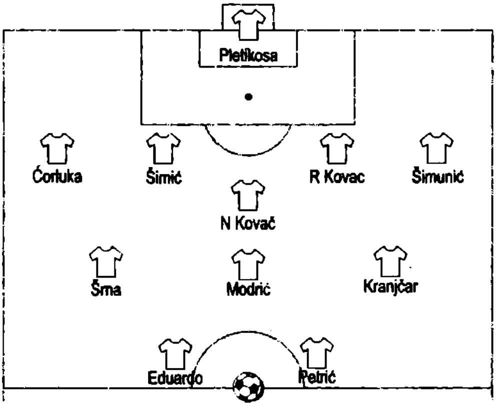

مجموعتيهما، كانت متوقعة بشكل متعب، واعتمدت على موجات الهجوم التي شنها الظهيران الخلفيان وعلى كرانيكار الذي لم يكن في أحسن أحواله. ولعبوا كرة ثقيلة مملة، وتمكن منهم الإحباط وارتخت لياقتهم البدنية وأصبح اللعب فظاً. وكان العزاء الوحيد لكرواتيا أن صربيا-الجبل الأسود كانت في أسوأ حالاتها بالبطولة. لكن العروض الرائعة التي قدمتها في التصفيات المؤهلة- بعد أن انحرفت كثيراً عن طريقة اللعب التقليدية لمنطقة البلقان من اللعب بثلاثة في الخلف- لم تمر مرور الكرام. وفي عشر مباريات خاضتها في التصفيات المؤهلة، لم يدخل مرماها سوى هدف واحد بفضل استخدام رباعي الدفاع جوران جفرانسيت Goran Gavrancit وملادن كرستايتش Mladen Krstajic ونرنانيا فيديتش Nernanja Vidic وايفيكا دراجوتينوفيتش Ivica Dragutinovic، ما جذب لهم لقب «ذا فانتا تيك فوز» the Fanta tic Four. ويمكن لصربيا والجبل الأسود أن تلوم الإصابات وتفكك معنويات الفريق على الإحراج الذي تعرضت له أمام ألمانيا؛ لكن مشاكل كرواتيا بدت متأصلة في نفس الطريقة التي لعبت بها: وبدأت صربيا في عملية تطور.

والنقاش حول مزايا تشكيلة 3-5-2 أو 3-4-1-2 سبب مشاكل لكرة القدم الكرواتية على مدار سنوات، أنهاها بيليتش بضربة عندما حل محل زلاتكو كرانيكار في تدريب الفريق بعد البطولة. وأعلن أن فريقه سيلعب بأربعة لاعبين في الخلف (كطريقة مفضلة وليست ضرورة) على غرار الطريقة الهولندية 4-3-3. وكان خوف دعاة الطريقة التقليدية من أن هذه الطريقة سوف تمثل نهاية صانع الألعاب، لكن المدرب بيليتش استطاع التوصل إلى طريقة تستوعب لاعبين في مركز صانع الألعاب، وليس لاعباً واحداً. وربما لم تكن الأيام المتهورة لبلازيفيتش بطريقته 3-3-2-2 أفضل بكثير مما كانت عليها الحال خلال عهد كرانيكار، لكنها كانت أفضل بكثير من أحلام الجميع.

واستكمل بيليتش خط الظهر بأربعة لاعبين، ووضع نيكو كوفاتش في عمق وسط الملعب، ووجد مجالاً لاثنين من المهاجمين وللاعب كرانيكار على اليسار، حيث لعب لوكا مودريتش Luka Modric في الوسط واللاعب سرنا على اليمين. وظهر بنيان مودريتش خفيفاً وهشاً، فكان مثالاً لصانع الألعاب التقليدي، وقال ذات مرة: «دوري في المنتخب الوطني مختلف جداً عن دوري مع دينامو- دوري هنا أكثر حرية مع مزيد من المسؤوليات الدفاعية». وكان زلاتكو كرانيكار قد أشاد إلى حد كبير بصفاته «التنظيمية» عندما استدعاه لأول مرة في المنتخب الوطني قبل كأس العالم.

ويمثل مودريتش ونيكو كرانيكار الأسلوب الجديد لصانعي الألعاب- رؤوس حربة ذوي قوة معينة، وأيضاً شعور انضباط تكتيكي- أو كما كتب آش يقول: «لا أحد يريد صانعي الألعاب، لا أحد يشتريهم. لماذا؟ هل يكرهون الشعر، هل يكرهون اللون». يبدو أنه سيعود إلى نقطة توماس بيترسون عن الدرجة الثانية من التعقيد، فبمجرد أن يتم فهم النظم تفقد كرة القدم سذاجتها، فلم يعد كافياً ببساطة أن تكون جميلة؛ بل يجب أن تكون جميلة داخل النظام. وأضاف آش: «ويحدث ألا أحد في العالم يلعب بصانع ألعاب بعد الآن. لاعبو الوسط متعددو الوظائف والمهاجمون هم مزيج من الدبابات وسيارات الفورمولا وان». ربما يكون الأمر كذلك، وسيفقد صانع الألعاب، لكن تماماً مثلما تم إحلال الجناح التقليدي وعلى مراحل بسبب التطور في كرة القدم، فكذلك سيكون صانع الألعاب التقليدي. ريكيلمي لاعب رائع، وربما ينجح في بوكا، الذي عاد إليه في بداية عام 2008، وربما ينجح بالنسبة إلى الأرجنتين، حيث الدفاعات في الفرق الدولية ليست على ما يرام مثل تلك التي على مستوى الأندية، لكنه هو آخر واحد في سلالة تحتضر، ويا لها من مفارقة تاريخية مجيدة.

شهرة كانو النيجيري، التي تراه بقليل من الغموض لا كمهاجم ثان كما اعتاد طوال حياته المهنية الكروية في أوروبا، ولكن بوصفه ثلاثة أرباع مهاجم، تدفعه بانتظام إلى دور صانع الألعاب لبلاده، لكن وجوده في هذا المركز لم يخدم سوى تسليط الضوء على التكرار. في بورتسموث، نجح كانو لأنه وجد في اللاعب بنجاني مواروراي شريكاً معروفاً بالشدة التي غطت على الذكاء في حركته. وكان بنجاني يجري، بينما كان كانو يتجول في المساحة بين خطي الوسط والهجوم: واحد كان الطاقة، والآخر كان التخيل، وهو تقسيم للصفات التي نجحت على الأقل على مستوى بورتسموث.

في نهائيات كأس الأمم الأفريقية 2006، كان كانو يُستخدم بتأثير كبير كبديل، فبمجرد أن تنخفض وتيرة المباراة، ينزل ويجد مساحة ويشكل المباراة. وفي نهاية المطاف، زادت الضغوط من الصحافة النيجيرية على مدربهم، أوجستين إيجوافوين Augustin Eguavoen، حتى شعر بأنه مضطر للبدء به ضد ساحل العاج في الدور نصف النهائي. حصل كانو بالكاد على ضربة، ثم مُنع من التقدم بسبب وتيرة وقوة وحسن تصرف لاعبيْ خط وسط ساحل العاج المتّماكِين، يايا توري Yaya Toure وديديه زوكورا Didier Zokora. وبعد ذلك بعامين، في المباراة الافتتاحية لنيجيريا في سيكوندي، ألقى مدربهم الجديد بيرتي فوجتس به تقريباً في الفخ نفسه. وإذا لعب كانو ضد لاعب وسط مدافع فقط، فربما نجح؛ أما في مقابل اثنين، فمن المستحيل أن يتغلب عليهما. ويمكن القول إن ذلك راجع إلى عامل السن، حيث يفقد نقطة الفهم، فصانع الألعاب ينتمي إلى حقبة من المعارك الفردية: إذا تمكن من التغلب على اللاعب الذي يراقبه، يمكنه أن ينجح في اللعب، أما في نظام يسمح لاثنين أن يراقباه، فلا يمكنه ذلك. نعم، من خلال الدفع بلاعبيْن ضد صانع الألعاب فإن الدفاع يخلق مساحة لواحد آخر، لكن دفاع المنطقة صُمم على وجه التحديد لمواجهة هذا النوع من الخلل،

وهناك بالضبط مكمن الخلل في طريقة 4-3-1-2: وقف صانع الألعاب المعين ووقف تدفق الإبداع بالكامل تقريباً.

فكيف يمكن استخدام صانع الألعاب في كرة القدم الحديثة؟ شملت كل نسخة من نظام بيليتش- مثل التي لعبت بها كرواتيا عندما تغلبت على إنجلترا 2-0 في زغرب في أكتوبر 2006- شملت الميلان رابايك Milan Rapaic وهو جناح أيمن مهاجم؛ وكان سرنا يعطيهم اتزاناً أكثر إلى حد ما، بسبب لعبه كجناح مدافع وهو أيضاً ممرر الكرات العرضية. ومع ذلك، فإن كرواتيا تحت قيادة بيليتش تستخدم خمسة لاعبين مهاجمين، وهو أمر فريد من نوعه تقريباً في كرة القدم الحديثة، وهو ما قد يفسر لماذا دخل مرماهم ثلاثة أهداف من إسرائيل واثنان في ويمبلي في التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس الأمم الأوروبية 2008.

استخدام صانع ألعاب واحد يثير خطر أن تصبح ذا بُعد واحد، لكن هناك أسباب أخرى عن انخفاض شعبية استخدام ثلاثة في الخلف في كل بلدان كرة القدم الكبرى في العالم بخلاف البرازيل. يعتقد جوزيه ألبرتو كورتيس، رئيس الدورة التدريبية في جامعة ساو باولو، أن المسألة بدنية بالأساس، يقول: «مع وتيرة اللعب الحديث، من المستحيل للأجنحة الخلفية العمل بالطريقة نفسها لأنه يجب عليهم أن يكونوا أسرع وأكثر استعداداً بدنياً من بقية اللاعبين في الملعب».

وترى معظم البلدان الأخرى- رغم ذلك- أن عدم استحباب اللعب بثلاثة في الخلف نتيجة من نتائج الجهود المبذولة لإدماج اللاعبين المميزين عبر تعزيز خط الوسط. هناك، بطبيعة الحال، مفارقة هائلة هنا، ففي تشكيل بيلاردو Bilardo في 1986 اشتهرت طريقة اللعب بثلاثة في الخلف وجعل صانع الألعاب مهاجماً ثانياً، وهو الابتكار الذي أدى في النهاية إلى خفض عدد اللاعبين في

الخلف إلى ثلاثة، وكانت خطة بيلاردو تعتمد على وجود لاعبيْن مسّاكيْن لاعتراض لاعبي الوسط المهاجمين للفريق المنافس، مع لاعب قشاش احتياطي خلفهما، فإذا لم يوجد سوى لاعب وسط مهاجم فقط لمراقبته، فهذا يعني ترك لاعبيْن اثنين احتياطيين- أحدهما يوفر التغطية، والثاني لا لزوم له- وهذا ما يعني بدوره نقصاً في مكان آخر على أرض الملعب. يوضح ميروسلاف ديوكيتش، المدافع السابق لفالنسيا- الذي أصبح مدرباً لبارتيزان بلغراد في عام 2007- ذلك بقوله: «ليس هناك من جدوى في وجود ثلاثة مدافعين يغطون لاعباً واحداً يلعب كخط وسط مهاجم».

طور المدرب البرازيلي المحنك نيلسينيو بابتيستا Nelsinho Baptista، الذي تولى مسؤولية كورينثيانز في عام 2007، برنامجاً حاسوبياً لاستكشاف نقاط الضعف في نظام واحد عندما يقابل فريقاً آخر. يقول: «تخيل فريق (أ) يلعب بطريقة 3-5-2 ضد فريق (ب) الذي يلعب بطريقة 4-5-1 التي ستصبح طريقة 4-3-3، فكان على الفريق (أ) اللعب بجناحي دفاع للتعامل مع جناحيْ الفريق (ب)، وهذا يعني أن الفريق (أ) يستخدم خمسة رجال للتعامل مع ثلاثة مهاجمين، وأن فريق (أ) يستخدم ثلاثة لاعبين في قلب خط الوسط ضد ثلاثة، وهكذا فإن الاستفادة من طريقة 3-5-2 ضد 4-4-2 قد فُقِدتْ، ثم في الجبهة يوجد مهاجميْن اثنين ضد أربعة مدافعين، لكن المدافعين الاحتياط هم مدافعون كاملون، ويمكن للمرء أن يتقدم إلى خط الوسط لإيجاد لاعب إضافي هناك، في حين لايزال هناك ثلاثة لاعبين مقابل اثنين في الخلف، وهكذا فإن الفريق (ب) يمكنه الاستحواذ على الكرة، ولديه كذلك أكبر عرض».

بطبيعة الحال، يمكن لأحد قلبي دفاع الفريق (أ) أن يتقدم إلى خط الوسط، لكن المشكلة هي أن الفريق (أ) له أربعة لاعبين متمركزين في خط الوسط، ولايزال يفتقر إلى العرض، وعلى أي حال، إذا تقدم أحد المدافعين إلى خط

الوسط، لماذا لا يلعب مجرد لاعب وسط مدافع في هذا الدور؟

وفازت مصر بكأس الأمم الأفريقية بطريقة 3-4-1-2 في نسختي 2006 و2008، لكن ربما يرجع ذلك- إلى حد كبير- إلى حقيقة أن طريقة 4-4-2 المباشرة لاتزال تميل إلى الهيمنة على التفكير في أفريقيا. وبصرف النظر عن مصر- وأحياناً الكاميرون- فإن غينيا والمغرب فقط، وكلاهما استخدم طريقة 4-2-3-1، لم يتهيئا في شكل من الأشكال للعب بطريقة 4-4-2. وكانت لغالبية الفرق المرشحة أعمدة فقارية قوية وأوجه قصور عريضة وكانت خيبة الأمل التي شملت الجميع هي مستوى الكرات العرضية. ربما كانت تلك غرابة هذا الجيل، أو يمكن أن تكون متعلقة بحقيقة أن الأندية الأوروبية عندما تتطلع إلى لاعب أفريقي موهوب، فإنها تميل إلى الأخذ في الاعتبار بما وصفه كشاف مانشستر يونايتد في أفريقيا توم فيرنون بنموذج اللاعب [السنغالي] بابا بوبا ديوب Papa Bouba Diop. واللاعبون الأفارقة الذين نجحوا في أوروبا في الماضي عادة ما كانوا يتميزون بالضخامة والقوة البدنية، وكذلك الأندية تبحث عن شيء مماثل. أما اللاعبون الذين تستقدمهم الأندية الأوروبية في سن مبكرة فإنهم يتطورون بسرعة أكبر ويجذبون المزيد من الاهتمام، وهذا هو طريقهم إلى المنتخب الوطني.

ويعتقد فيرنون Vernon، الذي يدير أكاديمية في التلال بأعالي أكرا، أن الطريقة الأولى التي شهدها الأطفال في لعبهم (على الأقل في غانا) كانت تميل إلى تشكيل الأطفال كلاعبي وسط ملعب. ويقول فيرنون: «انظروا كيف لعب الأطفال، طول الملعب ربما يمتد عشرين أو ثلاثين ياردة، ويوضع حجران اثنان على بُعد قدمين من بعضهما في كلا الطرفين، وأحيانا يستخدمون المزاريب أو القنوات لتعيين الحدود على الجانبين. لذا فهي منطقة صغيرة. وتصبح المباراة كلها في كيفية تسلّم الكرة والالتفاف والخوض في الوسط». والنتيجة هي أن

انهيار طريقة 3 – 5 – 2.

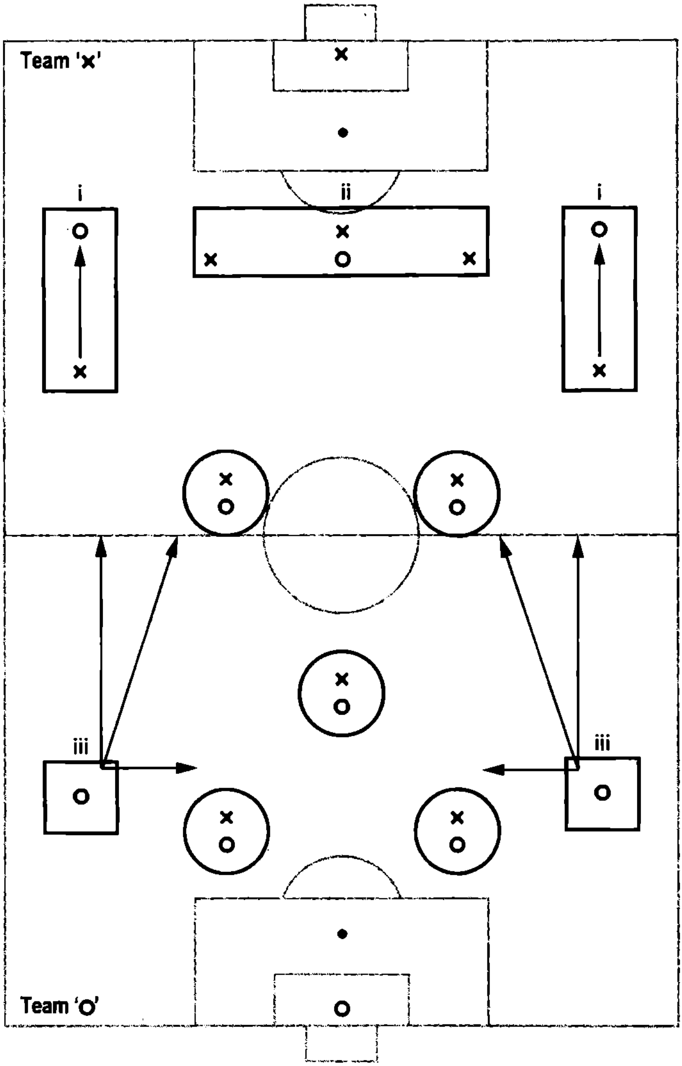

- simple cancellation

i - × wing-backs forced back to deal with O wingers

ii - 3× defenders dealing with one O forward

iii - O full-backs spare - can provide extra man at back; drive down flank or help out in midfield

مباراة مصر والكاميرون 4 – 2، مجموعة كأس أفريقيا، ستاد بابا يارا ، كوماسي ، 22 يناير 2008.

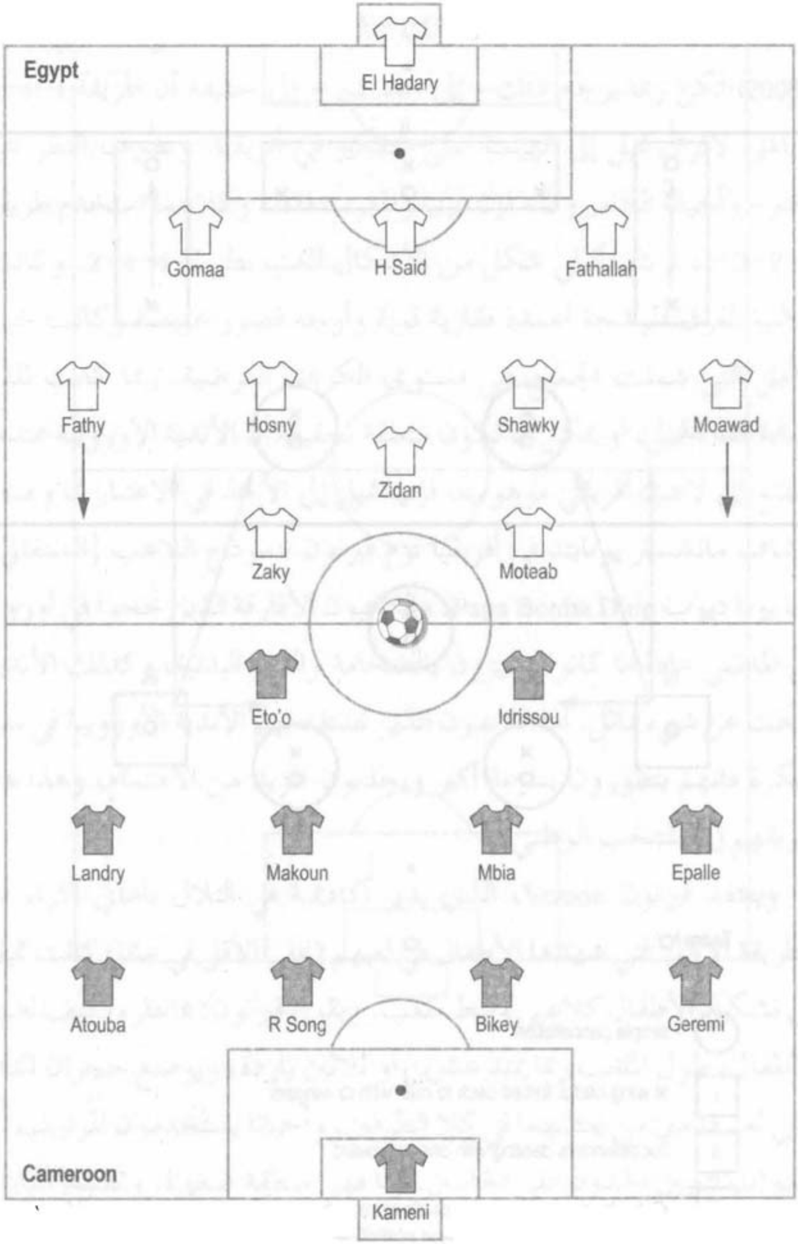

مباراة مصر والكاميرون ......

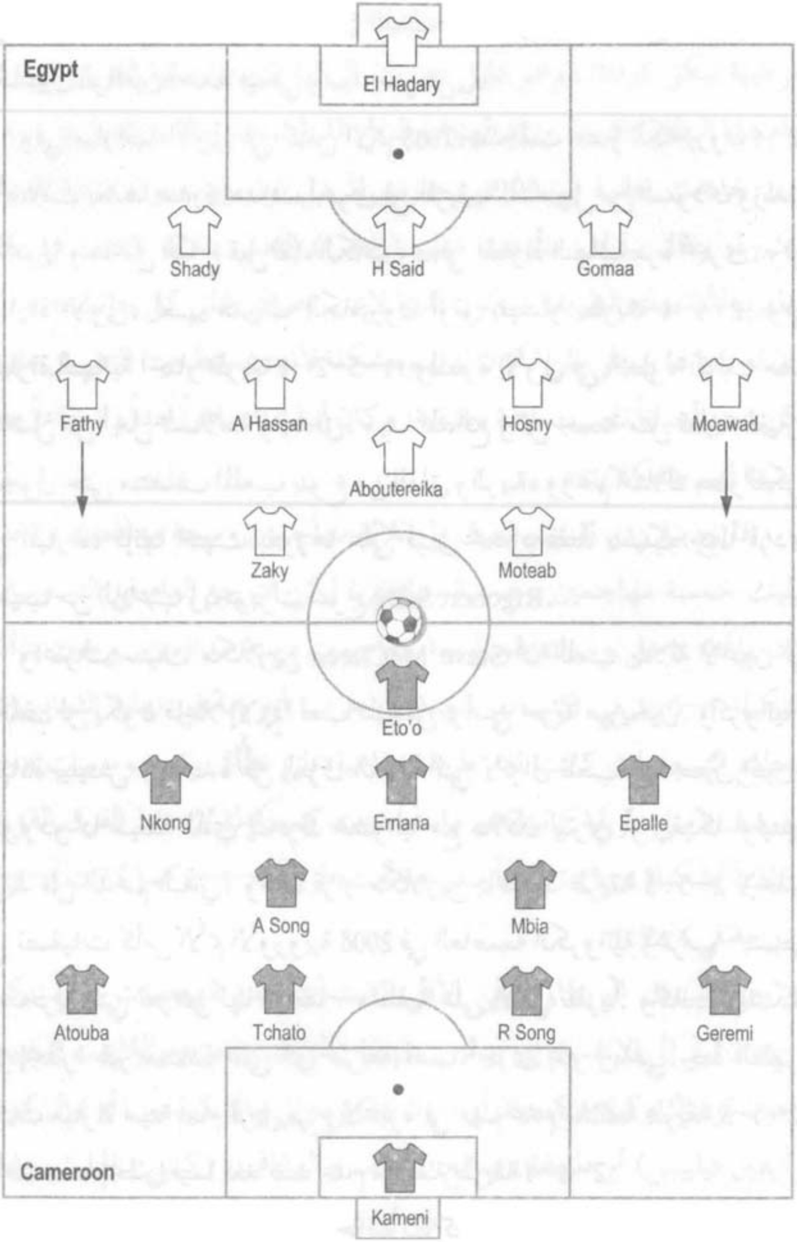

معظم فرق غرب أفريقيا- وبخاصة ساحل العاج- لديها ما لا يقل عن لاعبين في قلب الهجوم، لذلك يميلون إلى اللعب بهما، وهو ما أزعج ظهيري مصر الجانبيْن الرائعين أحمد فتحي وسيد معوض.

وفي مباراتها الأولى في كأس الأمم 2008، سحقت مصرُ الكاميرون 4–2. وأضافت بعدها عشرة أهداف أخرى في طريقها للتخلص من السودان وزامبيا وأنجولا وساحل العاج قبل لقاء الكاميرون في المباراة النهائية مرة أخرى. وفي المباراة الأولى، لعب مدرب الكاميرون أوتو بفيستر بطريقة 4–4–2؛ وفي المباراة النهائية اختار طريقة 4–2–3–1؛ وللمرة الأولى في البطولة كانت مصر تناضل من أجل السلاسة والتدفق. وبدا المدافع وائل جمعة مثل قطعة الغيار، يتجول حتى منتصف الملعب بنوع من القلق والريبة، ورغم امتلاك مصر للكرة في المباراة، فإنها انتهت بفوزها على فريق محدود فقط بسبب خطأ فردي رهيب من اللاعب ريجوبرت سونغ Rigobert Song.

واعترف ستيف مكلارين Steve McClaren أن اللعب بثلاثة لاعبين في الخلف لن يكون فاعلاً إلا إذا لعب المنافس برأسيْ حربة صريحين. وكرواتيا- بقيادة بيليتش- واحدة من الفرق القليلة التي لاتزال تلعب بمهاجميْن اثنين- إدواردو دا سيلفا الذي يتحرك عشوائياً مع ملادن بيتري أو إيفيكا اوليتش لمزيد من الدعم البدني. وكان قرار مكلارين باعتماد طريقة 3–5–2 لإنجلترا في تصفيات كأس الأمم الأوروبية 2008 في العاصمة الكرواتية زغرب- بسبب السخرية التي تعرض لها لاحقاً- منطقياً على الأقل نظرياً. وكانت المشكلة أن إنجلترا غير معتادة على أي طريقة لعب أخرى غير رباعي خط الظهر، فأدت مباراة سيئة أمام فريق برع لاعبوه في فهم عدم ملائمة طريقة 3–5–2، وأصبحت إنجلترا فيما بعد ضد عدم ملائمة طريقة 4–4–2.

وتقول بعض الآراء إن إنجلترا حاصرت كرواتيا قبل أن يضعهم إدواردو في

المقدمة في الدقيقة 62، لكن هذا يعد تجاهلاً لنصف دستة الفرص الجيدة التي حصل عليها الفريق وتتجاهل لعب إدواردو بلا رقابة، ما جعله يتصدى برأسه لعرضية نيكو كوفاك، وهو دليل على أن الرقابة التي مارسها الفريق انهارت أمام هذا النظام الجديد. وزاد الهدف التالي الذي سجله جاري نيفيل في مرماه حين خدعت حفرة في الأرض حارس المرمى بول روبنسون هزلية الهزيمة الكبيرة. وقال بيليك: «أردت منهم (إنجلترا) اللعب بثلاثة لاعبين في خط الظهر، لأن بهذه الطريقة سيكون لدينا لاعب إضافي على كل جانب». وقال «إن لعبنا بإيقاع بطيء لن تكون لديهم مشكلة لأنهم يستطيعون التضييق علينا. لكن نحن أحياناً نلعب بسرعة حقيقية. وكان أسلوبنا مباشراً جداً وشجاعاً جداً وسببنا لهم مشكلات».

واقترح بيلاردو تقسيم الفرق إلى ثلاثة مهاجمين وسبعة مدافعين. واختار بيليك خمسة مهاجمين وخمسة مدافعين. لكن التوجه العام في التسعينيات كان باتجاه «حل وسط» هو أربعة مهاجمين وستة مدافعين. وحين بدأت تشكيلة 4–5–1 في اكتساب شعبية في غرب أوروبا في نهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات كانت تعد طريقة دفاعية على نطاق واسع وسميت «حق الضعيف» مثل طريقة كاتيناتشو واستخدمت كمحاولة لإحباط الفرق القوية. وكانت تشكيلة 4–5–1 دائماً مندرجة تحت طريقة 4–4–2 كما كانت 4–4–2 مدرجة في 4–2–4.

وفي السياق البريطاني على الأقل كانت جماعية الهجمات في تشكيلة 4–4–2 تميل إلى الانقسام إلى نوعين: طريقة «اللاعب القوي واللاعب السريع» (جون توشاك وكيفين كيجان أو مارك هاتيلي وإلي ماك كويست أو نيال كوين وكيفين فيليبس) أو طريقة «صانع الألعاب والهداف» (كيني دالجليش وإيان روش أو بيتر بيردسلي وجاري لينكر أو تيدي شرنجام وآلان شيرر). وكانت

مباراة فلامينجو وليفربول 3 – 0، كأس القارات، ناشيونال استوديوم، طوكيو، 13 ديسمبر 1981.

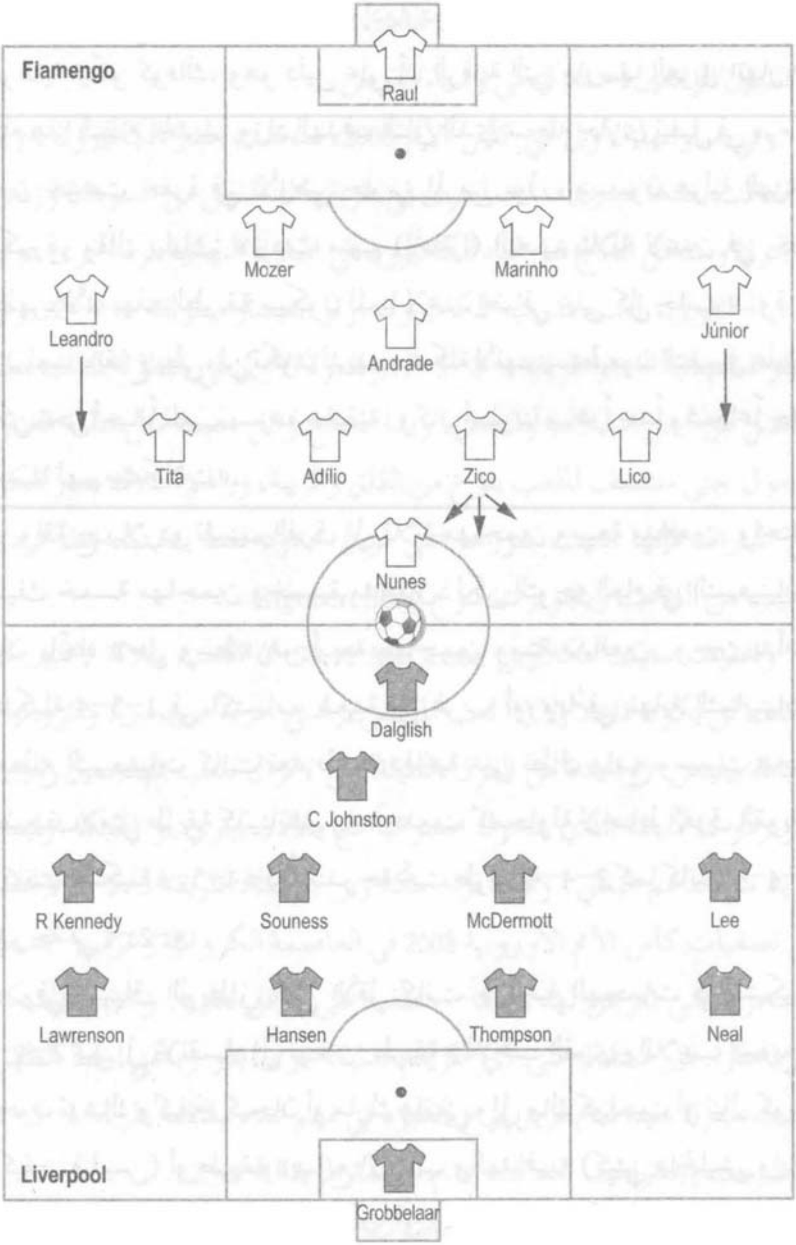

التشكيلة الأولى تضم مهاجمين وفي التشكيلة الثانية لم يكن صانع الألعاب يتوغل في العمق ليربط المساحة الفاصلة بين خط الوسط والهجوم. وكان الأثر الكبير للاعبين إيريك كانتونا وجيان فرانكو زولا على كرة القدم الإنجليزية بسبب قدرتهما على اللعب بين الخطوط، ما أربك لاعبي قلب الدفاع الإنجليز وهذا ما فعله سابقاً كل من ماتياس شندلر ونأندور هديكوتي. ويبدو أن المشكلة كانت في التسمية. فلم يفكر أحد في وصف تشكيلة فريق سندرلاند لموسم 1989 – 1990 بأنها 4–4–1–1 لكن تواجد إيريد جيتس خلف ماركو جابياديني جعلها كذلك. واتضح فيما بعد أن تشكيلة 4–5–1 مرنة وقابلة للتعديل حسب الظروف إلى 3–5–2.

وهناك جدل حول حقيقة أن أول فريق حقق نجاحا دوليا بتشكيلة 4–5–1 هو فلامنجو بقيادة باولو سيزار كاربجياني الذي هزم ليفربول بثلاثية وحصد كأس القارات عام 1981. ولم تكن طريقة لعب الفريق سلبية. فعندما واجه كاربجياني مشكلة الاختيار بين أربعة رؤوس حربة- هم ليكو وزيكو وأدليا وتيتا- فعل ما فعلته البرازيل بعده في نهائيات كأس العالم 1982– ولعب بهم جميعاً. وبدلاً من وضعهم خلف اثنين من المهاجمين، اختار كاربجياني اللعب باستخدام اللاعب نونيس Nunes في الأمام بمفرده، ووضع أندرادي في مركز لاعب الوسط المتّاك— هذه التشكيلة تُعرف الآن باسم 4–1–4–1.

وبالطبع، الدفع بخمسة لاعبين في خط الوسط هو نظام دفاعي، استخدمته العديد من الفرق في الثمانينيات، ولاسيما في خارج أوروبا. إيفرتون، مثلاً، برع في اللعب بهذه الطريقة. ففي المحطة الأولى من الدور ربع النهائي لكأس الأندية أبطال الكؤوس، وفي المباراة التي جرت على أرض مضيفه بايرن ميونيخ في عام 1985، مثلاً، ترك المدرب هوارد كيندال Howard Kendall اللاعب اندي جراي Andy Gray ودفع بألان هاربر Alan Harper في وسط

الملعب مكانه، وترك جرايم شارب كمهاجم وحيد. وبعد التعادل السلبي 0-0 ذهاباً، استعاد إيفرتون جراي نفسه بطريقة 4-4-2 وفاز إياباً 3-1. ويعترف جراي بأنه لم يكن هناك شيء خفيّ في طريقة لعبهم في تلك الليلة: هم أدركوا أن دفاع بايرن ميونيخ لا يشعر بالراحة إزاء التهديد الجوي الذي شكلوه على مرماه وهكذا سعوا لاستغلاله.

وكلما كان الفريق أكثر مباشرة يصبح أكثر دفاعية عند اللعب بطريقة 4-5-1. والهدف بالنسبة إليه هو مجرد أن يزرع تسعة رجال بين الفريق المنافس والمرمى، ثم يبحث عن لاعب قلب الهجوم ليقاتل من أجل الاستحواذ، والسيطرة على الكرة وإما بقطع الكرة وتمريرها إلى لاعبي الوسط المخترقين أو الفوز بكرة ميتة. وقد قام أيان رايت بهذا الدور إلى حد الكمال لأرسنال تحت قيادة جورج جراهام في عدد من التعادلات الأوروبية في مطلع التسعينيات. وبمجرد أن تصبح اللعبة حول استحواذ الكرة والتمريرات القصيرة، يصبح اللعب بخمسة لاعبين في خط الوسط أداة أكثر دقة لتنفيذ هذه الطريقة.

من المستحيل، أن أقول اسم الرجل الذي اخترع طريقة 4-2-3-1 التي نشطت في أوروبا في أواخر التسعينيات. وقد يبدو منطقياً أن نحدد أن تطوير هذه الطريقة تم في فترة ما بين بطولة كأس الأمم الأوروبية 1996 و2000، وهي الفترة التي شاع فيها استعمال هذه الطريقة. وبوجه عام، فإن أي فريق لعب بطريقة 4-4-2 سحب قلب الهجوم ووضع اثنين من لاعبي الأجنحة مكانه. ولم يصف أحد هذه الطريقة على هذا النحو آنذاك. لكن فريق مانشستر يونايتد في موسم 1993-1994 استخدم طريقة قريبة الشبه جداً من تشكيلة 4-2-3-1، حيث لعب بول إينس وروي كين في عمق خط الوسط، ودفع ريان جيجز واندريه كانشسلسكيس إلى الأمام، ووضع إريك كانتونا تحت مارك هيوز. وبالمثل فعل الأرسنال في أول موسم كامل لأرسين فينجر مع الفريق في إنجلترا،

حيث لعب إيمانويل بيتي وباتريك فييرا في العمق، ومارك اوفرمارس وراي بارلور في الأجناب ودينيس بيركامب خلف نيكولا أنيلكا، على الرغم من أن بارلور كان يغطي، في حين أن اوفرمارس كان يندفع ليصنع شيئا أقرب إلى طريقة 4–3–3 القديمة.

وهناك معنى أيضاً أن طريقة 4–2–3–1 هي تطور حتمي بمجرد أن يبدأ الفريقان بسحب أحد قلبيْ الهجوم، في البداية سيتم الدفع بأحد مسّاكي وسط الملعب لمساندته- ومنها كانت الطفرة التي كانت في أواخر التسعينيات التي شهدت بروز لاعبين قادرين على لعب «دور ماكيليلي»- حيث سيبدأ ثلاثة أرباع المهاجم في الانحراف على الأجناب ليجد لنفسه مساحة، فإذا تعقبه اللاعب المسّاك، فسيخلق مساحة في المنتصف وبالتالي سيندفع لاعب إضافي في العمق للتغطية، مع ما يصاحب ذلك من تأثيرات على أكثر لاعبي الوسط هجوماً.

وفي أسبانيا، يرجع الفضل في طريقة 4–2–3–1 إلى جون توشاك لدى عودته إلى ريال مدريد في عام 1999، عندما كان يستخدم سيرريني وفرناندو ريدوندو مسّاكيْن في الوسط، وستيف ماكمانامان وراؤول وإلفير باليتش أمامهما وأي من أنيلكا أو فرناندو مورينتس كمهاجم وحيد. وقيل، لعبت الفرق الأسبانية طويلاً بمهاجمين منفصلين- حيث كانت وسائل الإعلام وراء المهاجم المركزي- كما هي الحال في إنجلترا، فإن أي فريق يستخدم هذه الطريقة بجناحين متقدميْن يمكن أن يقال عنه إنه كان يلعب بطريقة 4–2–3–1. واستخدمها خافيير إيروريتا مع ديبورتيفو لاكورونيا لموسميْن قبل أن يفوز ببطولة الدوري عام 2000، في حين، ادعى خوان مانويل ليلو بقوة- بدعم من مجلة ترايننج فوتبول الإسبانية- أنه هو من اخترع هذه الطريقة حينما كان مدرباً لفريق كالتيورال ليونسا من دوري الدرجة الثالثة في موسم 91–

1992. قد لعب بسامي وتيوفيلو أباجو كمحوري ارتكاز، مع كارلوس نونيز وأورتيز ومورينو أمامهما، أما لاتابيا فلعب مهاجماً وحيداً. ولما رأى ليلو هذا النجاح أخذه معه إلى فريق سالامانكا. هناك، وفقاً لافتتاحية ترينينج فوتبول، وكان رد فعل اللاعبين أنْ «علت وجوههم الريبة لأنهم اعتقدوا أنها كانت طريقة غريبة في اللعب؛ وكانت استجابتهم لأخذ المراكز التي طُلِبَ إليهم أن يأخذوها وتوزيع كل خط من خطوط الفريق بشعور من الغرابة والدهشة كما لو وجد المرء نفسه للتو وجهاً لوجه أمام ديناصور». ومع ذلك، فقد أخذتهم هذه الطريقة للشهرة.

وكان انتقال هذه الطريقة إلى إنجلترا- على الأقل من حيث الاعتراف بالتشكيل كشيء متميز عن طريقة 4–4–2 التي أتت مع مانشستر يونايتد بهزيمة على أرضه من ريال مدريد 3–2 في دوري أبطال أوروبا في موسم 1999–2000، ما أقنع السير أليكس فيرجسون أن الطريقة الأكثر أصالة 4–4–2، التي وظفها للفوز بثلاث بطولات في الموسم السابق قد حان يومها في المنافسات الأوروبية (على الرغم من أنه استمر في القول، مع بعض التبرير، إنه لم يلعب بطريقة 4–4–2 قط، لكنه كان يستخدم دائماً مهاجميْن منفصليْن).

ورغم ذلك، فإن طريقة 4–2–3–1 هي مجرد متغير واحد من خمسة لاعبين في خط الوسط، ويمكن التضحية بواحد من لاعبي الوسط المهاجمين لأجل مسّاك إضافي، فينتج لنا إما طريقة 4–3–2–1 (المعروفة باسم «شجرة عيد الميلاد») وإما طريقة 4–3–3 الحديثة. ويبدو أن كو أدريانسي هو أو نصير لطريقة 4–3–2–1 في دِنْ هاج في أواخر الثمانينيات، وكذلك جربها تيري فينابلز مع إنجلترا قبيل بطولة أوروبا 1996، لكن لم يحدث أن استخدمها فريق وحقق بها أول نجاح ملحوظ حتى كانت نهائيات كأس العالم 1998، ثم دخلت في الاتجاه السائد.

كانت مشكلة مدرب فرنسا إيميه جاكيه Aime Jacquet في كيفية استيعاب زيدان؛ أحد أعظم صانعي الألعاب الذين عرفهم العالم، لكنه كذلك لاعب ذو وتيرة محدودة ويكاد يخلو من أي غريزة دفاعية، وكان الحل أن يعطيه دوراً حراً بفعالية، لكن القيام بذلك دون زعزعة استقرار فريقه من الناحية الدفاعية دفعه إلى اتباع التقاليد الإيطالية فلعب بثلاثة لاعبين في خط الوسط وكانت وظيفتهم دفاعية في المقام الأول- وهم ديديه ديشامب، إيمانويل بيتي وكريستيان كاريمبو. وأضفى وجود يوري دجوركاييف مزيداً من الإبداعية، وكان ستيفان جيفارش هو لاعب الوسط المهاجم الوحيد، وقد نال كثيراً من السخرية- وربما يكون من الناحية الفنية أسوأ لاعب في مركز الوسط المهاجم يحصل على كأس العالم- ولكن كان يقوم بمهامه. وهذه المهام بصفة عامة هي قيامه بعمل نقطة اتصال والسيطرة على الكرة لتصل إلى المبدعين في الخلف (وبمجرد قبول الطريقة، انفتحت إمكانية إعادة تفسير دور سيرجينهو في البرازيل في كأس العالم 1982). وبحلول عام 2000، كان لخليفة جاكيه، روجيه لومير، زيادة أكبر في الثقة- وفي باتريك فييرا كلاعب وسط مدافع رائع ومتنقل- وشعر بأنه قادر على صف المبدعين الثلاثة خلف هنري في طريقة 4—2—3—1.

إيه سي ميلان هو أفضل فريق حديث مناصر لطريقة 4—3—2—1، على الرغم من أن طريقته أكثر هجوماً مما كانت عليه طريقة فرنسا. فعندما فاز بلقب دوري أبطال أوروبا عام 2006، كان كاكا وكلارنس سيدورف لاعبيْ خط وسط متقدميْن، مع وجود أندريا بيرلو كصانع ألعاب في العمق وراءهما، ويحيط بهما جينارو جاتوسو بعنفه وزمجرته، وماسيمو أمبروسيني بهدوئه وكفاءته. مرة أخرى، المفتاح هو السيولة، حيث إن بيرلو وأمبروسيني يتقدمان بطريقة مريحة وكذلك سيدورف- على حد سواء- يمكن أن يلعب دوراً أكثر دفاعية.

فريق تشيلسي تحت قيادة مورينو.

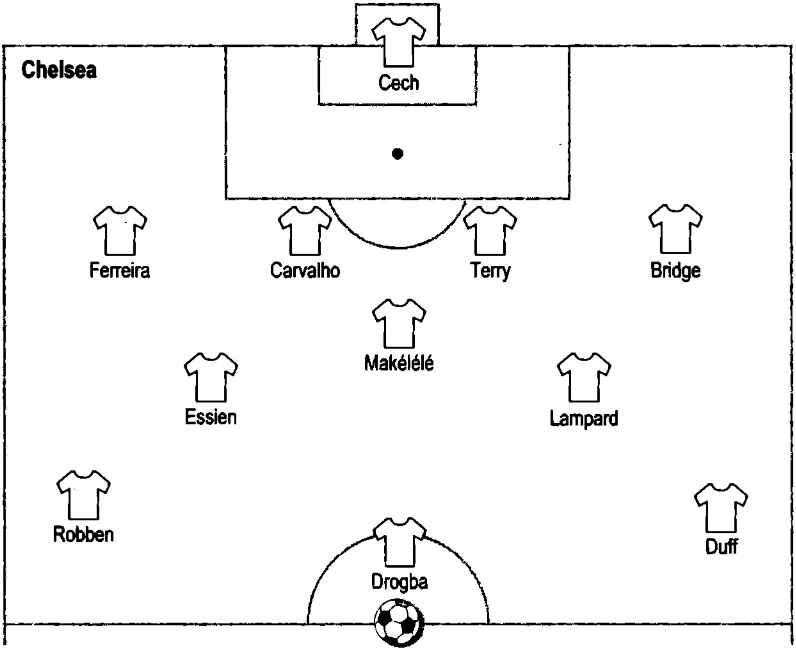

الطريقة الأكثر شيوعاً هي 4–3–3، التي تشبه قليلاً طريقة 4–3–3 على النحو الذي طبقته البرازيل عام 1962، فطريقة البرازيل كانت مائلة وغير متوازنة على هذا النحو 4–2–4، إذ كان ماريو زاجالو يرجع إلى العمق من الجناح ليصبح لاعب وسط إضافي. ومع بعض الاستثناءات أحياناً، فإنها ظلت غير متناظرة حتى الثمانينيات عندما بدأ نيوكاسل، مثلاً، طريقة 4–3–2، ثم وضع كريس وادل على أحد الجناحين وفقاً لأي من الظهيرين المقابلين أيهما بدا أضعف. وطريقة 4–3–3 الحديثة، على النحو الذي يلعب به البرتغالي جوزيه مورينيو في تشيلسي وغيره الكثير، هي في الحقيقة طريقة معدلة لطريقة 4–5–1.

هنا، ربما يصبح واضحاً أن التحول الأكثر أهمية في الفترة الأخيرة في فهم التكتيكات هو: فكرة أنه لا يوجد سوى ثلاثة نطاقات– الدفاع والوسط

والهجوم- قد ولت. هناك اعتراف عام الآن أن كل واحدة من هذه الفئات يمكن تقسيمها لنطاقات أصغر، على الرغم من أنه كلما استمرت هذه العملية يمكن أن تضيق النطاقات حتى تتوقف عن أن تكون ذات مغزى. يقول بيليتش: «إنها تتوقف على حركة لاعبيك، صعوداً وهبوطاً، يمنة ويسرة. لم تعد هناك خطوط». أما مورينيو فلم يذهب إلى حد بعيد حتى الآن، إذ يعترف بأن الخطوط لاتزال موجودة، في حين يدافع عن الرأي بأن وظيفة لاعبيه، على الأقل عندما يتقدمون إلى الأمام، هي تفريقهم.

وتحت إدارته، كانت طريقة تشيلسي في اللعب بأربعة لاعبين في الدفاع أصيلة نسبياً. فكان كلود ماكيليلي على الفور أمامهم، مع توظيف فرانك لامبارد وتياجو- أو، لاحقاً، مايكل ايسنيان- بفعالية أمامه. وكان ديديه دروجبا لاعب قلب الهجوم الوحيد، مع اثنين على الأجناب- وهو مزيج من داميان داف، وجو كول وأرين روبن- حيث يُوظفون كأجنحة وكلاعبي خط وسط مساعدين: وليس كمهاجمين صرحاء، ولا كلاعبي خط وسط كذلك، أحياناً كانت طريقة 4-1-2-3، وأحياناً كانت طريقة 4-1-4-1، لكنها أصبحت أكثر سهولة في الفهم كطريقة 4-3-3.

ولاتزال هناك مسألة قابلة للنقاش عن الجديد في كسر الخطوط. كان هناك دائماً لاعبو الوسط المدافعون ولاعبو الوسط المهاجمون، في حين كان مفهوم تقسيم الملعب إلى أربعة نطاقات موجود في طريقة «دبليو إم». بل ربما، كما هي الحال مع خط فلافيو كوستا القُطْري، وما تغير هو التدوين، وكما يصبح ذلك أكثر تطوراً ومهارة في تمثل الواقع، فإن تلك الحقائق تصبح أسهل على الفهم، ومن المؤكد أن مصطلح «4-5-1» قد أصبح اليوم غامضاً بحيث أصبح تقريباً عديم الجدوى في وصف كيفية رص خطوط الفريق في أرض الملعب. بل هو مصطلح عام، يصف عائلة من التشكيلات.

ويصر أريجو ساكي على أنه لم تكن هناك أي ابتكارات منذ الميلان الذي كان يدربه- بينما هناك مصلحة ذاتية في ادعاءاته- وهناك أيضاً قدر كبير من الحقيقة فيها. ربما الأكثر أهمية، رغم ذلك، هو موقفه من أمثال ماكيليلي، فساكي متشكك في طريقة 4-2-3-1 وطريقة 4-3-3 وطريقة 4-3-3 الحديثة مع وجود المسّاك، لأنها حسب رأيه مقيدة جداً، فيقول: «كرة القدم اليوم عبارة عن إدارة خصائص وملكات الأفراد، ولهذا السبب ترى انتشار المتخصصين، فالفردية فاقت الجماعية. لكن ذلك علامة على الضعف. إنها ردة فعل، وليست مبادأة في الفعل».

وهو يعتقد أن ذلك كان الخلل الأساسي في سياسة المجرَّة المتبعة في ريال مدريد، حين شغل منصب مدير كرة القدم بين ديسمبر 2004 وديسمبر 2005، فلقد وقع النادي عقوداً مع مجموعة من النجوم وحاول تحقيق التوازن بينهم بمجموعة من العدائين الشباب. «لم يكن هناك مشروع»، هكذا يقول: «كان الأمر حول استغلال الصفات، مثلاً، كنا نعرف أن زيدان وراؤول وفيجو لا يتابعون في الدفاع، لذلك كان علينا أن نضع لاعباً أمام رباعي خط الظهر ليقوم بالدفاع، لكن هذه هي كرة القدم الرجعية، إنها لا تضاعف صفات اللاعبين بشكل كبير، فما هي في الواقع نقطة التكتيكات: أن تحقق هذا التأثير المضاعف على قدرات اللاعبين».

«في كرة القدم التي أعرفها، صانع الألعاب هو من يملك الكرة. لكن إذا كان لديك ماكيليلي. لا يستطيع أن يفعل ذلك. لم تكن لديه أفكار للقيام بذلك، على الرغم من أنه عظيم حقاً في الحصول على الكرة. أصبح كل شيء عن المتخصصين. هل كرة القدم لعبة جماعية ومتناغمة؟ أم أنها مسألة وضع مقدار (س) من اللاعبين الموهوبين وتحقيق التوازن بينهم لتخرج المباراة بالنتيجة (ص) من المتخصصين؟

وعندما عاد إلى الميلان عام 1996 بعد الفترة التي قضاها مسؤولاً عن المنتخب الوطني، تم تطمين ساكي أن مارسيل دوسايي- الذي كان يُستخدم في خط الوسط من قبل فابيو كابيلو- قد عاد إلى خط الدفاع. ومثل فاليري لوبانوفسكي، الذي صرح ساكي بالإعجاب الكبير به، يؤمن ساكي بفوائد العالمية، وباللاعبين الذين لا يتقيدون بأدوار معينة، بل بالذين يمكن أن يتجولوا، متخذين زملاءهم في الفريق ولاعبي الفريق المنافس والمساحات المتاحة كمرجعية لتمركزهم على قدر الملعب، وعندما يتحقق هذا سينساب النظام حقاً.

هذا هو ما يقدمه الجيل الجديد من الأجنحة وصانعي الألعاب، فهم ليسوا مجرد مبدعين، وإنما عدّاؤون ومدافعون. وكما تطور رؤوس الحربة، تغيرت مراكز أخرى. فمن النادر مثلا أن تجد فريقاً في القمة يلعب باثنين مسّاكيْن في قلب الدفاع. فهناك حاجة دائماً إلى لاعب واحد على الأقل يستطيع تمرير الكرة، أو يتقدم بها إلى خط الوسط. واللافت أن لاعب الوسط المهاجم الخشن اختفى تماماً. وكما قال زوران فيليبوفيتش Zoran Filipovic- مهاجم ومدرب فريق «رد ستار» وأول مدير فني لمنتخب جمهورية الجبل الأسود المستقلة: «أنصاف الفرص التي اعتاد أن ينتهزها اللاعبون لم تعد موجودة. والدفاعات أفضل تنظيماً.. واللاعبون أفضل لياقة. عليك أن تخلق الفرص. وألا تعتمد على الأخطاء فقط».

وكان فيليبو إينزاجي أحد أواخر اللاعبين الذين صارعوا من أجل البقاء. لكن زحف العمر جاء عليه قرب نهاية حياته المهنية. وكان مايكل أوين في منتصف عشرينيات عمره عندما أصبح جلياً أنه جيد في التمركز أمام آخر مدافع أو في الاندفاع إلى أقرب عارضة مرمى، لكن ذلك لا يكفي في كرة القدم الحديثة. يقول أوين: «طورت لعبي.. فأصبحت أمسك بالكرة بصورة

تشكيلة فريق روما 2006 – 2007، مانشستر يونايتد 2007 – 2008

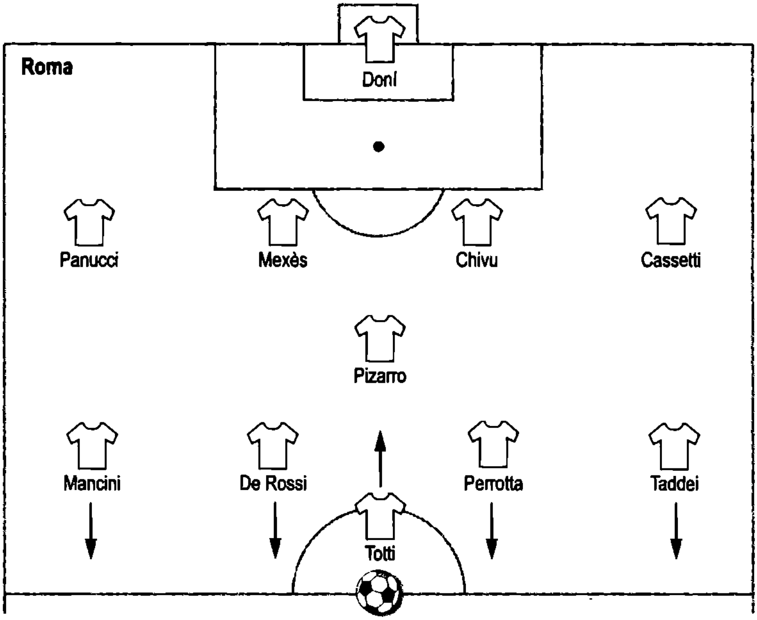

مانشيستر يونايتد .

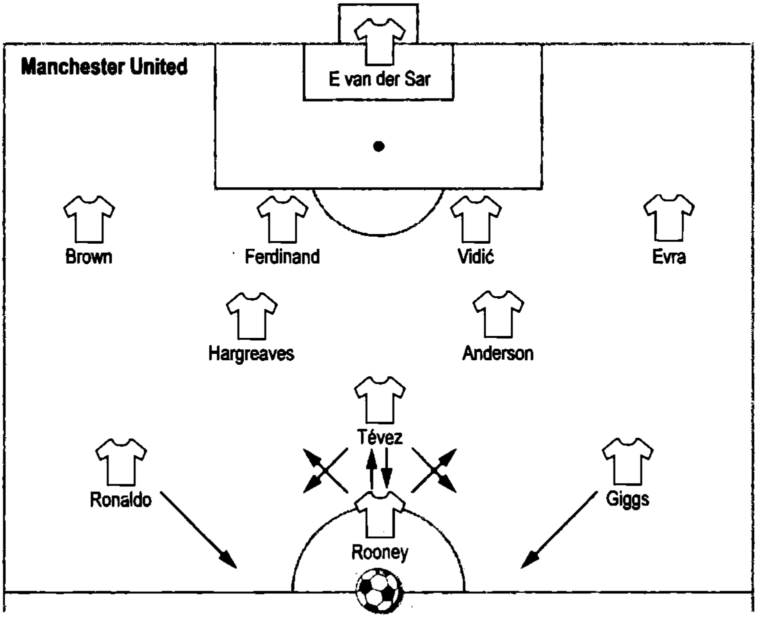

أفضل، وأقوم بمهام الربط أفضل. وعلى الحفاظ على الشيء الرئيس وهو تسجيل الأهداف والنفاذ من خلف اللاعبين. لأن الهدف الرئيس هو إيداع الكرة في الشباك».

هذا الاتجاه هو نموذج للاتجاه الانجليزي وهو أحد أسباب إحباط المديرين الفنيين. يقول مورينيو: «لا أصدق أنه في إنجلترا لا يُعَلِّمون اللاعبين الشبان مهارات الوظائف المتعددة. فبالنسبة إلى الإنجليز عد الأمر مجرد معرفة مركز واحد واللعب فيه. والمهاجم عندهم هو مهاجم فقط. أما بالنسبة إلي، فالمهاجم ليس مجرد مهاجم. إنما شخص عليه التحرك، والجري بعرض الملعب في تشكيلات 4-4-2 و4-3-3 و3-5-2».

اعتاد أوين أن يوجه انتقادات شديدة لجهود مدرب منتخب إنجلترا آنذاك كيفن كيجن لتوسيع قدراته في أثناء الاستعدادات لنهائيات كأس الأمم الأوروبية 2000. لكن الواقع يقول إن وضع الكرة في الشباك لم يعد كافياً أو- على الأقل- ليس على الغاية الأسمى. وقد يكون أوين واحداً من اللاعبين الذين جعلوا فريقهم يفوز في المباريات العارضة، لكن يمنعون فريقهم من لعب كرة جيدة (ما يعني أنه قد يكون مفيداً للفرق المتوسطة أو لفريق جيد يلعب بشكل سيء. لكنه لا ينفع فريقاً جيداً يؤدي أداء جيداً). حتى مع الأخذ في الاعتبار تاريخ إصاباته، من المهم القول إنه عندما ترك ريال مدريد سنة 2005، لم يضمه أي ناد من الأندية المشاركة في التصفيات المؤهلة لدوري أبطال أوروبا وانتهى به الأمر في نيوكاسل. ويبدو أنه لاعب تخلف عن ركب التطور التكتيكي للعبة.

والمهاجم الحديث أكثر بكثير من مجرد مُحرز أهداف. وربما ينجح المهاجم الحديث دون تسجيل أهداف. وقد مر مثال جيفارتش آنفاً، لكن في بطولة يورو 92، كان يُنظر إلى قلبيْ هجوم الدانمارك، فليمينج بوفلسن وكيم فيلفورت، على أنهما لعبا بطولات ممتازة وسجلا هدفاً واحداً فقط. وكانت مهمتهما اعتراض

الكرات الطويلة، والمحافظة على الاستحواذ إن حصلا على الكرة، وتمريرها إلى هنريك لارسن وبريان لاودروب، لاعبي الوسط الأكثر ميلاً إلى الهجوم. وبدا ذلك انحرافاً عن القواعد، لكنه كان إرهاصاً لما سيأتي بعد ذلك.

والواضح أن الأهداف هي جزء منه– وهو جزء ذو قيمة خاصة– والمهاجم غير الهداف حالة خاصة، لكن المهاجم الحديث العظيم حقاً يبدو بالأحرى مزيجاً من شراكات الهجوم القديمة [Old Strike Partnerships]. فأمثال ديدييه دروجبا وإيمانويل اديبايور وكل منهما لاعب مهاجم وسريع، وكبش ضارب وهداف، ولقد فرضا قدراتهما البدنية، لكنهما قادران كذلك على التلاؤم. أما أمثال تييري هنري أو ديفيد فيا فإن كل منهما يمزج أفضل صفات اللاعب الموهوب واللاعب الهداف، وكل منهما قادر على الرجوع إلى العمق أو السحب بالعرض، وبارع في إنهاء الكرة وانتهاز الفرص بنفسه. ويأتي بينهما في مكان ما بين هذين أندريه شيفتشينكو– أيام لعبه في دينامو كييف في بلده وكذلك في الميلان الإيطالي– وزلاتان إبراهيموفيتش والكاميروني صامويل إيتو وفرناندو توريس.

تكلم ماسلوف عن كرة قدم تشبه الطائرة، لتصبح انسيابية على نحو متزايد، لكن ربما لم يكن الاعتماد التدريجي على خط مواجهة مكون من لاعب واحد ليس نهاية التطور. فقد تحدث كارلوس ألبرتو باريرا– الذي قاد البرازيل للفوز بكأس العالم 1994، وكان مسؤولاً عنهم مرة أخرى في عام 2006– عن إمكانيات طريقة 4–6–0. فكما يوضح أندي روكسبيرج، المدير الفني السابق بالاتحاد الأوروبي: «لديك أربعة مدافعين في الخلف رغم السماح لهم بالتقدم إلى الأمام، أما الستة لاعبين في خط الوسط فيمكنهم جميعاً تبادل المراكز والهجوم والدفاع. لكنك في حاجة إلى ستة لاعبين من أمثال ديكو في خط الوسط لأنه لا يهاجم فقط، بل يجري ويعترض الكرات ويقوم بالتغطية في

جميع أنحاء الملعب، وتجده يلعب في مركز الظهير الأيمن أحياناً».

لكن أليس ديكو ما هو إلا المثال الكلاسيكي لفكرة لابنوفسكي وساكي عن العالمية؟ وفي موسم 2005–2006، على الرغم من أن فرانك ريكارد كان يلعب في كثير من الأحيان بالمقاتل مارك فان بوميل أو بالمتحول من قلب الدفاع إدميلسون في دوري أبطال أوروبا وفي الدوري الاسباني، فقد لعب بانتظام بثلاثة في خط الوسط هم ديكو وتشابي Xavi وأندريس أنيستا، وجميعهم أقل في الطول من 5 أقدام و9 بوصات [تقريبا 175,2 سم]، وليس لأي منهم بنيان بدني مرعب. فاللاعبون الدؤوبون المنظمون بشكل صحيح ليسوا في حاجة إلى التخويف بالحجم.

ويبدو أن رؤية باريرا بدأت تصبح ببطء حقيقة واقعة. ففي موسم 2006–2007، مثلا، لعب فريق روما بقيادة لوتشيانو سباليتي بطريقة 4–1–4–1، لكن مع فرانشيسكو توتي، وهو نموذج لثلاثة أرباع المهاجم، لعب بمهاجم وحيد، حين لعب ديفيد بيزارو كمسّاك وأمامه تادي وسيموني بيروتا ودانييلي دي روسي ومانشيني. ما حدث أن توتي نزل في العمق في مركز ثلاثة الأرباع المهاجم وقضى فيه الكثير من حياته الكروية، ما خلق مساحة سمحت لواحد أو أكثر من لاعبي الوسط المهاجمين بالتقدم. ولما تم حل التمييز بين مركز قلب الهجوم ومركز الوسط المهاجم، أصبح تشكيل روما هو 4–1–5–0، إن لم يكن 4–6–0.

وتم قبول التجربة– بغرابة بعض الشيء– من قبل الفريق الذي سحقهم في الموسم الماضي لدوري أبطال أوروبا 7–1: إنه مانشستر يونايتد، فقد لعب كريستيانو رونالدو وواين روني وكارلوس تيفيز وريان جيجز أو ناني أمام أربعة من المسّاكين هم أوين هارجريفز ومايكل كاريك وأندرسون وبول سكولز، ولم يكن لمانشستر لاعب جبهة أمامي واضح بشكل منتظم، إذ أصبح كل

واحد من الجبهة الرباعية مهاجماً بشكل تبادلي بحكم الأمر الواقع، مما يساعد على تفسير عودة أهداف رونالدو الرائعة. وهذا النظام يتطلب الكثير من العمل لتطوير التفاهم المتبادل- كما تبين من عدم إحراز مانشستر للأهداف في المباريات الأولى من الموسم، ومن الاستخدام اليائس للمدافع جون أوشيه كمهاجم مؤقت لأن الفريق كان يكافح لإيجاد نوع من التدفق في التعادل السلبي أمام ريدينج في افتتاح موسم 2007–2008- لكن عندما تتضح ويتم فهمها يمكن أن تنتج كرة قدم مبهجة.

التدفق هو كل شيء. فلايزال تقرير جياني بريرا عن نهائي أول كأس عالم صحيحاً اليوم تماماً كما كان عليه آنذاك، فعلى افتراض وجود تكافؤ تقريبي في القدرات، فإن الفريق الذي يفوز سيظل هو الفريق الذي يستطيع الحفاظ على توازن تدفق الهجوم والحفاظ على صلابة الدفاع، وفي سعيه لتحقيق هذا الهدف قد يكون لاعب قلب الهجوم الضحية القادمة. حتى ماكيليلي- الذي كان انضباطه المعقد خلف خط الوسط مفتاحاً لنجاح تشيلسي تحت قيادة مورينيو، وفقدانه كان ذا تأثير كبير في تقويض ريال مدريد- يرى أن مكانه في تشيلسي اغتصبه ميكيل جون أوبي Mikel Jon Obi لاعب الوسط الأكثر اكتمالاً، وحيث حل النظام محل الفردية، فقد ذهب الجناح ثم تمت إعادته في شكل مختلف وأكثر تعقيداً؛ وكذلك كان صانع الألعاب؛ وهكذا الآن قد يختفي المهاجم من الوجود، فعلى ما يبدو، المستقبل هو العالمية.

△▽△▽△▽△▽△▽

خاتمة

ربما يكون من السهل تنظيم استقصاء عن كرة القدم الحالية والإصرار على أن اللعبة تخلو من أي جديد. وقد أكد خبير الكرة روبرتو مانشيني ذلك في محاضرة ألقاها في بلجراد سنة 2007، حين قال إن التطورات المستقبلية في كرة القدم لن تكون في التكتيك، وإنما في الإعداد البدني للاعبين. وقد تكون وجهة نظره صحيحة إلى حد ما. لأن كرة القدم أصبحت لعبة ناضجة وتم اختبارها وتحليلها بشكل مستمر على مدار قرن ونصف تقريباً. وإذا ظل عدد أفراد الفريق أحد عشر لاعباً، فليس من المحتمل خروج ثورة كروية واعدة تدهش العالم. وحتى إن حدثت هذه الثورة، وإن ظهر مدرب مغمور واستطاع تقديم تغيير جذري غير متوقع، فلن يؤدي ذلك إلى حدوث تأثير مذهل مثل ذلك الأثر الذي نتج عن سحب المجر مركز قلب الهجوم Centre-forward في أوائل الخمسينيات. بل إن ذلك، على النحو الذي آمل أن يكون قد اتضح في ثنايا هذا الكتاب، كان مستمداً مباشرة من تفسير لاعب الكرة السابق متياس سندلر لمركز قلب الهجوم في الفريق الوطني النمساوي، وله دور مواز في أعمال مارتيم فرانسيسكو مع فيلا نوفا.

ولم تستطع إنجلترا التعامل مع إسقاط سندلر لمركز قلب الهجوم سنة 1931. فقد كافحت الأطراف البريطانية من أجل التوافق مع فيسيفولود بوبروف، الذي فعل الشيء نفسه عندما قام فريق دينامو موسكو بجولة في سنة 1945. لكن دينامو موسكو لعب مباراة مُذلّة أمام اللاعبناندور هيديكوتي سنة 1953. وكان درساً تعلمه الجميع. وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة لم تجد

تفسيراً، لأن الأمثلة الثلاثة المذكورة كانت منعزلة عن بعضها كونها توزعت على فترة 22 عاماً. وفي هذه الأيام، لم يأت الفريق المجري الذهبي إلى لندن باعتباره لغزاً: فلا بد أن نجاحات هذا الفريق بدت واضحة على شاشات التلفزيون وتم اقتناء أشرطة الفيديو الخاصة بالفريق، وتحليل حركة اللاعبين تحليلاً آلياً بمساعدة الكمبيوتر. وبالتالي لن يكون هناك ابتكار تكتيكي جديد يفجر المفاجأة في كرة القدم!

وإضافة إلى ما سبق، فإن أحد المدربين المجريين الموهوبين مثل جوستاف سيبيس قد لا يعمل في المجر، ولكنه لهث وراء المال في أوروبا الغربية. ونظراً لزيادة التبادل بين مختلف ثقافات كرة القدم، أصبحت الأساليب الوطنية أقل تميزاً. نحن لم نتجانس حتى هذه اللحظة. واحتمال ألا يحدث هذا أبداً. لكن هناك نزعة في هذا الاتجاه.

وحتى هذه اللحظة توجد العديد من التخيلات التي هي على استعداد دائماً لتحدي التوقعات. كما أن الفريق الذي يترقى حديثاً، وبخاصة الذي لديه موارد محدودة، عادة ما يتبنى أسلوباً دفاعياً. ويقول منطق هؤلاء: أفسد اللعبة وقيّد المهارة، لينخفض عدد الأهداف المحتملة.. وتزداد فرصة أي فريق ضعيف في اقتناص التعادل أو الفوز بهدف مقابل لا شيء. وعلاوة على ذلك– ففي عامي 2006 و2007، لعب باسكول مارينو، الذي قاد فريق كاتانيا إلى الصعود للدوري الممتاز في إيطاليا الموسم السابق لهذا العام، بخطة 4–3–3 مع خط ظهر كامل مهاجم ودون لاعب في وسط الميدان. وتم تشجيعهم على عدم اللعب بمبدأ التوقع، ولكن محاولة الأصعب. ومن حين لآخر، كانوا يقعون في مشكلات مثل الهزيمة الثقيلة 7–0 أمام روما. وعندما قُتل أحد رجال الشرطة في أعمال الشغب بمباراة الدربي أمام باليرمو في شهر فبراير، تم حظر فريق كاتانيا من اللعب في استاده، لكن الفريق أنهى الدوري في مركز متقدم– هو

الثالث عشر. ولم يكن ذلك نظاماً جديداً، وإنما ثورة على التكتيكات وتمرد على التقاليد المتعارف عليها.

ويمكن إعادة تقديم أساليب قديمة في سياقات جديدة بنجاح، وخصوصاً في الصورة المصغرة في البطولات الكبيرة. فاليونان، على سبيل المثال، في كأس الأمم الأوروبية في عام 2004، كانت الفريق الوحيد الذي لعب دون أربعة مراقبين في خط الظهر. فدفع مدربهم، أوتو ريهاجل Otto Rehagel، بليبرو مع ثلاثة من صناع اللعب ثم أضاف قوة إضافية من خلال لاعب خامس في وسط الميدان ومهاجم واحد. يقول أندي روكسبيرج Andy Roxburgh، «وفاز ريهاجل لأنه طرح مشكلة نسي الناس كيف كان حلها». ويضيف: «إنها لم تكن جديدة لكنها كانت مؤثرة. فقد تحكموا في مجريات أمور المباريات بدون السيطرة على الكرة، فقد كانت وجهة نظر أوتو: لماذا عليه تجربة نسخة ضعيفة من نظام شخص آخر؟ ومهما كان قولك حول نظامه الخاص به، عليك أن تعترف أن اليونان كانت تهاجم بسرعة كبيرة في كل وقت تحوز فيه الكرة». وبدت فرنسا، على وجه الخصوص، تكافح ضد اليونان، وخسرت 0–1 في نصف النهائي. وقال روكسبورغ «لقد كانوا بحاجة إلى أن ينقلوا الكرة إلى تييري هنري بصورة أسرع». كان هنري في أخطر حالاته حينما كان يجري إلى المنتصف من اليسار أو يجري إلى اليسار من المنتصف، أما أمام اليونان، فقد ابتعد عن ذلك كثيراً نظراً لأنه لم يحصل على أي مساحة. وهذا هو أحد الأشياء التي تريد أن تفعلها: نقل الخطر إلى خط المرمى. لم يكن خصوم اليونان معتادين على هذه المراقبة اللصيقة. فقد تحولت الطريقة القديمة إلى جديدة».

إن هروب المهاجم الصريح، ربما يكون شيئاً جديداً، ورغم ذلك– فإنه على الأقل في نهاية موسم 2007–2008- ظل شيئاً تجريبياً. وربما تصبح طريقة اللعب 4–6–0، مع الوقت، الطريقة التقليدية مثلما كانت طريقة 4–4–2 في إنجلترا

حتى منتصف التسعينيات، أو طريقة الليبرو في إيطاليا حتى نهاية الثمانينيات، وربما تكون مجرد شيء جديد عابر.

ولا شك أن ظهورها يشير إلى موت طريقة المهاجم القديمة في مقابل اللاعبين الجدد متعددي الاستخدامات. ويمكن القول إن الاتجاه نحو العالمية هو اتجاه متواصل. وربما يثبت هذا ببساطة رأي مانشيني القائل بأن ما حدث أن الفنيين القدماء أصبحوا، بفضل تحسن التغذية وتحسن وسائل التدريب، أفضل بدنياً. فعندما يتمتع كل لاعب باللياقة البدنية والطاقة، يصبح الطلب أقل على اللاعبين الذين يقدمون القليل بعد نفاد لياقتهم البدنية. وإذا كان المهاجمون يأخذون الدور الذي كان يلعبه الجناح في المدارس القديمة ودور صانع اللاعب، يصبح السؤال هو: ما المركز التالي؟ قلب الدفاع؟ ربما. وإذا لم يكن هناك قلب هجوم يتم مراقبته، فإن قلب الدفاع الثاني في طريقة 4–4–2 يصبح تكراراً عديم القيمة لنفس وظيفة المدافع الثالث في طريقة 3–5–2 عند اللعب ضد مهاجم وحيد.

ومن الصعب تصديق أن التحليل التفصيلي المتزايد الذي تقدمه التكنولوجيا الحديثة لن يصنع فرقاً. فأجهزة الكمبيوتر ومعرفة علم التحكم الآلي «cybernetic». ساعدا فاليري لوبانوفسكي على تطوير نظامه. ويقول المنطق إنه كلما ازداد تعقيد التكنولوجيا، زاد تعقد الأنظمة. لكن أعظم العقبات هو رؤية اللاعب لذاته، حيث يكون اللاعب تشبع بالسنوات التي حصل فيها على أجور ضخمة وشهرة جارفة، فهل يصبح اللاعب على استعداد– كما طلب لوبانوفسكي وأريجو ساكي– بالتضحية بنفسه لصالح الأداء الجماعي؟ تجربة ريال مدريد في عصر النجوم الفائقين توحي بعكس ذلك. وربما كان هذا هو الشطر الآخر من التناقض، الذي أشار إليه جورج فالدانو حين تحدث عن تأثير التلفزيون على كرة القدم الحديثة: الشهرة الكبيرة للاعبين المعاصرين

تعوق تقدمهم. ويُعتقد أن المشجعين شركاء في ذلك. فيميل اللاعبون إلى المحافظة (منتخب السويد في السبعينيات هو نموذج على حب اللاعبين للأداء الفردي) في كرة القدم عالية التعقيد. وتجربة الأرجنتين مع انتهاء فترة النوسترا توضح إلى أي مدى قد يصل التراجع والاضمحلال. إذاً فالعولمة الكروية تعني تطبيق استراتيجيات الدفاع الذاتي. فإذا لم يتقدم أي من فرق الكرة، لن يتراجع أي منها. وهكذا فإن «النتائج التي تدق ناقوس الخطر» مثل تغلب الأرجنتين على تشيكوسلوفاكيا 6–1 مستبعدة الآن، ما لم يهد الله إحدى الدول جيلاً من اللاعبين يقاومون إغراء النزعة المادية في الكرة الأوروبية ويسلمون أنفسهم إلى مدرب بارع تكتيكياً. إن نجاح كوريا الجنوبية في الوصول إلى نصف نهائي كأس العالم 2002 هو دليل على ما يمكن تحقيقه بالتنظيم الصارم، حتى باستخدام لاعبين متوسطي المستوى.

إن ساكي يجد أنه أمر «ملحوظ ومقلق» عدم وجود تطور كبير في التكتيكات منذ النهج المنظم لفريقه إيه سي ميلان، لكنه يظل على قناعة بأن التطور سيستمر، وقال: «طالما وُجدت البشرية، سيحدث شيء جديد. وإلا ماتت كرة القدم».

كثيرون أشاروا قبل ذلك إلى نهاية التاريخ، ولم يكن أي منهم على صواب!

«يخدم هذا الكتاب علم تكتيكات كرة القدم مثلما خدم كتاب سايمون إنجليس معمار الملاعب، وما فعله نيك هورنباي لدراسة أحوال المشجعين. هذا الكتاب يقدم أكثر من ذلك أيضاً. وكل صفحة من صفحاته تشمل مزيجاً مدهشاً من المعلومات المتعمقة والإمتاع المثير»

باتريك باركلاي

«أصبح النقاش في موضوعات كرة القدم جزءاً أصيلاً من حياتنا اليومية، بداية من الأوقات التي نقضيها في المطاعم ومحال السهر، وانتهاء بلحظات تناول الوجبات اليومية. وفي هذا الكتاب يعرض جوناثان ويلسون لتاريخ وطريقة انتشار تكتيكات كرة القدم في أنحاء العالم: كيف تجاهل سكان أمريكا الجنوبية الأوامر الإمبريالية بإضافة مهاراتهم المدهشة إلى تلك اللعبة الجماهيرية، وكيف سخَّر الأوروبيون المهارة الفردية في بناء الفريق، وكيف أصبح المهاجمون الأماميون الخمسة يلعبون بتشكيلة مقلوبة. هذا الكتاب ليس مجرد سرد مثير لرحلة تكتيكات الكرة فحسب، وإنما تجربة قراءة ممتعة لكل مهتم بهذه الرياضة».

لقد ظهر كتاب رفيع المستوى، لأول مرة على مدار عقود، عن ممارسة الكرة على المستطيل الأخضر.

سايمون كوبر

نبذة عن المؤلف:

صحافي وكاتب بريطاني مخضرم، متخصص في كرة القدم، ويكتب لطائفة من صحف الصف الأول بالمملكة المتحدة، كالجارديان والإندبندنت وسبورتس إلستريتد.

له -غير هذا الكتاب- كتابان آخران هما: (خلف الستار: أسفار في عالم كرة القدم في أوروبا الشرقية)، ويتناول رحلات مؤلفه في أنحاء أوروبا الشرقية وتاريخ ومدارس الكرة في كل بلد من بلاد شرق القارة الأوروبية.

وكتاب «تشريح إنجلترا: تاريخ في عشر مباريات»، ويتناول فيه تاريخ صعود الكرة الإنجليزية وأفولها في عشر مباريات، بداية بلقاء أسبانيا وإنجلترا سنة 1929، وانتهاء بمباراة إنجلترا وكرواتيا سنة 2007.

نبذة عن المترجم:

صحافي ومراسل اقتصادي يعمل لإحدى وكالات الأنباء المرموقة بالقاهرة، وسبق له العمل مديراً لتحرير مجلة «قطر اليوم»، التي تصدر من العاصمة القطرية الدوحة.

صدرت له مجموعة من الترجمات عبر مشروع «كلمة» أبرزها: كتاب «سيف فارس» و«حكايات شعبية من هاواي» وسلسلة «الحكايات الهندية»، فضلاً عن كتاب «أقنعة الثقافة العربية» الذي أصدرته دار الثقافة المصرية.

تخرج المترجم في كلية الآداب قسم اللغويات الإنجليزية والترجمة بجامعة حلوان (مصر) سنة 2002، ومارس العمل اللغوي والصحفي من عدة عواصم عربية منذ ذلك الحين.

الهرم المقلوب.. تاريخ تكتيكات كرة القدم

يعد كتاب «الهرم المقلوب.. تاريخ تكتيكات كرة القدم» سجلاً توثيقياً لنشأة تكتيكات اللعبة الأكثر شعبية في العالم وتطورها. والكتاب رحلة تأريخية تسجل أبرز معالم تطور التكتيك والتشكيل في كرة القدم منذ ابتكارها حتى ظهور طريقة 1-5-4 الحديثة وتنويعاتها.

ويتصدى الكاتب لمهمة تفسير تطور طريقة كاتيناشيو الإيطالية، وينتقل منها إلى أسلوب اللعب الجماعي الألماني ثم المهارات الفردية في أمريكا اللاتينية، لينتقل بعدها بعيداً إلى الاتحاد السوفييتي ويرصد الإبداعات التكتيكية التي عرفها العالم عبر السوفييت.

الكتاب غني بالرسوم التوضيحية والإحصاءات والمقابلات الصحفية مع كبار الأسماء الكروية، فضلاً عن أسلوب الدعابة والمرح الرشيقين، الذي يتبعه الكاتب.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة
أطفال و ناشئة

كلمة
KALIMA

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

9 789948 019923